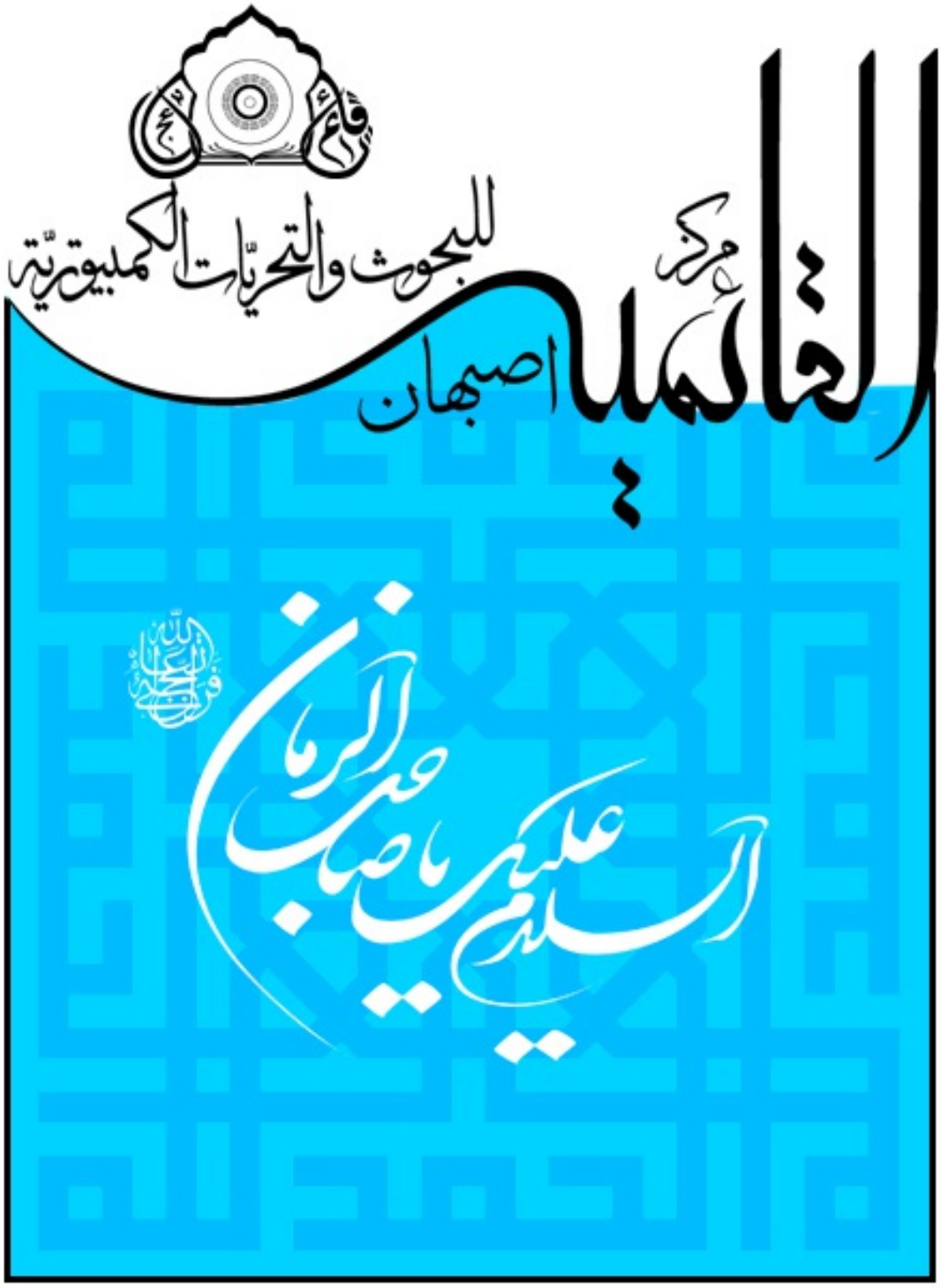

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

بحوث

فى الملل و النحل

الحنابلة

الجزالخامس

جعفر السبحانى التبريزى

بسم الله الرحمن الرحيم

بحوث فی الملل و النحل

كاتب:

جعفر سبحانی

نشرت فی الطباعة:

موسسة النشر الاسلامی

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
بحوث فی الملل و النحل - الجزء الخامس (یتناول تاریخ الخوارج) ----- ۶
اشارة ----- ۶
المقدمة ----- ۶
الفصل الأوّل بدایة الاختلاف بعد رحلة الرسول ـ ----- ۷
الفصل الثانی حوادث وطوارئ مریرة فی عصر ----- ۱۲
االفصل الثالث نشوء الخوارج عند مخالفتهم لمبدأ ----- ۲۶
الفصل الرابع تحرّکاتهم السیاسیّة بعد مبدأ ----- ۳۱
الفصل الخامس موقف الإمام من رأی الحکمین ----- ۳۴
الفصل السادس تحرّکاتهم العسکریة بعد صدور ----- ۴۰
الفصل السّابع انتفاضات الخوارج بعد حرب ----- ۴۵
الفصل الثامن الخوارج فی عصر معاویة بن أبی ----- ۵۳
الفصل التاسع ألقاب الخوارج وفرقهم ----- ۶۱
الفصل العاشر عقائد الاباضیة واُصولهم الثمانیة ----- ۸۵
الفصل الحادی عشر مؤسس المذهب الاباضی ----- ۱۰۵
الفصل الثانی عشر فی عقائد فرق الخوارج ----- ۱۲۳
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۷۳

بحوث فی الملل و النحل – الجزء الخامس (یتناول تاریخ الخوارج)

اشارة

سرشناسه : سبحانی تبریزی جعفر، - ۱۳۰۸

عنوان و نام پدیدآور : بحوث فی الملل و النحل : دراسه موضوعیه مقارنه للمذاهب الاسلامیه تالیف جعفر السبحانی مشخصات نشر : قم اداره الحوزه العلمیه بقم الجماعه المدرسین فی الحوزه العلمیه بقم موسسه النشر الاسلامی ۱۴۱۴ق = - ۱۳۷۲.

فروست : (موسسه النشر الاسلامی جامعه المدرسین بقم ۷۲۰، ۷۲۱، ۷۲۲، ۷۲۳، ۷۲۵: مرکز مدیریت حوزه علمیه قم ۱، ۲۶)

شابک : بها:۳۴۰۰ریال ج ۱)بهای‌هرجلدمتفاوت ؛ بها:۳۴۰۰ریال ج ۱)بهای‌هرجلدمتفاوت ؛ بها:۳۴۰۰ریال ج ۱)بهای‌هرجلدمتفاوت ؛ بها:۳۴۰۰ریال ج ۱)بهای‌هرجلدمتفاوت وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی یادداشت : ج ۱ (چاپ دوم ۱۳۷۱)؛ بها: ۱۸۰۰ ریال یادداشت : جلد اول و چاپ دوم ۱۴۱۵ق = ۱۳۷۳؛ بها: ۴۰۰۰ ریال‌جلد پنجم (چاپ دوم ۱۴۱۵ق = ۱۳۷۳)؛ بها: ۵۵۰۰ ریال (موسسه النشر الاسلامی جامعه مدرسین بقم)۷۲۴

یادداشت : جلد اول (چاپ چهارم ۱۴۱۶ق = ۱۳۷۴؛ بها: ۶۵۰۰ ریال یادداشت : ج ۴(چاپ پنجم ۱۴۱۷ق = ۱۳۷۵)؛ ۷۶۰۰ ریال یادداشت : ج ۷(چاپ اول ۱۴۱۶ق = ۱۳۷۴)؛ ۱۰۰۰۰ ریال یادداشت : ج ۸(چاپ اول موسسه الامام الصادق ۱۴۱۸ق = ۱۳۷۶)؛ ۱۰۰۰۰ ریال یادداشت : ج ۱۴۱۲ ۵ق = ۲۵۰۰ :۱۳۷۱ ریال یادداشت : ج ۶ (چاپ چهارم ۱۴۲۴ق = ۱۳۸۲): ۳۴۰۰۰ ریال یادداشت : کتابنامه مندرجات : ج ۱. تاریخ عقائد اهل الحدیث و الحنابله و السلفیه .-- ج ۲. تاریخ الامام الاشعری و انصاره و عقائدهم .-- ج ۳. و یتناول تاریخ و عقائد الماتریدیه و المرجئه .-- ج ۴. حیاه ابن‌تیمیه و ابن‌عبدالوهاب و عقائدهما .-- ج ۶. تاریخ الشیعه نشاتهم عقائدهم و شخصیاتهم .-- ج ۷. یتناول شخصیه و حیاه الامام الثائر زیدبن علی و تاریخ الزیدیه و عقائدهه -- ج ۸. الاسماعیلیه و فرق الفطیحه ...--

موضوع : اسلام -- فرقه‌ها

شناسه افزوده : جامعه مدرسین حوزه علمیه قم دفتر انتشارات اسلامی شناسه افزوده : حوزه علمیه قم مرکز مدیریت رده بندی کنگره : BP۲۳۶/س ۲ب ۳ ۱۳۷۲

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۵

شماره کتابشناسی ملی : م۷۳-۲۱۵۵

المقدمة

المقدمة بسم الله الرحمن الرحیم الحمدللّه رب العالمین، والصلاة والسلام علی سیّد المرسلین، وآله الطاهرین، وصحبه المنتجبین . أمّا بعد: فهذا هو الجزء الخامس من موسوعتنا فی الملل و النحل، والمقارنة بین المذاهب الاسلامیة، نقدّمه إلی القرّاء الکرام، راجین منهم التنبیه والارشاد إلی مواضع الزلّة والخطأ، فإنّ المؤمن مرآة المؤمن، وأحبّ الاخوان من أهدی إلی أخیه عیوبه(۱) . ویتناول هذا الجزء دراسة إحدی الفرق الإسلامیة القدیمة أعنی فرقة الخوارج من خلال المواضیع التالیة: الف ـ نشأتهم. ب ـ تاریخهم السیاسی الذی یتضمّن المواجهات التی خاضوها مع _____

۱. اقتباس عن الکلمة المرویة عن الامام الصادق ـ علیه السَّلام ـ حیث قال: أحبّ اخوانی إلیّ من أهدی إلیّ عیوبی (لاحظ: تحف العقول ۳۶۶) . (۶)

مخالفیهم أوّلا، ومحاولاتهم للاستیلاء علی البلاد الإسلامیة ثانیاً، وزوالهم والقضاء علیهم ثالثاً . ج ـ طوائفهم وفرقهم . د ـ عقائدهم و

أفكارهم . هـ ـ شخصيّاتهم البارزة والآثار الأدبيّة التى خلّفوها . والخوارج ـ كما قلنا ـ من أقدم الفرق الإسلامية بل أوّل فرقة ظهرت فى المجتمع الإسلامى، وهو أوّل اختلاف حدث بين المسلمين، بعد اختلاف الاُمّة فى مسألة الإمامة، وقد تكوَّنت فى العقد الرابع من القرن الأوّل بعدما نشبت الحرب بين الإمام علىّ ـ عليه السَّلام ـ ومعاوية بن أبى سفيان، وقد تحدّث عنهم و عن نشأتهم وتاريخهم طائفتان: ١ - أصحاب التواريخ: فقد ذكروا عنهم شيئاً كثيراً حسب التسلسل الزمنى كالطبرى فى تاريخه، والمبرّد فى كامله، واليعقوبى فى تاريخه، والمسعودى فى مروجه، والجزرى فى كامله، وابن كثير فى كتابه، ولكن اكتفوا بنقل الحوادث من دون تحليل عللها ونتائجها وغاياتها ومن دون استنتاج شىء يُعدّ درساً أو عبرة، ومن دون قضاء بشىء فى حقّهم، كأنّهم قصّاصون ليس لهم شأن سوى سرد القصّة . وبما أنّهم ذكروا حوادث تلك الفرقة فى فصول مختلفة ـ كما هو مقتضى سرد الحوادث حسب السنين والقرون ـ لا يمكن للإنسان أن يقف على تاريخ تلك الفرقة دفعة واحدة فى موضع واحد، بل عليه السبر وتتّبع الحوادث وضمّ حلقة إلى حلقات اُخرى، حتى يكون على اطّلاع على تاريخهم عن كثب . ٢ ـ مؤرّخو العقائد: أعنى أصحاب علم الملل والنحل فقد اهتمّوا بذكر فرقهم، وبيان لفيف من عقائدهم، من دون تركيز على كيفيّة نشأتهم، والحروب (٧)

الّتى مارسوها طيلة سنين، قرناً بعد قرن . نعم هناك جماعة من المتأخرّين أفردوا تاريخهم بالتأليف، وهم بين كاتب مسلم، ومؤلّف مستشرق، ولكل غايته المتوخّاة، وإليك الاشارة إلى بعض ما اُلّف فى ذلك المضمار: ١ ـ ملخّص تاريخ الخوارج: تأليف محمّد شريف سليم، المطبوع فى القاهرة عام ١٣٤٩ هـ ـ ق . ٢ ـ الخوارج فى الاسلام: تأليف عمر أبى النصر، المطبوع فى بيروت عام ١٣٦٩ هـ ق الموافق لعام ١٩٤٩ م . ٣ ـ أدب الخوارج: تأليف الكاتبة سهير القلماوى، والكتاب رسالتها الاُولى لنيل درجة الماجستير وقد نشرتها عام ١٣٦٥ هـ ـ ق وتناولت الرسالة البحث عن شعراء الخوارج وقد ذكرت منهم عمران بن حطان و قطرى بن الفجاءة، والطرماح بن حكيم وهو غير طرماح بن عدى الذى كان موالياً لعلى ـ عليه السَّلام ـ . ٤ ـ وقعة النهروان: تأليف الخطيب الهاشمى الحائرى، المطبوع فى طهران عام ١٣٧٢ هـ ـ ق . ٥ ـ الخوارج فى العصر الأموى: تأليف الدكتور نايف معروف، وقد طبع فى بيروت مرّتين أخيرتها فى عام ١٤٠١ هـ . ٦ ـ الخوارج و الشيعة: تأليف يوليوس فلهوزن، وقد نقله إلى العربية عبدالرحمن بدوى، طبع فى الكويت للمرّة الثالثة عام ١٩٧٨ م. ومن جنايات المؤلّف على تاريخ الشيعة فى الكتاب قوله: «انّ الشيعة و الخوارج تكوّنا فى وقت واحد»(١) والمسكين جاهل بتاريخ الشيعة ـ فانّها تكوّنت فى العصر الذى تكوّن فيه الاسلام، و الشيعة عبارة عن لفيف من المسلمين الاُول من المهاجرين

١. يوليوس فلهوزن: الخوارج و الشيعة ١١٢، ترجمة عبدالرحمن بدوى، من الألمانية الى العربية. (٨)

والأنصار، الذين بقوا على ما كانوا عليه فى عصر الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ فاتّبعوا سنّته ولم يعدلوا عنها قيد شعرة، فأخذوا فى مسألة الخلافة بالنص، وتركوا الاجتهاد فى مقابله . وأمّا الخوارج فقد نشأت فى أعقاب حرب «صفّين» كما سيوافيك بيانه، فعدّهما عدلين وفى صفّ واحد جهل بتاريخ الشيعة وتاريخ الاسلام، أو تجاهل، وليس ذلك ببعيد عن المستشرقين المجتمعين على موائد الاستعمار . هذا بعض ما اُلّف حول تاريخ الخوارج والكل كماترى ألّف بيد خصمائهم ولا يمكن الاحتجاج بهذه الكتب عليهم إلّا إذا تضافر النقل وحصل الاطمئنان بصدقها، ولأجل رفع تلك النقيصة والتزاماً منّا بالموضوعية التى يجب أن يتّصف بها البحث والباحث، بذلنا الجهد للحصول على آثار تلك الفرقة فى التاريخ والعقائد والفقه والتفسير وتقف على أسمائها فى «قائمة المصادر» للكتاب. فإنّ الخوارج انقرضت بعامّة فرقها ولم يبق منهم مايعبأ به إلّا فرقة الاباضية وهى الفرقة المعتدلة منهم، وهى المذهب الرسمى فى عمّان، وقد قامت وزارة التراث القومى والثقافة لسلطنة عمان، بنشر آثار الاباضية فى مجالات مختلفة، فلابّد للباحث من الرجوع إليها. نسأل اللّه سبحانه أن يوفّقنا فى تبيين نشأة تلك الفرقة وتاريخها وعقائدها لما هو الحق والصدق، مجانبين عن كل فكرة ونظرية مسبقة فى حقّهم . قم ـ مؤسسة الامام الصادق ـ عليه السَّلام ـ جعفرالسبحانى ٢٠/١٢/١٤١١ هـ (٩)

الفصل الأوّل بداية الاختلاف بعد رحلة الرسول ـ

الفصل الأوّل بدایة الاختلاف بعد رحلة الرسول ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ (۱۰) (۱۱) ارتحل النبی الأکرم ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ ملبّیاً دعوة ربّه فی العام الحادی عشر من هجرته، بعد ما بذل کل جهده لتوحید الاُمّة ورصّ صفوفها، منادیاً فیهم بقول سبحانه: (إنَّ هذه اُمَّتُکُمْ اُمَّه واحِدَةً وَ أنَا رَبُّکُمْ فَاعْبُدُونِ)(۱) وهو ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ کما دعا إلی کلمة التوحید دعا إلی توحید الکلمة بأمر منه سبحانه فی الذکر الحکیم حیث قال:(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِیعَاً وَلا تَفَرَّقُوا)(۲) وقال سبحانه:(إنَّمَا الْمُؤمِنُونَ إخْوَةٌ...)(۳) إلی غیر ذلک من الآیات، وقد کان ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ یُحذِّر المجتمع الاسلامی من التفرّق و التشرذم، وقد وصف التحزّب والتعصّب لقوم دون قوم «دعوی منتنة»(۴). وقد خاطب معشر الأنصار بقوله: «الله الله أبدعوی الجاهلیة و أنا بین

---

۱. الأنبیاء: ۹۲ .

۲. آل عمران: ۱۰۳ .

۳. الحجرات: ۱۰ .

۴. ابن هشام: السیرة النبویة ۳/۳۰۳ . (۱۲)

اظهرکم بعد أن هداکم الله بالاسلام، وأکرمکم به، وقطع به أمر الجاهلیة و استنقذکم من الکفر، وألّف به بین قلوبکم»(۱) . ومع کل هذه الأوامر العدیدة و التحذیرات الشدیدة نری ـ یالالاسف ـ أنّ المسلمین اختلفوا بعد وفاته ـ وجثمانه بَعدُ لم یُوار ـ إلی فرقتین یجمعهما الاتّفاق فی سائر الاُصول و یفرّقهما الخلاف فی مسألة الخلافة والولایة وهاتان الفرقتان هما: ۱ ـ فرقة تبنّت مبدأ التنصیص علی الشخص المعیّن و قالت إنّ الرسول ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ نصّ علی خلافة علی و ولایته فی مواضع عدیده و مناسبات کثیرة، أعظمها و أشهرها یوم الغدیر فی منصرفه عن حجّة الوداع فی العام العاشر، فقال فی محتشّد عظیم: «من کنت مولاه فهذا علیّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه و عاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله» وقد بلغ الحدیث فی کل عصر حدّ التواتر بل تجاوز حدّه، ومن المتبنّین لهذه الفکرة، أکابر بنی هاشم وشخصیّاتهم البارزة کعباس بن عبدالمطلب وعقیل بن أبی طالب وغیرهما ولفیف من الأصحاب، کسلمان الفارسی، وأبی ذر الغفاری، والمقداد بن الأسود الکندی، وأبی التیهان، وأبی أیّوب الأنصاری وغیرهم من المهاجرین و الأنصار، الذین شایعوا علیاً، و نفّذوا ما أوصی به النبی الأکرم فی حقّ وصیّه، وهؤلاء همّ نواة الشیعة وهم جزء من المسلمین الاُول، فقد بقوا علی ما کانوا علیه فی عصر الرسول . ۲ ـ فرقة تبنّت فکرة الشوری، وانّ لها اختیار القائد، وانتهت تلک الفکرة بعد مشاجرات ومشاغبات بین متبنّیها إلی خلافة أبی بکر بن أبی قحافة، و تمّت البیعة له فی سقیفة بنی ساعدة، ببیعة عدّة من المهاجرین، کعمر بن الخطاب _____

۱. ابن هشام: السیرة النبویة ۲/ ۲۵۰ . (۱۳)

وأبی عبیدة الجراح، وبیعة الأوسیین من الأنصار، وهؤلاء قد نسوا أوتناسوا النصّ النبوی یوم الغدیر فقدَّموا الاجتهاد علی النص، ورجّحوا المصلحة المزعومة علی التعیین الإلهی، والعجب انّ أصحاب هذه الفکرة من بین المهاجرین و الأنصار کانوا یستدلّون علی مبدئهم فی سقیفة بنی ساعدة بأدلّة و مقاییس کانت سائدة فی الجاهلیة، والتی لاصلة لها بالکتاب و السنّة: مثلا: إنّ الأنصار رأوا أنّهم أولی من غیرهم بالخلافة، لأنّهم آووا رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ ونصروه فی حروبه فی زمان أخرجه قومه فیه من موطنه وخذلوه، وقال خطیبهم الحبّاب بن المنذر بقوله: یا معشر الأنصار املکوا علی أیدیکم فأنتم أحقّ بهذا الأمر منهم، فانّه بأسیافکم دان الناس بهذا الدین. هذا منطق الأنصار، وهلم معی نستمع منطق المهاجرین فقال أبوبکر ناطقاً عنهم: إنّ المهاجرین أقرباء النبی و عترته، ودعمه عمر فقال ردّاً لمنطق الأنصار: والله لاترضی العرب أن تؤمّرکم ونبیّها من غیرکم ولاتمنع العرب أن تولّی أمرها من کانت النبوّة منهم، من ینازعنا سلطان محمد و نحن أولیاؤه و عشیرته؟ تری أنّه لیس فی منطق کل من المرشّحین أیّ استناد إلی الکتاب والسنّة

فهذه تستدل بايوائهم رسول الله ونصرتهم إيّاه، وتلك تستند إلى قرابته منه، مع أنّه كان من اللازم عليهم الفحص عن قائد لائق عارف بالكتاب والسنّة، مدير ومدبّر يملك كافّة المؤهّلات اللازمة فى القيادة سواء أكان من المهاجرين أم من الأنصار أو من طائفة اُخرى كل ذلك يعرب عن أنّ الفكرة كانت غير ناضجة أوّلا، وانّ الانتخاب والاختيار لم يكن صادراً عن مبدأ الاسلامى ثانياً . (۱۴) هذا و انّ طائفة من الأنصار أعنى الأوس بايعوا أبابكر بحجّة أنّهم إن لم يبايعوه ليكوننّ للخزرج عليهم فضيلة(۱). وهكذا ظهرت فرقتان بعد وفاة الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ والمبدأ الذى اختلفتا فيه هو: مسألة الخلافة و قيادة الاُمّة، وكان المترقّب بعد هذا الشقاق والاختلاف، طروء حروب دامية بين الطرفين، ولولا القيادة الحكيمة للامام على ـ عليه السَّلام ـ ومساهمته مع الخلفاء فى مهامّ الاُمور، والتنازل عن حقّه لَما نجر الأمر فى حياة الخلفاء إلى الهلاك و الدمار، خصوصاً انّ المنافقين كانوا يترصّدون تلك الفرصة ويؤلّبون احدى الطائفتين على الاُخرى ليصطادوا فى الماء العكر، وفى التاريخ شواهد تؤيّد ذلك وانّ القيادة الحكيمة لصاحب النص أعنى الامام علياً أفشلت تلك الخطط الشيطانية نكتفى منها بما يلى: روى الطبرى: لمّا اجتمع الناس على بيعة أبى بكر أقبل أبوسفيان وهو يقول: «والله إنّى لأرى عجاجة لايدفها إلّا دمّ، يا آل عبد مناف فيما أبوبكر من اُموركم؟ أين المستضعفان أين الاذلّان على والعبّاس؟ وقال: «أبا حسن أبسط يدك حتى اُبايعك» فأبى على ـ عليه السَّلام ـ فجعل أبوسفيان يتمثّل بشعر المتلمّس: ولن يقيم على خسف يراد به * إلّا الأذلّان غير العير و الوتد هذا على الخسف معكوس برمّته * وذا يشجّ فلايبكى له أحدى(۲) قال: فزجره على ـ عليه السَّلام ـ وقال: «إنّك والله ما أردت بهذا إلّا الفتنة وإنّك والله طالما بغيت للاسلام شرّاً، لا حاجة لنا فى نصيحتك». كان الامام معتقداً بشرعية امارته وخلافته، ويرى نفسه خليفة ــــــــــــــــ

۱. الطبرى: التاريخ ۲/ ۴۴۶. ابن قتيبة: الامامة و السياسة ۱/ ۹ .

۲. الطبرى: التاريخ ۲/ ۴۴۹. ابن الاثير: الكامل فى التاريخ ۲/ ۲۲۰ . (۱۵)

رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ وقد سبقت البيعة له فى يوم الغدير وغيره، وكان يحتجّ به وبغيره من النصوص على استحقاقه لها و يعترف نفسه و أهل بيته بقوله: «ولهم خصائص حقّ الولاية وفيهم الوصّية والوراثة»(۱). ومع ذلك رأى أنّ فى مواجهة هذا الانحراف فى تلك الظروف العصيبة مفسدة أعظم من فوت الولاية فتنازل عن الأمر فسدل دونه ثوباً، وطوى عنه كشحاً، وهو يصف الحال فى بعض خطبه ويقول: «ولا يخطر ببالى أنّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ عن أهل بيته، ولا انّهم منحّوه عنّى من بعده، فما راعنى إلّا انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدى حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون إلى محق دين محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به علىَّ أعظم من فوت ولايتكم التى إنّما هى متاع أيّام قلائل، يزول منهما ما كان كما يزول السراب أو كما ينقشع السحاب، فنهضت فى تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمئن الدين و تنهنه»(۲). قام أبوبكر بأعباء الخلافة، وحارب أصحاب الردّة، إلى أن مضى لسبيله، فأقام مكانه عمر بن الخطاب وهو أيضاً سار بسيرة من قبله، وكان المسلمون يجتازون البلاد، و يفتحون القلاع، ويسيطرون على العالم بفضل الدين والايمان، حتى إذا مضى لسبيله جعلها فى جماعة من قريش وزعم أنّ رسول الله مات وهو عنهم راض وهؤلاء هم: علىّ، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبى وقاص، وعبدالرحمن بن عوف، وقال: رأيت أن أجعلها شورى بينهم ليختاروا لأنفسهم، ثم نظر إلى كل واحد من هذه الستة إلى أن نظر إلى ــــــــــــــــ

۱. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۵ .

۲. الرضى: نهج البلاغة الكتاب ۶۲ . (۱۶)

عثمان وقال: كأنّى بك قد قلّدتك قريش هذا الأمر لحبّها إيّاك فحملت بنى اُميّة وبنى أبى معيط على رقاب الناس، آثرتهم بالفىء فثارت إليك عصابة من ذؤبان العرب فذبحوك على فراشك ذبحاً، والله لئن فعلوا لتفعلن، ولئن فعلت ليفعلن ثم أخذ بناصيته فقال: فاذا كان ذلك فاذكر قولى فإنّه كائن (۱) . فلمّا دفن عمر، اجتمع أصحاب الشورى فى بيت فتكلّموا فتنازعوا، غير أنّ تركيب الأعضاء

منذ عيّنها الخليفة كان يعرب عن حرمان على و نجاح غيره و لأجل ذلك تمّ الأمر لصالح عثمان، فقام بالأفعال التى تنبّأ بها عمر بن الخطاب، وأحدث اُمراً نقم بها عليه، وأوجدت ضجّة بين المسلمين ومن أبرز معالمها انحرافه عن الحق وإليك صورة من أعماله التى ثارت لأجلها ثورة الأنصار والمهاجرين: ۱ ـ تعطيل الحدود الالهية: شرب الوليد بن عقبة الخمر فسكر فصلّى بالنّاس الغداة ركعتين أو أربع ركعات، فانْتزعَ خاتمه من يده وهو لايشعر من سكر، وقد قدم رجل المدينة وأخبر عثمان ما شهده من الوليد فضربه عثمان، فكثرت الشكوى على عامله بالكوفة ولم ير بُداً من عزله ولم يجرِ الحد على الوليد، فقال الناس: عطّلت الحدود وضربت الشهود(۲) . ۲ ـ عطياته الهائلة لبنى اُميّة من بيت المال: بين ليلة وضحاها صارت جماعة من بنى اُميّة بفضل خلافة عثمان، _____

۱. ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۱/۱۸۶ .

۲. السيوطى: تاريخ الخلفاء ۱۰۴. أبوالفرج الاصبهانى: الاغانى ۴/ ۱۸۸ . (۱۷)

أصحاب الضياع العامرة والثروات الطائلة منهم: مروان بن الحكم، وعبدالله بن أبى سرح، ويعلى بن اُميّة، والحكم بن العاص، والوليد بن عقبة وأبى سفيان، وقد حفظ التاريخ صورة عطيات الخليفة لهم ولغيرهم، ومن أراد التفصيل فليرجع الى مظانه (۱) . ويكفيك أنّه أعطى مروان بن الحكم ـ ابن عمّه و صهره ـ خمس غنائم أفريقيا، وكانت تقدّر بمليونين و نصف مليون دينار، وفى ذلك يقول الشاعر: واعطيت مروان خمس العبا * دِ ظلماً لهم و حميت الحمى(۲) ۳ ـ تأسيس حكومة أموية: كان الخليفة يبذل غاية جهده فى تأسيس حكومة أموية فى العواصم الاسلامية فنرى أنّه عزل سعد بن أبى وقاص عن ولاية الكوفة وولّاها الوليد بن عقبة بن أبى معيط وكان أخا عثمان لاُمّه. وفى سنة ۲۷ من الهجرة عزل عمروبن العاص عن خراج مصر و استعمل عليه عبدالله بن أبى سرح وكان أخاه من الرضاعة . وعزل أباموسى الأشعرى فولّى مكانه على البصرة عبدالله بن عامر وهو ابن خال عثمان(۳) . وأبقى معاوية على ولايته على الشام، ولمّا كثرت الشكوى على عامله _____

۱. الأمينى: الغدير ۹ / ۲۳۶ – ۲۹۰ .

۲. ابن قتيبة: المعارف ۱۱۳ ط دار الكتب العلمية. ابن كثير: التاريخ ۴/۱۵۷ .

۳. الدينورى: الأخبار الطوال ۱۳۹. ابن الاثير: الكامل ۳/۸۸ ـ ۹۹ . (۱۸)

بالكوفة، الوليد بن عقبة، عزله وولّى مكانه سعيد بن العاص (۱) حتى قيل إنّ خمساً و سبعين من ولاته كانوا من بنى اُميّة (۲). ۴ – مواقفه العدائية تجاه الصحابة: كان للخليفة مواقف غير مرضية مع أصحاب رسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ فقد سيّر أباذر إلى الربذة وهى أرض قاحلة ليس فيها ماء ولا كلاء، فهناك لفظ آخر أنفاسه غريباً فريداً(۳) وأمر بضرب عبدالله بن مسعود فكسر ضلع من أضلاعه(۴) كماأنّه ضرب عمّار بن ياسر حتى غشى عليه بحجّة أنّه انتقد عمل الخليفة فى بيت المال (۵) . ۵ ـ ايواؤه طريد رسول الله: طرد رسول الله الحكم بن عاص مع ابنه مروان إلى الطائف، فردّهما إلى المدينة أيّام خلافته. يقول الشهرستانى: ردّ الحكم بن اُميّة إلى المدينة بعد أن طرده رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ وكان يسمّى طريد رسول الله وبعد أن تشفّع إلى أبى بكر و عمر (رضى الله عنهما) أيّام خلافتهما فما أجابا إلى ذلك، نفاه عمر من _____

۱. الطبرى: التاريخ ۳ / ۳۲۵ .

۲. الندوى: المرتضى: ولا حظ للوقوف على أسماء عمال عثمان فى السنة التى قتل فيها، تاريخ الطبرى ۳ / ۴۴۵ .

۳. البلاذرى: الانساب ۵/۵۴. الطبرى: التاريخ ۳/۳۳۵ .

۴. البلاذرى: الانساب ۵/۳۶ .

۵. البلاذرى: الانساب ۵/۴۸ . (۱۹)

مقامه باليمن أربعين فرسخاً(۱) . إلى غير ذلك من الاُمور التى أغضبت جمهور المسلمين وأثارتهم، حتى اجتمع المسلمون من المصريين والكوفيين والبصريين، وجمهور المهاجرين والأنصار للاحتجاج عليه بتبيين سوء مواقفه وأعماله وجنايات عمّاله فى البلاد،

ولكن كان ردّ فعله تجاه هاتيك الاحتجاجات، سلبياً فلم يستجب لطلباتهم، بل غضب على كل من احتجّ عليه بسوء فعله أو فعل ولاته، ولكن كثرة السخط والنقد على الخليفة، شحنت النفوس نقمة وغضباً، فانفجرت ثورة عارمة لم تجمد إلّا بقتله فى عقرداره . قتل الخليفة عثمان: والمهاجرون والأنصار ومن تبعهم باحسان بين مجهز عليه، أو مؤلّب ضدّه، أو مستبشر بمقتله، أو صامت رهين بيته، محايد عن الطرفين(٢) . إنّ هذه الأحداث الكبيرة لو اتّفقت فى أىّ عصر من العصور التى يسود فيها الحكم الاسلامى لأثّرت نفسَ الأثر الذى خلَّفْته فى عهد عثمان ولقلبت الأُمور رأساً على عقب. ومع ذلك ترى أنّ بعض المؤرخين يريدون تبرير عمل الخليفة وانّ الثورة ضدّ الخليفة لم تكن ثورة شعبية دينية نابعة من أوساط المهاجرين والأنصار ومن تبعهم باحسان فى مصر والعراق، ويزعمون انّ عبدالله بن سبأ هو الذى جهّز المصريين وكدّر الصفو على الخليفة، وانّه وأتباعه كانوا وراء قتل الخليفة ــــــــــــــــــــ

١. الشهرستانى: الملل والنحل ١/٢٦ .

٢. الطبرى: التاريخ ٣/٣٩٩ . (٢٠)

ولكن هذا من مختلقات بعض المؤرّخين(١) الذين جرّهم حبّهم واخلاصهم للخلافة والخليفة الى اسناد هذه الثورة الى رجل مزعوم (عبدالله بن سبأ) لم يثبت وجوده أوّلاً وعلى فرض وجوده لم تثبت له تلك المقدرة الهائلة التى تثير الحواضر الاسلامية وعقلية المهاجرين والأنصار على الخليفة المفترض طاعته (٢) . فلو كان لعبدالله بن سبأ تلك المقدرة وانّه كان يجول فى البلاد لتحريض الناس على الخليفة فلماذا لم يتمكّن الخليفة ولا عمّاله من القبض عليه ليسجنوه أو يطردوه من الحواضر الاسلامية الى نقطة لا ماء فيها ولا كلاء كما طردوا أباذر إلى الربذة، وسيّروا صلحاء الكوفة إلى أمكنة أُخرى . قال الأمينى: لوكان ابن سبأ بلغ هذا المبلغ من إلقاح الفتن، وشقّ عصا المسلمين وقد علم به وبعيثه أُمراء الأُمّة وساستها فى البلاد، وانتهى أمره الى خليفة الوقت، فلماذا لم يقع عليه الطلب؟ ولم يُلْتَفَ القبض عليه، والأخذ بتلكم الجنايات الخطرة، والتأديب بالضرب والاهانة، والزجّ الى أعماق السجون؟ ولا آل أمره الى الاعدام، المريح للأمّة من شرّه و فساده، كما وقع ذلك كله على الصلحاء الأبرار الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وهتاف القرآن الكريم يرنّ فى مسامع الملأ الدينى:(إنَّما جَزاءُ الَّذينَ يُحارِبونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فى الأرْضِ فَساداً أنْ يُقَتَّلُوا أوْ يُصَلَّبُوا أوْ تُقَطَّعَ أيْدِيهِم و أرْجُلُهُمْ مِنْ خِلاف أوْ يُنْفَوْا مِنَ الأرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فى الدُّنْيا وَ لَهُمْ فى الآخِرَةِ عَذابٌ عَظيمٌ) (المائدة: ٣٣)(٣) .

---

١. الطبرى: التاريخ ٣/٣٧٨ .

٢. لا حظ عبدالله بن سبأ لمرتضى العسكرى فقد اغرق نزعاً فى التحقيق فلم يبق فى القوس منزعا.

٣. الأمينى: الغدير ٩/٢١٩ . (٢١) اجتماع المهاجرين والأنصار على بيعة على: قتل الخليفة بمرأى و مشهد من الصحابة، وتركت جنازته فى بيته، واجتمع المهاجرون والأنصار فى بيت علىّ، وطلبوا منه بإصرار بالغ قبول الخلافة، إذ لم يكن يوم ذاك رجل يوازيه ويدانيه فى السبق الى الاسلام، والزهد فى الدنيا، والقرابة من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ، والعلم الوافر بالقرآن والسنّة، والامام يصف اجتماعهم فى بيته ويقول: «فتداكوا علىّ تداكّ الابل الهيم، يوم وردها، وقد أرسلها راعيها وخلعت مثانيها، حتى ظننت أنّهم قاتلى أو بعضهم قاتل بعض لدى»(١) . وفى كلمة أُخرى له ـ عليه السَّلام ـ يقول واصفاً هجوم المهاجرين والأنصار على بيته لبيعته: «وبسطتم يدى فكففتها، ومددت تموها فقبضتها، ثم تداككتم علىّ تداك الهيم على حياضها يوم وِرْدها حتى انقطعت النعل، وسقط الرداء، ووطىء الضعيف، وبلغ من سرور الناس ببيعتهم ايّاى، أن ابتهج بها الصغير، وهدج إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل، وحسرت اليها الكعاب» (٢) . فلمّا عرضوا عليه مسألة الخلافة و القيادة الاسلامية أجابهم بجدّ وحماس: «دعونى فالتمسوا غيرى فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لاتقوم له القلوب، ولا تثبت له العقول» (٣) . فلمّا أحسّ منهم الإلحاح و الإصرار المؤكّد وانّه لابدّ من البيعة ورفع علم الخلافة قال ـ عليه السَّلام ـ : إذا كان لابدّ من البيعة فلنخرج إلى المسجد حتى تكون بمرأى ومسمع من المهاجرين والأنصار، وجاء الى المسجد فبايعه ــــــــــــــــــــ

۱. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۵۴.

۲. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۲۲۹ .

۳. الطبرى: التاريخ ۳/۱۵۶ . (۲۲)

المهاجرون والأنصار وفى مقدّمتهم الزبير بن العوام و طلحة بن عبيدالله ولم يتخلّف من البيعة إلّا قليل لايتجاوز عدد الأنامل كاُسامة بن زيد، و عبدالله بن عمر، وسعد بن أبيوقاص ونظائرهم (۱) . وقد عرفه التاريخ بأنّه كان رجلا زاهداً غير راغب فى الدنيا ولامقبلا على الرئاسة وانّما قبل البيعة لأنّه تمّت الحجّة عليه وكان المسلمون يومذاك بحاجة الى قيادته وخلافته وهو يصف أمره: «والله ما كانت لى فى الخلافة رغبة، ولا فى الولاية إربة، ولكنّكم دعوتمونى اليها وحملتمونى عليها»(۲) . كلّ ذلك صار سبباً لقيام على بالزعامة والخلافة وتدبير الأمور ،ولم يكن هدف المبايعين إلّا ارجاع الاُمّة الى عصر الرسول، ليقضى على الترف والبذخ، ويرفع راية العدل والقسط، ويهدم التفاضل المفروض على الاُمّة بالقهر والغلبة، وينجى المضطهدين والمقهورين من الفقر المدقع، ولمّا تمّت البيعة خطبهم فى اليوم التالى وبين الخطوط العريضة للسياسة التى ينوى الالتزام بها طيلة ممارسته للخلافة فعلى الصعيد المالى قال فى قطايع عثمان التى قطعها الخليفة لأقربائه وحاشيته: «والله لو وجدته قد تزّوج به النساء و ملك به الاماء لرددته فانّ فى العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق» (۳) . قال الكلبى: ثم أمر على ـ عليه السَّلام ـ بكل سلاح وجد لعثمان فى داره ممّا تقّوى به على المسلمين، فقبض وأمر بقبض نجائب كانت فى داره من ابل الصدقة فقبضت، وأمر بقبض سيفه ودرعه، وأمر ألّا يعرض لسلاح وجد له لم يقاتل به المسلمين، وبالكف عن جميع أمواله التى وجدت فى داره وفى غير _____

۱. الطبرى: التاريخ ۳/۱۵۶ .

۲. نهج البلاغة، الخطبة ۲۰۵ .

۳. نهج البلاغة، الخطبة ۱۵ . (۲۳)

داره، وأمر أن ترتجع الأموال التى أجاز بها عثمان حيث اُصيبت أو اُصيب أصحابها. فبلغ ذلك عمروبن العاص، وكان بـ«ايلة» فى أرض الشام، أتاها حيث وثب الناس على عثمان، فنزلها فكتب الى معاوية: ما كنت صانعاً فاصنع اذ قشرك ابن أبى طالب من كل مال تملكه كما تُقشر عن العصا لحاها(۱). ما مارسه الامام لتحقيق المساواة من خلال ردّ قطائع عثمان كان جرس الانذار فى أسماع عبَدة الدنيا وأصحاب الأموال المكدّسة، أيّام خلافة الخليفة الثالث، فوقفوا على انّ علياً لايساومهم بالباطل، على الباطل ولايتنازل عن الحق لصالح خلافته. وعند ذلك بدأوا يتآمرون على خلافته الفتية فى نفس المدينة المنورة وفى مكة المكرمة والشامات، وقد كان هؤلاء متفرّقين فى تلك البلاد. وهذا هوالموضوع الذى نطرحه فى الفصل التالى، وستعرف أنّ ظهور الخوارج فى الساحة الاسلامية من مخلّفات هذا التآمر الذى رفع راياته الناكثون والقاسطون. _____

۱. ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۱/۲۷۰ . (۲۴) (۲۵)

الفصل الثانى حوادث وطوارئ مريرة فى عصر

الفصل الثانى حوادث وطوارئ مريرة فى عصر الخلافة العلوية (۲۶) (۲۷) نهض الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب بالأمر، بعد قتل الخليفة عثمان، وقد عمّت الفتن والتمزّق والاضطراب الاُمّة الإسلامية، وحاق بهم البلاء، وصاروا شيعاً، المعنّيون منهم ذوو أهواء وميول. فمن مسلم واع يرى بنور الإيمان خروج القياده الإسلامية عن الجادّة المستقيمة، وليس لها جمالها الموجود فى العهد النبوى، ولا بعده إلى وفاة الشيخين، وهم الذين ثاروا على السلطة، وقتلوا الخليفة، ولمّ يدفنوه، حتى راحوا إلى رجل ليقوم بالأمر ويقيم الاود، ويصلح ما فسد، ولم يكن هذا الرجل إلّا الإمام المعروف بالورع والّتقى، وقوّة القلب، ورباطة الجأش. إلى متوغّل فى لذائذ الدنيا وزخارفها، ادّخر من غنائمها وفراً، وجمع من بيضائها وصفرائها ثروة طائلة، واقتنى ضياعاً عامرة، ودوراً فخمة، وقصوراً شاهقة،

يخضـمون مـال الله خضم الابـل نبتـة الربيع، كأنّ الـدنيا خلقت لأجلهم، فهؤلاء ـ بعـد قتل الخليفـة ـ لايرضون خروج الأمر من أيـديهم ووقوعه فى يد رجل لاتأخذه فى الله لومة لائم والاُمّة الإسلاميّة عنده سواسية. (۲۸) إلى انتهازىّ لايهمّه شىء سوى طعمته فى الملك والمال، كالبهيمـة المربوطـة همّها علفها، أو المرسـلة شـغلها تقمّمها. فقام الإمام بالأمر، وهـذا وصف مجتمعه، وهم إلى الشدة والقسوة أقرب إلى الصـلاح والفلاح. وأوّل من جهر بالخلاف وألّب المخالفين على علىّ، هو معاوية بن أبى سفيان فقد كان واقفاً على أنّ علياً لايساومه بأيّـة قيمـة ولايبقيه فى مقامه الذى كان عليه من عصـر الخليفة الثانى إلى يوم بويع علىّ بالخلافة، فقام بتأليب بعض الصـحابة على الامام وإغرائهم على الخلاف، بحجّـة أنّه أخـذ البيعة لهم من أهل الشام، وهذا نص رسالته إلى الزبير بن العوام وقد وقف على أنّه بـايع علياً بملأ من النـاس، وفيهـا:«بسم الله الرحمن الرحيم، فـانّى قـد بايعت لك أهل الشام فأجابوا واستوسـقوا كما يسـتوسق الجلب، فـدونك الكوفـة والبصـرة لايسـبقك إليها ابن أبى طالب، فإنّه لاشـىء بعد هذين المصـرين، وقد بايعتُ لطلحة بن عبيدالله من بعدك فـاظهر الطلب بـدم عثمـان، وادعوا النـاس إلى ذلـك، وليكن منكما الجـدّ والتشـمير، أظفركما الله، وخـذل مناوئكما». ولّما وصل هـذا الكتاب إلى الزبير، أعلم به طلحـة فلم يشـكّا فى انّ معاويـة ناصح لهما واجمعا عند ذلك على خلاف علىّ ـ عليه السَّلام ـ (۱) . كانت الغاية الوحيدة من أخذ البيعة من رعاع الناس فى الشام للزبير وطلحة وإعلامهما لذلك، هو تشـجيعهما على مخالفة الإمام ـ عليه السَّلام ـ بحجّـة أنّهما خليفتان مترتبان، وأنّه يجب على علىّ أن يترك الخلافـة جانباً، وبـذلك أراد أن يحـدث صـدعاً فى صفّ الـذين بايعوا الإمام، ويفتح باب الخلاف ونكث البيعة، أمام الآخرين . _____

۱. ابن أبى الحديد: شـرح نهج البلاغة ۱/۲۳۱ . (۲۹) كانت تلك الرسالة تحمل شـروراً إلى الاُمّة الإسلامية وقد اغتر الشيخان بكلام ابن أبى سـفيان فتآمرا على الخلاف ونكث البيعـة على وجه يأتى شـرحه. ولم يكن نكث البيعـة منهما نهايـة الخلاف، بل كانت فاتحة لشـرّ ثان وهو تجرّؤ معاوية على علىّ وبغيه على الإمام المفترض طاعته، بالحرب الطاحنة، وكان الإمام على أعتاب النصـر و الظفر حتى نجم شـرّ ثالث وهو خروج طائفـة من أصـحاب الامام عليه بحجـة واهيـة تحكى عن سذاجـة القوم وقلّـة وعيهم: وهى مسألـة التحكيم، وبـذلك خـاض الإمـام فى خلافته القصـيرة التى لاتتجـاوز عن خمسـة أعوام، حروباً داميـة، يحارب الناكثين تارة، والقاسـطين اُخرى، والمـارقين ثالثـة، وفى ذلك يقول الإمام: «فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفـة، ومرقت اُخرى، وقسط آخرون، كأنّهم لم يسـمعوا كلام الله سبحانه يقول: (تِلْكَ الـدارُ الآخِرةُ نَجْعَلُها لِلّـذِينَ لايُرِيـدونَ عِلُوّاً فِى الأرْضِ ولافَساداً وَ العاقِبَةُ للمتّقين) بلى والله لقد سـمعوها ووعوها ولكنّهم حَلِيَت الـدنيا فى أعينهم، وراقهم زبرجها(۱) . قام الإمام بفقأ عين الفتنـة بعد انتهاء حرب صـفّين ـ ويالالأسف ـ ولم يمض زمن إلى أن اُغْتِيل بيد أشقى الأوّلين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود(۲) ـ حسب تعبير النبى الأكرم وبذلك طويت صحيفة عمره ولقى الله تعالى بنفس مطمئنـة، وقلب سـليم، وقـد تنبّأ النبى الأكرم بحروبه الثلاثة، وأنّه سـيقاتل طوائف ثلاثة وهم بين ناكث وقاسط ومارق من الدين. روت اُمّ سـلمة أنّ علياً ـ عليه السَّلام ـ دخل على النبى الأكرم فى بيتها فقال النبى ـ صـلّى الله عليه وآله وسـلم ـ مشـيراً إلى على: هذا والله قاتل الناكثين _____

۱. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة۳ .

۲. الصدوق: عيون أخبار الرضا۲۹۷ . (۳۰)

والقاسطين والمارقين من بعدى(۱) . وروى على ـ عليه السَّلام ـ، عن النبى الأكرم: أمرنى رسول الله ـ صـلّى الله عليه وآله وسلم ـ بقتال الناكثين والقاسـطين والمارقين(۲) . هـذا مجمـل تلـك الحوادث المريرة فى خلافته، وكـانت فتنـة الخوارج نتيجـة الحربين الطاحنتين: الجمل وصـفّين، فلأجل اجلاء الحقيقة ورفع الستر عن وجهها نعرضـهما على القارىء، على وجه خاطف، والتفصيل على عاتق التاريخ.

---

۱. ابن كثير الشامى: البداية والنهاية ۷/۳۰۵، وقد جمع أسانيد الحديث ومتونه .

۲. الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد ۴/۳۴۰ .

(۳۱) قتال الناکثین (۱) حرب الجمل النکث فی اللغة هو نقض البیعة والمراد من قتال الناکثین: قتال الشیخین: الزبیر وطلحة اللّذین نکثا بیعة الإمام وتبعهما طوائف من الناس، بترغیب وترهیب، وکان بدأ الخلاف انّ طلحة والزبیر جاءا إلی علیّ وقالا ـ له: یا أمیرَ المؤمنین قد رأیتَ ما کنّا فیه من الجفوة فی ولایة عثمان کلّها، وعلمت رأی عثمان فی بنی اُمیّة، وقد ولّاک الله الخلافة من بعده، فوّلنا بعضَ أعمالک، فقال لهما: إرضیا بقَسم الله لکم. حتی أری رأیی، واعْلما أنّی لا أشرک فی أمانتی إلّا مَن أرضی بدینه، وأمانته من أصحابی، ومن قد عرفت دخیلتَه . فانصرفا عنه وقد دخلهما الیأس فاستأذناه فی العمرة(۱) . _____

۱. ابن أبی الحدید: شرح نهج البلاغة، ۱/۲۳۱ ـ ۲۳۲ . (۳۲) خرجا من عنده وهما غاضبان ویحتالان للخروج عن بیعته ونکثها، وفی ذلک الظرف القاسی، وصل إلیهما کتاب معاویة یدعوهما إلی نکث البیعة وأن أهلَ الشام بایعوا لهما إمامین مترتبین، فاغترّا بالکتاب(۱) وعزما النکث بجد. ثم دخلا ـ علی علیّ فاستاذناه فی العمرة، فقال: ما العمرة تریدان، فحلفا له بالله انّهما ما یریدان غیر العمرة، فقال لهما: ماالعمرة تریدان، وانّما تریدان الغدرة، ونکث البیعة، فحلفا بالله ما الخلاف علیه ولانکثَ بیعته یریدان وما رأیهما غیر العمرة، فقال لهما: فأعیدا البیعة لی ثانیة، فأعاداها بأشدّ مایکون من الأیمان والمواثیق، فأذنَ لهما فلمّا خرجا من عنده قال لمن کان حاضراً: والله لاترونهما إلّا فی فتنة یقتتلان فیها. قالوا: یا أمیرالمؤمنین فمُرْ بردِّهما علیک. قال: لیقضی الله أمراً کان مفعولا(۲) . خروج عائشة إلی مکة: غادرت عائشة المدینة المنوّرة عندما حاصر الثوار بیت عثمان، ونزلت فی مکة، ووصل خبر قتل الخلیفة إلیها وهی فیها، وکانت علی تطلُّع إلی أین انتهت الثورة وإلی من آلت إلیه الخلافة، فغادرت مکة إلی المدینة فلمّا نزلت «سرف» لقیها عبد ابن اُمّ کلاب فقالت له: «مهیم»؟ قال: قَتَلوا عثمان فمکثوا ثمانیاً، قال: ثم صنعوا ماذا؟ قال: إجتمعوا علی علیّ بن أبی طالب، فقالت: و الله إنّ هذه انطبقت علی هذه إن تمّ الأمر لصاحبک، رُدّونی رُدّونی، فانصرفت إلی مکّة وهی تقول: قتل والله عثمان مظلوماً، والله لأطلبنّ بدمه، فقال لها ابن اُمّ کلاب: ولم؟ فوالله إنّ أوّلَ من اَمالَ حرفه لأنت، ولقد کنت _____

۱. تقدم نص الکتاب .

۲. ابن أبی الحدید: شرح نهج البلاغة، ۱/۲۳۱ ـ ۲۳۲ . (۳۳)

تقولین: اقتلوا نعثلا ـ فقد کفر. قالت: إنّهم استتابوه، ثم قتلوه، ولقد قلت وقالوا، وقولی الأخیر خیر من قولی الأوّل، فقال لها: ابن اُمّ کلاب: منک البداء و منک الغیر * و منکَ الریاح و منکِ المطر و انتِ أمرتِ بقتل الإمام * و قلتِ لنا أنّه قد کفر فهنا اطعناکَ فی قتله * و قاتلُه عندنا مَنْ اَمَر و لم یسقط السیف من فوقنا * ولم تنکسف شمسنا و القمر فانصرفت إلی مکّة فنزلت علی باب المسجد فقصدت الحِجْرَ وسترت، واجتمع إلیها الناس فقالت: یا أیّها النّاس انّ عثمان قد قتل مظلوماً والله لأطلبّن بدمه(۱). ثم إنّ طلحة والزبیر بعدما استأذنا علیّاً غادرا المدینة ونزلا مکة، وکانت بینهما وبین عائشة صلة وثیقة یتآمرون ضد علیّ فلمّا بلغ علیّاً مؤامرة الزبیر وطلحة وانّهما نکثا ایمانهما وعلی أهبة المکافحة معه، أشار بعض أصحابه أن لایتبعهما فأجاب علی بقوله: «والله لاأکون کالضبع تَنام علی طول اللّدم، حتی یصلَ إلیها طالبها، ویختلها راصدها، ولکن أضرب بالمقبل إلی الحق، المدبَر عنه، وبالسامع المطیع، العاصی المریب أبداً، حتی یأتی علیّ یومی»(۲) . مغادرة الشیخین وعائشة مکة: اتّفق المؤامرون ومعهم جماعة من أعداء الامام، علی أن یرتحلو إلی البصرة، ویّتخذوها مقرّاً للمعارضة المسلّحة. _____

۱. ابن قتیبة: الإمامة والسیاسة ۱/۴۹. الطبری: التاریخ ۳/۴۷۷ .

۲. الرضی: نهج البلاغة، خطبة ۶ . (۳۴) وقد کان عبدالله بن عامر، عامل عثمان علی البصرة، هربَ منها حین أخذ البیعة لعلی بها علی الناس، جاریةُ بن قدامة السعدی، ومسیر عثمان بن حنیف الأنصاری إلیها علی خراجها من قِبَلِ علیّ . وانصرف عن الیمن عاملُ عثمان وهو یعلی بن متیه فأتی مکّة وصادف بها عائشه وطلحة والزبیر ومروان بن الحکم فی آخرین من بنی اُمیّة، فکان ممّن حرّض علی الطلب بدم عثمان وأعطی عائشة وطلحة والزبیر أربع مائة ألف درهم وکراعاً وسلاحاً وبعث إلی عائشة بالجمل المسمّی «عسکرا». وکان شراؤه علیه بالیمن مائتی دینار فأرادوا الشام فصدَّهم ابن عامر، وقال لهم: إنّ معاویة لا ینقاد الیکم ولایعطیکم من نفسه النصفة،

لکن هـذه البصـرة لی بهـا صـنائع وعـدد. فجهّزهم بـألف ألف درهم، ومائـة من الابل وغیر ذلک، فسار القوم نحو البصـرة فی سـتمائة راکب، فانتهوا فی اللیل إلی ماء لبنی کلاب، یعرف بـ«الحوأب» علیه اُناس من بنی کلاب فعوت کلابهم علی الرکب، فقالت عائشة: ما اسم هـذا الموضع؟ فقـال لهـا السائق لجملها: «الحوأب»، فاسترجعتْ، وذکرت ما قیل لها فی ذلک(۱) وقـالت: رُدّونی إلی حرم رسول الله، لاحاجة لی فی المسـیر، فقال الزبیر: تالله ما هذا «الحوأب»، ولقد غلط فی ما أخبرک به، وکان طلحة فی ساقة الناس فلحقها فأقسـم بالله إنّ ذلک لیس بالحوأب وشـهد معهما خمسون رجلا ممّن کان معهم . فأتوا البصـرة فخرج إلیهم عثمان بن حنیف فمانعهم وجری بینهم قتال، ثم إنّهم اصطلحوا بعد ذلک علی کفِّ الحرب إلی قدوم علیّ، فلمّا کان فی _____

۱. ورد فی حـدیث روته عائشـة، قالت: سـمعت رسول الله ـ صـلّی الله علیه وآله وسـلم ـ یقول وعنده نساؤه: لیت شـعری ایتکنّ تنبحُها کلابُ الحوأب سائرة إلی الشرق فی کتیبة! (۳۵)

بعض اللیالی، بیّتوا عثمانَ بن حنیف فأسَروَه وضربوه ونتفوا لحیته، ثم إنّ القوم استرجعوا وخافوا علی مخلَّفیهم بالمدینة من أخیه: سهل بن حنیـف وغیره من الأنصـار، فخلـوا عنه وأرادوا بیت المـال فمـانعهم الخُزّان والموکّلـون به فقتـل منهم سـبعون رجلاـ من غیر جرح، وخمسون من السـبعین ضـربت أعناقهم صبراً من بعـد الأسـر، وقتلوا حکیم بن جبلة العبدی وکان من سادات عبد القیس، وزهّاد ربیعة ونُسّاکهـا و تشاح طلحـة والزبیر فی الصـلاة بالنّاس، ثمّ اتّفقوا علی أن یصـلّی بالناس عبـدالله بن الزبیر یوماً ومحمّـد بن طلحـة یوماً فی خطب طویل کان بین طلحـة والزبیر. مسیر علی إلی جانب البصـرة: وقف الامام علی أنّ المتآمرین خرجوا من مکّـة قاصدین البصـرة، فاهتم الامام بایقافهم فی الطریق قبل الـدخول إلیها فسار من المدینـة بعـد أربعة أشـهر من بیعته فی سـبعمائة راکب، منهم أربعمائة من المهاجرین والأنصار، منهم سـبعون بدریّاً وباقیهم من الصـحابة، وقد کان استخلف علی المدینة سهل بن حنیف الأنصاری، فانتهی إلی الربذة بین مکّة والکوفة، وکان یترقّب إلقاء القبض علی رؤوس الفتنة قبل الدخول الی البصـرة، لکن فاته ما یترقّب لأنّهم سـبقوا الامام فی الطریق ولحق بعلی من أهل المدینة، جماعة من الأنصار، فیهم خزیمة بن ثابت ذوالشهادتین وأتاه من طیّ ستمائة راکب(۱) . خرج عثمان بن حنیف من البصـرة، وقـدم علی علی ـ علیه السَّلام ـ بالربـذة، وقد نتفوا رأسه ولحیته وحاجبیه، فقال: یا أمیرالمؤمنین بعثتنی ذا لحیة، _____

۱. المسـعودی: مروج الذهب ۳/۱۰۳ ـ ۱۰۴ طبعـة بیروت. الطبری: التاریـخ ۳/۴۸۵. واللفـظ للأوّل، وفی لفظ الطبری زیادات ترکناها روماً للاختصار. (۳۶)

وجئتک أمرد، فقال: أصبتَ خیراً وأجراً(۱) . واتصـلت بیعة علی بالکوفة: وغیرها من الأنصار، وکانت الکوفة أسرعها إجابة إلی بیعته، وأخذ له البیعة علی أهلها ـ علی کره ـ أبوموسـی الأشـعری حین تکاثر الناس علیه، وکان عاملا لعثمان علیها(۲) . لمّا وقف الامام علی ماجری علی عثمان بن حنیف وحَرَسِه، بعثَ بعض أصحابه بکتاب إلی أبی موسـی الأشعری یطلب منه استنهاضه للناس، ولکنّه تهاون فی الأمر ولم یَقُم بواجبه بعـدما أخذ البیعة له، واعترف بإمامته، وقال للناس: إنّها فتنة صـمّاء، النائم فیها خیر من الیقضان، والیقظان فیها خیر من القاعد، والقاعد خیر من القائم، والقائم خیر من الراکب، فکونوا جرثومة من جراثیم العرب، فاغمدوا السیوف، وانصلوا الأسنَّة، واقطعوا الأوتار، وآووا المظلوم و المضـطهد حتی یلتئم هـذا الأمر، وتتجلّی هذه الفتنة. ولّما بلغ علیّاً خذلان أبی موسـی الأشـعری، وانّه یصف محاربة الناکثین بالفتنة، بعث هاشم بن هاشم المرقال وکتب الی أبی موسی: «إنّی لم اُولِّک الذی أنت به إلّا لتکونَ من أعوانی علی الحق....» وکان أبوموسـی من أوّل الأمر عثمانّی الهوی وقد أخذ البیعة لعلی علی الناس بعد اکثار الناس علیه ـ کما تقدم ـ فلأجل ذلـک بقی علی مـا کـان علیه من الحیاد، ولم یُنهِض الناس، واسـتشار السائب بن مالک الأشـعری فأشار هو باتباع الإمام ومع ذلک لم یقدم علیه(۳) . فکتب هاشم إلی علیّ، امتناع أبی موسی من الاستنفار. _____

۱. الطبری: التاریخ ۳/۴۹۵ .

۲. المسعودی: مروج الذهب ۳/۹۷ .

۳. الطبرى: التاريخ ۳/۵۰۳ . (۳۷) ولمّا تمّت الحجة عند الإمام انّ الرجل ليس على وتيرة صحيحة، عزله عن منصبه فولّى على الكوفة قرظة بن كعب الأنصارى و كتب إلى أبى موسى اعتزل عملنا يا بن الحائك مذموماً مدحوراً، فما هذا أوّلُ يومنا منك و انّ لك فينا لهنات وهنات. وسار على فيمن معه حتى نزل بذى قار وبعث بابنه الحسن وعمار بن ياسر إلى الكوفة يستنفران الناس، فسارا عنها و معهما من أهل الكوفة نحو من سبعة آلاف، وقيل ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلا منهم الأشتر. فانتهى على إلى البصرة وراسل القوم وناشدهم فأبوا إلاّ قتاله(۱) . قد وصلنا إلى أعتاب الحرب الطاحنةِ المعروفة بحرب «الجمل» وقبل الخوض فى تفصيلها نشير إلى نكات تستفاد فيما سردناه من المقدمات، ثم نخوض فى صلب الموضوع حسب اقتضاء المقام. ۱ ـ إنّ الزبير و طلحة بايعا عن طوع ورغبة ولكن بايعا لبغية دنيوية وطمعاً فى المال و المقام، ولم يمض زمان من بيعتهما إلاّ وقد أتيا عليّاً يسألانه اشتراكهما فى بعض أعماله، وكان لهما هوى فى ولاية الكوفة والبصرة، وكانت ديانة على ـ عليه السَّلام ـ تصدّه عن الاجابة، إذ لم يكونا صالحين لما يطلبانه، وقد أثبتا ذلك ـ قبل اشعال نار الحرب ـ بنكثهما وتحريضهما الناس على النكث وقتلهم الأبرياء من الموكّلين وحرس بيت المال، وقد انتهى الأمر بسفك دماء آلاف من المسلمين. كل ذلك يعرب عن أنّ مقاومة على، تجاه طلبهما كانت أمراً صحيحاً يرضى به الربّ ورسوله، ولم يكن لعلى هوى إلاّ رضى الله سبحانه ورضى رسوله. _____

۱. المسعودى: مروج الذهب ۳/۱۰۴ . (۳۸) ۲ - إنّ أباموسى الأشعرى الذى قلَّب الأُمور على علىّ فى قضية التحكيم، كان من أوّل الأمر غير راض ببيعة الإمام ولم يأخذ البيعة له إلاّ بعد اكثار الناس، ولمّا أمره الإمام باستنهاض الناس و استنفارهم خذَّل الناس عن على . والعجب انّه كان يتمسّك فى نفس الواقعة برواية سمعها من النبى أنّه قال: ستكون فتنة: القاعد فيها خير من النائم، والنائم خير من الماشى، والماشى خير من الراكب(۱) . نحن نفترض أنّه سمع من النبى ذلك الكلام، ولكّنه هل يمكن له تسمية مبايعة المهاجرين و الأنصار فتنة، فلو صحّ ذلك ـ ولن يصحّ حتى لو صحّت الأحلام ـ لماذا لاتكون مبايعتهم السابقين من الخلفاء فتنة، يكون القاعد فيها خيراً من القائم، مع أنّ أبى موسى كان فيها من القائمين، وقد قبل الولاية فى عصر الخليفتين، الثانى والثالث، حتى اعتنق بيعة الإمام بعد اكثار الناس. ومن بايع رجلا على الإمامة والقيادة، كان عليه الذبّ عن إمامه و حياض سلطته. ۳ ـ إنّ الإمام ـ عليه السَّلام ـ أشار بقوله: «فما هذا أوّل يومنا منك و أنّ لك فينا لهنات و هنات» إلى الجناية التى سوف يرتكبها أبوموسى فى قضية التحكيم حيث يخلع عليّاً عن الإمامة والخلافة كما سيوافيك تفصيله. ۴ ـ إنّ فى منازعة الشيخين: الزبير وطلحة فى أمر جزئى كالإمامة فى الطلاة، يعرب عن طويتهما وما جبّلا عليه من التفانى فى الرئاسة، انظر إلى الرجلين يريدان أن يقودا أمر الجماعة ويكونا امامان للمسلمين وهذه نزعتهما.

---

۱. الطبرى: التاريخ ۳/۴۹۸ . (۳۹) على أعتاب حرب الجمل: سار علىّ حتى نزل الموضع المعروف بالزاوية، فصلّى أربع ركعات، وعفر خدّيه على التراب وقد خالط ذلك بدموعه ثم رفع يديه يقول: اللّهمّ ربَّ السماوات وما أظلّتْ، وربّ العرش العظيم، هذه البصرة، أسألك من خيرها، وأعوذبك من شرّها، اللّهمّ انزلنا فيها خير منزل، وأنت خير المنزلين، اللّهمّ إنّ هؤلاء القوم قد بغوا علىّ وخلعوا طاعتى ونكثوا بيعتى، اللّهمّ أحقن دماء المسلمين . ثمّ بعث إليهم من يناشدهم الله فى الدماء، وقال: «علام تقاتلوننى؟» فأبوا إلاّ الحرب، فبعث إليهم رجلا من أصحابه يقال له مسلم، معه مصحف يدعوهم إلى الله تعالى فرموه بسهم فقتلوه، فحمل إلى على قتيلا . فأمر علىّ أصحابه أن يصافوهم ولايبدؤهم بقتال ولايرموهم بسهم، ولايضربوهم بسيف، ولايطعنوهم برمح. حتى جاء عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعى من الميمنة بأخ له مقتول، وجاء قوم من الميسرة برجل قد رمى بسهم فقتل، فقال علىّ: اللّهمّ اشهد. أعذروا إلى القوم، ثم قام عمّار بن ياسر بين الصفّين فقال: أيّها القوم ما أنصفتم نبيّكم حين كففتم عقائلكم فى الخدور، وأبرزتم عقيلته للسيوف، وعائشة على الجمل فى هودج من دفوف الخشب، قد ألبسوه المسوحَ وجلودَ البقر، وجعلوا دونه اللبود، وقدغشى على ذلك بالدروع، فدنا عمّار من موضعها فناداها: إلى ماذا تدعين؟ قالت: إلى الطلب بدم عثمان، فقال: قاتل الله فى هذا اليوم الباغىَ و الطالبَ لغير الحق، ثم قال: أيّها النّاس إنّكم لتعلمون أيّنا الممالى فى قتل عثمان، ثم أنشأ يقول وقد رشقوه بالنبال: فمنكِ البكاء و منكِ العويل * و منكِ

الرياح و منكِ المطر (۴۰) و أنت امرتَ بقتل الإمام * و قاتله عندنا من امر وتواتر عليه الرمى فاتصل فحّرك فرسه، وزال عن موضعه وأتى عليّاً ـ عليه السَّلام ـ فقال: ما تنظر يا أمير المؤمنين وليس عند القوم إلاّ الحرب . خطبة على يوم الجمل: فقام على فى الناس خطيباً ورافعاً صوته يقول: أيّها النّاس إذا هَزَمتموهم فلا تُجْهِزوا على جريح ولاتَقْتلوا أسيراً، ولاتتبعوا موليّاً، ولاتطلبوا مُدْبراً، ولاتكشفوا عورة ولاتمثلوا بقتيل، ولاتهتكوا ستراً، ولاتقربوا شيئاً من أموالهم إلاّ ما تجدونه فى عسكرهم من سلاح، أوكراع، أوعبد أو أمة، وما سوى ذلك فهو ميراث ورثتهم على كتاب الله . ثمّ إنّ عليّاً نادى كلاّ من الزبير وطلحة وكلّمهما وأتمّ عليهما الحجة فقال للأوّل: أما تذكر قول رسول الله عندما قلت له: اِنّى أحبُّ عليّاً، فأجابك إنّك والله ستقاتله وأنت له ظالم، وقال للثانى: أما سمعت قول رسول الله يقول: اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وأنت أوّل من بايعتنى ثم نكثت، وقد قال الله عزوجل:(فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكِثُ عَلى نَفْسِهِ) . ثمّ رجع على إلى موضعه، وبعث إلى والده محمّد بن الحنفية وكان صاحب رايته وقال: «احمل على القوم» فلم يرمنه النجاح والظفر فأخذ الراية من يده، فحمل و حمل الناس معه فما كان القوم إلاّ كرماد اشتدَّت به الريح فى يوم عاصف وأطاف بنوضبّة بجمل عائشة وأقبلوا يرتجزون. نحن بنوضبَّة اصحابَ الجمل * رُدّوا علينا شيخنا ثم بجل ننعى ابن عفان باطراف الأسل * والموت أحلى عندنا من العسل (۴۱) وقطع على خطام الجمل سبعون يداً من بنى ظبّة، منهم: كعب بن سور القاضى، كلّما قطعت يد واحد منهم فصرع، قام آخر فأخذ الخطام، ورمى الهودج بالنبل، حتى صار كأنّه قنفذ، وعُرْقبَ الجمل ولمّا سقط ووقع الهودج، جاء محمّد بن أبى بكر فأدخل يده، فقالت: «من أنت؟» فقال: أخوك، يقول أمير المؤمنين هل أصابك شيء، قالت: «ما أصابنى إلاّ سهم لم يضرَّنى» فجاء على حتى وقف عليها و ضرب الهودج بقضيب وقال: «يا حميراءُ أرسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ أمركِ بهذا، ألم يأمركِ أن تقرّى فى بيتكِ، والله ما أنصفكِ الذين أخرجوك إذ صانوا حلائلهم، وأبرزوك» وأمر أخاها محمداً، فأنزلها دار صفيّة بنت الحارث بن طلحة . ولمّا وضعت الحرب أوزارها جهّز على ـ عليه السَّلام ـ عائشة للخروج إلى المدينة فقالت له: «إنّى اُحبّ أن اُقيم معك فأسير إلى قتال عدوّك عند مسيرك» فقال: «ارجعى إلى البيت الذى تركك فيه رسول الله» فسألته أن يؤمّن ابن اختها عبدالله بن الزبير، فأمَّنه، وتكلّم الحسن و الحسين فى مروان، فأمَّنه، وأمّن الوليد بن عقبة، وولد عثمان و غيرهم من بنى اُميّة و أمّن الناس جميعاً، وقد كان نادى يوم الوقعة «مَنْ ألقى سلاحه فهو آمن، و من دخل داره فهو آمن» . وكانت الوقعة فى الموضع المعروف بالخريبة و ذلك يوم الخميس لعشر خلون من جُمادى الآخرة سنة ۳۶ وخطب على الناس بالبصرة بخطبة، وقد قتل فيها، من أصحاب على ـ عليه السَّلام ـ خمسة آلاف و من أصحاب الجمل ثلاثة عشر ألف رجل، وكان بين خلافة على ووقعة الجمل خمسة أشهر وواحد وعشرون يوماً . وولّى على البصرة، عبدالله بن عباس، وسار إلى الكوفة فدخل إليها فى (۴۲)

الثانى عشر من رجب شهور سنه ۳۶ (۱) . ولكن الإمام عبده، نقل انّه قتل سبعة عشر ألفاً من أصحاب الجمل و قتل من أصحاب على ألف و سبعون (۲) . وعلى كل تقدير فهذه الضحايا كانت خسارة عظيمة فى الإسلام، وقد عرقلت خطاه، وشلّت الزحوف الإسلامية فى أوّل عهدها فى الفتوح، ولولا هذه الحروب الداخلية، لكان للعالم حديث غير هذا، ولو كان الإمام هو القابض لزمام القيادة فى جو هادىء، لكان الوضع السائد على الإسلام، غيرما هو المشاهد ـ ويالللأسف ـ . «ما كلّ ما يتمنّى المرء يدركه» . وقد حفظ التاريخ من الامام يوم ذاك عواطف سامية وسماحة ورحب صدر على حدّ لم يسبق إليه أحد، غير النبى الأكرم ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ عندما فتح مكّة، فلم يأخذ من أهل البصرة شيئاً سوى ما حواه العسكر. و كان هناك جماعة يصرّون على أن يأخذ الامام منهم، عبيداً وإماءً فاسكتهم الإمام بقول: أيّكم يأخذ اُمّ المؤمنين فى سهمه (۳). وقد علّم الامام بسيرته كيفيّة القتال مع البغاة من أهل القبلة.

---

۱. المسعودى: مروج الذهب ۳/۱۰۷ ـ ۱۱۷. بتلخيص: لاحظ الطبرى: التاريخ ۳/۵۴۳ .

۲. الإمام عبده: شرح نهج البلاغة ۴۰ .

۳. وسائل الشيعة ۱۱/۵۹ ـ ۶۰ . (۴۳) قتال القاسطين (۲) حرب صفّين قد تعرفت على أنّ النبى الأكرم أخبر عليّاً بأنّه سيقاتل القاسطين

بعد الناكثين، وقد وقفت على مأساة حرب الناكثين وعرفت نواياهم وجناياتهم عن كثب، التى ارتكبوها فى طريق ألتسنُّم على عرش القيادة، وأراقوا دماء بريئة حتى يُسمُّوا أمير المؤمنين وما أجرأهم على حرمات الله وماأشقاهم. هلم معى نقرأ مأساة قتال القاسطين الذين حادوا عن الحق، والطريق المهيع، وحاربوا الإمام المفترض طاعته، يقودهم معاوية بن أبى سفيان ابن آكلة الأكباد، ولاغرو فإنّ أباه هو العدوّ الأوّل للنبى الأكرم ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ الذى حزّب الأحزاب على الإسلام و المسلمين . (۴۴) الخلافة كانت الامنية القصوى لمعاوية: إنّ الخلافة كانت اُمنية فى نفس معاوية، ولكن تقلُّدَ الإمام للخلافة، أفسد عليه الأمر، ولم يكن باستطاعته منافسة الإمام على ـ عليه السَّلام ـ ولأجل ذلك حاول إحداث الصدع فى صفِّ الاُمّة، فأطمع الشيخين فى طلب الخلافة، وقد قُتِلا خائبين فلم يَجد مناصاً إلاّ أن يقوم فى وجه الامام تحت ستار أخذ ثأر الخليفة المظلوم. كان معاوية ـ يطلب من الإمام ـ طول محاربته ـ اقراره على ولاية الشام كاقرار الخليفتين له حتى يُسلِّم له الأمر و يعترف بخلافته، ولكن الإمام عليّاً لم يرض ببقائه فى الحكم لعلمه بسوء عمله خلال ولايته . وقد أشار إلى ابقائه المغيرة بن شعبة، وقال: واترك معاوية، فإنّ لمعاوية جرأة فهو فى أهل الشام يُسمع منه ولك حجة فى اثباته لأنّ عمر بن الخطاب ولاّه الشام كلّها، ولكن الإمام لم يقبل اقتراحه، وقال: «لا و الله لا استعمل معاوية يومين أبداً»(۱) . بعث الإمام جريراً إلى ولاية الشام ليأخذ منه البيعة، فأتى معاويةُ جريراً فى بيته فقال: يا جرير إنّى قد رأيت رُؤياً، فقال: هات، قال: اكْتُب إلى صاحبك ليجعل لى الشام و مصر، جباية، فإذا أحضرته الوفاة لم يجعل لأحد بعده بيعة فى عنقى، واُسلِّم له هذا الأمر واكْتُبُ إليه بالخلافة، فقال جرير: اكتب بما أردت، فكتب معاوية بذلك إلى على، فلمّا وصل كتاب جرير مع كتاب معاوية، فكتب على إلى جرير: أمّا بعد فإنّما أراد معاوية أن لا يكون لى فى عنقه بيعة، وأن يختار من أمره ما أحبَّ(۲)، وأراد أنْ يريّثك حتى يذوق أهل الشام، _____

۱. الطبرى: التاريخ ۳/۴۶۱ .

۲. سيأتى التصريح بذلك فى كتاب معاوية إلى الإمام قرب ليلة الهرير، والامام تفطّن بذلك بنور الله الذى ينظر به المؤمن . (۴۵) وأنّ المغيرة بن شعبة قد كان أشار علىّ أن استعمل معاوية على الشام وأنا بالمدينة، فأبيت ذلك عليه ولم يكن الله يرانى أتّخذ المضلّين عضداً، فإن بايعك الرجل، وإلاّ فاقبل (۱). كتب معاوية إلى على مرة اُخرى قبل ليلة الهرير بيومين أو ثلاثة يسأله اقراره على الشام، وذلك انّ عليّاً قال: لاُناجزنَّهم مصبحاً، و تناقل الناس كلمته، ففزع أهلُ الشام لذلك، فقال معاوية: قد رأيت أن اعاوِدَ عليّاً وأسأله اقرارى على الشام، فقد كنت كتبت إليه ذلك، فلم يجب إليه ولاُكْتُبنّ ثانية، فألقى فى نفسه الشك و الرقّة، فكتب إليه: «أمّا بعد....وقد كنت سألتك الشام على الاّ تلزمنى لك بيعة و طاعة، فأبيت ذلك علىّ فأعطانى الله مامنعت وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس...» . فكتب فى جوابه: «...وأمّا طلبك إلىّ الشام فإنّى لم أكن لاُعطيك اليوم مامنعتك أمس»(۲) . هذه الكتب وغيرهما من القرائن والشواهد، تعرب عن أنّ الغاية الوحيدة لابن أبى سفيان، هو الولاية على الشام وبقاؤه فى الحكم، مادام علىّ على قيد الحياة، ثم السيطرة على جميع البلاد الاسلامية، وأمّا طلب ثأر عثمان، والقصاص من قتلته، فكلّها كانت واجهة لما كان يضمره ويخفيه، ولأجل ذلك نرى أنّه لمّا تمّ الأمر لصالحه، تناسى قتلة عثمان وتناسى الأخذ بثأره، وليس هذا ببعيد من الساسة الذين لا يتحلون بالمبدئية فى سلوكهم، ويرفعون عقيرتهم بشعارات خادعة من أجل تحقيق أطماعهم الشخصية. _____

۱. نصربن مزاحم: وقعة صفين ۵۲ .

۲. ابن قتيبة: الإمامة و السياسة ۱/۱۰۹. ابن مزاحم: وقعة صفين ۴۷۰ . (۴۶) وبذلك تقف على مؤامراته وخططه الشيطانية، حيث كان شعاره منذ أن خالف: يالثارت عثمان. وقد ردّ الإمام عليه فى بعض كتبه إليه وفى بعضها مانصّه: «قد أكثرت فى قتلة عثمان، فادخل فيما دخل الناس، ثم حاكم القوم إلىّ، أحْمِلُك وإيّاهم على كتاب الله» (۱). إلى هنا خرجنا بهذه النتيجة أنّ الاُمنية الكبرى لمعاوية من تسعير نار الحرب، هو البقاء على السلطة، وتقلّد الخلافة العامة بعد على، ولم يكن له أىّ إربة فى مايدعيه، وينشره من أخذ الثأر وغيره، فلزم عندئذ أن نتعرّف على خططه فى تلك الحرب الطاحنة التى سعّرها بأنانيّة . مخططات معاوية: كانت صحابة النبى الأكرم من أوّل

يوم تُقلِّد الإمام على الخلافة، وراءه يؤيدونه بألسنتهم وأيديهم، إلانفر قليل لم يبايعوه وهم لايتجاوزن عدد الأصابع(۲) ولم يكن لمعاوية ما كان لعلى من السبق فى الإسلام، والجهاد فى سبيل الله، والقرابة الوثيقة من النبى الأكرم، فلم يكن له بدّ من التخطيطات الشيطانية حتى يقف سدّاً فى وجه على، وإليك تخطيطاته: ۱ـ الاتصال بعمرو بن العاص: أنّ عمروبن العاص، كان داهية العرب، وقد اتّصل به معاوية وكان منحرفاً عن عثمان لأنّه عزله عن ولاية مصر، وولاّها غيره، فلمّا بلغ إليه خبر _____

۱. الرضى: نهج البلاغة، قسم الكتب برقم ۶۴. المبرّد: الكامل ۱/۱۹۴ .

۲. ابن الأثير: الكامل ۳/۹۸ وقد ذكر أسماءهم. (۴۷)

بيعة الناس لعلى، كتب إلى معاوية يهزّه ويشير إليه بالمطالبة بدم عثمان، وكان فيما يكتب به إليه: «ما كت صانعاً إذا قُشِتِرْتَ من كل شىء تملكه؟ فاصنَع ما أنت صانع» فبعث إليه معاوية فسار إليه، فقال له معاوية: بايعنى، قال: «لا والله لا اُعطيك من دينى(۱) حتى أنال من دنياك». فقال: «سل»، قال: «مصر طعمة»، فأجابه إلى ذلك وكتب له به كتاباً، فقال عمروبن العاص فى ذلك: معاوى لا اُعطيك دينى ولم أنل * به منك دنياً فانظرن كيف تصنع فإن تعطنى مصراً فأربح بصفقة * أخذت بها شيخاً يضرّ وينفع(۲) ۲ـ قميص عثمان المخضَّب بالدم: قدم النعمان بن بشير بكتاب زوجة عثمان وقميصه المخضَّب بالدم، إلى معاوية فلمّا قرأ معاوية الكتاب صعد المنبر وجمع الناس، ونشر عليهم القميص، وذكر ماصنعوا بعثمان، فبكى الناس وشهقوا حتى كادت نفوسهم أن تزهق، ثم دعاهم إلى الطلب بدمه، فقام إليه أهل الشام، فقالوا: هو ابنُ عمِّك وأنت وليّه، ونحن الطالبون معك بدمه... فبايعوه أميراً وبعث الرسل إلى كور الشام، حتى بايعه الشاميون قاطبةً إلاّ من عصمه الله(۳). ۳ـ الاستنصار بالشخصيات المرموقة: وجّه علىّ عند مغادرته البصرة إلى الكوفة كتاباً إلى معاوية يدعوه إلى _____

۱. اظن انّ الرجل باع مالاـ يملكـ ولم يكن له أىّ دين فى ذاك اليوم، وقد نهى رسول الله عن بيع مالاـ يملكه الرجل. و قال: لاتبع ماليس عندك.

۲. المسعودى: مروج الذهب ۳/۹۸. الطبرى: التاريخ ۳/۵۶۰.

۳. ابن الاثير: الكامل ۳/۱۴۱. ذكر ابتداء وقعة صفّين . (۴۸)

بيعته ويذكر فيه اجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته، ونكث طلحة والزبير، وماكان من حربه إيّاهما ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار من طاعته (۱). ولمّا قرأ معاوية كتاب على استشار عمروبن العاص، فأشار إليه بقوله: «إنّ رأس أهل الشام شرحبيل بن السمط الكندىّ، وهو عدو لجرير المرسَل إليك، فارسل إليه و وطّن له ثقاتك فليفشوا فى الناس أنّ علياً قتل عثمان وليكونوا أهل الرضا عند شرحبيل فإنّها كلمة جامعة لك أهل الشام على ما تحب، وإن تعلّقت بقلب شرحبيل لم تخرج منه بشىء أبداً». فكتب معاوية إلى شرحبيل انّ جرير بن عبدالله قدِم علينا من عند علىّ بن أبى طالب بأمر فظيع، فاقبل . فلمّا قدم كتابُ معاوية على شرحبيل وهو بحمص، استشار أهلَ اليمن (المتواجدين فى حمص) فاختلفوا فيه ولكن عبدالرحمن بن غنم الأزدى أشار إليه بقوله: «إنّ الله لم يزل يزيدك خيراً مذ هاجرت إلى اليوم، وانّه لا ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من النّاس، (و لايُغيِّر الله ما بِقَوْم حتّى يُغَيّروا ما بِاَنْفُسِهِم)، إنّه قد اُلقِىَ إلينا قتل عثمان وانّ علياً قتل عثمان، فإن يك قَتَله فقد بايعه المهاجرون والأنصار وهم الحُكّام على الناس، وإن لم يكن قتله فعلام تصُدِّق معاوية عليه، لا تُهْلِك نفسك وقومك، فان كرهت أن يذهب بحظِّها جرير، فسر إلى علىّ، فبايعه على شامك وقومك، فأبى شرحبيل إلاّ أن يسير إلى معاوية. لم يكن عبدالرّحمن بن غنم الأزدى الرجل الوحيد الذى نصحه بل اجتمع هو مع جرير، فقال له جرير أمّا قولك إنّ علياً قتل عثمان، فوالله ما فى _____

۱. الطبرى: التاريخ ۳/۵۶۰ ـ ۵۶۱ . (۴۹)

يديك من ذلك إلاّ القذف بالغيب من مكان بعيد ولكنّك مِلْتَ إلى الدنيا(۱). كان مبعوث الإمام يحاول أن يرد شرحبيل عن دَعْم فكرة معاوية، فكتب إليه أيضاً كتاباً ضمَّنه قصيدة، فلمّا قرأه شرحبيل ذعر وفكّر وقال: هذه نصيحة لى فى دينى ودنياى، والله لاأعجل

فی هـذا الأمر بشـیء. فلمّا بلغ معاویـة تردّد زاهـد الشام وناسـکه لفّف له الرجال، یـدخلون إلیه ویخرجون ویُعظّمون عنده قتل عثمان، ویرمون به علیّاً ویقیمون الشـهادة الباطلـة، والکتب المختلقـة، حتی أعـادوا رأیه وشـخّذُوا عزمه، وصـار معاویـة یملک قلوب الشامیین بواسـطة هذا الرجل المتخبّط، ولمّا استنهضـهم للقتال قاموا جملة واحدة. ۴ـ رسائل معاویـة إلی الشخصـیات: قام معاویة بإرسال رسائل إلی شخصیات إسلامیة کانوا محایدین، فکتب إلی عبدالله بن عمر، وسعد بن أبی وقّاص، ومحمّد بن مسْلمة، یدعوهم إلی الثورة علی علی، فکتب إلی ابن عمر بقوله: «لم یکن أحـد من قریش أحبَّ إلیّ أن یجتمع علیه الأُمّـة بعـد قتـل عثمـان منک، ثم ذکرتُ ذلک إیاه، وطعنَک علی أنصاره، فتغیّرتُ لک، وقـد هوَّن ذلک علیَّ خلافُک علی علیّ، ومَحا عنک بعض ما کان مَنک، فأعِنَّا یرحمک الله ـ علی حق هذا الخلیفة المظلوم، فإنّی لست اُرید الإمارة علیک، ولکنّی اُریدها لک، فإن أبیت کانت شوری بین المسـلمین.(۲) وکتب إلی سـعد بن أبی وقّاص: أمّا بعد فإنّ أحق الناس بنصرة عثمان، أهل الشام والذین أثبتوا حقَّه واختاروه علی غیره (۳) وقد نصره طلحة والزبیر، ــــــــــــــــــــ

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّین ۴۵ ـ ۴۸ .

۲. نفس المصدر: ۸۰ .

۳. یرید بذلک سعد بن أبی وقاص حیث نصر عثمان فی الشوری المعقوده لتعیین الخلیفة بعد قتل عمر، بأمره . (۵۰)

وهما شـریکاک فی الأمر والشوری، وناظراک فی الاسـلام... وکتب إلی محمّد بن مسلمة یتّهمه بخذلان عثمان ویقول «....فهّلا نهیتَ أهلَ الصلاة عن قتل بعضهم بعضاً أوتری أنّ عثمان وأهل الدار لیسوا بمسلمین....»(۱) . فهذه الاُمور تعرب عن تخطیطاته الخادعة التی حفظ التاریخ بعضـها فکان یُعْمِی الأبصار والقلوب بأکاذیبه ورسائله، فتارة یبایع الزبیر وطلحة، ولمّا فشل أمرهما، صار یُقدِّم عبدالله بن عمر فی أمر الخلافـة لولا أنّه خذل عثمان ولم ینصره، کل ذلک لعکر الصـفو وإحداث الصدع. إنّ ابن عمر ـ مع سذاجته ـ وقف علی نوایا معاویـة، فکتب إلیه بکلمـة صادقـة، و قال: ما أنا کعلی فی الإسـلام، والهجرة، ومکانه من رسول الله. ویجیب سـعد بن أبی وقّاص رسالـة معاویـة بقوله: إن أهـل الشوری لیس منهم أحقُّ بهـا من صـاحبه غیر أنّ علیّاً کان من السابقـة، ولم یکن فینا مافیه، فشارکنا فی محاسـننا، ولم نشارکه فی محاسـنه، وکان أحقَّنا کلّنا بالخلافة. ویجیب محمّد بن مسـلمة، کتاب معاویة ویفشـی سرّه ویقول بعد کلام: «ولئن نصـرتَ (یا معاویة) عثمان میّتاً، لقد خذَلْته حیّاً» (۲) . جهود علی ومساعیه لإخماد الفتنة: بلغ علیّاً سـعی معاویة لإثارة الفتنة بنشـر الأکاذیب بین الشامیین وتعمیـة القلوب، فعمد إلی إخمادها قبل اشـتعالها وکان الإمام علی بیّنة من ربّه، وکیف لا وهو الإمام المنتخب ببیعة الأنصار والمهاجرین، والخارج علیه، خارج علی ــــــــــــــــــــ

۱. ابن قتیبة الدینوری: الإمامة والسیاسة ۱/۹۲ ـ ۹۳ .

۲. ابن قتیبة الدینوری: الإمامة والسیاسة ۱/۹۳ ـ ۹۴ . (۵۱)

الإمام المفترض الطاعة(۱) فلمّا أراد المسیر إلی الشام جمع من کان حوله من المهاجرین والأنصار فحمدالله وأثنی علیه، وقال: أمّا بعدُ: فإنّکم میامین الرأی، ومراجیح الحلم، مقاویل بالحق، مبارکو الفعل والأمر، وقد أردنا المسیر إلی عدوّنا وعدوّکم فأشیروا علینا برأیکم، فقـام هاشم بن عتبـة بن أبی وقّاص، وعمّار بن یاسـر، وقیس بن سـعد بن عبادة، وخزیمـة بن ثابت، وأبو أیوب الأنصاری یحثّون علیّاً ـ علیه السَّلام ـ علی قطع جـذور الفتنـة. فقال عمّار: یا أمیر المؤمنین، إن اسـتطعت أن لا تُقیم یوماً واحداً فافعل. اشـخص قبل اسـتعار نار الفجرة، واجتمـاع رأیهم علی الصـدود والفرقـة، وادْعهم إلی رشـدهم، فـإن قبلوا سـعدوا، وإن أبوا إلّا ضـربَنا، فوالله إنّ سـفک دمائهم والجـد فی جهادهم لقربـة عند الله وهو کرامة فیه. وقال سـهل بن حنیف: یا أمیر المؤمنین، نحن سـلم لمن سالمتَ وحرب لمن حاربتَ ورأینا رأیک ونحن کف یمینک. إلی کلمات محرّضة وجمل حاثّة إلی الکفاح واخماد النار قبل اشتعالها. فلمّا سمع الإمام هذه الکلم النابعـة من صـمیم الإیمان والنصـح للإسـلام، قام خطیباً علی منبره فحمدالله وأثنی علیه ثم قال: سـیروا الی أعداء الله، سـیروا إلی أعداء السـنن والقرآن، سـیروا إلی بقیة الأحزاب، قتلة المهاجرین والأنصار (۲). یقول المسـعودی: کان مسیر علی ـ علیه السَّلام ـ من الکوفة

إلی صفّین ــــــــــــــــ

۱. أین الذین یقولون «ویرون الدعاء لأئمة المسلمین بالصلاح، وأن لایخرجوا علیهم بالسیف وأن لایقاتلوا فی الفتن» لا حظ مقالات الاسلامیین ۳۲۳، للامام الأشعریّ .

۲. ابن مزاحم: وقعة صفّین ۹۲ ـ ۹۳ . (۵۲)

لخمس خلون من شوال سنة ست وثلاثین، واستخلف علی الکوفة أبا مسعود، عُقْبة بن عمرو الأنصاری، فاجتاز فی مسیره بالمدائن، ثمّ أتی الأنبار حتی نزل الرقة فعقدله هنالک جسر فعبر إلی جانب الشام، وقد اختلف فی مقدار من کان معه من الجیش، والمتّفق علیه من قول الجمیع تسعون ألفاً. وسار معاویة من الشام إلی جانب صفّین، وقد اختلف من کان معه، والمتّفق علیه من قول الجمیع خمسة وثمانون ألفاً(۱) . خروج معاویة إلی صفّین: خرج معاویة من الشام وقدم صفّین وغلب علی الماء، ووکّل أبا الأعور السلمی بالشریعة فی أربعین ألفاً، وبات علی وجیشه فی البرّ عطاشی، قد حیل بینهم وبین الورود، فقال عمروبن العاص لمعاویة: إنّ علیّاً لا یموت عطشاً ومعه تسعون ألفاً من أهل العراق دعهم یشربون ونشرب، فقال معاویة: لا والله أویموت عطشاً کما مات عثمان. استعادة الشریعة من جیش معاویة: دعا علی بالأشتر فبعثه فی أربعة آلاف من الخیل والرجالة، ثمّ سار علیّ وراء الأشتر بباقی الجیش، فما ردّ وجهه أحد حتی هجم علی عسکر معاویة، فأزال أبا الأعور عن الشریعة، وغرق منهم بشراً وخیلا. وتراجع جیش معاویة عن الموضع الذی کان فیه، فقال معاویة لعمروبن العاص: أترانا لیمنعنا الماء کمنعنا إیّاه، فقال له عمرو: لا، لأنّ الرجل جاء لغیر هذا، فأرسل إلیه معاویة یستأذنه فی ورود مشرعته واستقائه الماء فی طریقه، ودخول رُسُله فی عسکره، ــــــــــــــــ

۱. المسعودی: مروج الذهب ۳/۱۲۱ . (۵۳)

فأجاب علی إلی کل ما سأل وطلب منه (۱) . نزل الإمام علی منطقة صفّین فی أوّلیات ذی الحجة عام ۳۶، والشهر من الأشهر الحرم، وبعث إلی معاویة یدعوه إلی إجتماع الکلمة والدخول فی جماعة المسلمین، فطالت المراسلة بینهما فاتّفقوا علی الموادعة إلی آخر محرّم سنة سبع وثلاثین. ولمّا انقضی شهر محرّم، بعث علی إلی أهل الشام إنّی قد احتججت علیکم بکتاب الله تعالی، ودعوتکم إلیه، وإنّی قد نبذت إلیکم علی سواء، إنّ الله لا یهدی کید الخائنین. فما کان جوابهم إلّا قولهم: السیف بیننا وبینک حتی یهلک الأعْجزُ منّا. أصبح علیّ یوم الأربعاء وکان أوّلَ یوم من شهر صفر، فعبّأ الجیش وأخرج الأشتر أمام الجیش، فأخرج إلیه معاویة حبیب بن مسلمة الفهری، وکان بینهم قتال شدید وأسفر عن قتلی بین الفریقین جمعیاً. امتدت الحرب کل یوم إلی عاشر ربیع الأوّل عام سبع وثلاثین وکان النصر حلیفه فی کل یوم إلی أن لم یبق للعدو إلّا النفس الأخیر، فعنذاک قام علی ینادی: یاالله، یا رحمن، یا رحیم، یا واحد، یا أحد، یا صمد، یا الله، یا الله، اللّهُمّ إلیک نقلتِ الأقدام، وأفضتِ القلوب، ورفعت الأیدی، وامتدّت الأعناق، وشخصت الأبصار، وطلبت الحوائج، اللّهُمّ إنّا نشکو إلیک غیبة نبیّنا، وکثرة عدوّنا وتشّتت أهوائنا، ربّنا افتح بیننا و بین قومنا بالحق وأنت خیر الفاتحین، ثم قال: سیروا علی برکة الله، ثم لا إله إلّا الله، و الله أکبر، کلمة التقوی. ــــــــــــــــ

۱. ابن مزاحم: وقعة صفّین ۱۵۷ - ۱۶۲ . (۵۴)

قال الراوی: لا والله الذی بعث محمّداً ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ بالحق ماسمعنا برئیس قدم منذ خلق الله السموات والأرض، أصاب بیده فی یوم واحد ما أصاب. إنّه قتل فیما ذکره العادون زیادة علی خمسمائة من أعلام العرب(۱) . ثمّ قام علی خطیباً وقال: أیّها النّاس قد بلغ بکم الأمر وبعدوّکم ما قد رأیتم ولم یبق منهم إلا آخر نفس، وإنّ الاُمور إذا اقْبلت اعتُبر آخرُها بأوّلها، وقد صبر لکم القوم علی غیر دین، حتّی بلغنا منهم ما بلغنا، وأنا عاد علیهم بالغداة، أحاکمهم الی الله عزّوجل . فبلغ ذلک معاویة فدعا عمروبن العاص فقال: یا عمرو انّما هی اللیلة حتی یغدو علی علینا بالفیصل، فمّا تری؟ قال: إنّ رجالک لا یقومون لرجاله ولست مثله، هو یقاتلک علی أمر، وأنت تقاتله علی غیره. أنت تریدالبقاء وهو یرید الفناء، وأهل العراق یخافون منک إن ظفرت بهم، وأهل الشام لا یخافون علیّاً إن ظفر بهم، ولکن ألق إلیهم أمراً إن قبلوه اختلفوا، وإن ردّوه اختلفوا، ادْعهم إلی کتاب الله حکماً فیما بینک وبینهم، فإنّک بالغ به

حاجتک فی القوم فإنّی لم أزل أُأخّر هـذا الأمر لوقت حاجتک إلیه، فعرف ذلک معاویة، فقال صدقت (۲) . یقول تمیم بن حذیم: لمّا أصبحنا من لیلة الهریر، نظرنا فإذا أشباه الرایات أمام صف أهل الشام فلمّا أسفرنا فإذا هی مصاحف قد ربطت أطراف الرماح، وهی عِظامُ مصاحِف العسکر، وقد شدّوا ثلاثة أرماح جمیعاً، وقد ربطوا علیها مصحف المسجد الأعظم، یُمسکه عشرة رهط، وقال أبوجعفر وأبوالطفیل: استقبلوا علیّاً بمائة مصحف، ووضعوا فی کل مُجَنَّبة مائتی مصحف، وکان _____

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّین ۴۷۷ .

۲. نصر بن مزاحم: وقعة صفّین ۵۴۴ ـ ۵۴۸ . (۵۵)

جمیعها خمسمائة مصحف. قال أبوجعفر: ثمّ قام الطفیل بن أدهم حِیالَ علی وقام أبو شریح الجذامی حیال المیمنة، وقام ورقاء بن المعمر حیال المیسرة، ثمّ نادوا:....یا معشر العرب، الله الله فی نسائکم وبناتکم، فمن للروم والأتراک وأهل فارس غداً إذا فنیتم؟ الله الله فی دینکم. هذا کتاب الله بیننا وبینکم. فقال علی: اللّهُمّ إنّک تعلم أنّهم ما الکتاب یریدون، فاحکم بیننا وبینهم، إنّک أنت الحکیم الحق المبین. فاختلف أصحاب علیّ فی الرأی. فطائفة قالت: القتال، وطائفة قالت: المحاکمة إلی الکتاب، ولا یحلّ لنا الحرب وقد دُعِینا إلی حکم الکتاب. فعند ذلک بطلت الحروب ووضعت أوزارها، فقال محمّد بن علی: فعند ذلک حکم الحکمان. وقد أثّرت تلک المکیدة فی همم کثیر من جیش علی ـ علیه السَّلام ـ حیث زعموا أنّ اللجوء إلی القرآن لأجل طلب الحق ولم یقفوا علی أنّها مؤامرة ابن النابغة وقد تعلّم منه ابن أبی سفیان، وأنّها کلمة حق یراد بها باطل وانّ الغایة القصوی منها، هو إیجاد الشقاق والنفاق فی جیش علی وتثبیط هممهم حتی تخمد نار الحرب التی کادت أن تنتهی لصالح علی وجیشه، وهزیمة معاویة وناصریه. ولکن الخدیعة کانت قد وجدت لها طریقاً فی جیش العراق حتی سمع من کل جانب: الموادعة إلی الصلح والنازل لحکم القرآن، فلمّا رأی علی ـ علیه السَّلام ـ تلک المکیدة وتأثیرها فی السذّج من جیشه قام خطیباً وقال:«أیّها الناس إنّی أحقُّ مَنْ اجاب إلی کتاب الله، ولکن معاویة وعمروبن العاص، وابن أبی معیط وحبیب ابن مسْلمة، وابن أبی سرح، لیسوا بأصحاب دین ولا قرآن، إنّی أعرف بهم منکم، صحبتهم أطفالا وصحبتهم رجالا، فکانوا شرّ أطفال وشرّ رجال، إنّها کلمة حق یراد بها باطل: إنّهم والله ما رفعوها لأنّهم (۵۶)

یعرفونها ویعلمون بها، ولکنّها الخدیعة والمکیدة. أعیرونی سواعِدَکم وجَماجمکم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه، ولم یبق إلّا أن یقطع دابر الذین ظلموا»(۱). وقد کان لخطاب علی أثر إیجابی فی قلوب المؤمنین الواعین حیث أدرکوا ماذا خلف الکوالیس من مؤامرات وفتن، وحجبت البساطة فهم ذلک علی قلوب القشریین من أهل البادیة، الذین ینخدعون بظواهر الاُمور، ولا یتعمّقون ببواطنها، ففوجیء علی ـ علیه السَّلام ـ بمجیء زهاء عشرین ألفاً مقّنعین فی الحدید شاکی سیوفهم وقد اسودَّت جباههم من السجود یتقدّمهم مِسْعَر بن فدکی، وزید بن حصین، وعصابة من القرّاء الذین صاروا خوارج من بعد، فنادوه بإسمه لا بإمرة المؤمنین وقالوا: یا علی أجب القوم إلی کتاب الله إذا دُعیتَ وإلاّ قتلناک کما قتلنا ابن عفان، فوالله لنفعلنها إن لم تجبهم. فقال الإمام لهم: «ویحکم أنا أوّل من دعا إلی کتاب الله، وأوّل من أجاب إلیه، ولیس یحلّ لی ولا یسعنی فی دینی أن اُدْعی إلی کتاب الله فلا أقبله، إنّی إنّما قاتلتهم لیدینوا بحکم القرآن، فانّهم قد عصوا الله فیما أمرهم ونقضوا عهده، ونبذوا کتابه، ولکنّی قد أعلمتکم أنّهم قد کادوکم، وأنّهم لیسوا العمل بالقرآن یریدون» قالوا: فابعث إلی الأشتر لیأتیّنک، وقد کان الأشتر صبیحة لیلة الهریر قد أشرف علی عسکر معاویة لیدخله. فلم یجد علی ـ علیه السَّلام ـ بداً من بعث رسول إلی الأشتر لیأتیه، فأرسل إلیه علی، یزید بن هانی أن ائتنی، فأتاه، فأبلغه، فقال الأشتر: ائته فقل له لیس هذه بالساعة التی ینبغی لک أن تزیلنی عن موقفی، أنّی قد رجوت الفتح فلا تعجلنی، فرجع یزید بن هانی إلی علی ـ علیه السَّلام ـ فاخبره، فما هو إلاّ أن _____

۱. ابن مزاحم: وقعة صفّین ۵۶۰ .الطبری: التاریخ ۴/۳۴ ـ ۳۵ . (۵۷)

علت الأصوات من قبل الأشتر وظهرت دلائل الفتح والنصر لأهل العراق ودلائل الخذلان والادبار لأهل الشام فقال القوم لعلی ـ علیه السَّلام ـ : والله ما نراک أمرته إلاّ بالقتال، قال علی ـ علیه السَّلام ـ : أرأیتمونی سررت رسولی إلیه؟ ألیس إنّما کلّمته علی رؤوسکم

علانيـة وأنتم تسـمعون؟ قـالوا: فابعث إليه فليأتك، وإلّا فوالله اعتزلناك، فقال الإمام: ويحك يا يزيـد قل له اقبل فإنّ الفتنـة قـد وقعت، فأتاه فأخبره. فقال الأشتر: أبرفع هذه المصاحف؟ قال: نعم، قال: أما والله لقد ظننت أنّها حين رفعت سـتوقع خلافاً وفرقة أنّها من مشورة ابن النابغة، ثم قال ليزيد بن هانى: ويحك ألاترى إلى الفتح؟ ألاترى إلى مايلقون؟ ألاترى إلى الذى يصنع الله لنا؟ أينبغى أن ندع هذا وننصـرف له؟. فقـال له يزيـد أتحبّ أنّـك ظفرت هـا هنـا وأنّ أمير المؤمنين بمكانه الـذى هو فيه يفرج عنه، ويسـلّم إلى عـدوّه؟ قال: سبحان الله، لاوالله الا أحبّ ذلك، قال: فانّهم قد قالوا له وحلفوا عليه لتُرسِلن إلى الاشتر فليأتينّك أو لنقتلنّك بأسيافنا كما قتلنا عثمان، أو لنسلّمنّك إلى عـدوّك. فأقبل الأشتر حتى انتهى إليهم، فصاح: يا أهل الـذل والوهن، أحين علوتم القوم وظنّوا أنّكم قاهرون، رفعوا المصـاحف يـدعونكم إلى مـا فيها؟ وقـد والله تركوا ما أمر الله به فيها، وتركوا سـنّة من أنزلت عليه، امهلونى فواقاً، فإنّى قـد أحسسـت بالفتح؟ قالوا: لا نُمْهلك، فقال: أمهلونى عدوة الفرس، فإنّى قد طمعت فى النصـر؟ قالوا: إذاً ندخل معك فى خطيئتك. فسّبوه وسبّهم، وضـربوا بسـياطهم وجه دابّته، وضـرب بسوطه وجوه دوابهم وصـاح علىّ ـ عليه السَّلام ـ بهم فكفّوا، وقال الأشتر يا أميرالمؤمنين احمل الصف على الصف، يصرَع القوم، فتصايحوا: إنّ أمير المؤمنين قد قبل الحكومة (۵۸)

ورضـى بحكم القرآن، فقال الأشتر: إن كان أميرالمؤمنين قد قبل ورضـى، فقد رضيت بما رضى به أميرالمؤمنين. فأقبل الناس يقولون: قـد رضـى أمير المؤمنين، قد قبل أميرالمؤمنين، وهو ساكت لا يبضُّ بكلمة، مطرق إلى الأرض (۱) . ثم قام فسـكت الناس كلّهم فقال: «أيّها الناس إنّ أمرى لم يزل معكم على ما أحبُّ إلى أن أخـذت منكم الحرب، وقـد والله أخذت منكم وتركت، وأخذت من عدوّكم فلم تترك، إلّا انّى قد كنت أمس أمير المؤمنين فصـرت مأموراً، وكنت ناهياً فأصـبحت منهيّاً، وقد أحببتم البقاء وليس لى أن أحملكم على ما تكرهون»(۲) . قال نصر بن مزاحم: ثمّ تكلّم رؤساء القبائل فكل قال مايراه ويهواه، فقام كردوس بن هانى البكرى يدعوا الناس إلى تسـليم الأمر إلى علىّ، كما قام شـقيق بن ثور البكرى يـدعوا الناس إلى الصـلح والموادعة ويقول: وقد أكلتنا هذه الحرب ولا نرى البقاء إلّا فى الموادعة (۳). هـذه الحوادث المؤلمة التى أسـفرت عن مؤامرة خبيثة يراد منها ايقاع الفتنة والخلاف فى جيش على ـ عليه السَّلام ـ إلى النزول إلى حكم القوم كرهاً بلا اختيار، واضـطراراً لا عن طيب نفس. فبعث على قرّاء أهل العراق، وبعث معاوية قرّاء أهل الشـام، فـاجتمعوا بين الصـفّين فنظروا فيه وتـدراسوه واجمعوا على أن يحيوا مـا أحيـا القرآن، وأن يميتوا ما أمات القرآن، ثم رجع كل فريق إلى أصحابه، وقال الناس: «قد رضينا

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۶۰ ـ ۵۶۴ .

۲. ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۲/۲۱۹ ـ ۲۲۰. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۵۳ .

۳. نصربن مزاحم: وقعة صفيّن ۵۵۴ . (۵۹)

بحكم القرآن» . فرض التحكيم أوّلاـ وفرض المحكّم ثانيـاً: ولقـد بلغ القوم فى قلّـة الحياء وشـكاسة الخلق إلى حـدّ أنّهم فرضوا نفس التحكيم على الإمـام المفترض طـاعته ببيعـة المهـاجرين والأنصار، ولم يبق بينه وبين الفتـح والظفر على العـدو إلّا قاب قوسـين أوأدنى أوبمقـدار عـدوة الفرس كمّا قاله الأشتر. إنّهم ـ قبّح الله وجوههم ـ لم يكتفوا بهـذا الحـد فى قلّـة الأدب، بل فرضوا عليه المحكّم، فإن الإمام لمّا لَم يَر بـدّاً من قبول التحكيم فاقترح عليهم أن يكون المحكّم من جانبه أحـد الرجلين: ابن عمّه ـ عبدالله بن عباس ـ أو الأشتر. ولكنّهم رفضوا كل ذلك وأبوا إلّا نيابـة أبى موسـى الأشـعرى الـذى خـذل عليّاً ـ عليه السَّلام ـ فى بدايـة خلافته، ولم يبايعه إلّا باكثار النـاس ولم يشـجّع أهـل الكوفـة على نصره بل سـكت. يقول ابن مزاحم: قال اهل الشام: فإنّا قـد رضـينا واخترنا عمروبن العاص، فقال الأشعث والقرّاء الذين صاروا خوارج فيما بعد: فانّا قد رضينا واخترنا أبا موسى الأشعرى، فقال لهم على ـ عليه السَّلام ـ : «إنّى لا أرضى بأبى موسى ولا أرى أن أولّيه» فقال الأشعث وزيد بن حصين ومسعر بن فدكى فى عصابة من القرّاء: انّا لا نرضى إلّا به، فإنّه قد حذّرنا مـا وقعنـا فيه، قـال على ـ عليه السَّلام ـ : «فإنّه ليس لى برضـى ولكن هـذا ابن عباس اُوّليه ذلك، قالوا: والله ما نبالى أكنت أنت أو ابن عباس ولا نريد إلّا رجلا هو منك ومن معاوية سواء، قال على: فإنّى أجعل الأشتر، فقال الأشـعث: وهل سعّر الأرض علينا غير الأشتر. (

۶۰) حتى انّ عليّاً اقترح عليهم الأحنف بن قيس فأبوا أن يقبلوه، وقالوا: لايكون ألاّ أبا موسى، وقد كان معروفاً بأنّه قريب القعر، كليل الشفرة، فلم ير على ـ عليه السَّلام ـ بداً من قبول أبى موسى، وقد كان الإمام عارفاً ببساطته وسذاجته، وكانت فى ذلك خسارة عظمى لحزب على ـ عليه السَّلام ـ وأشياعه إلى حدّ وصفها الشاعر بقوله: لو كان للقوم رأى يُعْصمونَ به * من الظلال رَمَوكم بابن عباس لله درُّ أبيه أيُّما رجل * ما مثله لفصال الخطب فى الناس لكن رموكم بشيخ من ذوى يمن * لم يدر ما ضرب أخماس لأسداس أن يخلُ عمروبه، يقذفه فى لجج * يَهوى به النجمُ تَيساً بين أتياس ابلغ لديك عليّاً غير عاتِبِه * قول امرىء لا يرى بالحقِّ من بأس (۱) لقد كان علىّ ـ عليه السَّلام ـ واقفاً على انحراف أبى موسى عنه، وانّ هواه مع غيره، ومع ذلك لم يجد بدّاً عن الرضا بما فرض عليه البسطاء من جيشه، وهذا هو الأحنف بن قيس من أصدقاء على ـ عليه السَّلام ـ وخُلّصِ شيعته، فقد امتحن أبا موسى بعد ما نُصِبَ حكماً من قبل على ـ عليه السَّلام ـ فقال له ممتحناً: «فإن لم يستقم لك عمرو على الرضا بعلى، فخّيره أن يختار أهل العراق من قريش الشام من شاؤوا فإنّهم يولّونا الخيار فنختار من نريد، وإن أبوا فليختر أهل الشام من قريش العراق من شاؤوا، فإن فعلوا كان الأمر فينا، فقال أبو موسى: قد سمعت ما قلت، ولم ينكر ما قاله من زوال الأمر عن على ـ عليه السَّلام ـ فرجع الأحنف إلى على ـ عليه السَّلام ـ فقال له: أخرج أبو موسى والله زبدة سقائه فى أوّل مخضة. لا أرانا إلاّ بعثنا رجلا لا ينكر خلعك، فقال على ـ عليه السَّلام ـ : الله ــــــــــــــــــ

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۷۵ ـ ۵۷۶ . (۶۱)

غالب على أمره(۱) . إنّ الإمام خاطب أبا موسى ـ عندما بعثه إلى دُومَةِ الجندل حكماً ـ بقوله: احكم بكتاب الله ولا تجاوزه، ولمّا ودّع أبا موسى وغادر المجلس، قال الإمام: كأنّى به وقد خدع، فقال عبيدالله بن أبى رافع: لماذا تبعثه وهو على هذه الفكرة؟ فقال الإمام ـ عليه السَّلام ـ لو عمل الله فى خلقه بعلمه، ما احتجّ عليهم بالرسل (۲) . صياغة اتفاقية الصلح: إنّ القوم فرضوا على الإمام التحكيم والمحكّم، ولم يكتفوا بذلك بل فرضوا عليه ما كان الخصم يطلبه فى تحرير وصياغة اتفاقية الصلح، ولمّا اتفق الطرفان على كتابة الصلح وايقاف الحرب إلى أن يحكم الحكمان دعا على ـ عليه السَّلام ـ كاتبه ليكتب صحيفة الصلح على النحو الذى يمليه الإمام، فقال الإمام: اكتب: «هذا ما تقاضى عليه على أمير المؤمنين» فقال معاوية: بئس الرجل أنا إن أقررت أنّه أمير المؤمنين ثمّ قاتلته، وقال عمرو: اكتب اسمه واسم أبيه، إنّما هو أميركم، وأمّا أميرنا فلا. فلمّا أُعيد إليه الكتاب أمر بمحوه، فقال الأحنف: لا تمح اسم امرة المؤمنين عنك، فإنّى أتخوّف إن محوتها ألاّ ترجع إليك أبداً لا تمحها، وإن قتل الناس بعضهم بعضاً. فأبى مليّاً من النهار أن يمحوها، ثمّ إنّ الأشعث بن قيس جاء، فقال: امح هذا الاسم. فقال على: لا إله إلاّ الله والله أكبر، سنّة بسنّة، أما والله لعلى يدى، دار هذه الأمر يوم الحديبية حين كتبت الكتاب عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : «هذا ما تصالح عليه ــــــــــــــــــ

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۶۱۷. ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۲/۲۴۹ .

۲. ابن شهر آشوب: مناقب آل أبى طالب ۲/۲۶۱ . (۶۲)

محمّد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ وسهيل بن عمرو» فقال سهيل: لا أجيبك إلى كتاب تسمّى (فيه) رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ولو أعلم أنّك رسول الله لم أُقاتلك إنّى إذاً ظلمتك إن منعتك أن تطوف ببيت الله وأنت رسول الله ولكن اكتب «محمّد بن عبدالله» أجبك، فقال محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : «يا على إنّى لرسول الله، إنّى لمحمّد بن عبدالله، ولن يمحو عنّى الرسالة كتابى إليهم«محمّد بن عبدالله»، فاكتب: محمّد بن عبدالله، فراجعنى المشركون فى هذا إلى مدّة، فاليوم اكتبها إلى أبنائهم كما كتبها رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ إلى آبائهم سنّة ومثلا. فقال عمروبن العاص: «سبحان الله، ومثل هذا شبّهتنا بالكفّار ونحن مؤمنون؟» فقال له على ـ عليه السَّلام ـ : يا ابن النابغة، ومتى لم تكن للكافرين وليّاً وللمسلمين عدوّاً وهل تشبه إلاّ اُمّك التى وضعت بك. فقام عمرو فقال: والله لايجمع بينى وبينك مجلس أبداً بعد هذا اليوم، فقال على: والله إنّى لأرجو أن يظهر الله عليك وعلى أصحابك(۱) . اتفاقية الصلح أو وثيقة التحكيم: تنازل علىّ ـ عليه السَّلام ـ عن حقّه المشروع ورضى، كما رضى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ أن يكتب اسمه مجرّداً عن توصيفه بامرة المؤمنين فأملى علىّ صحيفة الصلح بالنحو التالى وفيها عبر ونكات وتشتمل

علی بنود ربّما نرجع إلیها فی المستقبل: ۱ ـ هذا ما تقاضی علیه علی بن أبی طالب ومعاویة بن أبی سفیان وشیعتهما فیما تراضیا به من الحکم بکتاب الله وسنّة نبیّه ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ قضیة علی علی أهل العراق ومن کان من شیعته من شاهد أو غائب وقضیة

---

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّین ۵۸۲ ـ ۵۸۳ . (۶۳)

معاویة علی أهل الشام ومن کان من شیعته من شاهد أو غائب. إنّا رضینا أن ننزل عند حکم القرآن فیما حکم، وأن نقف عند أمره فیما أمر، وانّه لا یجمع بیننا إلّا ذلک، وانّا جعلنا کتاب الله فیما بیننا حکماً فیما اختلفنا فیه من فاتحته إلی خاتمته، نحیی ما أحیا ونمیت ما أمات، علی ذلک تقاضیا، وبه تراضیا. ۲ ـ إنّ علیاً وشیعته رضوا أن یبعثوا عبدالله بن قیس(۱) ناضراً ومحاکماً، ورضی معاویة وشیعته أن یبعثوا عمروبن العاص ناضراً ومحاکماً. ۳ ـ علی أنّهما أخذوا علیهما عهد الله وامیثاقه وأعظم ما أخذ الله علی أحد فی خلقه، لیتّخذان الکتاب إماما فیما بعثا له، لا یعدوانه إلی غیره فی الحکم بما وجداه فیه مسطوراً. ومالم یجداه مسمّی فی الکتاب ردّاه إلی سنّة رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ الجامعة، لایتعمّدان لهما خلافاً، ولا یتّبعان فی ذلک لهما هوی، ولا یدخلان فی شبهة. ۴ ـ وأخذ عبدالله بن قیس وعمروبن العاص علی علیّ ومعاویة عهد الله وامیثاقه بالرضا بما حکما به من کتاب الله وسنّة نبیه ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ ولیس لهما أن ینقضا ذلک ولا ـ یخالفاه إلی غیره، وانّهما آمنان فی حکومتهما علی دمائهما وأموالهما وأهلهما ما لم یعدوا الحق، رضی بذلک راض أو أنکره منکر وانّ الاُمّة أنصار لهما علی ما قضیا به من العدل. ۵ - فإن توفّی أحد الحکمین قبل انقضاء الحکومة فأمیر شیعته وأصحابه یختارون مکانه رجلا، لایألون عن أهل المعدلة والاقساط، علی ما کان علیه صاحبه من العهد والمیثاق، والحکم بکتاب الله وسنّة رسوله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ وله مثل شرط صاحبه، وإن مات أحد الأمیرین قبل القضاء فلشیعته أن یولّوا مکانه یرضون عدله. وقد وقعت القضیة ــــــــــــــــ

۱. هو أبو موسی الأشعری . (۶۴)

ومعها الأمن والتفاوض ووضع السلاح والسلام والموادعة. ۶ - وعلی الحکمین عهد الله وامیثاقه ألّا یألوا اجتهاداً، ولا یتعمّدا جوراً، ولا یدخلا فی شبهة، ولا یعدوا حکم الکتاب وسنّة رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ . فإن لم یفعلا برئت الاُمّة من حکمهما، ولا عهد لهما ولاذمّة. وقد وجبت القضیة علی ما قد سُمِّی فی هذا الکتاب من مواقع الشروط علی الأمیرین والحکمین والفریقین، والله أقرب شهیداً، وأدنی حفیظاً، والناس آمنون علی أنفسهم وأهلیهم وأموالهم إلی انقضاء مدّة الأجل والسلاح موضوع والسبل مخلاة والغائب والشاهد من الفریقین سواء فی الأمن. ۷ ـ وللحکمین أن ینزلا ـ منزلا عدلا بین أهل الطرق وأهل الشام ولا یحضر هما فیه إلّا من أحبّا، عن ملأ منهما وتراض. وانّ المسلمین قد اَجّلوا القاضیّین إلی انسلاخ رمضان(۱)، فإن رأی الحکمان تعجیل الحکومة فیما وجها له عجّلاها، وإن أراداتا خیرها بعد رمضان إلی انقضاء الموسم فإنّ ذلک إلیهما. ۸ ـ فإن هما لم یحکمابکتاب الله وسنّة نبّیه ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ إلی انقضاء الموسم فالمسلمون علی أمرهم الأوّل فی الحرب. ولا شرط بین واحد من الفریقین. وعلی الاُمّة عهد الله ومیثاقه علی التمام والوفاء بما فی هذا الکتاب. وهم ید علی من أراد فیه إلحاداً وظلماً أوحاول له نقضاً. ثمّ إنّه شهد بما فی الکتاب من أصحاب الطرفین أکابرهما فمن أصحاب علی، عبدالله بن عباس، والأشعث بن قیس، والأشتر مالک بن الحارث، والحسن والحسین ابنا علیّ وطائفة اُخری یبلغ عدد الشهود سبعاً وعشرین شخصاً وفیهم من الصحابة الکبار، نظیر خبّاب بن الارث وسهل بن حنیف وعمروبن الحمق الخزاعی، وحجر بن عدی، کما شهد من أصحاب معاویه أبوالأعور ــــــــــــــــ

۱. أی رمضان سنة تحریر الاتفاقیة وهی سنة ۳۷، وقد کتب الکتاب فی صفر هذه السنة کما سیوافیک. (۶۵)

وبسر بن أرطاة وعبدالله بن عمروبن العاص، وکتبت لثلاث عشر لیلة بقیت من صفر سنة ۳۷(۱) . ونلاحظ أنّ فی المیثاق تصریحاً بأنّه من اللازم علی الحکمین الإدلأ برأیهما إلی انقضاء موسم الحج من عام ۳۷ وهما أدلیا برأیهما فی شعبان تلک السنة کما سیوافیک. وما نقله الطبری عن الواقدی انّ اجتماع الحکمین کان فی شعبان سنة ۳۸ من الهجرة غیر صحیح(۲) . صورة اُخری لوثیقة التحکیم: ثمّ

إنّ ابن مزاحم نقل صورة اُخرى لوثيقة التحكيم يتّحد مع ماسبق ليّاً ويختلف فى بعض الموارد عبارة فمن أراد فليرجع إلى مصدره وفى ذيلها: «وكتب عميرة يوم الأربعاء لثلاث عشرة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين واتّعد الحكمان (اذرح)» (۳) وأن يجيء على بأربعمائة من أصحابه، ويجيء معاوية بأربعمائة من أصحابه فيشهدون الحكومة. _____

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۸۲ .

۲. الطبرى: التاريخ ۴/۵۲ .

۳. اذرح ـ بضم الراء ـ بلد فى أطراف الشام مجاور لأرض الروم.

االفصل الثالث نشوء الخوارج عند مخالفتهم لمبدأ

االفصل الثالث نشوء الخوارج عند مخالفتهم لمبدأ التحكيم (۶۸) (۶۹) إنّ الذين حملوا عليّاً ـ عليه السَّلام ـ على الموادعة والرضوخ للتحكيم، رجعوا عن فكرتهم وزعموا أنّ أمر التحكيم على خلاف الذكر الحكيم حيث يقول (ان الحُكْم إلاّ ـ لِلّه)(۱) فحاولوا أن يفرضوا على علىّ ـ عليه السَّلام ـ أمراً رابعاً وهو القيام بنقض الميثاق ورفض كتاب الصلح بينه وبين معاوية، فجاء هؤلاء قائلين: «لا حكم إلاّلله، الحكمالله يا على لالك، لا نرضى بأن يحكم الرجال فى دين الله. إنّ الله قد أمضى حكمه فى معاوية وأصحابه أن يقتلوا وأن يدخلوا فى حكمنا عليهم وقد كانت منّا زلّة حين رضينا بالحكمين، فرجعنا وتبنا، فارجع أنت يا على كما رجعنا وتب إلى الله كما تبنا، وإلاّ ـ برئنا منك. فقال على: وَيْحكم، أبعد الرضا(والميثاق) والعهد نرجع؟ أو ليس الله تعالى قال:(اُوفوا بالعقود) وقال: (واُوفوا بَعَهْدِ الله اذا عاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الاَيمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَ قَدْ جَعَلْتُمُ الله عَلَيْكُمْ كَفيلا انّ الله يَعْلَمُ ما تَفْعَلُون) : فأبى على أن يرجع، وأبت الخوارج إلاّ تضليل التحكيم والطعن فيه، وبرئت من على ـ عليه السَّلام ـ ، وبرى _____

۱. الأنعام: ۵۷. وقد ورد فى سورة يوسف أيضاً مرّتين، لا حظ الآية ۴۰ و۶۷ من هذه السورة . (۷۰)

منهم(۱) . وقال الطبرى: لمّا أراد علىّ أن يبعث أبا موسى إلى الحكومة أتاه رجلان من الخوارج: زرعة بن برج الطائى وحرقوص بن زهير السعدى(۲)، فدخلا عليه فقالا ـ له: لا حكم إلاّ لله، فقال على ـ عليه السَّلام ـ : لا حكم إلاّ لله، فقال له حرقوص: تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا إلى عدوّنا نقاتلهم حتى نلقى ربّنا، فقال لهم على: قد أردتكم على ذلك فعصيتمونى وقد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً وشرطنا شروطاً وأعطينا عليها عهودنا ومواثيقنا، وقد قال الله عزّوجل: (واُوفوا بَعَهْدِ الله اذا عاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الاَيمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَ قَدْ جَعَلْتُمُ الله عَلَيْكُمْ كَفيلا انّ الله يَعْلَمُ ما تَفْعَلُون). فقال له حرقوص: ذلك ذنب ينبغى أن تتوب منه، فقال على: ما هو ذنب ولكنّه عجز من الرأى وضعف من الفعل وقد تقدّمت إليكم فيما كان منه ونهيتكم عنه، فقال له زرعة بن البرج: أما والله يا على لئن لم تدع تحكيم الرجال فى كتاب الله عزوجل قاتلتك أطلب بذلك وجه الله ورضوانه، فقال له على: بؤسا لك ما أشقاك كأنّى بك قتيلا تسفى عليك الريح. قال: وددت أن قد كان ذلك، فقال له على: لو كنت محقّاً كان فى الموت على الحق تعزية عن الدنيا. إنّ الشيطان قد استهواكم فاتّقوا الله عزّوجلّ إنّه لا خير لكم فى دنيا تقاتلون عليها فخرجا من عنده يُحكِّمان (۳). روى ابن مزاحم عن شقيق بن سلمة قال: جاءت عصابة من القرّاء قد _____

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۸۹ ـ ۵۹۰ .

۲. إنّ الاباضية ـ الفرقة الباقية من الخوارج ـ يقولون المحكمة الاُولى نظراء: زرعة، وحرقوص، والراسبى مُحِقوُن بحجة أنّهم أرادوا أن لا ـ يحكم الرجال فيما حكم فيه سبحانه وهو قتال أهل البغى حتى يفيئوا، ولكنّهم لا يذكرون شيئاً من أنّهم كانوا هم الأساس لمسألة التحكيم، وهم الذين فرضوا على الإمام، هذا الأمر. فلتكن على ذكر من هذا النقل حتى يحين وقت دراسة الموضوع.

۳. الطبرى: التاريخ ۴/۵۲ ـ ۵۳ . (۷۱)

سلّوا سيوفهم واضعيها على عواتقهم فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تنظر بهؤلاء القوم إن نمشى إليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم

بالحق؟ فقال لهم عليّ: قد جعلنا حكم القرآن بيننا وبينهم ولا يحلّ قتالهم حتى ننظر بِمَ يحكم القرآن .(۱) وهذا يعرب عن أنّ الأكثرية الساحقة كانت مصّرة على التصالح وانّ عصابة منهم، كانوا متوقّفين فى بدء الأمر، ثمّ بدا لهم أن ينصروا الإمام فى وقت، تمّت الإتفاقية بين الطرفين وأعطى الإمام العهد بالعمل بها. هذه الكلمة الجارحة التى صدرت من زرعة الطائى وحرقوص بن زهير السعدى ونظائرها كانت تصدر من الخوارج آونة بعد اُخرى، وذلك لأنّهم يتّهمون عليّاً بارتكاب الإثم ولزوم التوبة بنقض الصحيفة، وفى مقابل ذلك سطّر التاريخ مواقفاً جريئة وحرّةً صدرت عن ثلّة من أصحاب على ـ عليه السَّلام ـ . هذا هو سليمان بن صرد من أصحاب على أتاه بعد كتابة الصحيفة ووجهه مضروب بالسيف فلمّا نظر إليه على ـ عليه السَّلام ـ قال: (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِر وما بَدَّلُوا تَبْدِيلا)فأنت ممّن ينتظر وممّن لم يبدل، فقال يا أمير المؤمنين: أما لو وجدتُ أعواناً ما كتبت هذه الصحيفة أبداً. أما والله لقد مشيتُ فى الناس ليعودوا إلى أمرهم الأوّل فما وجدت أحداً عنده خير إلّا قليلا. وقام إلى على ـ عليه السَّلام ـ محرز بن جريش بن ضليع، فقال: يا أمير المؤمنين: ما إلى الرجوع عن هذا الكتاب سبيل؟ فإنّى لأخاف أن يُورث ذلّا، فقال على ـ عليه السَّلام ـ أبعد أن كتبناه ننقضه؟ إنّ هذا لا يحلّ. وقام فضيل بن خديج مخاطباً عليّاً لمّا كتبت الصحيفة: إنّ الأشتر لم يرض بما فى هذه الصحيفة ولا يرى إلّا قتال القوم، فقال على ـ عليه السَّلام ـ : _____

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۶۹ . (۷۲)

بلى إنّ الأشتر ليرضى إذا رضيت، وقد رضيت ورضيتم، ولا يصلح الرجوع بعد الرضا ولا التبديل بعد الإقرار إلّا أن يعصى الله ويتعدّى ما فيه كتابه. فلمّا رآى على ـ عليه السَّلام ـ تكرّر تلك المواقف قام خطيباً ليزيل الشكوك والأوهام عن قلوب شيعته فخطب وقال: «إنّ هؤلاء القوم لم يكونوا ليفيئوا إلى الحق، ولاليجيبوا إلى كلمة السواء، حتى يُرْمَوا بالمناسر، تتبعها العساكر، وحتى يُرجَموا بالكتائب تقفوها الجلائب، وحتى يجر ببلادهم الخميس، يتلوه الخميس، وحتى يدعوا الخيل فى نواحى أرضهم، وبأحناء مساربهم ومسارحهم وحتى تشن عليهم الغارات من كل فج، وحتى يلقاهم قوم صُدُق صُبُر، لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم وموتاهم فى سبيل الله إلّا جداً فى طاعة الله، وحرصاً على لقاء الله، ولقد كنّا مع رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ نقتل آباءنا وأبناءنا واخواننا وأعمامنا. ما يزيدنا ذلك إلّا إيماناً وتسليماً، ومُضيّاً على اللقم وصبراً على مَضَ الألم، وجداً فى جهاد العدو، ولقد كان الرجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولان متصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما أيّهما يسقى صاحبه كأس المنون مرّة لنا من عدوّنا ومرة لعدّونا منّا، فلمّا رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر، حتى استقّر الإسلام ملقياً جِرَآنه، ومتبوَّئاً أو طانه، ولعمرى لوكنّا نأتى ما أتيتم، ما قام للدين عمود، ولا اخضرّ للإيمان عود، وايم الله لتحتلبنّها دماً ولتُتَبِعنَّها ندماً(۱) . وقد أعرب الإمام فى خطبته هذه عن السبب الحقيقى للفصل والوهن الذى واجه جيشه مع كثرة عددهم وعدّتهم، وما هذا إلاّ لأنّهم عصوا إمامهم، واغترّوا بظواهر الاُمور، وحسبوا أنّ اللجوء إلى كتاب الله شىء يدين به الخصم، _____

۱. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۵۶. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۹۷ ـ ۵۹۸ وبين المنقول فى المصدرين اختلاف فى اللفظ، ورجحّنا نقل الرضى. (۷۳)

ففرضوا على على ـ عليه السَّلام ـ التحكيم والحكم، إلى غير ذلك من الاُمور التى ذكرناها آنفاً، فصار القائد مقوداً والإمام مأموماً والمطاع مطيعاً. تتبّؤ النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ بفتنة الخوارج: روى ابن هشام عن عبدالله بن عمروبن العاص أنّه قال: جاء رجل من بنى تميم ـ فى غزوة هوازن ـ يقال له ذوالخويصرة فوقف عليه وهو يعطى النّاس فقال: يا محمّد، قد رأيتُ ما صنعت فى هذا اليوم، فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ أجل، فكيف رأيت؟ فقال: لم أرك عدلت، قال: فغضب النبى، ثم قال: ويحك، إذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون؟ فقال عمربن الخطاب: يا رسول الله ألا أقتله؟ فقال: لا دعه فإنّه سيكون له شيعة يتعمّقون(۱) فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية(۲) _____

۱. المراد من التعمق كثرة السؤال والاعتراض على الأوامر الصادرة من القيادة ويؤيّد ذلك الحديث المشهور: سأل رجل الإمام موسى

بن جعفر ـ عليه السَّلام ـ وقال: رجل يأتى السوق فيشترى جبـة فراء، ولا يـدرى أذكيـة هى أم غير ذكيـة؟ أيصـلّى فيها؟ فقال: نعم ليس عليكم المسألة. انّ أباجعفر ـ عليه السَّلام ـ كان يقول: إنّ الخوارج ضيقوا على أنفسهم بجهالتهم، انّ الدين أوسع من ذلك. (الصدوق: من لا يحضر الفقيه ۱/۱۶۷، الباب ۳۹، الحديث ۳۸).

ويظهر ذلك ممّا روى عن على من قصار الكلمات قال: الكفر على أربع دعائم: على التعمّق، والتنازع، والزيغ، والشـقاق، فمن تعمّق لم ينب إلى الحق، ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق، نهج البلاغة قسم الحكم ۳۱. فمعنى التعمّق هنا لا يتنافى مع ما سنذكره من أنّ البساطة والسذاجة و الظاهرية كانت سمة من سماتهم.

۲. ابن هشام: السيرة النبوية ۴/۴۹۶. ابن الاـثير: الكامل ۲/۱۸۴. ورواه البخارى فى باب «المؤلفـة قلوبهم على وجه التفصـيل، فمن أراد فليرجع إلى صـحيحه». (۷۴) تحليـل لكارثـة التحكيم: إنّ هناك أسـئلة تطرح نفسـها ونحن نجيب عنها مسـتندين إلى متون الروايات الواردة حولهـا: الأـوّل: لمـاذا اغـتر المحكّمـة بظواهر الأـمر وزعموا أنّ رفع المصـاحف على رؤوس الأسـنّة لأجـل اللجوء إلى القرآن، واجراء حكمه بين الطرفين، مع أنّ عليّاً وكثيراً من أصـحابه نبّههم على أنّ ذلك خدعـة ومكيدة. والجواب: انّ الذى حملهم على قبول التحكيم فى بادىء ذى بدء أمران: ۱ ـ إنّ الخسارة البشرية الفادحة التى ألحقتها الحرب بالعراقيين (مع أنّ خسائر الشاميين كانت أكثر) كـانت عاملاـ نفسـيّاً مهمّـاً لقبول التحكيم ودافعاً لهم إليه وفى كلام الإمام على ـ عليه السَّلام ـ اشارة إلى ذلك: قال ابن مزاحم: ذكروا أنّ النـاس مـاجوا وقـالوا: أكلتنـا الحرب وقتلت الرجـال، وقـال قوم: نقاتل القوم على ما قاتلنا هم عليه أمس، ولم يقل هـذا إلّا قليل من الناس، ثم رجعوا عن قولهم مع الجماعة وثارت الجماعة بالموادعة فقام على أميرالمؤمنين فقال: «إنّه لم يزل أمرى معكم على ما أحبّ إلى أن أخـذت منكـم الحرب، لقـد والله أخـذت منكم وتركت، وأخـذت من عـدوّكم فلم تـترك، وانّهـا فيكم أنكى وأنهـك....وقد أحببتم البقـاء وليس لى أن أحملكم على ما تكرهون»(۱) . ولعل النجاشـى يشـير إلى ذلك العامل فى قصيدته إذ يقول: غشيناهم يومَ الهرير بِعُصبة * يمانيّة كالسيل سيل عِرانِ فأصبح أهل الشام قد رفعوا القنا * عليها كتاب الله خير قرآن ــــــــــــــــــ

۱. نصـر بن مزاحم: وقعة صـفّين ۵۵۳ ـ ۵۵۴ . (۷۵) ونادوا(۱): عليّاً، يـا ابن عمّ محمّـد * أما تتقى أن يهلك الثقلان فمن للـذرارى بعـدها ونسائنـا * ومن للحريم أيّها الفَتَيان (۲) ۲ – إنّ البساطـة والسذاجـة من الاُمور التى تسود أهـل البادـيـة حيث لا يملكون الوعى الفكرى والتجربـة الإجتماعية، وجلّ القبائل التى كانت تحارب تحت لواء علىّ من القاطنين فى البادية غير متمدّنين، فطبيعة عيشـهم هو الصدق والصـفاء والإيمان بظواهر الاُمور دون أن يتعمّقوا فيها لمعرفة ما يدور خلف السـتار من خفايا، ولأجل ذلك اغترّوا بظاهر الأمر وزعموا أنّ رفع المصـاحف على الأسـنّة لأجل الاسـتظلال فى ظلّه والعيش تحت رايته. غير أنّ الإمام والواعين من قادة جيشه علموا أنّ خلف هـذا العمل مؤامرات وتفرّسوا بأنّ وارء هـذا ليس إلّا الفتنـة، ولأجل ذلك لمّا بعث على ـ عليه السَّلام ـ أحد النخعيين إلى الأشتر لإيقاف الحرب ورجوعه إلى معسـكر الإمام، فسأله الأشتر عن سـبب الفتنـة، وقال: «أَلِرَفع هـذه المصاحف؟» قال نعم، قال: أما والله لقد ظننت أنّها حين رفعت سـتوقد اختلافاً وفرقـة(۳). ۳ ـ إنّ عيشـة القوم كانت عيشـة قبيلـة والنظام القبلى يفرض على كافـة أفراد القبيلـة، الطاعة العمياء لرئيسـها فإذا أصحر الرئيس بالرأى، فالباقون بحكم الأغنام يتبعونه من دون تفكّر ووعى، ولمّا كان فى جيش على ـ عليه السَّلام ـ رؤوس البطون، وخضـعوا للتحكيم، لم يبق مجـال لغيرهم فى القبول والرفض، ولأجـل ذلـك صـار التحكيم فرضـاً من جانب عشرين ألفاً مقنّعين بالحديد، ومن البعيد جداً أن يكون حكم كلّ واحد من هؤلاء صادراً عن وعى و إمعان. ــــــــــــــــــ

۱. يعنى أهل العراق .

۲. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۶۰۲ .

۳. نصـر بن مزاحم: وقعة صـفّين ۵۶۲ . (۷۶) الثـانى: لمـاذا رجعـوا عن التحكيم بعـد فرضه على على ـ عليه السَّلام ـ ؟: إنّ القـوم لم يكونوا أهـل فكر واجتهاد، وماكانوا يصـدرون عن مبـدأ عقلى فى المواقف الصـعبة والحَرِجـة، فكما أنّهم اغترّوا برفع المصاحف على الأسـنّة، اغترّ الكثير برأى بعض القرّاء حيث ردّ التحكيم بقوله سـبحانه: (اَن الحُكْم إلّا لِلّه). قال ابن مزاحم: إنّ الأشعث خرج فى الناس

بـذلك الكتـاب يقرأه على النـاس ويعرضه عليهم ويمرّ به على صـفوف أهـل الشـام، ورايـاتهم، حتى مرّ برايات عنزة فقرأه عليهم. قال فتيان منهم: لا حكم إلّا لله، ثمّ حملا على أهل الشام بسيوفهما (فقاتلا) حتى قتلا على باب رواق معاوية، وهما أوّل من حكم (أى أنكر مبـدأ التحكيم) ثم مرّ بها على مراد فقال صالـح بن شـقيق وكان من رؤسائهم: ما لعلى فى الـدماء قـد حكم * لو قاتل الأحزاب يوماً ما ظلم لا حكم إلّا لله ولو كره المشركون. ثمّ مرّ على رايات بنى راسب فقرأها عليهم، فقالوا: لا حكم إلّا لله ولا نرضى ولا نحكّم الرجال فى دين الله، ثم مرّ على رايـات بنى تميم فقرأهـا عليهم، فقـال رجـل منهم: «لا ـ حكم إلّا لله، يقضـى بالحق وهو خير الفاصـلين» وخرج عروة بن اُدَيَّة فقال: أتحكّمون الرجال فى أمر الله؟ لا حكم إلّا لله: فأين قتلانا يا أشعث؟(۱). فزعموا أوّلا: أنّ حكم الله مضى فى معاوية وأصحابه أن يقتلوا أويدخلوا فى حكمهم وانّ إيقاف الحرب والتنازل إلى الموادعة خلاف حكم الله ــــــــــــــــــ

۱. نصـر بن مزاحم: وقعة صـفّين ۵۵۸. وجـاء فى ذيـل كلامه انّ هؤلاء المخالفين أوبعضـهم كانوا من المصـرّين على التحكيم فى بـدء الأمر وانّما رجعوا عن فكرتهم عند عرض الكتاب. (۷۷)

سبحـانه. ثانيـاً: انّ هـذا تحكيم للرجـال فى دين الله، وهو يضادّ النصّ الصـريح فى الـذكر الحكيم أعنى قوله تعالى: (اَن الحُكْم إلّا لِلّه) وكلا الوجهين موجود ان فى كلامهم يوم حاولوا فرض نقض الميثاق وطلبوه من على ـ عليه السَّلام ـ يقول ابن مزاحم: فنادت الخوارج فى كلّ ناحية: لا حكم إلّا لله، لا نرضـى بأن يحكّم الرجال فى دين الله. قد أمضـى الله حكمه فى معاوية و أصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا فى حكمنا عليهم(۱). ثالثاً: زعموا أنّ قبول التحكيم يسـتلزم أنّهم كانوا ضالّين فى نضالهم وجهادهم ضـد معاويـة طيلة شـهور، ونتيجة ذلك أنّ ما ارُيقت منهم من الـدماء، وما قدموا فى ذلك الطريق من الشـهداء كانت على غير وجه الحق ولأجل ذلك لمّا قرأ الأشـعث صحيفـة الصـلح على تميم، قـالوا: أتحكّمون الرجال فى أمر الله لا حكم إلّا لله، فأين قتلانا يا أشـعث(۲) . رابعـاً: قالوا: إنّك نهيت عن الحكومـة أوّلا ـ ثم أمرت بهـا ثانيـاً، فـإن كانت قبيحـة كنت بنهيك عنها مصـيباً، وبأمرك مخطئاً، وإن كانت حسـنة كنت بنهيك عنها مخطئـاً وبـأمرك بهـا مصـيباً، فلابـد من خطئـك على كـلّ حال. هـذه الوجوه الأربعـة ممّا اغترّ به القوم، وأرادوا فرض نقض التحكيم والميثاق على على ـ عليه السَّلام ـ وهى تكشف عن بساطة القوم فى المقام، وإليك تحليل كل واحد من هذه الوجوه: أمّا الوجه الأوّل: فإنّه وإن كان قد مضى حكم الله فى معاوية وأصحابه أن ــــــــــــــــــ

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۹۴ .

۲. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۸۸ . (۷۸)

يقتلوا أو يـدخلوا فى حكم الإمـام المفترض طـاعته، وكـان الواجب على الإمـام محاربتهم حتى تتحقّق احـدى الغايتين ولكن التكليف بالمحاربـة، مرهون بالقـدرة وعـدم المانع من تحقيق التكليف، والقوم سـلبوا القدرة عن الإمام القائد، حيث جاءوا إليه فى عشـرين ألفاً مقنّعين فى الحديـد، شـاكى سـيوفهم على عواتقهم يـدعونه باسـمه ويقولون: أجب إلى كتاب الله إذ دعيت إليه، وإلّا قتلناك كما قتلنا ابن عفـان، فوالله لنفعلنّها إن لم تجبهم. أفى هـذا الموقف الحرج يتصوّر أن تكون المحاربـة تكليفاً شـرعيّاً على الإمام أو يكون الحكم مرفوعاً بارتفاع قدرته على مواصـلة الحرب، إذ كانت نتيجة مواصـلة الحرب هو قتل الإمام أوتسليمه إلى العدّو مكفوف اليدين، ولكان الذل والوهن عندئذ أكبر وأفدح. نعم، رجعت القدرة إلى الإمام بعد ندامتهم على التحكيم واسـتعدادهم لمواصـلة الحرب بعد الصـلح وأخـذ المواثيق، ولكن كـانت النداـمة فى غير محلّهـا ونـدموا ولم ينفعهم النـدم حيث ضـاعت الفرصـة الذهبيـة، إذ كما أنّ من حكمه سبحانه مواصـلة حرب الطغاة وقـد نطق بها الذكر الحكيم، كذلك الايفاء بالمواثيق، واحترام العقود والعهود من أحكام القرآن والسـنّة المطهرّة. ولأجل ذلك أجاب على عن اصـرارهم على مواصـلة الحرب بقوله: «ويحكم، أبعـد الرضا والميثاق والعهد نرجع؟ أوليس الله تعـالى قال: (اُوفُوا بالعقودِ) وقال: (وَ أوفُوا بِعَهْدِ اللهِ اذا عاهَدْتُمْ وَ لا تَنْقُضُوا الأيمانَ بَعْدَ تَوْكيـدَها وَ قَدْجَعَلْتُمْ الله عَلَيْكُمْ كفيلا انّ الله يَعْلَمُ ما تَفْعَلُونْ)(۱) . ولكن القوم كانوا بعيدين عن المنطق، قريبى القعر، سـمعوا أدلّة الإمام ولم يجيبوا عنها بشـىء إلّا بتضليله والبراءة منه.وسوف نرجع إلى تحليل هذا ــــــــــــــــــ

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّین ۵۸۹ . (۷۹)

الوجه عند البحث عن الاباضیّة. وأمّا الوجه الثانی: أعنی کون هذا تحکیماً للرجال فی دین الله: وهو خطأ. إنّ الإمام وأصحابه لم یحکّموا الرجال فی دین الله بل حکّموا القرآن والذکر الحکیم فیما اختلفوا فیه ولکن القرآن شجرة یانعة وحجة صامتة لا تجتنی ثمرته ولا ـ یعلم مقاصده إلّا بمن ینطقه وإلی ذلک یشیر الإمام فی بعض خطبه: «إنّا لم نحکّم الرجال وإنّما حکّمنا القرآن، هذا القرآن انّما هو خط مسطور بین الدفتین لا ینطق بلسان ولابدّ له من ترجمان، وانّما ینطق عنه الرجال، ولمّا دعانا القوم إلی أن نحکّم بیننا القرآن لم نکن الفریق المتولّی عن کتاب الله سبحانه وتعالی، وقد قال الله سبحانه: (فَإنْ تَنازَعْتُمْ فی شیء فَرِدُّهُ إلی اللهِ وَ الرسول) فردّه إلی الله أن نحکم بکتابه، وردّه إلی الرسول أن نأخذ بسنّته، فإذا حکم بالصدق فی کتاب الله فنحن أحق النّاس وأولاهم بها»(۱). وفی کلام آخر له: «فانّه حکم الحکمان لیُحییا ما أحیا القرآن ویمیتا ما أمات القرآن، وإحیاؤه الاجتماع علیه، وإماتته الافتراق عنه، فإن جرّنا القرآن إلیهم، اتبعناهم، وإن جرّهم إلینا اتبعونا، فلم آت ـ لا أباً لکم ـ بُجراً ولا خَتلْتکم عن أمرکم، ولا لبستُه علیکم، انّما اجتمع رأی مَلَئکم علی اختیار رجلین أخذنا علیهما ألّا یتعدَّیا القرآن (۲). وقد جاء فی نفس المیثاق الذی أملاه علی التصریح بأنّ الحکم هوالقرآن، وانّ دور الحکمین هو انطاق القرآن فی محلّ النزاع وقد جاء فی _____

۱. الرضی: نهج البلاغة، الخطبة ۱۲۵.

۲. الرضی: نهج البلاغة، الخطبة ۱۲۷. (۸۰)

المیثاق قوله: «وان کتاب الله سبحانه وتعالی بیننا من فاتحته إلی خاتمته نحیی ما أحیا القرآن ونمیت ما أمات القرآن فان وجد الحکمان ذلک فی کتاب الله اتّبعناه، وإن لم یجداه أخذا بالسنّة العادلة غیر المفرقة»(۱). وبعد هذه الکلم الواضحة، المعربة عن حقیقة الحال، کان اصرارهم علی نقض المیثاق صادراً عن جهل وعجز فی الرأی. وأمّا الوجه الثالث: أی أنّه یستلزم من قبول التحکیم کونهم ضالّین فی نضالهم وجهادهم طیلة شهور، وانّ الدماء التی اُریقت، انّما اُریقت فی غیر وجه الحق، فهو أوهن من الوجهین السابقین، وذلک لأنّه سبحانه کما أمر بالقتال والنضال فی کتابه وقال: (قاتِلُوا الَّذِیْنَ لا یُؤْمِنُونَ بِالله وَ لا بِالْیَوْمِ الآخِرِ....)(۲). وقال سبحانه: (وَقاتِلُوهُمْ حَتّی لا تَکُونَ فِتْنَةٌ وَیَکُونَ الدِینُ کُلُّهُ لله...)(۳) کذلک أمر بالصلح والسلم فی غیر واحد من آیاته، وقال: (وَان جَنَحُوْا لِلسَّلْمِ فَاْجْنَحْ لَها وَتَوَکَّلْ عَلَی اللهِ....)(۴) وقال سبحانه: (وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤمِنِینَ اقْتَتَلُوْا فَاَصْلِحُوْا بَیْنَهُما فَإنْ بَغَتْ إحْدیهُما عَلی الاُخْری فَقاتِلُوا التِی تَبْغِی حَتّی تَفِیء إلَی أمْرِ الله فَإنْ فَآتْ فَأَصْلِحُوا بَیْنَهُما بالْعَدْلِ _____

۱. الطبری: التاریخ ۴/۳۸ .

۲. التوبة: ۲۹ .

۳. الأنفال: ۳۹ .

۴. الأنفال: ۶۱ . (۸۱) وَأَقْسِطُواْ إنَّ اللّهَ یُحِبُّ المُقْسِطِینَ)(۱) الصلح والایقاف لیسا دلیلا علی أنّ الدماء الّتی اُرقیت إنّما اُرقیت فی غیر وجه الحقِ، وعلی ذلک فکل من الحرب والصلح، والنضال والموادعة حکم من أحکام القرآن، یطبّق کل فی مورده وذلک حسب مایراه الحاکم الإسلامی وعلی ذلک جرت سیرة الرسول الأکرم، فقد ناضل قریشاً فی بدر واُحد وقاتلهم فی الأحزاب، وقد اُریقت من دماء المسلمین مالایستهان بها، ومع ذلک فقد صالح قریشاً فی الحدیبیة، وکتب بینه وبینهم میثاق الصلح علی ما مرّ الإیعاز إلیه فی کلام علی ـ علیه السَّلام ـ حتّی انّ قریشاً أبوا أن یکتب «رسول الله» إلی جانب اسمه، وألزموه بتجرید اسمه عن الرسالة کما أبی معاویة وعمروبن العاص إلاّ ـ أن یکتب اسم علیّ مجرّداً عن الإمارة، فکان فی ذلک اقتداء بالنبی، فالدماء التی اُرقیت فی ساحات القتال إذا کانت لوجه الله فلا تنقلب عمّا علیه، وأصحابها شهداء، أحیاء عند ربهم یُرزقون، ولا یأبی ذلک أن یصالح القائد الإسلامی إذا اقتضت المصلحة لظروف مختلفة، مع العدو وکلا الحکمین حکم الله. وأمّا الوجه الرابع: فقد أجاب عنه الإمام بعد ما قام إلیه رجل من أصحابه فقال: نهیتنا عن الحکومة ثمّ أمرتنا بها فلم ندر أیّ الأمرین أرشد؟ فصفق ـ علیه السَّلام ـ إحدی یدیه علی الاُخری ثم قال: «هذا جزاء

من ترک العُقْدة(۲) أما والله لو انّی حین أمرتکم به، حملْتُکم علی المکروه الذی یجعل الله فیه خیراً، فان استقمتم هدیتکم، وإن اعوججتم قوّمتکم، وإن ابیتم تدارکتم، لکانت الوثقی، ولکن بِمَنْ وإلی مَنْ؟ اُرید أن _____

۱. الحجرات: ۹ .

۲. العقدة: الرأی الوثیق. (۸۲)

اُدوای بکم وأنتم دائی»(۱) . أقول: إنّ القوم کانوا بُعَداء عن التفکیر الصحیح فزعموا أنّ هنا تناقضاً فی الرأی، مع أنّه لا منافاة بینهما بعد فرض اختلاف ظرف الحکمین، ففیما کان الإمام قائداً مُطاعاً، کان الحق هو مواصلة الحرب، ولذاک کان یصرّ علی المواصلة، وعند ما عُصِیَ، وخُولِفَ، لم یکن بدّ من التنازل إلی الحکم ألآخر، فلا الإیقاف یبطل حکم القتال وأجر الشهداء ولا الحکم بالقتال یلازم بطلان الهدنة وعدم صحّته إذا اقتضت المصلحة ذلک وفقاً لا ختلاف الظروف. * * * _____

۱. الرضی: نهج البلاغة، الخطبة ۱۲۱ . (۸۳)

الفصل الرابع تحرّکاتهم السیاسیّة بعد مبدأ

الفصل الرابع تحرّکاتهم السیاسیّة بعد مبدأ التحکیم (۸۴) (۸۵) لمّا تمّت الإتفاقیة، وشهد علیها شهود، وقُرِأت علی الناس، انسحب معاویة إلی جانب الشام، وتوجّه الإمام نحو الکوفة مع جیشه وأصحابه ورافقه المعترضون علی التحکیم الذین عرفوا بالمحکِّمة، فدخل الإمام الکوفة دار هجرته وامتنعت المحکِّمة عن الدخول، وذهبوا إلی قریة «حروراء» کما ذهب قسم منهم إلی معسکر نخیلة اعتراضاً علی علیّ وحکْمِهِ. وقد أعربوا بعملهم هذا أنّهم متخلِّفون عنه، وعن أوامره، وخارجون عن طاعته، ولقد کان لهم ألوان متفاوتة فی مخالفتهم ولکن الجمیع یشترکون فی کونها ردود فعل لما آل له التحکیم ونذکر أبرزها: ۱ ـ التظاهر ضد علی ـ علیه السَّلام ـ بقولهم «لا ـ حکم إلاّ ـ لله» فی المسجد وخارجه خصوصاً عند قیام الإمام بالقاء الخطب. ۲ ـ تکفیر علیّ ـ علیه السَّلام ـ وأصحابه الذین وفوا بالمیثاق. ۳ - تأمین أهل الکتاب وارهاب المسلمین وقتل الأبریاء. وأمّا ما قام به الإمام فی مقابل هذه المواقف فکلّها ینبع عن عطفه وحنانِه علی الأعداء وصبره الجمیل تجاه المآسی، وإلیک بیانه: (۸۶) ۱ - قام علیّ ـ علیه السَّلام ـ بتبیین موقفه من کتاب الصلح وانّه ما أمضاه إلاّ باصرار منهم وإرهاب ضدّه. ۲ - التعامل معهم کسائر المسلمین فی الجوائز والعطایا. ۳ ـ بعث شخصیات کبیرة لهدایتم، وارجاعهم عن غیّهم. ۴ - محاولة أخذ الثأر من قتلة عبدالله بن خباب بن الارت وزوجته عندما قتلا بایدی سفلة الخوارج وإلیک بیان الجمیع: الف ـ التظاهر ضدّ علیّ ـ علیه السَّلام ـ : روی الطبری: «لمّا وقع التحکیم ورجع علیّ من صفیّن، رجعوا متباینین له، فلمّا انتهوا إلی النهر أقاموا به، فدخل علیّ فی الناس الکوفة ونزلوا بحروراء وبعث إلیهم عبدالله بن عباس فرجع ولم یصنع شیئاً، فخرج إلیهم علیّ فکلّمهم(۱) حتی وقع الرضی بینه و بینهم، فدخلوا الکوفة، فأتاه رجل فقال، إنّ النّاس قد تحدّثوا أنّک رجعت لهم عن کفرک، فخطب الناس فی صلاة الظهر فذکر أمرهم فعابه، فوثبوا من نواحی المسجد یقولون: لا ـ حکم إلاّ ـ لله، و استقبله رجل منهم واضعاً إصبعه فی اذنیه، فقال: «وَلَقَدْ أوحی إلَیْکَ وإلی الَذینَ مِنْ قَبْلِکَ لَئِنْ اَشْرَکْتَ لَیَحْبِطَنَّ عَمَلکَ وَلَتَکُونَنَّ مِنَ الخاسِرین». فقال علیّ: «فاصْبِر إنَّ وَعَدالله حقٌّ ولا یَستَخفنّک الذین لا یوُقِنون»(۲). وببالی ورد فی بعض المصادر: انّ الرجل صاح بالآیة و الإمام فی اثناء الصلاة، فأجابه الإمام بتلاوة الآیة التی عرفتها. _____

۱. سیوافیک ما تکلم به معهم فی خاتمة المطاف .

۲. الطبری: التاریخ ۴/۵۴ . (۸۷) ب ـ تکفیر علیّ و أصحابه: أکبر کلمة کانت تصدر من أفواه الخوارج هو تکفیر علیّ لأجل قبول التحکیم وکأنّه خطیئة وارتکاب الخطیئة عندهم کفر، کما هو أحد اُصولهم التی نبحث عنها عند عرض عقائدهم، ویکفی فی ذلک ما نقله الطبری فی مذاکرة علی مع حرقوص بن زهیر السعدی، وزرعة بن برج الطائی ومرّ النصّ فی أوّل الفصل السابق. وإلی هذا یشیر الإمام فی بعض کلامه حیث قال لهم: «أصابکم حاصِب(۱) ولابقی منکم آبِر(۲)، أبعد إیمانی بالله، وجهادی مع رسول الله ـ صلّی الله

عليه وآله وسلم ـ أشْهَدُ على نفسى بالكفر؟ لقد ضللت اذاً وما أنا من المهتدين، فاوبوا شرّمآب، وارجعوا على أثر الأعقاب، أما انّكم ستلقون بعدى ذلّا شاملا و سيفاً قاطعاً وإثرة(۳) يتخذها الظالمون فيكم سنّة»(۴). ج ـ قتل الأبرياء: و المدهش من أخبارهم انّهم كانوا يقتلون المسلمين ويجيرون المشركين و أهل الكتاب. روى المبّرد فى كامله: إنّ القوم مضوا إلى النهروان، وقد كانوا أرادوا المضى إلى المدائن فأصابوا فى طريقهم مسلماً و نصرانياً، فقتلوا المسلم، لأنّه عندهم كافر، إذكان على خلاف معتقدهم، واستوصوا بالنصرانى وقالوا: _____

۱. الحاصب: الريح الشديدة التى تثير الحصباء .

۲. الآبر: الذى يأبّر النخل أى يصلحه .

۳. الاثرة: الاستبداد عليهم بالفئ و الغنائم، قال: النبى للأنصار:«ستلقون بعدى إثرة فاصبروا حتى تلقونى» .

۴. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۵۸. (۸۸)

احفظوا ذمّة نبيّكم. قال المبّرد: وحدثت أنّ واصلَ بن عطاء أقبل فى رفقة فاحسُّوا بالخوارج، فقال واصل لأهل الرفقة: إنّ هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعونى وإيّاهم، وكانوا قد أشرفوا على العطب. فقالوا: شأنّك، فخرج إليهم، فقالوا: ما أنت و أصحابك فقال: قوم مشركون مستجيرون بكم ليسمعوا كلام الله، ويفهموا حدوده. قالوا: قد أجرناكم، قال: فعلِّمُونا، فجعلوا يعلِّمُونَهم أحكامَهم، ويقول واصل: قد قبلت أنا ومن معى. قالوا: فامضوا مصاحبين فقد صرتم اخواننا. فقال: بل تبلغوننا مأمننا. لأنّ الله تعالى يقول:«و إنْ إحدٌ مِنَ المُشْرِكينَ استَجارَكَ فَأَجِرْهُ حَتى يَسمَعَ كلامَ الله ثُمَّ اَبْلِغْه مأْمَنَهُ»(۱) فنظر بعضم إلى بعض، ثم قالوا: ذاك لكم، فصاروا معهم بجمعهم حتّى ابلغوهم المأمن(۲). ومع ذلك قتلوا عبدالله بن خباب بن الارت ـ كما سوافيك بيانه فى الفصل القادم ـ وبقروا بطن زوجته المتم. وأمّا السياسة الحكيمة التى مارسها الإمام ازاء أعمالهم قبل تحركاتهم العسكرية فقد وقفت على رؤوسها، وإليك الإيعاز إليها ثانياً ليقع مقدمة للشرح والتبيين. ۱ - تبيين موقفه فى مسألة التحكيم، وانّه لم يكن راضياً به وفرض عليه بارهاب. ۲ - التعامل معهم كسائر المسلمين. _____

۱. التوبة: ۶ .

۲. المبرّد: الكامل ۲/۱۲۲ مكتبة المعارف بيروت، و ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۲/۲۸۱، و المبرد متهم ـ عند ابن أبى الحديد ـ بالميل إليهم، و لكنا سبرناكامله، فلم نر شيئاً يدلّ عليه، غير انّه سرد تاريخهم و فى بعض الموارد طعن بهم. (۸۹) ۳ - بعث الشخصيات لارجاعهم عن غيّهم. و إليك بيان كل ذلك. ۱ - الإمام يبيّن موقفه من التحكيم: قام الإمام بتبيين موقفه فى مسألة التحكيم وانّه لم يكن ضلالا فى نفسه ولا ـ كان الإمام مخادعاً، فقال فى بعض كلماته: «فلم آت لا ـ أباً لكم بُجْراً، ولا ـ خَتَلْتُكم عن أمركم، ولا ـ لبّستُه عليكم، و إنّما اجتمع رأى مَلَئِكُم على اختيار رجلين...»(۱). هذا نموذج من كلماته حول التحكيم حيث بيّن فيها موقفه فى هذه المسألة و انّه كان طبق الكتاب و السنّة فلنكتف بذلك و لنرجع الى ما بقى من السياسة الحكيمة التى مارسها معهم. ۲ - التعامل معهم كسائر المسلمين: تعامل الإمام مع الخوارج كسائر المسلمين ولم ينقص من حقوقهم شيئاً مادام لم يشنّوا الحرب عليه، روى الطبرى عن كثير الحضرمى قال: قام علىّ فى الناس يخطبهم ذات يوم، فقال رجل من جانب المسجد: لا حكم إلّا لله، و قام آخر فقال مثل ذلك، ثم توالى عدّة رجال يحكمون، فقال علىّ: الله أكبر كلمة حقّ يراد بها باطل أما انّ لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتمونا: لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، و لانمنعكم الفىء مادامت أيديكم مع أيدينا، ولانقاتلكم حتّى تبدؤنا، ثمّ رجع إلى مكانه الذى كان من خطبته(۲) _____

۱. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۱۲۷.

۲. الطبرى: التاريخ ۴/۵۳ . (۹۰) ۳ - بعث الشخصيات لإرجاعهم عن غيّهم: قام الإمام بإرسال أكابر أصحابه رجاء هداية بعضهم، فبعث عبدالله بن عبّاس الى معسكرهم فجرى بينه و بينهم مفاوضات ذكرها المؤرّخون، قال المبرّد: إنّ أميرالمؤمنين لمّا وجّه إليهم

عبدالله بن عبّاس ليناظرهم قال لهم: ما الذى نقمتم على أميرالمؤمنين، قالوا له: قد كان للمؤمنين أمير، فلمّا حكم فى دين الله خرج من الإيمان، فليتب بعد اقراره بالكفر نَعُدْ إليه، قال ابن عباس: ما ينبغى لمؤمن لم يشب إيمانه بشك ان يقر على نفسه بالكفر، قالوا: إنّه حكّم، قال: إنّ الله أمر بالتحكيم فى قتل صيد فقال: (يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدَل مِنْكُمْ)(۱) فكيف فى إمامة قد أشكلت على المسلمين؟ فقالوا إنّه حكم عليه فلم يرض، فقال: إنّ الحكومة كالإمامة، متى فسق الإمام وجبت معصيته، و كذلك الحكمان لمّا خالفا نبذت أقاويلهما، فقال بعضهم لبعض: اجعلوا احتجاج قريش حجّة عليهم، فإنّ هذا من الذين قال الله فيهم (بَلْ هُمْ قَومٌ خَصِمُونَ)(۲) وقال جلّ ثناءه: (وَلتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً)(۳). إنّ حوار ابن عباس معهم كان حجّة دامغة فقد احتجّ عليهم بالقرآن فما أجابوه بشىء . والعجب انّهم كانوا يرون التحكيم على خلاف الكتاب و السنّة وانّ الرضا به بمنزلة الكفر، و مع ذلك كانوا يصرّون على انّه يجب على الإمام أن يخضع لنتيجة التحكيم، فإنّ الحكمين لمّا عزلاه عن مقام الحكومة يجب عليه التنازل. فما هذا التناقض بين المبدأ والنتيجة، والتحكيم عندهم كفر وزندقة ولكن

۱. المائدة: ۹۵ .

۲. الزخرف: ۵۸ .

۳. مريم: ۹۷ . (۹۱)

الأخذ بنتيجته عين التوحيد و التديّن، كل ذلك يعرب عن وجود العمى فى القلوب و الصمم فى الأسماع . ثمّ انّ الإمام لم يكتف ببعث ابن عمه بل قام بنفسه بهذا الأمر الخطير، فركب على ـ عليه السَّلام ـ إلى حروراء، فخاطبهم بقوله: ألا تعلمون أنّ هؤلاء القوم لمّا رفعوا المصاحف، قلت لكم إنّ هذه مكيدة ووهن، و انّهم لو قصدوا إلى حكم المصاحف لآتونى وسألونى التحكيم؟ أفتعلمون أنّ أحداً كان أكره للتحكيم منّى؟ قالوا: صدقت، قال: فهل تعلمون أنّكم استكرهتمونى على ذلك حتى أجبتكم إليه، فاشترطت أنّ حكمهما نافذ ما حكما بحكم الله، فمتى خالفاه، فأنا و أنتم من ذلك براء، و أنتم تعلمون أنّ حكم الله لايعدونى، قالوا: اللّهم نعم، قال: و كان معهم فى ذلك الوقت ابن الكواء (قال: و هذا من قبل أن يذبحوا عبدالله بن خباب، وانّما ذبحوه فى الفرقة الثانية بـ «كسكره») فقالوا له: حكمت فى دين الله برأينا ونحن مقرّون بأنّا كنّا كفرنا، و لكنّا الآن تائبون فَأَقِرّ بمثل ما أقررنا به، وتب ننهض معك إلى الشام، فقال: «أما تعلمون أنّ الله تعالى قد أمر بالتحكيم فى شقاق بين رجل وامرأته»، فقال سبحانه: (فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أهْلِهِ وحَكَماً مِنْ أهلِهآ) وفى صيد اصيب كأرنب يساوى نصف درهم فقال (يَحْكُمْ بِهِ ذَوا عَدْل مِنْكُمْ) . فقالوا له: فإنّ عمراً لمّا أبى عليك أن تقول فى كتابك: «هذا ما كتبه عبدالله على أميرالمؤمنين» محوت اسمك من الخلافة و كتبت «على بن أبى طالب» فقد خلعت نفسك، فقال: لى فى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ أسوة حين أبى عليه سهيل بن عمرو أن يكتب: «هذا كتاب كتبه محمّد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ و سهيل بن عمرو» وقال له: لو أقررت بأنّك رسول الله ما خالفتك، ولكنّى اُقدمّك لفضلك، فاكتب «محمّد بن عبدالله» (۹۲)

فقال لى: يا على، امح «رسول الله» فقلت: يا رسول الله لا تسخو نفسى على محو اسمك فى النبوّة فقال: قفنى عليه، فمحاه بيده، ثم قال: «اكتب محمّد بن عبدالله» ثم تبسّم إلىّ وقال: يا علىّ، أما أنّك ستسامُ مثلها فتعطى، فرجع معه منهم ألفان من حروراء وقد كانوا تجمّعوا بها فقال لهم على ـ عليه السَّلام ـ مانسميّكم؟ ثم قال: أنتم الحرورية، لاجتماعكم بحروراء(۱). وللامام خطبة اُخرى بيّن فيها شبهة الخوارج و أجاب عنها بشكل واضح، فمن أراد فليرجع إلى «نهج البلاغة» (۲) هذا بعض ما مارَسَه الإمام تجاه غيّهم و كلّها تكشف عن سعة صدره، وقوّة صبره، واخلاصه فى الدين، و لكّن القوم تمادوا فى طغيانهم و أعادوا فى خواتيم أمرهم، ما تظاهروا به فى بدء غوايتهم، غير انّهم لم يكتفوا به فأراقوا دماء طاهرة، فلم يكن بدّ للامام من قطع مادة الفساد، فما قام بالمواجهة المسلّحة إلاّ بعدما بذل كل ما فى وسعه من النصح و الإرشاد، و بعد أن بلغ السيل الزبى، فردّ الحجر من حيث جاء. ***

۱. المبرّد: الكامل ۲/۱۳۵-۱۳۶ ط مكتبة المعارف و له كلام معهم ذكره المبرّد أيضاً فى ۲/۱۵۶. نأتى به عند محاكمة الأشعث فانتظر،

ابن أبی الحدید: شرح نهج البلاغة ۲/۲۷۴-۲۷۵.

۲. نهج البلاغة، الخطبة ۱۲۷ .

الفصل الخامس موقف الإمام من رأی الحکمین

الفصل الخامس موقف الإمام من رأی الحکمین (۹۴) (۹۵) لقد صالح الامام معاویة و أوکل الأمر الی الحکمین فی ثلاثة عشر خلت من شهر صفر عام ۳۷ من الهجرة، و اتّفقا علی أنّ الحکمین یجتمعان بدومة الجندل لیرفعا ما رفع القرآن، و یُخَفِضّا ما خفّض القرآن، وقد اجتمعا هناک فی شعبان ذلک العام، و کانت النتیجة أن خلع أبو موسی الإمام عن الخلافة، و نصب عمروبن العاص معاویة بن أبی سفیان إماماً للمسلمین، کل ذلک بخداع معروف فی التاریخ، حیث اتّفقا سرّاً علی أن یخلعا علیاً و معاویة عن الحکم حتی یولیّ المسلمون لأنفسهم والیاً، ولمّا أرادا الإدلاء برأیهما خدع عمروبن العاص أباموسی الأشعری فقال له: تقدَّم وأدل برأیک، فقال: یا أیّها الناس إنّا قد نظرنا فی أمر هذه الاُمّة فلم نرأصلح لأمرها، و لا ألمّ لشعثها من أمر قد جمع رأیی ورأی عمروعلیه، و هو أن نخلع علیاً ومعاویة و تستقبل هذه الاُمة الأمر فیولّوا منهم من أحبّوا علیهم، وانّی قد خلعت علیاً و معاویة فاستقبلوا أمرکم وولّوا علیکم من رأیتموه لهذا الأمر أهلا، ثم تنحّی و أقبل عمروبن العاص فقام مقامه فحمدالله و أثنی علیه و قال: إنّ هذا قد قال ما سمتعم و خلع صاحبه و أنا أخلع صاحبه کما خلعه و اُثبِتُ صاحبی معاویة فإنّه ولی عثمان بن عفان(رضی الله عنه) (۹۶)

والطالب بدمه و أحقّ الناس بمقامه، فقال أبو موسی: مالک لا وفّقک الله غدرتَ و فجرت(۱)إنّما مثلک مثل الکلب إن تحمل علیه یلهث أو تترکه یلهث، قال عمرو: إنما مثلک کمثل الحمار یحمل أسفاراً، و حمل شریح بن هانی علی عمرو فقنعه بالسوط و حمل علی شریح ابن لعمرو فضربه بالسوط، و قام الناس فحجزوا بینهم، وکان شریح بعد ذلک یقول: ما ندمت علی شیء ندامتی علی ضرب عمرو بالسوط ألا أکون ضربته بالسیف آتیاً به الدهر ماأتی، و التمس أهل الشام أباموسی فرکب راحلته و لحق بمکّة، قال ابن عباس: قبّح الله رأی أبی موسی حذّرته و أمرته بالرأی فما عقل، فکان أبوموسی یقول: حذّرنی ابن عباس غدرة الفاسق ولکنّی إطمأننت الیه و ظننت أنّه لن یؤثِرَ شیئاً علی نصیحة الاُمّة، ثم انصرف عمرو وأهل الشام الی معاویة وسلّموا علیه بالخلافة، ورجع ابن عباس و شریح بن هانی الی علی ـ علیه السَّلام ـ و کان إذا صلّی الغداة یَقْنُتُ فیقول: اللّهمّ إلعن معاویة و عمراً و أباالأعور السلمی و حبیباً و عبدالرحمن بن خالد و الضحاکَ بن قیس و الولید، فبلغ ذلک معاویة فکان اذا قنتَ لعن علیاً و ابن عباس و الأشتر و حسناً و حسیناً. وزعم الواقدی انّ اجتماع الحکمین کان فی شعبان سنة ۳۸ من الهجرة(۲). لمّا بلغ علیاً ماجری بین الحکمین من الحکم علی خلاف کتاب الله و سنّة رسوله و غدر عمروبن العاص و انخداع أبی موسی قام خطیباً، رافضاً ما حکم به الحکمان الجائران، وقال:

---

۱. هذا من الصحابة العدول عند القوم، فاقض ما أنت قاض فهذا الصحابی یصف زمیله بالفجور و الغدر، و الجمهور یصفون الجمیع بالتقی و العدل .

۲. الطبری: ۴/۵۱-۵۲. و ما نقله عن الواقدی غیر صحیح لما عرفت سابقاً: انّه کان اللازم علی الحکمین الإدلاء برأیهما قبل انقضاء موسم الحج و قد اتفق الطرفان فی صفر عام ۳۷. فکیف یکون الاجتماع عام ۳۸؟. (۹۷) «الحمدلله و إن أتی الدهر بالخطب الفادح، و الحدث الجلیل، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شریک له، لیس معه إله غیره، و أنّ محمّداً عبده و رسوله، صلّی الله علیه». أمّا بعد: فإنّ معصیة الناصح، الشفیق العالم، المجرَّب، تورث الحسرةَ، وتَعْقِبْ الندامة، وقد کنت أمرتکم فی هذه الحکومة أمری، و نخلت لکم مخزون رأیی، لوکان یطاعُ لقصیر أمر، فأبیتم علیّ اباء المخالفین الجفاة، و المنابذین العصاة، حتّی ارتاب الناصُح بِنُصحه، و ضنَّ الزنْدُ بقَدْحِه، فکنت أنا و إیاکم کما قال أخو هوازن: أمرتکم أمری بمنعَرَج اللّوی * فلم تستبینوا النصح إلّا ضحی الغد(۱) صدق الإمام، انّ من الخطب الفادح، و الحدث الجلیل، خلع صدّیق الاُمّة و أوّل من آمن برسالة النبی الأکرم و صدّق به و بات فی فراشه، دفعاً لریب

المنون، وجاهد فى سبيل الله بنفسه و نفيسه و شهد المعارك كلها إلّا تبوك، (و كان ذلك بأمر النبى)، الى غير ذلك من فضائل و مناقب و مآثر جمّة اعترف بها الصديق و العدّو و القريب و النائى . إنّه من المصائب العظام نصب معاوية بن أبى سفيان الطليق بن الطليق، ابن آكلة الأكباد، للخلافة و الزعامة الإسلامية، و أنّى هو من الإسلام، و هو ثمرة الشجرة الخبيثة الملعونة فى القرآن، أو ليس هذا من أدهى الدواهى؟ ولإجل ذلك نرى انّ الإمام يصف تلك الحادثة المريرة، بالخطب الفادح و الحديث الجليل. هذا ما يرجع الى نفس الخلع و النصب وأمّا ما كان يرجع الى الحكمين فكان عليهما قبل ادلاء الرأى فى حقّ علىّ و معاوية، دراسة الأسباب التى أدّت _____

۱. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۳۵. (۹۸)

الى إشعال نار الفتنة و اراقة الدماء الطاهرة حيث أسفرت حرب صفين عن مقتل خمسة وأربعين ألف نفر من جيش معاوية، و شهادة خمسة و عشرين ألف نفر من جيش الإمام على بن أبى طالب(۱) كلّ ذلك لأجل الأخذ بثأر شخص واحد، أفيصح فى ميزان العدل و النصفة أن تزهق هذه النفوس كلّها مقابل ذلك؟ فهل كان الأساس لشنّ الحروب على علىّ ـ عليه السَّلام ـ هو حكم القرآن الكريم و السنّة النبويّة؟ وهل هما يسوّغان لأخذ ثأر انسان واحد، ارتكاب تلك الجنايات الهائلة؟ أو أنه كان أخذ الثأر واجهة لما يطمح إليه معاوية من دفع الإمام عن مقامه و ركوبه منصّة الخلافة، أو إلجاء علىّ إلى ابقاء ابن الطلقاء فى المقام الذى كان يُشْغِلُه طيلة خلافة الخليفتين كما طلبه من الإمام قبل الحرب و خلالها؟ كان على الحكمين دراسة المواضيع التالية حتى يتبين من له الحق عمّن عليه و هى: ۱ ـ دراسة الأسباب التى أدّت الى قتل الخليفة عثمان، وهل كان هناك مبّرر لقتله أو لا؟ ۲ ـ إنّ قيادة الإمام بعد قتل عثمان هل كانت قيادة قانونية و شرعية، حيث بايعه المهاجرون و الأنصار و تمت البيعة له فى مسجد النبى الأكرم ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ بمرأى و مسمع من الناس من دون أىّ جبر و إكراه؟! و لم تكن هناك بيعة أصلا، أو كانت البيعة عن إكراه لاعن اختيار؟ ۳ـ اذا خرج الباحث من دراسة الأمر الثانى بأنّ قيادة الإمام كانت قيادة شرعية هل كان هناك مبّرر لمعاوية لرفض بيعة المهاجرين و الأنصار، و تأخير بيعته الى أن يقوم بأخذ الثأر، ويدفع الإمام إليه قتلة الخليفة و كأنّه هو الخليفة _____

۱. نصربن مزاحم: وقعة صفّين ۶۴۳ . (۹۹)

ـ معاوية ـ؟ و هل يكون معاوية بعمله و رفضه و خروجه باغياً على الإمام المفترض طاعته و قد جاء حكم الباغى فى الذكر الحكيم(۱). أو كان على معاوية أن يدخل فى جماعة المسلمين و لايشُق عصاهم بالتقاعس عنه، ثم يرفع الخصومة الى صاحب البيعة فيرى رأيه. ۴ ـ اذا ثبت أنّ عثمان قتل مظلوماً فى عقر داره و انّه يجب أخذ ثاره من قتلته، فعندئذ يقع الكلام فى أنّ أخذ الثار هل هو وظيفة الخليفة أو وظيفة معاوية أو لا هذا ولا ذاك، و إنّما هو راجع الى ولد عثمان؟ ۵ ـ نفترض أنّ أخذ الثار وظيفة الإمام، فهل كان ـ صلوات الله عليه – قادراً على تنفيذ حكم القصاص أو كانت الظروف السائدة لا تسمح بذلك؟ ۶ ـ اذا كان طلحة و الزبير فى نكث البيعة، و فى اخراج زوجة الرسول من بيتها ـ وقد امرت بالمكث فيه ـ وفى اخراج عامل الإمام من البصرة و قتل حرسه الى غير ذلك من الأُمور التى أدّت الى حرب الجمل، اذا كانا فى هذه الأُمور معذورين، مجتهدين، و ان كانا مخطئين، فهل يصحّ تبرير عمل قتلة عثمان بالخطأ فى الاجتهاد أولا؟ ۷ ـ و على فرض لزوم الاقتصاص و رفض اجتهادهم فهل لخليفة العصر، العفو عن القصاص و ابداله بالديّة كما فعله عثمان فى حقّ عبيدالله بن عمر حين قتل هرمزان، و جفينة بنت أبى لؤلؤ بلا ذنب؟(۲). هذه هى المواضع الهامّة التى كانت دراستها أمراً مفروضاً على الحكمين حتّى يخرجا مرفوعى الرأس محيين ما أحياه القرآن و مميتين ما أمات، غير أنّ الحكمين ـ ياللأسف – لم يَنْبَسا فيها ببنت شفة ومرّا عليها مرور اللئام و لكن _____

۱. الحجرات: ۹ .

۲. الطبرى: التاريخ ۳/۳۰۵ . (۱۰۰)

لا ـ محيص للباحث المحقق عن قيمة رأى الحكمين من دراستها، ولأجل ذلك نبحث عنها بإيجاز، حتّى يقف القارىء على أنّ رأى

الحكمين كما وصف أمير المؤمنين كان خطباً فادحاً و اليك دراستها: إنّ دراستها على وجه التحقيق تحوجنا الى تأليف مفرد لايناسب وضع الكتاب، غير انّا نشير إليها إشارة عابرة، و نلمع إليها إلماعاً بسيطاً. أوّلا: قد تعرّفت على بعض الأسباب التى أدّت الى قتل الخليفة و الفتك به، و انّ الاستبداد بالرأى، و تسليط بنى أميّة على رقاب الناس، و تخصيص كميّة هائلة من بيت المال لأصحاب الترف و البذخ من أبناء بيته، و تسيير صلحاء الأُمّة من الصحابة و التابعين عن المدينة المنوّرة إلى منافيهم، و أخيراً تعدّى عمّاله و ولاته فى العراق و مصر على الطبقات الوسطى، و الفقيرة من المجتمع و.... كل هذه أدّت إلى انتشار السخط و الغضب على الخليفة و عُمّاله إلى أن جنى ثمرة عمله فقتل فى عقر داره وبين أبنائه و نسائه بمرأى و مسمع من المهاجرين و الأنصار، و هم بين مجهز عليه، و مؤلّب وراض و محايد. و القضاء فى مثل هذه المسألة من صلاحية لجنة عارفة بالكتاب و السنّة، واقفة على حياة الخليفة و ما قام به من الأعمال، و ما نقم عليه من الأفعال حتى تصدر ـ بعد سماع حجج الثائرين ـ عن مصدر قويم و مثل هذه المشكلة لا تحل عقدتها فى ساحة الحرب، بل فى جوّ هادئ، يكون القاضى فيه مستقّلا فى الرأى، و حرّاً فى التفكير و التعبير، و نحن لاندخل فى هذه المعركة الخطيرة، نترك القضاء فيها إلى تلك اللجنة الخبيرة و نعطف عنان البحث إلى الموضوع الثانى. ثانياً: إنّ من سبر التاريخ يقف على أنّ بيعة الإمام كانت بيعة شعبية جماهيرية، ولم يكن لها مثيل فى تاريخ الخلافة الإسلامية، فاذا قلت: لم يكن لها مثيل فى تاريخ الخلافة فإنّما اقولها عن بيّنة و دليل فإنّ الخليفة (۱۰۱)

الأوّل قد خرج عن السقيفة ببيعة لفيف من المهاجرين من الأنصار و تخلّف عن بيعته بنو هاشم و الخزرجيون عامة. كما انّ عمر بن الخطاب تسنّم منصة الخلافة بإيصاء من الخليفة و لم يكن هناك للناس أىّ رأى ولااختيار. و قد كانت خلافة عثمان بانتخاب الشورى التى عَيَّنَ أعضاءها الخليفة الثانى ولم يكن للمهاجرين و الأنصار أىّ نظر فى تعيين تلك الشورى . فإذا كان كلّ ذلك معطياً للخلافة، الصبغة القانونية، فبيعة المهاجرين و الأنصار عليّاً هاتفين بأنّهم لايختارون غيره و فيهم الرعيل الأول من صحابة الرسول و التابعين لهم بإحسان، أولى بأن تكون شرعية و قانونية. و اتّفق الباحثون عن كيفية انعقاد الامامة لرجل، على انّ بيعة أهل الحل و العقد من أهل المدينة حجّة على عامّة المسلمين. يروى الطبرى عن محمّد بن الحنيفة قال: كنت مع أبى حين قتل عثمان (رضى الله عنه) فدخل منزله فأتاه أصحاب رسول الله فقالوا: إنّ هذا الرجل قد قتل، ولابدّ للناس من إمام، ولانجد اليوم أحداً أحق بهذا الأمر منك، ولاأقدمَ سابقة ولاأقرب من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ فقال: لا تفعلوا، فإنّى أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً، فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتّى نبايعك، قال: ففى المسجد، فإنّ بيعتى لا تكون خفيّة، ولا تكون إلّا عن رضى المسلمين، قال: سالم بن أبى الجعد: فقال عبدالله بن عبّاس: فلقد كرهت أن يأتى المسجد مخافة أن يشغب عليه، فأبى هو الّا المسجد، فلمّا دخل، دخل عليه المهاجرون و الأنصار فبايعوه ثم بايعه الناس(۱). وقد حفظ التاريخ أسماء المتخلّفين عن بيعة على وهم نفر يسير لا يتجاوز _____

۱. الطبرى: التاريخ ۳/۴۵۰ . (۱۰۲)

العشرة و هذا يدل على أنّ جوّ البيعة كان هادئاً حراً، ولم يكن هناك أىّ ضغط و إجبار، فبايعت الجماهير، و تخلّفت عدة قليلة كانت عثمانية الهوى كحسان بن ثابت، و كعب بن مالك، و مسلمة بن مخلد، وزيد بن ثابت، و النعمان بن البشير، و محمّد بن مسلمة، و رافع بن خديج، وفضالة بن عبيد، و كعب بن عجرة. يقول الطبرى: أمّا حسّان فقد كان شاعراً لا يبالى ما يصنع، وأمّا زيد بن ثابت فولاه عثمان الديوان و بيت المال فلمّا حصر عثمان قال: يا معشر الأنصار، كونوا أنصار الله مرتين، فقال أبو أيّوب: ما تنصره إلا انّه أكثر لك من العضدات، فأمّا كعب بن مالك فاستعمله على صدقة المدينة و ترك ماأخذ منهم له(۱) ولاأظن انّه يوجد على أديم الأرض انتخاب جماهيرى لقائد، لايوجد فيه مخالف شاذ يأبى عن البيعة لدوافع شخصيّة. وقد تعرفت فيما سبق على كلمات الإمام و نزيد فى المقام قوله مخاطباً طلحة و الزبير: والله ما كانت لى فى الخلافة رغبة، ولا فى الولاية إربة، ولكنّكم دعوتمونى إليها و حمّلتمونى عليها(۲). ثالثاً: إذا خرجنا بهذه النتيجة: إنَّ بيعة الإمام كانت بيعة شرعية قانونية أطبق عليها المهاجرون و الأنصار، فلأىّ مبرر يرفض معاوية علىّ و يؤخّر البيعة و يرفع قميص عثمان مطالباً بالثار؟ ولأجل ذلك نرى الإمام يُنَدِّده و يبيّن موقفه من بيعته ويكتب اليه قائلا:

إنّه بایعنی القوم الـذین بایعوا أبابکر و عمر و عثمان علی ما بایعوهم علیه، فلم یکن للشاهـد أن یختار، ولاللغائب أن یرد، انّما الشوری للمهاجرین و الأنصار، فإن اجتمعوا علی رجل و سـمّوه إماماً کان ذلک لله رضی، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة رَدّوه إلی ما خرج منه، _____

۱. الطبری: التاریخ ۳/۴۵۲ .

۲. الرضی: نهج البلاغة، الخطبة ۲۰۰. (۱۰۳)

فإن أبی قاتلوه علی اتباعه غیر سبیل المؤمنین، وولاه الله ما تولّی(۱). رابعاً: لو خرج الباحث بهذه النتیجة و هو أنّ عثمان قتل مظلوماً فی عقر داره، وأنّه یجب أخـذ ثأره من قَتَلِته، فلاشک انّ ذلک حقّ ولیّ الـدم، قال سـبحانه: (وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِیِّه سُـلطَاناً فَلا یُسْـرِف فِی القَتْـلِ إِنَّهُ کَـانَ مَنْصُوراً)(۲) فهـل کـان معاویـة ولیّ الـدم، أو أنّ ولیّ الـدم أولاـد المقتـول و إن نزلـوا. إنَّ معاویـة حسـب المقـاییس الشـرعیة لم یکن ولیّ الـدم و إنّمـا أولیـاؤه ولـده فلهم حق القصـاص، ولکن لاـ ینـالون حقّهم إلاّـ برفع الأمر الی المحکمة الصالحـة لتنظر فی أمرهم. ولو عجزت المحکمـة، فلهم الاسـتنجاد بغیرهم، لاـ فی بـدء الأـمر، ولأجل ذلک نری أنّ الإمام یُنـدّد بقیامه بأخذ الثأر ولایراه صالحاً لهذا الأمر ویکتب الی معاویة: «زعمت أنّک انّما أفسد علیک بیعتی خطیئتی فی عثمان»: ولعمری ما کنت إلاّ رجلا من المهاجرین أوْرَدْتُ کما أوردوا، وأصدرتُ کما أصدروا، و ما کان الله لیجمعهم علی ضـلال، ولا لیضربهم بالعمی و بَعْد فما أنت و عثمـان، إنّمـا أنت رجـل من بنی أمیّـة، وبنو عثمـان أولی بمطالبـة دمه، فإن زعمت أنّک أقوی علی ذلک فادخل فیما دخل فیه المسـلمون، ثم حاکم القوم إلیّ(۳) . وفی لفـظ ابن قتیبـة: أمّـا قولـک ادفع إلیَّ قتلـة عثمان، فما أنت وذاک؟ وهاهنا بنو عثمان، و هم أولی بـذلک منـک، فـإن زعمت أنّک أقوی علی طلب دم عثمان منهم فارجع الی البیعـة التی لزمتک و حاکم القوم إلیَّ(۴) . خامساً: إذا خرجنا بهذه النتیجة، أنّ أخذ الثأر و إن کان حقّاً ثابتاً لأولیاء _____

۱. الرضی: نهج البلاغة قسم الکتب برقم ۶ وفی ذیل الکتاب إشارة الی قوله سبحانه(و من یشاقق الرسول...)النساء: ۱۱۵ .

۲. الاسراء: ۳۳.

۳. المبرّد: الکامل ۱/۱۹۴ مکتبة المعارف بیروت .

۴. ابن قتیبة: الامامة و السیاسة ۱/۸۸ . (۱۰۴)

الـدم، لکنّهم لاـیقومون بأخـذ حقّهم مباشـرة، بـل اللاـزم علیهم رفع الشـکوی الی المحاکم الصالحـة التی أقامها ولیّ المسـلمین أعنی الخلیفـة المفترض طاعته، وإلا فلو قام ولیّ الـدم بالقصاص و أخذ الحق مباشـرة، لزم الفوضـی فی المجتمع، کما هو واضح لکلّ من له إلمام بالمسائل الاجتماعیـة، فإذا کان هذا حقّاً ثابتاً للإمام، فهل کان الإمام قادراً علی تنفیذ حکم القصاص فی حق اولئک الثائرین، أو کـانت الظروف لاتساعـد إجراء الحکم، ولاـ تعلم حقیقـة الحـال إلاّ بدراسـة الموضوع تاریخیاً، فإنّه یشـهد علی أنّ الثائرین لم یکونوا أشـخاصاً معیّنین، بل کانت هناک انتفاضة شـعبیة مختلطة من الکوفیین والبصـریین والمصـریین، والمدنیین، وقد حاصـروا بیت الخلیفة قرابـة أربعین یومـاً، ولم یکن فی وسع أصـحاب النـبی رفع هـذا الحصـار أو تقویضه إلی أن حـدثت حوادث مریرة أدّت إلی الهجوم العنیف علی داره، وقد بلغ المهاجمون من الکثرة مالایحصیه أحد، ویعلم صـحّة ذلک من الأمر التالی: إنّ أبا مسـلم الخولانی قام إلی معاویـة فی اُنـاس من قرّاء أهـل الشام قبل مسیر أمیر المؤمنین إلی صـفین فقالوا له: یا معاویـة علامَ تقاتل علیّاً ولیس لک مثل صـحبته ولاـهجرته ولاـقرابته ولاسـابقته؟ قال معاویـة لهم: ماأُقاتل علیاً وأنا أدعّی أنّ لی فی الإسـلام مثل صـحبته ولاهجرته ولاقرابته ولاسابقته ولکن خبّرونی عنکم: ألسـتم تعلمون أنّ عثمـان قتـل مظلومـاً؟ قـالوا: بلی. قـال: فلْیَـدَعْ إلینا قتلته، فنقتلهم به، ولا قتال بیننا و بینه. قالوا: فاکتب إلیه کتاباً یأتیه به بعضـنا، فکتب إلی علیّ هذا الکتاب مع أبی مسلم الخولانی فقدم به علی علیّ ثم قام أبومسلم خطیباً فحمدالله وأثنی علیه، ثم قال: أمّا بعد فإنّک قد قمت بأمر وتولّیته، والله ما أحبُ أنّه لغیرک، أن أعطیت الحق من نفسک، إنّ عثمان قتل مسـلماً، محرماً، مظلوماً، فادفع إلینا قتلته، و أنت أمیرنا، فإن خالفک أحد من (۱۰۵)

الناس کانت أیدینا لک ناصراً، وألسنتنا لک شاهداً، و کنت ذا عذر وحجة. فقال له علی: اغدُ عَلیّ غداً، فخذ جواب کتابک، فانصرف ثم رجع من الغد لیأخذ جواب کتابه فوجد الناس قد بلغهم الذی جاء فیه، فلبست الشیعةُ أسلحتها ثم غدوا فملأوا المسجد و أخذوا ینادون: کلنّا قتل ابن عفان، وأکثروا من النداء بذلک، وأُذن لأبی مسلم فدخل علی علیّ أمیرالمؤمنین فدفع إلیه جواب کتاب معاویة، فقال له أبومسلم: قد رأیت قوماً مالک معهم أمر. قال: وما ذاک؟ قال: بلغ القوم انّک ترید أن تدفع إلینا قتلة عثمان، فضجّوا و اجتمعوا و لبسوا السلاح و زعموا أنّهم کلّهم قتلة عثمان، فقال علی: والله ما أردت أن أدفعهم إلیک طرفة عین، لقد ضربت هذا الأمر أنفه و عینیه، مارأیته ینبغی لی أن أدفعهم إلیک ولاإلی غیرک.(۱) نحن نفترض انّ بعض من لبس السلاح فی هذه الواقعة لم یکونوا من المهاجمین، أوالمؤلّبین، أوالمجهزین، لکن تواجد هذه الکمیّة الهائلة من المتبنّین لهذه الفکرة فی الکوفة، فضلا عن أبناء جلدتهم فی البصرة و المدینة، المؤیّدین المتفرقین فی بلادهم، یدلّ علی أنّ المسألة صارت أزمة اجتماعیةً معقّدةً، ولم یکن الإمام متمکّناً من دفع من قام بالقتل إلی ولیّ الدم. ویعرب عن ذلک کلام الإمام للناکثین، فقد دخل طلحة و الزبیر فی عدة من الصحابة، فقال: یا علیّ إنّا قد اشترطنا إقامة الحدود، و إنّ هؤلاء القوم قد اشترکوا فی دم هذا الرجل وأحلّوا بأنفسهم، فقال لهم: یا اخوتاه، إنّی لست أجهل ما تعلمون، ولکّنی کیف أصنع بقوم یملکونا، ولا نملکهم، هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانکم، وثابت إلیهم أعرابکم، وهم خلالکم، یسومونکم ما شاءوا، فهل ترون موضعاً لقدرة علی شیء ممّا تریدون؟ قالوا: لا. قال: فلا، _____

۱. نصربن مزاحم: وقعة صفّین ۹۵-۹۷ . (۱۰۶)

والله لا أری إلّا رأیاً ترونه إن شاء الله(۱) . فعلی هذا فلم تکن للامام یوم بویع ولابعده ولا بعد شهور، أیّة مقدرة علی القاء القبض علی القاتلین، وإلاّ لثارت تلک الجماهیر علی علیّ وخلافته الفتیّة، وکانت المصیبة أعظم. سادساً: لاشکّ انّ طلحة و الزبیر نکثا البیعة و أخرجا زوجة رسول الله من بیتها، وقد دخلوا البصرة بعنف وقتلوا حرس القصر، إلی غیر ذلک من الاُمور التی لایشکّ فیها أیّ ملمّ بالتاریخ، ولکن القوم یذکرون الرجلین بخیر و صلاح و یسترحمون علیهما و یرونهما من العشرة المبشّرة بالجنّة ولا یرون أعمالهم الإجرامیة مخالفة لطهارتهما، ویبّررون أعمالهم بالاجتهاد کما یبرّرون به عمل معاویة و غیرهم من المجرمین الطغاة حتی عمل مسلم بن عقبة ذلک الطاغی الذی أباح أعراض نساء المدینة لجیشه ثلاثة أیّام. فلو صحّ ذلک التبریر فلماذا لایصحّ فی حقّ هؤلاء الذین هاجموا بیت الخلیفة و أجهزوا علیه؟ فکانوا مجتهدین فی الرأی، مخطئین فی النتیجة، فلهم اُجر واحد، کما أنّ للمصیب أجرین؟. ولکن لانری أیّة کلمة حول هؤلاء یبرّر بها عملهم، فما هذا التفریق بین المتماثلین؟ ولماذا تُقیَّمُ الاُمور بمکیالین. سابعاً: نقل المؤرّخون انّه لمّا قتل عمر، وثب عبیدالله بن عمر فقتل الهرمزان و ابنة أبی لؤلؤ، فلمّا بلغ الخبر عمر، قال: إذا أنا متّ فاسألوا عبیدالله البیّنة علی الهرمزان، هل هو قتلنی؟ فإن أقام البیّنة فدمه بدمی، و إن لم یقم البیّنة فأقیدوا عبیدالله من الهرمزان، فلمّا ولی عثمان(رضی الله عنه) قیل له: ألا تمضی وصیّة عمر(رضی الله عنه) فی عبیدالله؟ قال: و من ولیّ الهرمزان؟ قالوا: _____

۱. الطبری: التاریخ ۳/۴۵۸ (۱۰۷)

أنت یا أمیرالمؤمنین قال: قد عفوت عن عبیدالله بن عمر(۱) . إنّی لا اُرید أن أحوم حول هذه القضیّة، کیف وقد نقم به علی الخلیفة حیث عطّل القصاص إذ قتل عبیدالله رجلا یصلّی وصبیة صغیرة، ومع ذلک عفی عنه الخلیفة لسبب عاطفی أو غیره، فَلِمَ لا یجوز ذلک للامام علی ـ علیه السَّلام ـ وقد رأی انّ فی القَوَد مفسدةً عظمی علی الاسلام و المسلمین؟ وانّ جبر دم الخلیفة بالدیة أصلح من القصاص و القود. هذه هی المواضیع الهامّة التی کانت من المفترض دراستها و القضاء فیها، ثم الخروج بنتیجة صحیحة عن الحکومة، غیر انّ الحَکَمین جعلاها وراء ظهورهما، ولم ینبسا فیها ببنت شفة، بل کان هوی أبی موسی الأشعری مع عبدالله بن عمر، و کان هوی عمرو بن العاص مع معاویة، فلنتعرف علی عبدالله بن عمر، ثم عمروبن العاص: أمّا عبدالله بن عمر فکفی فی ضعف نفسه انّه لمّا ولّی الحجاج الحجاز من قبل عبدالملک بن مروان جاءه لیلا لیبایعه، فقال له الحجّاج ما أعجلک؟ فقال: سمعت رسول الله یقول: من مات بغیر امام مات میتة جاهلیة (۲) فقال له: إنّ یدی مشغولة عنک، و کان یکتب، فدونک رجلی، فمسح علی رجله و خرج، فقال

الحجاج: یا أحمق. تترک بیعة علی بن أبی طالب و تأتینی مبایعاً فی لیلة؟ و ما هذا إلّا انّ الخوف من السیف جاءک إلی هنا(۳) . وأمّا عمرو، و ما أدراک ما عمرو؟ ذلک الانسان الذی عرّفه الامام بقوله: _____

۱. البیهقی: السنن الکبری ۸/۶۱. ولاحظ الطبری: التاریخ ۳/۳۰۳ .

۲. الهیثمی: مجمع الزوائد ۵/۲۱۸. الطیالسی: المسند ۲۵۹ وللحدیث صور اُخری .

۳. أبو جعفر الاسکافی: المعیار و الموازنة ۲۴. و ابن أبی الحدید: شرح نهج البلاغة ۱۳/۲۴۲. عبدالله المامقانی: تنقیح المقال برقم ۶۹۸۹ . (۱۰۸)

متی لم تکن للکافرین ولیّاً وللمسلمین عدوّاً(۱)، فکان هواه مع معاویة لموعدة وعدها إیّاه وهی ولایة مصر و قد تحدّث عنها المؤرّخون فی قصّة طویلة حیث قال معاویة له: وهلّم فبایعنی، فقال عمرو: لا ـ والله لا أعطیک من دینی حتی آخذ من دنیاک. قال معاویة: سل، تعط، قال: مصر طعمة(۲). وروی ابن مزاحم قال: قال معاویة لعمرو: إنّی أدعوک إلی جهاد هذا الرجل الذی عصی ربّه، وقتل الخلیفة وأظهر الفتنة وفرّق الجماعة وقطع الرحم. قال عمرو: إلی من؟ قال: إلی جهاد علیّ، قال: فقال عمرو: والله یا معاویة ما أنت وعلی بعکمی بعیر، مالک هجرته ولاسابقته، ولاطول جهاده، ولا فقهه، ولا علمه، والله إنّ له ذلک حدّاً وجدّاً و حظّاً و حُظوةً، وبلاءاً من الله حسناً، فما تجعل لی إن شایعتک علی حربه، وأنت تعلم ما فیه من الغرر و الخطر؟ قال: حکمک. قال: مصر طعمة، قال: فتلکّأ علیه معاویة. قال نصر: وفی حدیث آخر، قال: قال له معاویة: یا أباعبدالله، إنّی أکره أن یتحدّث العرب عنک انّک إنّما دخلت فی هذا الأمر لغرض الدنیا. قال: دعنی عنک. قال معاویة: إنّی لو شئت أن اُمنّیک وأخدعک لفعلت. قال عمرو: لا لعَمرالله، ما مثلی یخْدَع، لأنا أکیس من ذلک. قال له معاویة: اُدن منّی برأسک اُسارّک. قال: فدنامنه عمرو یسارُّه. فعضَّ معاویة اُذنه و قال: هذه خدعة، هل تری فی بیتک أحداً غیری وغیرک؟(۳) . قال ابن أبی الحدید بعد هذا: «قلت: قال شیخنا أبو القاسم البلخی(رحمهم الله): قال عمرو: «دعنا عنک» کنایة عن الإلحاد بل تصریح _____

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّین ۵۸۳ .

۲. ابن قتیبة: الامامة و السیاسة ۱/۹۱. مضی النص فلاحظ تعلیقتنا علیه.

۳. نصربن مزاحم: وقعة صفّین ۴۳. (۱۰۹)

به، أی دع هذا الکلام الذی لا أصل له فإنّ الاعتقاد بالآخرة وأنّها لاتباع بعرض من الدنیا، من الخرافات. قال (رحمهم الله): و ما زال عمرو بن العاص ملحداً ما تردّد قط فی الإلحاد و الزندقة، و کان معاویة مثله و یکفی فی تلاعبهما بالإسلام حدیث السرار المروی(۱) وانّ معاویة عضَّ اُذن عمرو، أین هذا من أخلاق علی ـ علیه السَّلام ـ و شدّته فی ذات الله، و هما مع ذلک یعیبانه بالدعابة(۲). خلاصة البحث: ما کانت دراسة جمیع هذه المواضیع أمراً صعباً علی الحکمین، بل فی دراسة الموضوع الأوّل من المواضیع السبعة کفایة للإدلاء بالحق، وذلک إنّه إذا کانت خلافة الإمام خلافة قانونیة شرعیة، فالخارج علیها باغ علی الإمام یجری علیه حکم البغاة أوّلا و تابع لغیر سبیل المؤمنین، وخارق للإجماع ثانیاً، وقد قال سبحانه فی حقّ هؤلاء: (وَ مَنْ یُشاقِقِ الرَّسولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَیَّنَ لَهُ الهُدی وَ یَتَّبَعَ غَیْرَ سَبِیلِ المُؤمِنینَ نوله ما تولی ونصله جهنم و ساءت مصیرا)(۳) (و ان طائفتان من المؤمنین اقتتلوا فاصلحوا بینهما فان بغت احدیهما علی الاخری فقاتلوا التی تبغی حتی تفیء الی امر الله)(۴) ولا ـ عجب بعد ذلک أنا نری أنّ الإمام یصف حکم الحکمین بقوله: «فقد خالفا کتاب الله و اتّبعا أهواءهما بغیر هدی من الله فلم یعملا بالسنّة ولم ینفّذا للقرآن حکماً».(۵) *** _____

۱. المراد ما سبق فی کلام ابن مزاحم.

۲. ابن أبی الحدید: شرح نهج البلاغة ۲/۶۴-۶۵ .

۳. النساء: ۱۱۵

۴. الحجرات: ۹ .

۵. الطبری: التاریخ ۴/۵۷ . (۱۱۰) (۱۱۱)

الفصل السادس تحرّکاتهم العسکریة بعد صدور

الفصل السادس تحرّکاتهم العسکریة بعد صدور رأی الحکمین (۱۱۲) (۱۱۳) ولمّا بلغ الإمام ما حکم به الحکمان من الحکم الجائر، قام خطیباً وقال ألا أنّ هذین الرجلین الذین اخترتموهما حکمین، قد نبذا حکم القرآن وراء ظهورهما وأحییا ما أمات القرآن، واتّبع کل واحد منهما هواه بغیر هدی من الله، فحکما بغیر حجّة بیّنة، ولا سنّة ماضیة، و اختلفا فی حکمهما، و کلاهما لم یرشدا، فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنین. استعدّوا وتأهّبوا للمسیر إلی الشام، واصبحوا فی معسکرکم إن شاء الله، ثم نزل وکتب إلی الخوارج بالنهر: «بسم الله الرحمن الرحیم. من عبدالله علی أمیرالمؤمنین إلی زید بن حصین(۱) وعبدالله بن وهب و من معهما من الناس. أمّا بعد فإنّ هذین الرجلین الذین ارتضینا حکمهما، قد خالفا کتاب الله، واتّبعا أهواءهما بغیر هدی من الله، فلم یعملا بالسنّة، ولم ینّفذا للقرآن حکماً، فبریء الله ورسوله ــــــــــــــــ

۱. وهذا الرجل من الذین فرضوا التحکیم علی الإمام و جاء هو مع مسعر بن فدکی بزهاء عشرین ألفاً مقّنعین فی الحدید، شاکّی السلاح، سیوفهم علی عواتقهم وقد اسودّت جباههم من السجود... نادوا الامام باسمه لابإمرة المؤمنین: یا علی أجب القوم إلی کتاب الله إذا دُعیت إلیه... لاحظ: وقعة صفّین ۵۶۰ وقد مرّ النصُّ أیضاً. (۱۱۴)

منهما والمؤمنون. فإذا بلغکم کتابی هذا فاقبلوا، فإنّا صائرون إلی عدوّنا وعدوّکم، ونحن علی الأمر الذی کنّا علیه، والسلام»(۱). کان المترقّب من الخوارج إجابة علی ـ علیه السَّلام ـ والخروج معه إلی قتال معاویة لأنّهم هم الذین کانوا یقولون لعلی ـ علیه السَّلام ـ :«تب من خطیئتک وارجع عن قضیتک، واخرِج بنا إلی عدوّنا نقاتلهم حتی نلقی ربّنا»(۲) . ولکنّهم ـ یا للأسف ـ لم یستجیبوا إلی دعوة علی ـ علیه السَّلام ـ و کتبوا إلیه: «أمّا بعد فإنّک لم تغضب لربّک، إنّما غضبت لنفسک، فإن شهدت علی نفسک بالکفر، واستقبلت التوبة، نظرنا بیننا و بینک وإلاّ فقد نابذناک علی سواء. إنّ الله لایحبّ الخائنین». فلمّا قرأکتابهم آیس منهم فرأی أن یدعهم و یمضی بالناس إلی أهل الشام حتّی یلقاهم فیناجزهم، فنزل بالنخیلة، وقام فحمدالله وأثنی علیه، ثم قال: أمّا بعد فإنّه من ترک الجهاد فی الله، وادهن فی أمره کان علی شفا هلکة، إلاّ أن یتدارکه الله بنعمة، فاتّقوا الله وقاتلوا من حادّ الله وحاول أن یطفیء نور الله. قاتلوا الخاطئین، الضالّین، القاسطین، المجرمین، الذین لیسوا بقرّاء للقرآن، ولا فقهاء فی الدین، ولا علماء فی التأویل، ولا لهذا الأمر بأهل فی سابقة الإسلام، والله لو ولّوا علیکم لعملوا فیکم بأعمال کسری وهرقل. تیسّروا وتهّیؤا للمسیر إلی عدوّکم من أهل المغرب، وقد بعثنا إلی اخوانکم من أهل البصرة لیقدموا علیکم، فإذا قدموا فاجتمعتم شخصنا إن شاء الله، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله (۳) . ثمّ إنّه لّبی دعوته من البصرة وحوالی الکوفة جمع کبیر وقد اجتمع تحت ــــــــــــــــ

۱. الطبری: التاریخ ۴/۵۷ .

۲. المصدر نفسه ۵۲ .

۳. المصدر نفسه ۵۸ . (۱۱۵)

رایته ثمانی وستّین ألفاً ومائتی رجل، واستعدّ للمسیر إلی الشام. إستعدّ الإمام لمواجهة العدّو بالشام، لکنّه فوجیء بما بلغ إلیه من الناس أنّهم یقولون: لو سار الإمام بنا إلی هذه الحروریة فبدأنا بهم. فقام فی الناس وحمدالله وأثنی علیه، فأجاب دعوتهم خصوصاً بعد ما بلغ إلیه أنّهم ذبحوا عبدالله بن خباب علی ضفة النهر، وبقروا بطن اُمّ ولده، وهم علی اُهْبَة الخروج، وإلیک تفصیله: إنّ الخوارج اجتمعوا فی منزل عبدالله بن وهب الراسبی، فقال فی خطبة له: أمّا بعد فوالله ماینبغی لقوم یؤمنون بالرحمن، و ینیبون إلی حکم القرآن، أن تکون هذه الدنیا التی الرضا بها و الرکون إلیها والایثار إیّاها عناءً وتباراً(۱) آثر عندهم من الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر، والقول بالحق و... فاخرجوا بنا اخواننا من هذه القریة الظالم أهلها إلی بعض کور الجبال، أو إلی بعض هذه المدائن، منکرین لهذه البدع

المضرّة. ثمّ خطب بعده، حرقوص بن زهیر و قال بمثل ماقال: وقال حمزة بن سنان الأسدی: یا قوم: إنّ الرأی ما رأیتم، فولّوا أمرکم رجلا منکم، فإنّه لابدّ لکم من عماد و سناد، ورایة تحفّون بها، وترجعون إلیها، فعرضوها علی زید بن حصین الطائی فأبی، وعرضوها علی حرقوص بن زهیر فأبی، وعلی حمزة بن سنان و شریح بن أوفی العبسی فأبیا، وعرضوها علی عبدالله بن وهب فقال: هاتوها، أما والله لاآخذها رغبة فی الدنیا، ولاادعها فرقاً من الموت، فبایعوه لعشر خلون من شوّال و کان یقال له ذوالثفنات. ثم اجتمعوا فی منزل شریح بن أوفی العبسی فقال ابن وهب: اشخصوا بنا إلی بلدة نجتمع فیها لإنفاذ حکم الله فإنّکم أهل الحق. قال شریح: نخرج

---

۱. التبار: الهلاک. (۱۱۶)

إلی المدائن فننزلها ونأخذ بأبوابها ونخرج منها سکّانها ونبعث إلی إخواننا من أهل البصرة، فیقدمون علینا. فقال زید بن حصین: إنّکم إن خرجتم مجتمعین أُتْبِعْتُم ولکن اخرجوا وحداناً مستخفّین، فأمّا المدائن فإن بها من یمنعکم، ولکن سیروا حتی تنزلوا جسر النهروان وتکاتبوا اخوانکم من أهل البصرة، قالوا: هذا هو الرأی. وکتب عبدالله بن وهب إلی من بالبصرة منهم یعلمهم مااجتمعوا علیه، ویحثّهم علی اللحاق بهم وأرسل الکتاب إلیهم، فأجابوه أنّهم علی اللحاق به. فلمّا عزموا علی المسیر(۱)، تعبّدوا لیلتهم وکان لیلة الجمعة، ویوم الجمعة، وساروا یوم السبت فخرج شریح بن أوفی العبسی، وهو یتلو قول الله: (فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً یَتَرَقَّبْ قالَ رَبِّ نَجِّنِی مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِینَ* وَ لَمّا تَوَجَّهَ تِلْقآءَ مَدْیَنَ قالَ عَسَی رَبِّی أن یَهْدِیَنِی سَوآءَ السَبِیلِ)(۲) . ثمّ إنّ الخوارج تقاطرت من البصرة والکوفة حتی نزلوا جسر نهروان، فصاروا جیشاً عظیم العدد والعُدَّة، وکانت الأخبار عن أفعالهم الشنیعة تصل إلی الناس ففشی الرعب فیهم، ولأجل ذلک ألحّ الواعون من ضباط علی علی مناجزة هؤلاء ثم المسیر إلی الشام، فأجابهم الإمام، وإلیک بیان ما ارتکبوا من الجرائم. روی الطبری عن أبی مخنف عن حمید بن هلال: انّ الخارجة التی أقبلت من البصرة جاءت حتی دنت من اخوانها بالنهر فخرجت عصابة منهم، فإذا هم برجل یسوق بامرأة علی حمار، فعبروا إلیه فدعوه فتهدّدوه وافزعوه وقالوا له من أنت؟ قال: أنا عبدالله بن خباب صاحب رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ

---

۱. المقصود الخوارج المتواجدون فی الکوفة وأطرافها أعنی الحروریة.

۲. القصص: ۲۱ـ۲۲. الطبری: التاریخ ۴/۵۴ـ۵۵ . (۱۱۷)

ثمّ أهوی إلی ثوبه یتناوله من الأرض وکان سقط عنه لمّا افزعوه، فقالوا له: افزعناک؟ قال: نعم. قالوا له: لاروع علیک، فحدثنا عن أبیک بحدیث سمعه من النبی ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ لعلّ الله ینفعنا به. قال: حدثنی أبی عن رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ: إنّ فتنة تکون، یموت فیها قلب الرجل کما یموت فیها بدنه، یمسی فیها مؤمناً ویصبح فیها کافراً، ویُصْبح کافراً، ویمسی فیها مؤمناً. فقالوا: لهذا الحدیث سألناک. فما تقول فی أبی بکر و عمر؟ فأثنی علیهما خیراً. قالوا: ما تقول فی عثمان فی أوّل خلافته وفی آخرها؟ قال: إنّه کان محقّاً فی أوّلها وفی آخرها. قالوا: فما تقول فی علی قبل التحکیم وبعده؟ قال: إنّه أعلم بالله منکم، وأشدّ توقّیاً علی دینه، وأنفذ بصیرة. فقالوا: إنّک تتبع الهوی وتوالی الرجال علی أسمائها لاعلی أفعالها. والله لنقتلنّک قتلة ما قتلناها أحداً، فأخذوه فکتّفوه ثمّ أقبلوا به وبامرأته وهی حُبلی متمٌّ، حتی نزلوا تحت نخلة مواقر، فسقطت منه رطبة فأخذها أحدهم فقذف بها فی فمه، فقال أحدهم: بغیر حلّها وبغیر ثمن؟ فلفضها وألقاها من فمه، ثمّ أخذ سیفه فأخذ یمینه، فمرّ به خنزیر لأهل الذمّة فضربه بسیفه، فقالوا: هذا فساد فی الأرض، فأتی صاحب الخزیر فأرضاه من خنزیره. فلمّا رأی ذلک منهم ابن خباب قال: لئن کنتم صادقین فیما أری، فما عَلَیَّ منکم بأس إنّی لمسلم ما أحدثت فی الاسلام حدثاً ولقد آمنتمونی. قلتم: لاروع علیک. فجاءوا به فأضجعوه فذبحوه، وسال دمه فی الماء وأقبلوا إلی المرأة، فقالت: إنّما أنا أمراة ألاتتّقون الله؟ فبقروا بطنها. وقتلوا ثلاث نسوة من طیّ وقتلوا اُمّ سنان الصیداویة، فبلغ ذلک علیّاً و من معه من المسلمین من قتلهم عبدالله بن خباب واعتراضهم الناس، فبعث (۱۱۸)

إلیهم الحارث بن مرّة العبدی لیأتیهم فینظر فیما بلغ عنهم ویکتب به إلیه علی وجهه ولایکتمه، فخرج حتی انتهی إلی النهر لیسألهم،

فخرج القوم إليه فقتلوه، وأتى الخبر أمير المؤمنين والناس، فقام إليه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين عَلامَ تـدع هؤلاء يخلفوننا فى أموالنا وعيالنا؟ سر بنا إلى القوم، فإذا فرغنا ممّا بيننا و بينهم صرنا إلى عدوّنا من أهل الشام، فقبل على فنادى بالرحيل، ولمّا أراد على المسير إلى أهل النهر من الأنبار، قـدم قيس بن سعد بن عبادة وأمره أن يأتى المدائن فينزلها حتى يأمره بأمره، ثمّ جاء مقبلا إليهم ووافاه قيس وسعد بن مسعود الثقفى بالنهر وبعث إلى أهل النهر: ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم نقتلهم بهم، ثمّ أنا تاركـكم وكاف عنكم حتى نلقى أهـل الشـام، فلعـلّ الله يقلب قلوبكم، ويردّكم إلى خير ممّـا أنتم عليه من أمركم، فبعثوا إليه وقـالوا: كلّنا قتلناهم وكلّنا نستحلّ دماءهم ودمـاءكم. ولمّـا وصـل على جـانب النهر وقف عليهم فقـال: أيّتهـا العصابـة الـتى أخرجهـا عـداوة المراء واللجاجـة، وصـدّها عن الحقّ الهوى...إنّى نـذيركم ان تصـبحوا تلفيكم الأُمّة غداً صـرعى بأثناء هذا النهر، وبأهضام هذا الغائط بغير بيّنة من ربّكم ولابرهان بيّن، ألم تعلموا أنّى نهيتكم عن الحكومـة، وأخبرتكم أنّ طلب القوم إيّاها منكم دهن ومكيدة لكم، ونبّأتكم أنّ القوم ليسوا بأصـحاب دين ولا قرآن، وانّى أعرف بهم منكم، عرفتهم أطفالا ورجالا، فهم أهل المكر والغدر، وانّكم إن فارقتم رأيى، جانبتم الحزم، فعصيتمونى حتى إذا أقررت بـأن حكمت، فلمّـا فعلت شـرطت واسـتوثقت، فأخـذت على الحكمين أن يحييـا ما أحيا القرآن و أن يميتا ما أمات القرآن، فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنّة، فنبذنا أمرهما ونحن على أمرنا الأوّل فما الذى بكم؟ ومن أين أتيتم؟ قالوا: إنّا حكمنا فلمّا حكمنا أثمنا وكنّا بذلك (۱۱۹)

كـافرين، وقـد تبنـا فـإن تبت كمـا تبنـا فنحن منك ومعك وإن أبيت فاعتزلنا، فانّا منابـذوك على سواء، إنّ الله لايحب الخائنين، فقال علىّ: أصـابكم حـاصب، ولايبقى منكم وابر. اَبَعْـد إيمانى برسول الله ـ صـلّى الله عليه وآله وسـلم ـ وهجرتى معه وجهادى فى سبيل الله أشـهد على نفسـى بالكفر؟ لقد ضـللت إذاً وما أنا من المهتدين، ثمّ انصـرف عنهم(۱) . ولم يكتف الإمـام بهـذا الأمر، بل كلّمهم فى معسـكرهم بما يلى:«أكلّكم شـهد معنا صفّين؟ فقالوا: منّا من شهد ومنّا من لم يشهد. قال: فامتازوا فرقتين، فليكن من شهد صفّين فرقة، ومن لم يشهدها فرقة، حتى اُكَلِّم كّلا منكم بكلامه، ونادى الناس، فقال: امسكوا عن الكلام، انصتوا لقولى، واقبلوا بأفئدتكم إلىّ، فمن نشدناه شهادة فليقل بعلمه فيها. ثمّ كلّمهم ـ عليه السَّلام ـ بكلام طويل، من جملته: ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلةً وغيلةً ومكراً وخديعـةً: اخواننـا وأهل دعوتنا، استقالونا واستراموا إلى كتاب الله سبحانه، فالرأى القبول منهم، والتنفيس عنهم؟ فقلت لكم: هـذا أمر ظـاهره إيمـان، وبـاطنه عـدوان، وأوّله رحمـة، وآخره ندامـة. فـأقيموا على شـأنكم، وألزموا طريقتكم وعضّوا على الجهاد، بنواجـذكم، ولاـتلتفتوا إلى نـاعق نعق، إن اُجيب أضـلّ وإن ترك ذلّ(۲). ولمّـا أتمّ الإمـام الحجـة عليهم، ورأى أنّ آخر الـدواء الكى، فعبّأ الناس فجعل على ميمنته حجر بن عدى، وعلى ميسرته شبث بن ربعى، أو ــــــــــــــــــــ

۱. الطبرى: التاريخ ۴/۶۰ ـ ۶۳. المسعودى: مروج الذهب: ۳/۱۵۶. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۳۶ .

۲. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۱۲۱ . (۱۲۰)

معقـل بن قيـاس الريـاحى، وعلى الخيـل أبـا أيّوب الأنصـارى، وعلى الرجالـة أبا قتادة الأنصارى، وعلى أهل المدينـة وهم سـبعمائة أو ثمانمائة رجل، قيس بن سـعد بن عبادة. وعبّأت الخوراج فجعلوا على ميمنتهم زيد بن حصـين الطائى، وعلى الميسـرة شـريح بن أوفى العبسـى، و على خيلهم حمزة بن سـنان الأسدى وعلى الرجّالة حرقوص بن زهير السـعدى. الحرص على صـيانة نفوسـهم: ثمّ إنّ الإمام توخّياً لحفظ الدماء وصـيانة الأنفس، بعث الأسود بن يزيد فى ألفى فارس حتى أتى حمزة بن سـنان وهو فى ثلاثمائة فارس من خيلهم ورفع علىّ رايـة أمان، مع ابى أيوب فناداهم أبو أيوب: من جاء هـذه الرايـة منكم ممّن لم يقتل ولم يسـتعرض فهو آمن، ومن انصـرف منكم إلى الكوفـة أو إلى المـدائن و خرج من هـذه الجماعـة فهو آمن ـ انّه لا حاجـة لنا بعـد أن نصـيب قتلـة اخواننا منكم فى سـفك دمائكم. لقـد كان هـذا التخطيط و السياسة الحكيمـة مؤثّراً فى تفرّق القوم وصـيانة دمائهم فانصـرف فروة بن نوفل الأشـجعى (۱) فى خمسائـة فارس، وخرجت طائفـة اُخرى متفرّقين، فنزلت الكوفة، وخرج إلى على ـ عليه السَّلام ـ منهم نحو من مائة، وكانوا أربعة آلاف وكان الـذين بقوا مع عبـدالله بن وهب منهم ألفين وثمانمائـة، وزحفوا إلى على ـ عليه السَّلام ـ . وقدم على الخيل دون الرجال وصـفّ

الناس وراء الخيل صفّين، وصفّ ــــــــــــــــــ

۱. سيأتى خروجه على معاوية فى الفصل الثامن فانتظر. (۱۲۱)

المراميۀ أمام الصفّ الأوّل، وقال لأصحابه: كفّوا عنهم حتى يبدأوكم(۱) . قال المبرّد: لمّا وافقهم علىّ ـ عليه السَّلام ـ بالنهروان، قال: لاتبدوهم بقتال حتى يبدأوكم. فحمل منهم رجل على صف علىّ ـ عليه السَّلام ـ فقتل منهم ثلاثۀ، فخرج إليه علىّ ـ عليه السَّلام ـ فضربه فقتله...ومال ألف منهم إلى جهۀ أبى أيوب الأنصارى، وكان على ميمنۀ علىّ، فقال علىّ ـ عليه السَّلام ـ لأصحابه: احملوا عليهم، فوالله لايقتل منكم عشرۀ، ولايسلم منهم عشرۀ. فحمل عليهم فطحنهم طحناً قتل من أصحابه ـ عليه السَّلام ـ تسعۀ، وأفلت من الخوارج ثمانيۀ(۲). قال ابن الأثير: لمّا قال علىّ لأصحابه «كفّوا عنهم حتى يبدأوكم» نادت الخوارج: الرواح إلى الجنۀ، وحملوا على الناس، وافترقت خيل(۳) على فرقتين، فرقۀ نحو الميمنۀ وفرقۀ نحو الميسرۀ واستقبلت الرماۀ وجوههم بالنبل، وعطفت عليهم الخيل. من الميمنۀ و الميسرۀ، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف، فمالبثوا أن أناموهم.(۴) ثمّ إنّ علياً يحدّث أصحابه قبل ظهور الخوارج انّ قوماً يخرجون يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميۀ، علامتهم رجل مُخدج اليد، سمعوا ذلك منه مراراً، فلمّا فرغ من قتالهم، أمر أصحابه أن يلتمسوا المخدج، فوجدوه فى حفرۀ على شاطئ النهر فى خمسين قتيلاً فلمّا استخرجوه نظروا إلى عضده

---

۱. الطبرى: التاريخ ۴/۶۴ .

۲. المبرّد: الكامل ۲/۱۳۹ ـ ۱۴۰. الطبرى: التاريخ ۴/۶۳ ـ ۶۴ والمسعودى: مروج الذهب ۳/۱۵۷ وقال: وكان من جملۀ من قتل من أصحاب علىّ، سبعۀ، ولم يفلت من الخوارج إلا عشرۀ وأتى على القوم وهم أربعۀ آلاف، ولعل لفظۀ «إلاّ» زائدۀ.

۳. هكذا فى الأصل وقد سقط لفظ «علىّ» .

۴. كلّ مشوه الخلق فى أحد أعضائه فهو مخدج . (۱۲۲)

فإذا لحم مجتمع كثدى المرأۀ، وحلمۀ عليها شعرات سود... فلمّا رآه قال: الله أكبر لاكَذِبْتُ ولاكُذّبت. وقال حينما مرّ بهم وهم صرعى: بؤساً لكم لقد ضرّكم من غرّكم، قالوا: يا أميرالمؤمنين: من غرّهم، قال: الشيطان والنفس الأمّارۀ بالسوء، غرّتهم بالأمانى، وزينت لهم المعاصى، نبّأتهم أنّهم ظاهرون (۱) قال على: خذوا ما فى عسكرهم من شىء، قال: فأمّا السلاح والدواب و ما شهدوا به عليه الحرب فقسمۀ بين المسلمين، وأمّا المتاع والعبيد والاماء فإنّه حين قدم، ردّه على أهله، ونقل الطبرى أيضاً: انّ علياً أمر بطلب من به رمق منهم، فكانوا أربعمائۀ، فأمر بهم علىّ، ودفعوا إلى عشائرهم، وقال: احملوهم معكم فداووهم، فاذا برأوا، فوافوا بهم الكوفۀ(۲). فَقْأُ عينِ الفتنۀ: كانت الخوارج من أهل القبلۀ وأهل الصلاۀ والعبادۀ، و كان الناس يستصغرون عبادتهم عند صلواتهم، فلم يكن قتالهم واستئصالهم أمراً هيّناً، ولم يكن يجترئ عليه غير علىّ ـ عليه السَّلام ـ ولأجل ذلك قام بعد قتالهم، فقال: أمّا بعد حمدا لله والثناء عليه، أيّها الناس فإنّى فَقَأْتُ عين الفتنۀ، ولم يكن ليجترىءَ عليها أحد غيرى، بعد أن ماج غيهبها واشتدّ كلَبُهُا(۳).(۴) قال ابن أبى الحديد: إنّ الناس كلّهم كانوا يهابون قتال أهل القبلۀ، ــــــــــــــــــ

۱. المسعودى: مروج الذهب ۳/۱۵۸. ابن الأثير: الكامل ۳/۱۷۵ ـ ۱۷۶ .

۲. الطبرى: التاريخ ۴/۶۶ .

۳. الغيهب: الظليمۀ والمراد بعد ما عمّ ظلالها فشمل فكّنى عن الشمول بالتموّج، لأن الظلمۀ إذا تموّجت شملت أماكن كثيرۀ، كما أنّ المراد من قوله واشتّد كلبها، أى شرّها وأذاها.

۴. الرضى: نهج البلاغۀ، الخطبۀ ۹۳. (۱۲۳)

ولايعلمون كيف يقاتلونهم، هل يتبعون موليِّهم أم لا؟ وهل يجهّزون على جريحهم أم لا؟ وهل يقسمون فيئهم أم لا؟ وكانوا يستعظمون قتال من يؤذّن كأذاننا، ويصلّى كصلاتنا، واستعظموا أيضاً حرب عائشۀ وحرب طلحۀ و الزبير لمكانتهم فى الاسلام، وتوقّف

جماعـة منهم عن الـدخول فى تلـك الحرب، كالأـحنف بن قيس وغيره، فلـو لاـ أنّ عليّاً اجـترأ على سـلّ السـيف فيهـا مـا أقـدم أحد عليها(۱). تنّبؤ للإمام بعد استئصال الخوارج: لمّا قتل الخوارج وأفلت منهم من أفلت، قال بعض أصـحاب الإمام: يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم، فقال: «كلّا والله انّهم نطف فى أصلاب الرجال وقرارات النساء، كلّما نجم منهم قرن قطع، حتّى يكون آخرهم لصوصاً سلّابين» (۲) . ذكر المؤرّخون قضايـا وحوادث تعرب عن أنّ القوم صـاروا بعـد ذلك لصوصاً سـلّابين، فإن دعوة الخوارج اضـمحلّت، ورجالها فنيت حتى أفضـى الأمر إلى أن صار خلفهم قطّاع طرق متظاهرين بالفسوق والفساد فى الأرض، وإليك نماذج: خرج فى أيام المتوكّـل، ابن عمرو الخثعمى بـالجزيرة، فقطع الطريق وأخـاف السبيـل، فحـاربه أبو سـعيد الصـامتى فقتـل كـثيراً من أصـحابه، وأسـر كثيراًمنهم، فمدحه أبو عبادة البحترى وقال: كنّا نكفر عن اُميّة عصبةً * طلبوا الخلافة فجرةً وفسوقاً _____

۱. ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۷/۴۶ .

۲. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۵۹ . (۱۲۴) ونلوم طلحـة والزبير كليهما * ونعنّف الصديق والفاروقا ونقول تيم أقربت وعديّها * أمراً بعيـداً حيث كـان صـعيقا وهم قريش الأبطحون إذا انتموا * طابوا اُصولا فى العلا وعروقا حتّى غـدت جشم بن بكر تبتغى * ارث النبى وتـدعيه حقوقا جاءوا براعيهم ليتّخـذوا به * عمداً إلى قطع الطريق طريقا(۱) ثمّ ذكر أنّه خرج بأعمـال كرمان وجماعـة اُخرى من أهل عمـان لانباهـة لهم، وقـد ذكرهم أبوإسـحاق الصابى فى الكتاب «التاجى» وكلّهم بمعزل عن طرائق سـلفهم وانّما وكـدهم، وقصـدهم، إخافـة السبيل والفساد فى الأرض، واكتساب الأموال من غير حلّها. ثمّ أتى يـذكر المشـهورين بنظر الخوارج الـذين تمّ بهم صدق قول أميرالمؤمنين ـ عليه السَّلام ـ : «إنّهم نطف فى أصـلاب الرجال وقرارات النساء» وأشـهرهم: ۱ ـ عكرمـة مولى ابن عباس. ۲ ـ مالك بن أنس الأصبحى. ۳ ـ المنذر بن الجارود العبدى. ۴ ـ يزيد بن أبى مسلم مولى الحجاج . ۵ ـ صالح بن عبدالرحمن صاحب ديوان العراق. ۶ ـ جابر بن زيد(۲). ۷ ـ عمرو بن دينار. _____

۱. ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۵/۷۴ – لاحظ بقيّة الأبيات.

۲. كونه منهم موضع تأمّـل وإن كـانت الاباضـية ترى أنّه الأصـل لهم فى الحـديث والفقه، تولّـد بين عـامى ۱۸ ـ ۲۲ وتـوفّى فى العقد الأـخير من القرن الأوّل أو أوائل الثانى، تقرأ ترجمته فى فصل خاص. (۱۲۵) ۸ ـ مجاهد. ۹ ـ أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى . ۱۰ ـ اليمان بن رباب. ۱۱ ـ عبدالله بن يزيد. ۱۲ ـ محمّد بن حرب . ۱۳ ـ يحيى بن كامل. وهؤلاء الثلاثة الأخيرة كانوا من الأباضية، كما أنّ اليمـان كان من البيهسـيّة، وأبو عبيـدة من الصـفريّة، وسـيوافيك أسـماء مشاهيرهم (۱) فى فصـل خـاص. كلمـة أخيرة للإمـام فى حقّ الخوارج: وللإمام علىّ كلمـة فى حق الخوارج ألقاها بعد القضاء عليهم وقال : «لاتقاتلوا الخوارج بعدى، فليس من طلب الحق فأخطأه، كمن طلب الباطل فأدركه» (۲). هـذه الكلمـة تعرب عن أنّ انحراف الخوارج عن الحق لم يكن شـيئاً مدبّراً من ذى قبل، وإنّما سذاجة القوم وقرب قعرهم، جرّهم إلى تلك الساحة، وكانوا جاحدين للحق عن جهل ممزوج بالعناد، فكانوا يطلبون الحق من أوّل الأمر، لكن أخطـأوا فى طلبه ودخلوا فى حبائـل الشـيطان والنفس الأمّارة، وهـذا بخلاف معاويـة وجيشه، فإنّهم كانوا يطلبون الباطل ويركبون الغىّ عن تقصـير وعلم، وقـد عرفت أنّه لم يكن لمعاويـة مرمى من أوّل الأمر سوى إزاحـة علىّ عن منصـبه وغصب الخلافة، و انّ دم عثمان وقميصه وكونه قتل مظلوماًفى _____

۱. ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۵/۷۴ ـ ۷۶ .

۲. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۶۰ . (۱۲۶)

عقرداره كـانت واجهـة اسـتخدمها لجلب العواطف، يطلب بهـا إغواء رعـاع النـاس، ولأجـل ذلك لمّا قتل علىّ وصالحه الحسن وأخذ بزمام الأمر، لم يبحث عن قتلـة عثمان. قال ابن أبى الحديد فى شـرحه: «مراده أنّ الخوارج ضـلّوا بشـبهة دخلت عليهم، و كانوا يطلبون الحق، ولهم فى الجملـة تمسّك بالـدين، ومحاماة عن عقيـدة اعتقدوها، وإن اخطأوا فيها، وأمّا معاوية فلم يكن يطلب الحق، وإنّما كان ذا باطـل لايحـامى عن اعتقاد قـد بناه على شـبهة، وأحواله كانت تـدلّ على ذلك، فإنّه لم يكن من أرباب الـدين، ولاظهر عنه نسك،

ولاصلاح حال، وكان مترفاً يذهب مال الفئ فی مآربه، وتمهيد ملكه، ويصانع به عن سلطانه، وكانت أحواله كلّها موذنة بانسلاخه عن العدالة، وإصراره على الباطل، و إذا كان كذلك لم يجز أن ينصر المسلمون سلطانه، وتحارب الخوارج عليه، وإن كانوا أهل ضلال، لأنّهم أحسن حالا منه، فإنّهم كانوا ينهون عن المنكر ويرون الخروج على أئمّة الجور واجباً(۱).

*** _____

۱. ابن أبی الحديد: شرح نهج البلاغة ۵/۷۸ .

الفصل السّابع انتفاضات الخوارج بعد حرب

الفصل السّابع انتفاضات الخوارج بعد حرب النهروان فی العهد العلوی (۱۲۸) (۱۲۹) كانت حرب الإمام فی النهروان، حرباً طاحنةً، قتل رجال العيث والفساد، واستأصل شافتهم، وقضی على رؤوسهم، ولكن لم يكن الخوارج كلّهم متواجدين فيها، بل كانوا متفرّقين فی البصرة، والنقاط المختلفة من العراق، فقاموا بانتفاضات ضدّ علیّ وعمّاله، وكانت الحسرة والخيبة نصيبهم، وإليك ما وقعت منها فی العهد العلوی صلوات الله عليه. ۱ ـ خروج الخريت بن راشد الناجی(۱): جاء الخريت بن راشد الناجی إلى علیّ فقال له ـ وقد جرّده من إمارة المؤمنين ـ : «يا علیّ، والله لاأُطيع أمرك ولاأُصلّی خلفك، وإنّی غداً مفارق لك، وذلك بعد تحكيم الحكمين». فناظره على وحاول اقناعه، فلم _____

۱. ذكر خروج الخريت الناجی، الطبری فی تاريخه ۴/۸۶ ـ ۱۰۰، وابن هلال الثقفی فی غاراته ۲۱، والمسعودی فی مروجه ۳/۱۵۹، والجزری فی تاريخه ۳/۱۸۳ ـ ۱۸۷، وابن أبی الحديد فی شرح نهج البلاغة ۳/۱۲۸ ـ ۱۴۸، ولمّا كانت القصة طويلة لاتناسب بحث الملل والنحل نقلناها ملخّصاً وقد لخّصها الدكتور نايف معروف فی كتابه: الخوارج فی العصر الأموی ۱۰۰ ـ ۱۰۱، وأتبعنا تلخيصه. (۱۳۰)

يرتدع. وسار بجمع من أصحابه فالتقی فی طريقه رجلا مسلماً فسأله عمّا يقوله فی علی، فأثنی عليه وقدّمه. فحملت عليه عصابة من أصحاب الخريت فقطّعوه بأسيافهم، بينما التقوا يهودياً فخلّوا سبيله. أرسل علیّ فی أثرهم زياد بن خضعة البكری فی عدد قليل من العساكر فأدركهم فی أرض المذار، فدعا زياد صاحبهم الخريت، فسأله عمّا نقمه من أمير المؤمنين، فأخبره بأنّه لايرضی بعلیّ إماماً، فطلب إليه تسليمه قتلة الرجل المسلم، فأبی عليه ذلك. فاقتتلوا قتالا شديداً دون أن يتمكّن أحدهما من الآخر، حتی جاء الليل فحجز بينهما، و تحت جنح الظلام تنكّر الخريت وأصحابه واتّجهوا صوب الأهواز، وكتب زياد إلى علیّ بما جری بينهما. فانتدب علیّ معقل بن قيس الرياحی فی جيش قوامه أربعة آلاف رجل، وبعث به فی طلب الخريت الذی كان قد اجتمع إليه كثير من قطّاع الطرق والخارجين على النظام ممّن كسروا الخراج كما انضمّت إليه طائفة من الأعراب كانت ترى رأيه، وتمكّنوا من بعض مناطق فارس وأخرجوا عاملها لعلی سهل بن حنيف، ثم كان اللقاء بين الفريقين قرب جبل من جبال رامهرمز، فخرج الخريت من المعركة منهزماً حتی لحق بساحل بحر فارس. ولكنّ الخريت لم يلق سلاحه، بل استمرّ بجمع الناس حوله، فكان يأتی من يری رأی الخوارج فيسر إليهم: «إنّی أری رأيكم، وانّ علیّاً ماكان ينبغی له أن يحكّم الرجال فی دين الله» ثم يأتی لمن يری رأی عثمان وأصحابه، فيقول لهم: «أنا على رأيكم، وانّ عثمان قتل مظلوماً معقولا» كما كان يجیء مانعی الصدقة فيقول: «شدّوا على صدقاتكم ثم صلوا بها أرحامكم، وعودوا إن شئتم على فقرائكم، وهكذا كان يعمل على إرضاء كلّ طائفة من الناس بضرب من القول يتّفق وهواهم. وبذلك استطاع أن يستهوی كثيراً من الأقوام من مختلف الميول والاتجاهات. ولمّا علم معقل بموقعه بساحل البحر بفارس، عبّأ جنده وزحف (۱۳۱) نحو الخريت وأصحابه، وهزمهم هزيمة منكرة قتل فيها الخريت، وتفرّق من بقی من أتباعه هنا وهناك. هكذا، انتهت حياة الخريت الناجی الذی لم تعرف هويّته الفكرية على حقيقتها، إذ وجدناه تارة يحارب إلى جانب علی ـ عليه السَّلام ـ وطوراً يخرج على إمامته ويشدّد النكير عليه، ومرّة يزعم أنّه من الخوارج وأُخری يتآمر على حياة زعمائهم فيستعدی علیّاً على عبدالله بن وهب الراسبی وزيد بن

حصين ليقتلهما، ويقول المسعودى: إنّ الخريت ارتدّ مع أصحابه إلى النصرانية(۱) . ۲ ـ لمّا خرج أهل النهروان خرج أشرس بن عوف الشيبانى على عليّ «بالدسكرة» فى مائتين ثمّ سار إلى الأنبار، فوجّه إليه على ـ عليه السَّلام ـ الأبرش بن حسان فى ثلاثمائة وواقعه فقتل أشرس فى ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين . ۳ ـ ثم خرج هلال بن علفة ومعه أخوه مجالد فأتى «ماسبذان» ووجّه إليه على معقل بن قيس الرياحى فقتله وقتل أصحابه وهم أكثر من مائتين، وكان قتلهم فى جمادى الأُولى سنة ثمان وثلاثين . ۴ ـ ثم خرج الأشهب بن بشر و قيل الأشعث وهو من «بجيلة» فى مائة وثمانين رجلا، فأتى المعركة التى أُصيب فيها هلال وأصحابه فصلّى عليهم و دفن من قدر عليه منهم، فوجّه إليهم على جارية بن قدامة السعدى وقيل حجربن عدى، فأقبل إليهم الأشهب فاقتتلا بـ«جرجرايا» من أرض «جوخا»

---

۱. المسعودى: مروج الذهب ;المطبوع فى سبعة أجزاء ۳/۵۹. ويظهر منه أنّه كان من أصحاب عليّ ولم يكن من الخوارج وإنّما انفصل عنه، عندما عسكر الإمام بالنخيلة ليذهب بالناس إلى حرب معاوية ثانيا فعند ذلك جعل أصحابه يتسلّلون و يلحقون بأوطانهم فلم يبق منهم إلّا نفريسير، ومضى الخريت بن راشد الناجى فى ثلاثمائة من الناس فارتدّوا إلى دين النصرانية.... . (۱۳۲)

فقتل الأشهب و أصحابه فى جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين. ۵ ـ ثم خرج سعيد بن قفل التميمى فى رجب بـ«البندجين» و معه مائتا رجل فأتى «درزنجان» وهى من المدائن على فرسخين، فخرج إليهم سعد بن مسعود فقتلهم فى رجب سنة ثمان و ثلاثين. ۶ ـ ثم خرج أبو مريم السعدى التميمى فأتى «شهرزور» وأكثر من معه من الموالى، وقيل لم يكن معه من العرب غير ستة نفر هو أحدهم، واجتمع معه مائتا رجل وقيل أربعمائة، وعاد حتى نزل على خمسة فراسخ من الكوفة، فأرسل اليه علىّ يدعوه إلى بيعته ودخول الكوفة، فلم يفعل، قال: ليس بيننا غير الحرب، فبعث إليه علىّ شريح بن هانى فى سبعمائة، فحمل الخوارج على شريح وأصحابه فانكشفوا، وبقى شريح فى مائتين فانحاز إلى قرية، فتراجع بعض أصحابه، ودخل الباقون الكوفة، فخرج علىّ بنفسه و قدم بين يديه جارية بن قدامة السعدى، فدعاهم جارية إلى طاعة علىّ، وحذّرهم القتل فلم يجيبوا، ولحقهم علىّ أيضاً فدعاهم فأبوا عليه و على أصحابه، فقتلهم أصحاب على ولم يسلم منهم غير خمسين رجلا استأمنوا فأمنهم، وكان فى الخوارج أربعون رجلا جرحى فأمر علىّ بادخالهم الكوفة ومداواتهم حتى برئوا، وكان قتلهم فى شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين، وكانوا من أشجع من قاتل من الخوارج ولجرأتهم قاربوا الكوفة(۱) . جريمتهم الكبرى أو آخر سهم فى كنانة الخوارج: قتل الإمام رؤوس الخوارج واستأصلهم، وقد نجت فئة منهم وتواروا فى البلاد كما انّ من كان به رمق منهم، دفعهم الإمام إلى عشائرهم ليداووهم، ولكن _____

۱. ابن الأثير: الكامل ۳/۱۸۷ ـ ۱۸۸ . (۱۳۳)

كان للقوم فى البصرة ونواحيها أنصار وموالون فى الطريقة وكان للهالكين فى ساحة القتال من ينتمى إليهم بشىء من النسب والسبب، فكانوا ينتهزون الفرصة لأخذ ثأرهم من الإمام علىّ ـ عليه السَّلام ـ قال: المبرّد: فلمّاقتل علىّ أهل النهروان وكان بالكوفة زهاء ألفين ممّن لم يخرج مع عبدالله بن وهب وقوم ممّن استأمن إلى أبى أيّوب الأنصارى، فتجمّعوا وأمروا عليهم رجلا من طى، فوجّه إليهم على ـ عليه السَّلام ـ رجلا وهم بالنخيلة فدعاهم ورفق بهم، فأبوا فعاودهم، فأبوا فقتلوا جميعاً، فخرجت طائفة منهم نحو مكة فوجّه معاوية من يقيم للناس حجّهم فناوشه هؤلاء الخوارج فبلغ ذلك معاوية، فوجّه بسر بن أرطاة أحد بنى عامر بن لؤى، فتوافقوا وتراضوا بعد الحرب بان يصلّى بالناس رجل من بنى شيبة لئلّا يفوت الناس الحج، فلمّا انقضى نظرت الخوارج فى أمرها، فقالوا: إنّ عليّاً ومعاوية قد أفسدا أمر هذه الأُمّة، فلو قتلناهما لعاد الأمر إلى حقّه، وقال رجل من أشجع: والله ما عمرو دونهما، وانّه لأصل هذا الفساد، فقال عبدالرحمن بن ملجم: أنا أقتل عليّاً، فقالوا: وكيف لك به؟ قال: أغتاله. فقال الحجاج بن عبدالله الصريمى وهو البرك: وأنا أقتل معاوية، وقال زادويه مولى عمروبن تميم: وأنا اقتل عمرو، فأجمع رأيهم على أن يكون قتلهم فى ليلة واحدة فجعلوا تلك الليلة ليلة احدى وعشرين(۱)من شهر رمضان، وخرج كل واحد إلى ناحية، فأتى ابن ملجم الكوفة، فأخفى نفسه وتزوّج إمراةً يقال لها قطام بنت علقمة من تيم الرباب وكانت ترى رأى الخوارج، ويروى أنّها قالت: لاأقنع منك إلّا بصداق أُسمّيه لك، وهو ثلاث آلاف درهم وعبدٌ

وأمـهٔ، وأن تقتـل علیـاً، فقـال لها: لک ما سألت. فکیف لی به؟. قالت: تروم ذلک غیلـهٔ، فإن سـلمت أرحت الناس من شـرّ وأقمتَ مع أهلک، وإن أصبتَ صرتَ إلی ــــــــــــــــــ

۱. تفرّد المبرد بنقله، والصحیح لیلهٔ التاسعهٔ عشر . (۱۳۴)

الجنـهٔ ونعیم لایزول فانعم لها وفی ذلک یقول: ثلاثـهٔ آلاف وعبـد وقَیْنَهٌ * وضـرب علیّ بالحسام المصـمِّم فلا مهر أغلی من علیّ وإن غلی * ولافتـک إلاّ ـ فتـک ابن ملجم ویروی أنّ الأشـعث نظر إلی عبـدالرحمن متقلّـداً سـیفاً فی بنی کنـدهٔ فقال: یا عبـدالرحمن أرنی سیفک. فأراه فرأی سـیفاً حدیـداً، فقال: ما تقلّدک السـیف ولیس بأوان حرب؟ قال: فقال: إنّی أردت أن أنحر به جزور القریهٔ. فرکب الأشـعث بغلته و أتی علیّاً فخبّره، فقال له: قـد عرفت بسالـهٔ ابن ملجم وفتکه، فقال علی: ما قتلنی بعد. ویروی انّ علیّاً ـ رضوان الله علیه ـ کان یخطب مرّهٔ ویذکر أصحابه، وابن ملجم تلقاء المنبر، فسمع وهو یقول: والله لأریحنّهم منک، فلمّا انصرف علی ـ صلوات الله علیه ـ إلی بیته أتی به ملبباً(۱)فأشـرف علیه، فقـال علی: ماتریـدون؟ فخبّروه بمـا سـمعوا، فقال: ما قتلنی بعـد فخلّوا عنه. ویروی أنّ علیاً کان یتمثّل إذا رآه ببیت عمرو بن معدی کرب فی قیس بن مکشوح المرادی: اُرید حیاته ویرید قتلی * عَذِیرَک من خلیلکَ من مراد فقیل لعلیّ: کأنّک قـد عرفته و عرفت ما یریـد بک. أفلا تقتله؟ فقال: کیف اقتل قاتلی؟ . فلمّا کان لیلـهٔ احـدی و عشـرین من شـهر رمضان خرج ابن ملجم وشبیب الأشـجعی فاعتورا الباب الذی یدخل منه علیّ ـ رضـی الله عنه ـ وکان مُغَلِّساً ویُوقظ الناس للصـلاهٔ، فخرج کما کان یفعل فضربه شبیب فأخطاه ــــــــــــــــــ

۱. أی مأخوذا بتلابیه. (۱۳۵)

وأصـاب سـیفه الباب، وضـربه ابن ملجم علی صَلْعَتِه (۱) فقـال علی: فزت ورب الکعبـهٔ، شـأنکم بالرجـل. فیروی عـن بعض من کـان بالمسجد من الأنصار، قال: سمعت کلمهٔ علیّ ورأیت بریق السیف، فأمّا ابن ملجم فحمل علی الناس بسیفه فأفرجوا له وتلقّاه المغیرهٔ بن نوفل بن الحرث بن عبـد المطلب بقطیفـهٔ فرمی بها علیه، واحتمله فضـرب به الأرض، فقعد علی صدره ، وأما شبیب فانتزع السـیف منه رجل من حضـرموت وصـرعه وقعد علی صدره وکثر الناس فجعلوا یصـیحون: علیکم صاحب السیف، فخاف الحضرمیّ أن یکنُّوا علیه ولایسـمعوا عـذره فرمی بالسـیف، وانسـلّ شبیب بین الناس فَدُخِلَ علی علیّ فاومر فیه، فاختلف الناس فی جوابه فقال علی: «إن أعش فالأمر إلیّ، وان اُصب فالأمر لکم، فإن آثرتم أن تقتصّوا فضـربهٔ بضـربهٔ وإن تعفوا أقرب للتقوی»....ومات علیّ ـ صـلوات الله ورضوانه علیه و رحمته ـ فی آخر الیوم الثالث [واتّفقوا علی القصاص] فدعا به الحسن ـ رضـی الله عنه ـ [فقال ابن ملجم له]: إنّ لک عندی سرّاً فقـال الحسن ـ رضـوان الله علیه ـ: أتـدرون مـا یریـد؟ یریـد أن یقرب من وجهی فیعضّ اُذنی فیقطعهـا. فقـال: أمـا والله لو أمکننی منها لاقتلعتهـا من أصـلها. فقـال الحسن: کلاّ والله لأضـربنّک ضـربهٔ تؤدّیک إلی النار(۲) . هـذا مـا ذکره المبرّد فی کـامله ووافقه عـدّهٔ من المؤرّخین غیر أنّ أهل البیت أدری بما فی البیت، والصـحیح أنّه قتل فی المحراب وهو یصـلّی الفجر وانّه ضـرب فی لیلهٔ التاسـعهٔ عشـر مـن شـهر رمضـان واستشـهد فی لیلـهٔ الحادیـهٔ و العشـرین منـه: وإلیـک کلمـهٔ عـن الإمـام الرضـا ـ علیـه السَّلام ـ فی ذلـک المجـال

---

۱. العبارهٔ تعرب عن کونه مقتولا فی باب المسجد ولکنّه مردود بقول أئمهٔ أهل البیت علی أنّه قتل فی محراب عبادته.

۲. المبرّد: الکامل ۲/۱۴۸. الطبری: التاریخ ۴/۱۱۰ ـ ۱۱۲. ابن الأثیر: الکامل ۳/۱۹۴ ـ ۱۹۵. الدینوری: الأخبار الطوال ۲۱۴. المسعودی: مروج الذهب ۴/۱۶۶ . (۱۳۶)

لمّـا ضـرب ابن ملجم ـ لعنه الله ـ أمیر المؤمنین علی بن أبی طـالب کـان معه آخر فوقعت ضـربته علی الحائـط، وأمّـا ابن ملجم فضـربه فوقعت الضربهٔ وهو ساجد علی رأسه (۱). *** ــــــــــــــــــ

۱. الطوسی: الأمالی ۲۳۳. المجلسی: البحار ۴۲/۲۰۵ ـ ۲۰۶ . (۱۳۷) خاتمهٔ المطاف: ماهی أسباب النکسهٔ فی أعقاب حرب صفّین لم یختلف اثنـان فی أنّ النصـر کـان حلیف الإمـام طوال مـدّهٔ الحرب، ولکن لمّـا طرأت فتنـهٔ التحکیم واغترّبها بعض قادهٔ جیشه وخاصـهٔ

قرّاؤهم، بدأ الضعف يدبّ فى معسكر الإمام، واختلفوا إلى فرقتين، فرقة تنادى بالصلح والموادعة، وفرقة أخرى ـ وكانت فى الظاهر قليلة ـ تصرّ على مواصلة الحرب، ولاجرم أنّ الغلبة كانت للطائفة الأُولى، ثمّ إنّ نفس تلك الطائفة تراجعت عن فكرتها وحاولت أن تفرض على على ـ عليه السَّلام ـ نقض ميثاق التحكيم، ولكنّها لم تنجح وانتهى إلى ما عرفت من خروج المحكِّمة بصورة قوّة معارضة للإمام إلاّ أنّ الإمام استأصل شأفتهم، وقطع جذورهم، فلم يبق فى القوم إلاّ حشاشات شكّلت نواة للانتفاضات والأعمال الاجرامية حيث استطاعت اغتيال الإمام واعطاء الفرصة لمعاوية، لتحقيق طموحاته التى طالما راودته فى (۱۳۸)

حياته السياسية. وكان من نتائج تلك الفتنة، أنّ الإمام لم يتمكّن من عزل معاوية عن سلطته فى الشام، وضمّ الشامات إلى حكومته، بل خرجت بعض المناطق التى كانت تحت يده عن سلطته، فاستولى عمرو بن العاص على مصر، وقتل عامل الإمام محمّد بن أبى بكر فيها حتى أصبح العراق مطمعاً لمعاوية من خلال الغارات التى قامت بها كتائبه. كلّ ذلك، مانصفه بالنكسة تارة، والهزيمة أُخرى، ويطيب لنا بيان أسبابه فى خاتمتنا هذه، وربّما يتخيّل القارئ أنّ هذا البحث خارج عن موضوع هذا الجزء (الخوارج)، ولكنّه إذا اطّلع عليه يقف على أنّ له الصلة التامّة بالموضوع وإليك البيان. إنّ السبب الحقيقى لوقوع النكسة كان أمرين: الأوّل: سيادة نزعة الاعتراض على قرّاء الكوفة: كان جيش الإمام خليطاً من طائفتين طائفة صالحة مطيعة لأمر القيادة إلى حدّ التضحية بكلّ ما تملك لتنفيذ أوامرها من دون أىّ اعتراض، و من نماذج تلك الطائفة مالك الأشتر، وعدى بن حاتم وعبدالله بن عباس، وعماربن ياسر، وعمروبن الحمق الخزاعى، وحجر بن عدى الكندى، وسهل بن حنيف، وسليمان بن صرد، إلى غير هؤلاء من صلحاء الأُمّة وأتقيائها التابعين للإمام تبعية الضل لذى الضل. وطائفه تطغى عليها نزعةُ الاعتداد بالرأى والاستبداد فى الأمر، والتدخّل فى شؤون القيادة، وكانوا يتصوّرون أنّه ليس بينهم و بين القائد، فرق حتى بقدر الأنملة ، وهذا الشعور كان ظاهراً منهم فى جميع مواقفهم من (۱۳۹)

حين انضمامهم لراية الإمام إلى خروجهم عليه، ومن نماذج هؤلاء، حرقوص بن زهير المعروف بذى الثدية، ومِسْعر بن فدكى، وزيد بن حصين، وشريح بن أوفى بن يزيد بن ظاهر العبسى، ونافع بن الأزرق، وعبدالله بن وهب الراسبى إلى غير ذلك من رؤوس تلك الطائفة الذين صاروا خوارج من بعد. وبما أنّ أصحاب هذه الطائفة كانوا يكثرون قراءة القرآن والصّلاة والتهجّد فى الليل حتى اسودّت جباههم من السجود، وأصبحت لهم ثفنات كثفنات البعير، فكان لكلامهم نفوذ وتأثير كبير فى جيش الإمام، خاصّة أُولئك الذين كانوا من قبائلهم و كتائبهم و هم كثيرون. والذى يدلّنا على سيادة تلك النزعة فيهم (نزعة الاعتراض على القيادة والمتولّين لشؤون الحكومة) مانقرأه فى تاريخ حياتهم وإليك بيانه: ۱ ـ ما سمعت من حديث النبى فى حقّ رأس الخوارج (ذى الخويصرة) حيث وقف على رسول الله وهو يقسّم غنائم خيبر فقال له: ما عدلت منذ اليوم، فقال رسول الله: ويحك من يعدل إذا لم أعدل؟! فقال عمر: ألا أقتله يا رسول الله؟ فقال رسول الله: إنّه سيكون لهذا ولأصحابه نبأ، وقال: تحقر صلاة أحدكم فى جنب صلاتهم، وصوم أحدكم فى جنب صيامهم، ولكن لايجاوز إيمانهم تراقيهم، وقال سيخرج من ضئضىء هذا الرجل، قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة (۱) . ۲ ـ ما رواه الطبرى عن محمّد بن راشد عن أبيه فى حرب الجمل قال: كان من سيرة علىّ: أن لايقتل مدبراً ولايذفف على جريح ولايكشف ستراً ولايأخذ مالا، فقال قوم يومئذ: ما يحلّ لنا دماءهم ويحرّم علينا أموالهم؟ فقال _____

۱. نقله أهل السير ونقله أصحاب الصحاح و المسانيد، ورواه البخارى أيضاً فى صحيحه لاحظ الجزء ۶ تفسير سورة البراءة تفسير قوله سبحانه: والمؤلّفة قلوبهم ص ۶۷ . (۱۴۰)

علىّ: القوم أمثالكم من صفح عنّا فهو منّا و نحن منه، ومن لجَّ حتى يصاب، فقتاله منّى على الصدر والنحر، وإنّ لكم فى خمسه لغنى، فيومئذ تكلّمت الخوارج (۱). وقد ذكر الطبرى قصّة الاعتراض على وجه الإجمال ولكن غيره ذكره على وجه التفصيل، قالوا: نقمت الخوارج على علىّ عندما قرب منهم فى النهروان وأرسل إليهم أن سلّموا قاتل عبدالله بن خباب، فأجابوه بأنّا كلّنا قتله، ولئن ظفرنا بك قتلناك، فأتاهم علىّ فى جيشه، وبرزوا إليه بجمعهم، فقال لهم قبل القتال: ماذا نقمتم منىّ؟ فقالوا له: أوّل ما نقمنا منك انّا قاتلنا بين يديك يوم الجمل، فلمّا انهزم أصحاب الجمل، أبَحْتَ لنا ما وجدنا فى عسكرهم من المال، ومنعتنا من سبى نسائهم و ذراريهم، فكيف

استحللت مالهم دون النساء والذريّة؟ فقال: إنّما أبحتُ لكم أموالهم بدلا عمّا كانوا أغاروا عليه من بيت مال البصرة قبل قدومی عليهم، والنساء والذريـة لم يقاتلونا، وكان لهم حكم الإسلام، بحكم دار الإسلام، ولم يكن منهم ردّة عن الإسلام ولا يجوز استرقاق من لم يكفر، وبعد لو أبحت لكم النساء، أيّكم يأخذ عائشة فی سهمه؟ فخجل القوم من هذا(۲) . وما ذكره الطبری، وإن وقع فی سنده سيف بن عمر، وهو ضعيف فی الروايـة، ولكن مانقله البغدادی نقيّ السند مضافاً إلی أنّه تضافرت الروايات علی نقله من الفريقين . روی الشيخ الطوسی فی تهذيبه عن مروان بن الحكم قال: لمّا هزّمنا عليّ بالبصرة ردّ علی الناس أموالهم، من أقام بيّنة أعطاه، ومن لم يقم بيّنة أحلفه، _____

۱. الطبری: التاريخ ۳/۵۴۵ .

۲. البغدادی: الفَرق بين الفِرق: ۷۸ . (۱۴۱)

قال: فقال له قائل: يا أمير المؤمنين اقسم الفی بيننا والسبی، قال: فلمّا أكثروا عليه، قال: أيّكم يأخذ اُمّ المؤمنين فی سهمه؟ فكفّوا (۱). ۳ ـ روی الطبری أيضاً: لمّا فرغ عليّ من بيعة أهل البصرة، نظر فی بيت المال فإذا فيه ستمائة ألف وزيادة، فقسّمها علی من شهد معه، فأصاب كلّ رجل منهم خمسمائة وقال: لكم إن أظفركم الله عزّوجلّ بالشام مثلها إلی اعطياتكم، وخاض فی ذلك السبائية وطعنوا علی عليّ من وراء وراء(۲). كل ذلك يعرب عن طغيان نزعة الاعتراض علی القوم، وأنّهم كانوا يرون لأنفسهم حق التدخل فی شؤون القيادة. ۴ ـ إنّا نری أنّ الأشعث لمّا قرأ وثيقة التحكيم علی الشاميين، استقبلوه برضی ولمّا عرضها علی رايات عنزة وغيرهم من العراقيين، قابلوه بالاعتراض والسيف. قال ابن مزاحم: إنّ الأشعث خرج فی الناس بذلك الكتاب يقرأه علی الناس ويعرضه عليهم، ويمرّ به علی صفوف أهل الشام ورياتهم، فرضوا بذلك، ثم مرّ به علی صفوف أهل العراق ورياتهم يعرضه عليهم حتی مرّ برايات عنزة ـ وكان مع عليّ من عنزة بصفين أربعة آلاف مجفف ـ فلمّا مرّ بهم الأشعث فقرأه عليهم، قال فتيان منهم: لا حكم إلّا لله. ثمّ حملا علی أهل الشام بسيوفهما (فقاتلا) حتی قتلا علی باب رواق معاوية. وهما أوّل من حكم، واسماهما معدان وجعد، اخوان، ثم مرّ بها علی مراد، فقال صالح بن شقيق وكان من رؤسائهم: ما لعليّ فی الدماء قد حكم * لو قاتل الأحزاب يوماً ما ظلم _____

۱. الحرّ العاملی: وسائل الشيعة ۱۱ الباب ۲۵ الحديث ۵ و ۷ ص ۵۸ .

۲. الطبری: التاريخ ۳/۵۴۴. والمراد من السبائيّة: الخوارج، فإنّه كثيراً مايطلقها عليهم. (۱۴۲) لاحكم إلّا لله ولو كره المشركون. ثم مرّ علی رايات بنی راسب فقرأه عليهم فقالوا: لاحكم إلّا لله، لانرضی ولا نحكّم الرجال فی دين الله، ثم مرّ علی رايات بنی تميم فقرأها عليهم فقال رجل منهم: لاحكم إلّا لله يقضی بالحق وهو خير الفاصلين، فقال رجل منهم لآخر: أمّا هذا فقد طعن طعنة نافذة. وخرج عروة بن اديّة أخو مرداس بن اديّة التميمی، فقال: أتحكّمون الرجال فی أمرالله، لاحكم إلّا لله، فأين قتلانا يا أشعث. ثم شدّ بسيفه ليضرب به الأشعث، فأخطأه وضرب به عجز دابّته ضربة خفيفة فاندفعت به الدابة وصاح به الناس : أن امسك يدك. فكفّ ورجع الأشعث إلی قومه (۱) . ۵ ـ إنّ بعض من صار من الخوارج كانوا متواجدين فی الكوفة أيّام خلافة عثمان، وكانوا يعترضون علی عمّاله مثل سعيد بن العاص، فكتب سعيد بن العاص بذلك إلی عثمان فأمر بتسييرهم من الكوفة، ونری بين المعترضين، حرقوص بن زهير السعدی، وشريح بن أوفی بن يزيد بن ظاهر العبسی، وزيد بن حصين الطائی وهم رؤوس الخوارج وكانوا ملتفّين حول الأشتر النخعی، وكانوا يعدّون من أصحابه، حتی كتب سعيد بن العاص بذلك إلی عثمان وقال: إنّی لا أملك من الكوفة مع الأشتر وأصحابه الذين يدعون القرّاء ـ وهم السفهاء ـ شيئاً فكتب إليه: أن سيّرهم إلی الشام(۲). نعم اجتمع مع الأشتر غيرهم، من الرجال الصالحين والعبّاد الناسكين كزيد وصعصعة بن صوحان وكعب بن عبده وعدی بن حاتم الطائی، ويزيد بن قيس الأرحبی (الذی كان له مواقف مشكورة فی حرب صفّين)، وعمرو بن الحمق، وكميل بن زياد النخعی، وحارث بن عبدالله الأعور الهمدانی، _____

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۸۷ ـ ۵۸۸ .

۲. الغدير: ۵ / ۳۱ نقلاً عن الأنساب للبلاذری: ۵/۳۹ . (۱۴۳)

وغیرهم من الصلحاء، وذلک یکشف عن وجود نزعة الاعتراض فی قرّاء الکوفة ورؤسائهم، نعم کون هؤلاء محّقین فی اعتراضهم علی عامل الخلیفة الثالث وحتی الخلیفة نفسه لایکون دلیلا علی أنّهم محقّون کذلک فی مسألة التحکیم وما خلّف من الآثار السیّئة، ولا دلیل علی تلک الملازمة، فرّب انسان یکون محقّاً فی دعوی ومبطلا فی دعوی اُخری، والامعان فی حقیقة الاعتراضین ـ الاعتراض علی عامل الخلیفة الثالث والاعتراض علی أمیرالمؤمنین علیـ یکفی فی تصدیق ماذکرنا. نعم إنّ الإسلام لا یخالف سیاسة الانتقاد وحریة التعبیر عن الرأی، ولایرید للاُمّة أن تکون کقطیع من الماشیة بل انّه یدعو إلی النقد إذا کان لأجل طلب الحق، مثلا إذا بدا للانسان أنّ قول القائد لا یماثل عمله فله السؤال والنقاش ولکن باسلوب بنّاء، لغایة الوصول إلی الحق، وهذا ما یدعو إلیه الإسلام خصوصاً فیما إذا کان القائد انساناً غیر معصوم، بل نجد ذلک فی عصر المعصوم أیضاً، روی أصحاب السیرة لمّا توفّی عبدالله ولد النبی بکی علیه وجرت دموعه علی خدّیه، فاستظهر بعض الصحابة أنّ عمل النبی هذا ینافی ما أوصی به من عدم البکاء علی المّیت، فاجابه النبی وأرشده إلی الحق وقال ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ: لا، ولکنّی نهیت عن صوتین احمقین وآخرین: صوت عند مصیبة، وخمش وجوه، وشق جیوب، ورنة شیطان، وصوت عند نعمة لهو، وهذه رحمة ومن لایَرْحَم لایُرْحَم (۱) . نعم إذا کانت الغایة مجرّد إبداء الرأی، وحبّ الاعتراض، فهذا ما یعدّه الکتاب والسنّة من المجادلة بالباطل (ما یُجادِلُ فِی آیاتِ اللهِ إلاّ الَّذِیْنَ کَفَروا فَلا

---

۱. برهان الدین الحلبی: السیرة الحلبیة ۳/۳۹۵ . (۱۴۴) یَغْرُرْکَ تَقَلُّبُهُمْ فِی البِلادِ) (۱) وقال سبحانه: (وَ یُجادِلُ الَّذِیْنَ کَفَرُوا بَالباطِلِ لِیُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ) .(۲) نحن نری تلکما النزعتین متجسّدتین فی الأشتر والملتفّین حوله من الصلحاء من جهة، وحرقوص وزملائه من جهه اُخری، وإن اشترکوا فی حقبة من الزمن فی صبغة الاعتراض. فالنزعة الاُولی: کانت نابعة عن روح صادقة لاعن هوی نفسی، ولأجل ذلک بقوا علی اعتراضهم ومخالفتهم لعامل الخلیفة إلی أن قُتِلَ عثمان، لأنّهم أدرکوا أنّ عمل الخلیفة وعمّاله یفارق مبادیء الإسلام، وتحمّلوا التسییر والتبعید عن الوطن، ولکن لمّا واجهوا علیّاً ووجدوا فیه ضالّتهم المنشودة من أنّه القائد الإلهی الذی یعمل لأجل الله، سلّموا إلیه مقالید امورهم. والنزعة الثانیة: کانت نابعة عن روح مکابرة ترید فرض ما تحبّ وتری، سواء أکان حقّاً أم باطلا، ونذکر هنا نموذجاً للقسمین: قال ابن مزاحم: قیل لعلی لمّا کتبت الصحیفة: إنّ الأشتر لم یرض بما فی هذه الصحیفة ولا یری إلاّ قتال القوم، فقال علی: بلی إنّ الأشتر لیرضی اِذا رَضیتُ، وقد رضیتُ ورضیتُم، ولا یصلح الرجوع بعد الرضا، ولا التبدیل بعد الإقرار، إلاّ ان یُعْصی الله ویتعدّی ما فی کتابه (۳) . وإی تسلیم أعلی وأنبل من تسلیم الأشتر لأمر القیادة، فقد کان النصر حلیفاً له ولم یبق بینه وبین تحقّقه الاّ عدوة الفرس، أو قاب قوسین او أدنی، فلمّا وقف علی أنّ مواصلة الحرب ولو فترة قلیلة سیؤدّی إلی القضاء

---

۱. غافر: ۴ .

۲. الکهف: ۵۶ .

۳. نصر بن مزاحم: وقعة صفّین ۵۹۸ . (۱۴۵)

علی حیاة الإمام، تراجع عن ساحة القتال، ورجع طائعاً مذعناً لما أمره به الإمام ـ علیه السَّلام ـ وخاطب اُولئک الذین وقفوا بوجه الإمام، وقال خُدِعتم والله فانخدعتم، ودُعِیْتُم إلی وضع الحرب فأجبتم، یا أصحاب الجباة السود کنّا نظنّ أنّ صلاتکم زهادة فی الدنیا، وشوقاً إلی لقاء الله، فلا أری فراکم إلاّ إلی الدنیا من الموت، ألا فقبحاً یا أشباه النِّیب الجلّالة، ما أنتم برائین بعدها عزّاً أبداً، فابعدوا کما بعد القوم الظالمون (۱). هذا هو الأشتر وهذه طاعته للامام الحق، وأمّا الخوارج فسَلْ عن عنادهم ولجاجهم فی وجه الحق، فقد احتجّ عبدالله بن عباس علی صحّة مبدأ التحکیم بقوله: «إنّ الله أمر بالتحکیم فی قتل صید» فقال: (یَحْکُمُ بِهِ ذوا عَدْل مِنْکُمْ) فکیف فی الامامة...، فلمّا سمعت الخوارج تلک المعارضة قال بعضهم لبعض: اجعلوا احتجاج قریش حجّة علیهم، فإنّ هذا من الذین قال الله فیهم: (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُون) وقال عزّوجلّ: (و تُنْذِرَ به قَوْماً لدّا)(۲). إلی هنا وقفت علی العامل الأوّل لظهور هذه النکسة، وإلیک

بیـان العامل الثانی: الثانی: وجود العملاء فی جیش الإمام: کان فی جیش الإمام عملاء لمعاویـة یعملون لصالحه، حیث کانوا یضـمرون العداء لعلیّ، ویتحّینون الفُرصَ للقضاء علی حکومته وحیاته، کأمثال الأشعث بن قیس، وقد عرفت أنّه خطب فی أوان طلوع فکرة إنهاء الحرب وقال: من لذرارینا ونسائنا إن قُتِلْنا؟ یقول هذا والخوارج بمرأی ــــــــــــــــــ

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّین ۵۶۳.

۲. المبرّد: الکامل ۲/۱۲۲ طبع مطبعة المعارف بمصر. (۱۴۶)

ومسـمع منه، وفی ذلک یقول ابن أبی الحدیـد: «کلّ فساد کان فی خلافة علیّ ـ علیه السَّلام ـ وکلّ اضـطراب حدث فأصـله الأشـعث» (۱) . وإلیک الشواهـد علی صـحّة تلک النظریة: ۱ ـ کـان الأشـعث عاملا لعثمان علی آذربایجان، وقـد کان عمروبن عثمان تزوّج ابنة الأشـعث بن قیس، ولمّا بویع علیّ ـ علیه السَّلام ـ کتب إلیه مع زیاد ابن مرحب الهمـدانی رسالـة ذکر فیها بیعة طلحة والزبیر ونقضـهما البیعـة وقال: «وإنّ عملک لیس لک بطعمـة ولکنّه أمانـة، وفی یدیک مال من مال الله، وأنت من خزّان الله علیه حتی تسلّمه إلیّ». فلمّا قرأ کتاب علی قال لبعض أصـحابه: «إنّه قد أوحشـنی وهو آخذ بمال آذربایجان» وأراد اللحوق بمعاویة فمنعه بعض أصحابه حتی قدم علی علیّ، وهو معزول عن الولایة(۲) . قال المسـعودیّ: وبعث إلی الأشعث بن قیس یعزله عن آذربایجان وأرمینیة وکان عاملا لعثمان علیها، وکان فی نفس الأشـعث علی علیّ ما ذکرنا من العزل وما خاطبه به حین قدم علیه فیما اقتطع هنالک من الأموال (۳) . ۲ ـ کانت رئاسـة قبیلتی کنـدة وربیعـة للأشـعث فانتزعها علیّ ـ علیه السَّلام ـ منه وولّی حسان بن مخـدوع علیهما، ثمّ بعد هن وهنات أشـرکه فی الرئاسة(۴) وقد أثار ذلک حفیظة الأشعث علی علیّ وإن لم یظهر ذلک. ۳ ـ کان الأشعث متّهماً بالتنسیق مع معاویة خلال فترة الحرب، یقول ابن مزاحم: إنّ ابن ذی الکلاع أرسل إلی الأشعث رسولا فقال له: «إنّ ابن عمّک ــــــــــــــــــ

۱. ابن أبی الحدید: شرح نهج البلاغة ۲/۲۷۹ .

۲. نصر بن مزاحم: وقعة صفّین ۲۹ .

۳. المسعودی: مروج الذهب ۳/۱۱۷ .

۴. نصر بن مزاحم: وقعة صفّین ۱۵۳ . (۱۴۷)

ذی الکلاع یقرئک السّلام ورحمة الله، وإن کان ذوالکلاع قد اُصیب وهو فی المیسـرة، فتأذن لنا فیه» فقال له الأشـعث: اقرأ صاحبک السّلام ورحمة الله، وقل له: إنّی أخاف أن یتهمنی علی، فاطلبه إلی سعید بن قیس فإنّه فی المیمنة، فذهب إلی معاویة فأخبره وکان منع ذلک منهم، وکانوا فی الیوم والأیام یتراسلون(۱). ۴ ـ أرسل معاویة بن ابی سفیان أخاه عتبة بن أبی سفیان، فقال: الق الأشعث، فإنّه إن رضی رضیت العامّة، فخرج عتبة فنادی الأشعث بن قیس، فقال الناس: هذا الرجل یدعوک، فقال الأشعث: سلوه من هو؟ فقال: أنا عتبة بن أبی سـفیان، فقال الأشـعث: غلام مترف ولابـدّ من لقائه، فخرج إلیه، فأبلغه دعوة معاویـة (۲) . وهـذا یعرب أنّ معاویـة کان یحاول ایجاد موطأ قـدم له فی ساحـة علی ـ علیه السَّلام ـ من خلال کسب رضا الأشـعث، وقـد نجح الرجل فی ذلک بعض النجاح وقد کانت نتیجـة هـذه الـدعوة أنّه قال فی جواب معاویـة: أمّا البقیـة فلسـتم بأحوج إلیها منّا، وسـنری رأینا فیها إن شاء الله . فلمّا بلغ معاویـة کلام الأشـعث، أیقن بأنّ الأشـعث قد جنح للسـلم، وشاعت نتیجة المفاوضة فی صـفوف الجیشین، إلی أن اجترأ الأشعث علی ابداء رأیه فی الحرب والطلب من علیّ أنهائها رحمـة بالـذراری والنساء وهذا ماتقرأه فیما یلی: ۵ ـ إنّ الأشـعث قام لیلة الهریر فی أصحابه من کندة، فألقی خطاباً یتوخّی منه تثبیط العزائم وایقاف الحرب لصالح معاویة، وکانت امارات النصر لعلی ــــــــــــــــــ

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّین ۳۴۱ .

۲. نصر بن مزاحم: وقعة صفّین ۴۶۵ . (۱۴۸)

ظاهرة، وقـد رفعوا المصاحف علی رؤوس الأسـنّة فی نهار تلک اللیلـة، فقال فی خطابه: «قـد رأیتم یا معشـر المسـلمین ما قـد کان فی یومکم هـذا الماضـی، وما قـد فنی فیه من العرب، فوالله لقـد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ، فما رأیت مثل هـذا الیوم قط، إلاّ فلیبلّغ

الشاهد الغائب، انّا إن نحن توافقنا غداً انّه لفناء العرب وضيعة الحرمات، أما والله ما أقول هذه المقالة جزعاً من الحتف ولكنّى رجل مسنّ اخاف على النساء والذرارى غداً إذا فنينا. قال صعصعة: فانطلقت عيون معاوية إليه بخطبة الأشعث، فقال: أصاب وربّ الكعبة، لئن نحن التقينا غداً لتميلنّ الروم على ذرارينا ونسائنا، ولتميلنّ أهل فارس على نساء أهل العراق وذراريهم، وأنّما يبصر هذا ذووا الأحلام والنهى، اربطوا المصاحف على أطراف القنا. فصار أهل الشام فنادوا فى سواد الليل: يا أهل العراق من لذرارينا إن قتلتمونا ومن لذراريكم إن قتلناكم، الله الله فى البقية. فأصبح أهل الشام وقد رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح وقلّدوها الخيل...(۱) . ۶ ـ إنّ رفع المصاحف أوجد الفوضى فى جيش على ـ عليه السَّلام ـ وفرّقهم إلى فرقتين، فمنهم من يطلب مواصلة الحرب كعمروبن الحمق وغيره، ومنهم من يصرّ على إنهائها، ومنهم الأشعث فقام خطيباً مغضباً فقال: يا أمير المؤمنين أجب القوم إلى كتاب الله فإنّك أحقّ به منهم، وقد أحبّ الناس البقاء وكرهوا القتال (۲) . ۷ ـ وبعدما رضى الإمام بالتصالح لأُمور تقدّمت، وتوافق الطرفان على أن يبعث كلّ واحد حكماً، اختار الإمام أن يكون الحكم من قِبَلِه، ابن عباس، ــــــــــــــــــ

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۴۹ ـ ۵۵۰ .

۲. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۵۱ . (۱۴۹)

فلم يقبله الأشعث، وقال: والله ما نبالى أكنتَ أنت أو ابن عباس ولانريد إلّا رجلا هو منك ومن معاوية سواء ليس إلى واحد منكما بأدنى من الآخر، قال على: إنّى اجعل الأشتر، قال الأشعث: وهل سعّر الأرض علينا غير الأشتر(۱) . ۸ ـ كان الأشعث يتبجّح بكتاب الصلح ولمّا تمّت كتابته وشهد عليه شهود من الطرفين أخذ به ومرّ به على صفوف أهل الشام والعراق يعرضه عليهم، واستقبله أهل الشام بالرضا، وأمّا أهل العراق فقد أوجد فيهم فوضى فمنهم من رضى ومنهم من حمل عليه هاتفاً بقوله: لا حكم إلّا لله (۲) . وممّا ذكرنا يظهر أنّ الرجل وإن لم يكن من الخوارج لكنّه إمّا كان عميلا لمعاوية، كما هو الظاهر ممّا سردناه عليك ، أوكان فى نفسه شىء يجرّه إلى أن يتّخذ موقفاً خاصّاً مناوئاً لعلىّ ـ عليه السَّلام ـ ولأجل ذلك كان ما ألقاه من كلام حول ايقاف الحرب فرصة لما يرومه معاوية من انهاء الحرب وايجاد الفوضى، وبذلك تقف على صحّة ماذكره ابن أبى الحديد: من أنّ كل فساد كان فى خلافة علىّ فأصله الأشعث . يقول اليعقوبى: لمّا رفعوا المصاحف وقالوا: ندعوكم إلى كتاب الله، فقال على: إنّها مكيدة وليسوا بأصحاب قرآن، فاعترض الأشعث بن قيس الكندى، ـ وقد كان معاوية استماله وكتب إليه ودعاه إلى نفسه ـ فقال: قد دعوا القوم إلى الحقّ، فقال علىّ ـ عليه السَّلام ـ إنّهم إنّما كادوكم وأرادوا صرفكم عنهم، فقال الأشعث: والله لئن لم تجبهم انصرفتُ عنك، ومالت اليمانية مع الأشعث، فقال الأشعث: والله لتجيبنّهم إلى ما دعوا إليه أو لندفعنّك إليهم ــــــــــــــــــ

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۷۲ .

۲. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۸۸ . (۱۵۰)

برمّتك.(۱) . ويؤيّد ذلك ما ذكره المبرّد فى كامله: لمّا استقرّت الخوارج فى حروراء بعث على ـ عليه السَّلام ـ إليهم صعصعة بن صوحان العبدى وزياد بن النضير الحارثى مع عبدالله بن عباس فقال لصعصعة: بأى القوم رأيتهم أشدَّ إطاقة؟ فقال: يزيد بن قيس الأرحبّى، فركب على إليهم إلى حروراء، فجعل يتخلّلهم حتى صار إلى مَضْرب يزيد بن قيس، فصلّى فيه ركعتين، ثم خرج فاتّكأ على قوسه، وأقبل على الناس، فقال: هذا مقام من فلج (۲) فيه فلج يوم القيامة، ثمّ كلّمهم وناشدهم، فقالوا: أنّا أذنبنا ذنباً عظيماً بالتحكيم، وقد تبنا، فتب إلى الله كما تبنا نعدلك، فقال على ـ عليه السَّلام ـ : أنا استغفر الله من كلّ ذنب، فرجعوا معه وهم ستّة آلاف، فلمّا استقرّوا بالكوفة أشاعوا أنّ علياً ـ عليه السَّلام ـ رجع عن التحكيم، ورآه ظلالا ـ وقالوا: إنّما ينتظر أميرالمؤمنين أن يسمن الكراع (۳) وتجنى الأموال، ثمّ ينهض بنا إلى الشام، فأتى الأشعث علياً ـ عليه السَّلام ـ فقال: يا أميرالمؤمنين، إنّ الناس قد تحدّثوا أنّك رأيت الحكومة ضلالا والاقامة عليها كفراً، فقام علىّ ـ عليه السَّلام ـ يخطب، فقال: من زعم أنّى رجعت عن الحكومة فقد كذب، ومن رآها ضلالا فقد ضلّ، فخرجت حينئذ الخوارج من المسجد فحكّمت (۴) . قال ابن أبى الحديد: إنّ الخوارج لمّا قالوا لعلىّ: تب إلى الله ممّا

فعلت كما تبنا، ننهض معك إلى حرب الشام، فقال لهم عليّ: كلمة مجملة مرسلة ـــــــــــــــــــ

۱. اليعقوبى: التاريخ ۲/۱۷۸ طبعة النجف .

۲. فلج فيه، من الفلج: وهو الظفر .

۳. الكراع: اسم للخيل .

۴. المبرّد: الكامل ۲/۱۵۵، وفى المصدر: فقال الصعصعة والصحيح ما أثبتناه . (۱۵۱)

يقولها الأنبياء و المعصومين وهى قوله: «استغفرالله من كلّ ذنب» فرضوا بها وعدّوها اجابة لهم إلى سؤالهم، وصفت له ـ عليه السَّلام ـ نيّاتهم، واستخلص بها ضمائرهم، من غير أن تتضمّن تلك الكلمة اعترافاً بكفر أو ذنب فلم يتركه الأشعث، وجاء إليه مستفسراً وكاشفاً عن الحال وهاتكاً ستر التورية والكناية، فانتقض ما دبّره، وعاد الخوارج إلى شبهتهم الاُولى، وراجعوا التحكيم والمروق (۱) . هل العصبية القبلية دفعت الأشعث إلى المخالفة؟: من هذا البحث انصافاً تقف على قيمة مايذكره البعض وهو أنّ العصبية القبلية أثّرت فى انحراف الأشعث عن على، بل مهّدت لنشوء الخوارج وظهورهم فى الساحة، وذلك بحجة أنّ الأشعث اعترض على ترشيح عبدالله بن عباس ممثّلاـ لعليّ، وقال: لا والله لا يحكم فيها مُضريّان حتى تقوم الساعة، ولكن اجعله من أهل اليمن، إذا جعلوا (أهل الشام) رجلا من مضر. فقال على: إنّى أخاف أن يُخْدَع يَمَنِيُّكُم، فإنّ عمراً ليس من الله فى شىء إذا كان له فى امر هوى، فقال الأشعث: والله لأن يحكمابعض ما نكرهه وأحدهما من أهل اليمن أحبّ إلينا من أن يكون بعض ما نحبّ فى حكمهما وهما مضريان (۲) . إنّ تحليل انحراف الأشعث عن عليّ ـ عليه السَّلام ـ وايجاده الفوضى فى قسم كبير من جيشه بهذا العامل النفسى ضعيف جداً، ولاننكر أن يكون لهذا العامل أيضاً رصيداً فى ما كان يضمره ويعمله . ـــــــــــــــــــ

۱. ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۲/۲۸۰ .

۲. الدكتور نايف معروف: الخوارج فى العصر الاُموى ۲۵ وما نقله عن الأشعث، ذكره ابن مزاحم فى وقعة صفّين ۵۰۰ . (۱۵۲) وأبعد من ذلك تحليل نشوء الخوارج فى ساحة القتال بالعصبية القبلية، انّها أنجبت حركة الخوارج فصارت عصبيتهم الموجّهة ضدّ قريش وسلطانها المتجسّد فى الحكومة العلوية يومذاك، سبباً لتلك الحركة الهدّامة بشهادة أنّا لانجد فى صفوف الخوارج قرشياً واحداً بل على العكس من ذلك فإنّهم كانوا يحملون لواء التمرّد على قيادتها(۱) . إنّ تحليل هذه الحركة الكبيرة من بدئها إلى نهايتها بهذا العامل النفسى أشبه بتعليل الهزّة الكبيرة الموجبة لانهدام المدن والقرى، بسقوط صخرة من أعلى الجبل إلى هّوة سحيقة، نعم لايمكن انكار العصبية القبلية بين جميع القبائل العربية، خصوصاً بين قبيلتى تميم وقريش، ولكنّه ليس بمعنى أنّه الباعث والعامل المحدِث لهذه الضجّة الكبيرة التى شغلت بال المسلمين والخلفاء طوال قرون، بل العامل لحدوث هذه الحركة هو ما عرفته فى المقام وفى الفصل الثالث عند البحث عن نشوء الخوارج . *** ـــــــــــــــــــ

۱. الدكتور نايف معروف: الخوارج فى العصر الاُموى ۲۸ .

الفصل الثامن الخوارج فى عصر معاوية بن أبى

الفصل الثامن الخوارج فى عصر معاوية بن أبى سفيان (۱۵۴) (۱۵۵) قد تعرّفت على مأساة التحكيم وما خلّف من آثار ونتائج سيّئة فى جيش الإمام وأصحابه حيث فرّقهم وشقّ شملهم، فانقلب الاخوان أعداءً، وأصبح الأنصار معارضين، إلى أن أدّى ذلك إلى حروب دامية ضدّ إمامهم أمير المؤمنين ولم يبرحوا حتى قضوا على حياته حيلة وغيلة. لقد بذر معاوية تلك البذرة فى جيش الإمام، ولم يدر بخلده أنّ هذه البذرة سوف تنمو وتكون أشواكاً تعكّر عليه صفو خلافته، وتشغل باله عشرين سنة إلى العام الذى هلك فيه، فحصد مازرع ووقع بالحفرة التى حفرها، وسوف نذكر الحروب والانتفاضات التى جرت فى عهد معاوية بعد أن تسنّم عرش الخلافة من عام ۴۱ إلى ۶۰ من الهجرة. نعم لم تقف انتفاضاتهم بهلاك معاوية، بل استمرّت بعد هلاكه، وعلى طول عهد بنى اُميّة، غير انّا نكتفى بما

جرى فى عهد معاوية وبعده بقليل، ليكون نموذجاً لسائر الثورات التى قاموا بها إلى أواخر العصر الأموى. فكانوا مثلا لقوله سبحانه: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَ بالَ أَمْرِهِمْ (۱۵۶) وَ لَهُمْ عَذابٌ اَلِيمٌ) (۱) . وقبل ذلك نلفت نظر القارىء إلى هذه الانتفاضات من زاوية اُخرى، فالخوارج وإن قاموا فى وجه الطغاة اللئام من بنى اُميّة فثاروا عليهم هنا وهناك بصورة عشوائية ومتفرّقة، فأسهروا عيونهم وزعزعوا كيانهم، ولكنّهم أيضاً ذاقوا وبال أمرهم لأنّهم عصوا إمامهم، وقلّبوا الاُمور عليه، وأوجدوا الفوضى فى عصره، فصدق فيهم قول الامام وهو يخاطبهم: «أما انّكم ستلقون بعدى ذلاّ شاملا، وسيفاً قاطعاً، يتّخذها الظالمون فيكم سنّة»(۲) . وهذا الكلام تنبؤ من الإمام عن مستقبلهم المظلم، ويحقّ له هذا التنبؤ، كيف وهو باب علم النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ، نعم احتمل ابن أبى الحديد أن يكون دعاءً أيضاً وقال: وهذه المخاطبة لهم وهذا الدعاء عليهم، وهذه الأخبار عن مستقبل حالهم، وقد وقع ذلك، فإنّ الله تعالى سلّط على الخوارج بعده الذلّ الشامل، والسيف القاطع، والاثرة من السلطان، ومازال حالهم يضمحل حتى افناهم الله تعالى وافنى جمهورهم. ثمّ إنّ ابن أبى الحديد ذكر فى أخبارهم شيئاً كثيراً وأطنب الكلام فى سيف المهلّب بن أبى صفرة وبنيه على الخوارج وانّ نتيجته كانت الحتف القاضى، والموت الزؤوم للخوارج. إنّ موسوعتنا هذه موسوعة تاريخ العقائد، لا تاريخ الأقوام، ولأجل ذلك ضربنا صفحاً عن نقل جميع الانتفاضات التى أقامها الخوارج فى الشهود المختلفة، وفى أماكن متفرّقة، واكتفينا بماقاموا به فى العصر الإموى، وخصّصنا بالذكر خصوص ما يرجع إلى عهد معاوية بن أبى سفيان زارع هذه ــــــــــــــــــ

۱. التغابن ۵ .

۲. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۵۸ . (۱۵۷)

البذرة، وحاصد نتائجها الدنيوية، وحافر تلك الحفرة والواقع فيها، وطلباً للاكمال نشير إلى الانتفاضات الواقعة بعد عهد معاوية بوجه موجز. اغتيل الإمام على ـ عليه السَّلام ـ بيد أشقى الأوّلين والآخرين على ما وصفه الرسول الأعظم ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ فى حديثه (۱) وقضى نحبه فبويع الحسن خليفة بعد أبيه وتمّت له البيعة فى رمضان سنة أربعين، وكان معاوية يتحّين الفرص ليسيطر على العراق كما سيطر على مصر ويأخذ بمقاليد الحكم، وقد أعطاه قتل الإمام فرصة لبسط نفوذه على العراق وخلع الحسن عن الحكم، فقدّم أمامه عبدالله بن عامر ليفتح الطريق إلى معاوية، ثمّ غادر هو الشام متوجّهاً إلى العراق. ولمّا وقف الحسن على خطّة معاوية وانّه بصدد مواجهته بالقوّة العسكرية قدّم كتائب من جيشه وعلى رأسهم كتيبة قيس بن سعد بن عباده، وخرج هو من الكوفة حتى نزل المدائن مستعدّاً لمواجهة معاوية، غير أنّ الحوادث المريرة ـ التى ليس المقام مناسباً لذكرها ـ خيَّبتْ أمله، فلم يَر بدّا من التنازل عن الحكم و تسليم الأمر إلى معاوية من خلال وثيقة الصلح، وكيف لايكون مضطرّاً إلى التصالح وقد أعرب عن اضطهاده وتخاذل أصحابه ونهب ماله قبل مواجهة العدوّ، فقام خطيباً وقال: «يا أهل العراق انّه سخّى بنفسى عنكم ثلاث: قتلكم أبى، وطعنكم إيّاى وانتهابكم متاعى»(۲). أخذ معاوية بمقاليد الحكم وكان يتبجّح بأنّه أزال جميع الموانع التى ــــــــــــــــــ

۱. سبط ابن الجوزى: تذكرة الخواص ۱۵۸.

۲. الطبرى: التاريخ ۴/۱۲۲ وقد ذكر الطبرى صورة وثيقة الصلح فى ذلك المقام ولكن ما ذكره لايشتمل على جميع بنود الصلح ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتاب صلح الحسن للشيخ راضى آل ياسين. (۱۵۸)

كانت تقف فى طريقه لتولّى سدّة الحكم، لكنّه كان غافلا عن أنّ البذرة التى بذرها فى صفّين لأجل إيجاد الفرقة فى صفوف جيش علىّ ـ عليه السَّلام ـ سوف تنمو ويأكل من ثمرها وتكون عليه ضدّاً، فإن تسليم الحسن الحكم لمعاوية، ومبايعة أهل العراق له قد أغضب رؤوس الخوارج المختفين فى جيش الحسن والمتفرّقين فى البلاد، إذ شعروا أنّ هذا التصالح خطر على كيانهم ووجودهم، ولأجل ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم لمحاربة النظام الجديد كما حاربوا النظام السابق، فالخوارج كانوا ينظرون إلى علىّ ـ عليه السَّلام ـ ومعاوية بمنظار واحد بعد قضية التحكيم وإن كان علىّ ـ عليه السَّلام ـ فى نظرهم إماماً عادلا محقّاً قبل التحكيم . وإليك بعض حروبهم فى عصر معاوية على وجه الإجمال: ۱ ـ خروج فروة بن نوفل: يقول الطبرى: وفى هذه السنة سنة۴۱ خرجت الخوارج

التی اعتزلت أیام علیّ ـ علیه السَّلام ـ بـ «شهرزور» علی معاویة، فلمّا قدم معاویة العراق قبل أن یبرح الحسن من الکوفة حتی نزل النخیلة فقالت الحروریة الخمسمائة التی کانت اعتزلت بـ«شهرزور» مع فروة بن نوفل الأشجعی: قد جاء الآن ما لا شکّ فیه، فسیروا إلی معاویة نجاهده، فأقبلوا وعلیهم فروة بن نوفل حتی دخلوا الکوفه فأرسل الیهم معاویة خیلا من خیل أهل الشام فکشفوا أهل الشام، فقال معاویة لأهل الکوفة: لاأمان لکم والله عندی حتی تکّفوا بوائقکم، فخرج أهل الکوفة إلی الخوارج فقاتلوهم، فقالت لهم الخوارج: ویلکم ما تبغون منّا، أالیس معاویة عدوّنا وعدوّکم، دعونا حتی نقاتله وإن أصبناه کنّا قد کفینا کم عدوّکم، وإن أصابنا کنتم قد کفیتمونا، قالوا: لا والله حتی نقاتلکم، فقالوا: رحم الله اخواننا (۱۵۹)

من أهل النهر هم کانوا أعلم بکم یا أهل الکوفة، وأخذت أشجع (۱) صاحبهم فروة وکان سید القوم واستعمل الخوارج علیهم عبدالله بن أبی الحر(۲)، رجلاـ من طیّ، فقاتلوهم، فقتلوا(۳) . وممّا یذکره المؤرّخون من حدیث معرکة النخیلة: انّ قبیلة اشجع تمکّنت من أخذ فروة بن نوفل من بین أصحابه الخوارج، فولّی الخوارجُ علیهم عبدالله بن ابی الحرباء، فقتل فی أثناء المعرکة، فولّی الخوارج علیهم حوثرةَ بن وداع بن مسعود الأسدی، فعاد إلی النخیلة، فأرسل الیه معاویة أباه، لعلَّه یردُّه وقال له: اُخرج إلی ابنک فلعلَّه یرقُّ إذا رآک. فخرج إلیه وکلّمه وناشده وقال: ألاأجیئک بأبنک؟ فلعلّک إذا رأیتَه کرهتَ فراقهَ. فقال حوثرة: إنّی إلی طعنة من ید کافر یرمح القلب فیها ساعة، أشوق منّی إلی ابنی . فرجع أبوه وأخبر معاویة بقوله. فأرسل معاویة إلیهم جنداً فقتلوهم جمیعا(۴) . ۲ ـ خروج شبیب بن بجرة: کان شبیب مع ابن ملجم حین قتل علیّاً، فلمّا دخل معاویة الکوفة أتاه شبیب المتقرّب وقال: أنا و ابن ملجم قتلنا علیّاً، فوثب معاویة من مجلسه مذعوراً حتی دخل منزله وبعث إلی أشجع، ــــــــــــــــــ

۱. اسم قبیلة من قبائل الکوفة، والمراد أنّ القبیلة التی کانت تحمی معاویة أخذت فروة بن نوفل رئیس الخوارج.

۲. وفی الکامل لابن الاثیر (عبدالله بن أبی الهوساء) ۳/۳۰۵ ـ ۳۰۶ .

۳. الطبری: التاریخ ۴/۱۲۶ .

۴. عمر ابو النضر: الخوارج فی الإسلام ۳۱ . (۱۶۰)

فقال: لئن رأیت شبیباً أو بلغنی أنّه ببابی لأهلکنّکم، أخْرِجوه من بلدکم، وکان شبیب إذا جنّ علیه اللیل خرج فلم یلق أحداً إلّا قتله، فلمّا ولی المغیرة بن شعبة الکوفة، خرج علیه بالطفّ قریب الکوفة، فبعث إلیه المغیرة خیلا علیها خالد بن أرفطة، وقیل معقل بن قیس، فاقتتلوا فقتل شبیب وأصحابه (۱) . هذه عبرة خاطفة عن ثورات الخوارج فی الکوفة، قبل أن یولّی المغیرة بن شعبة من قبل معاویة، وبعدما تولّی هو الکوفة کانت لهم ثورات أخمدها المغیرة بدهائه وسیفه وإلیکها مجملة: الخوارج والمغیرة بن شعبة والی معاویة فی الکوفة: غادر معاویة الکوفة إلی الشام واستعمل عبدالله بن عمرو بن العاص علی الکوفة، فأتاه المغیرة بن شعبة فقال له: استعملت عبدالله علی الکوفة، وأباه علی مصر، فتکون أمیراً بین نابی الأسد، فعزله عنها واستعمل المغیرة علی الکوفة، ولمّا بلغ عمرو ما قاله المغیرة، دخل علی معاویة فقال: استعملت المغیرة علی الخراج فیغتال المال ولا تستطیع أن تأخذه منه، استعمل علی الخراج رجلا یخافک ویتّقیک، فعزله عن الخراج واستعمله علی الصلاة. فلقی المغیرة عمرو، فقال عمرو: أنت المشیر علی أمیرالمؤمنین بما أشرت به فی عبدالله؟ قال: نعم. قال: هذه بتلک(۲) وکان المغیرة یمثّل ــــــــــــــــــ

۱. ابن الاثیر: الکامل ۳/۲۰۶ .

۲. الطبری: التاریخ ۴/۱۲۷. ابن الاثیر: الکامل ۳/۲۰۶. هؤلاء هم الصحابة العدول الذین یؤخذ عنهم الدین والفتوی!!. (۱۶۱)

سیاسة معاویة مع الخوارج فیقاتلهم تارة ویعفو عنهم اُخری، یقول الطبری: بعث معاویة المغیرة بن شعبة والیاً علی الکوفة، فأحبّ العافیة وأحسن فی الناس السیرة ولم یفتّش أهل الأهواء عن أهوائهم، وکان یؤتی فیقال له: إنّ فلاناً یری رأی الشیعة، وإنّ فلاناً یری رأی الخوارج، فکان یقول: قضی الله أن لا تزالون مختلفین، وسیحکم الله بین عباده فی ماکانوا فیه یختلفون، فأمنه الناس(۱).وإلیک بعض مواجهاته مع الخوارج. ۳ ـ خروج معین الخارجی: بلغ المغیرة أنّ معین بن عبدالله یرید الخروج فأرسل إلیه وعنده جماعة فأُخذ

وحبس، وبعث المغيرة إلى معاوية يخبره أمره، فكتب إليه: إنْ شهد أنّى خليفة فخلّ سبيله، فأحضره المغيرة وقال له: أتشهد أنّ معاوية خليفة و أنّه أمير المؤمنين؟ فقال: أشهد أنّ الله عزّوجلّ حقّ وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها و أنّ الله يبعث من فى القبور، فأمر به فقتل(۲) . ۴ ـ خروج أبى مريم مولى بنى الحرث بن كعب: ثم خرج أبو مريم مولى بنى الحرث بن كعب ومعه امرأتان قطام وكحيلة، وكان أوّل من أخرج معه النساء، فعاب ذلك عليه أبو بلال بن أديه، فردّه أبو مريم بأنّه قد قاتل النساء مع رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ومع المسلمين بالشام، وسأردّهما، فردّهما، فوجّه إليه المغيرة جابر البجلى، فقاتله فقتل أبو مريم وأصحابه بـ«بادوريا»(۳) . ۵ ـ خروج أبى ليلى: وكان أبو ليلى رجلا أسود طويلا، فأخذ بعضادتى _____

۱. الطبرى: التاريخ ۴/۱۳۲ .

۲. ابن الاثير: الكامل ۳/۲۰۶ .

۳. ابن الاثير: الكامل ۳/۲۰۶ ـ ۲۰۷ . (۱۶۲)

باب المسجد بالكوفة وفيه عدّة من الأشراف، وحكم بصوت عال، فلم يعرض له أحد، فخرج وتبعه ثلاثون رجلا من الموالى، فبعث إليه المغيرة معقل بن قيس الرياحى فقتله بسواد الكوفة سنة اثنتين وأربعين(۱). ۶ ـ خروج المستورد: إنّ الخوارج فى أيّام المغيرة بن شعبة فزعوا إلى ثلاثة نفر، ۱ـ المستورد بن علفة التيمى ۲ـ حيان بن ظبيان السلمى ۳ـ معاذ بن جوين الطائى، فاجتمعوا فى منزل حيان بن ظبيان فتشاوروا فيمن يولّون عليهم، فبايعوا المستورد لأنّه أسنّ الثلاثة واستعدّوا للخروج فى غرّة هلال شعبان سنة ۴۳ (۲) . ثمّ إنّ قبيصة بن الدمون أتى المغيرة وكان على شرطته، فأخبر أنّ الخوارج قد اجتمعوا فى منزل حيّان بن ظبيان، وقد اتّعدوا أن يخرجوا إليك فى غرة شعبان، فقال المغيرة: سِرْ بالشرطة حتّى تحيط بدار حيّان بن ظبيان فأتنى به، وهم لايرون إلاّ أنّه أمير تلك الخوارج، فسار قبيصة بالشرطة وفى كثير من الناس، فلم يشعر حيّان بن ظبيان إلاّ والرجال معه فى داره نصف النهار واذا معه معاذ بن جوين و نحو من عشرين رجلا من أصحابهما، فاستسلموا فانطلق بهم إلى المغيرة بن شعبة، فقال لهم المغيرة: ما حملكم على ما أردتم من شقّ عصا المسلمين، قالوا له: أمّا اجتماعنا فى هذا المنزل فإنّ حيّان بن ظبيان أقرأنا القرآن، فنحن نجتمع عنده فى منزله، فنقرأ القرآن عليه، قال: فاذهبوا بهم إلى السجن، فلم يزالوا فيه نحواً من سنة(۳) . _____

۱. ابن الاثير: الكامل: ۳/ ۲۰۷ .

۲. الطبرى: التاريخ ۴/۱۳۳ ـ ۱۳۴ .

۳. الطبرى: التاريخ ۴/۱۳۸. ابن الاثير: الكامل ۳/۲۱۰ ـ ۲۱۲ . (۱۶۳) وأمّا المستورد، فقد ذكر الطبرى فى تاريخه (۱) وابن الأثير فى كامله (۲) ثورته على وجه التفصيل و نحن نذكر ملخّصها حسب ما قام به الدكتور نايف معروف فى كتابه «الخوارج فى العصر الأموى»: وأمّا المستورد، فإنّه نزل داراً فى الحيرة بعيداً عن أعين الحرّاس. ولكن لمّا أخذت الخوارج تفد عليه، وانكشف أمره، أمر أصحابه بالرحيل عنها، فتحوّلوا إلى دار سليم بن مخدوج العبدى، فى بنى سلمة من عبد القيس، وكان صهراً للمستورد لايرى رأيه فى الخروج. ولمّا شاع خبرتحرّك الخوارج، أدرك المغيرة خطورة الأمر، فجمع رؤساء القبائل و خطبهم فقال: فليكفين كلّ امرىء من الرؤساء قومه، وإلاّ فو الذى لا إله غيره لأتحولنّ عمّا كنتم تعرفون إلى ما تنكرون، وعمّا تحبّون إلى ما تكرهون فلا يلم لائم إلاّ نفسه، وقد أُعذر من أنذر. أخذ زعماء القبائل انذار المغيرة موضع جدّ واهتمام، فعادوا إلى قبائلهم وبادروا فى البحث عن مثيرى الفتنة فى صفوفهم، وجاء صعصعة بن صوحان إلى عبدالقيس ، فحذّرهم من إيواء هؤلاء المارقة، فتراجع كثيرون عن اللحاق بالخوارج. ولمّا علم المستورد بتهديد المغيرة لرؤساء القبائل، وتجنباً لاحراج أصهاره، أمر أصحابه بالرحيل، فخرجوا عن ديار عبدالقيس، وساروا إلى الصراة ومنها إلى «بهرسير» وعزموا على دخول المدينة العتيقة التى كانت بها منازل كسرى فردّهم عنها عاملها سماك بن عبيد الأزدى العبسى. ثم حاول أن يردّهم عن خروجهم، ويأخذ لهم الأمان، فأبى المستورد، وعبر «جراجرايا» ومضى بأصحابه إلى أرض جوخى، حتى بلغ المذار، ونزلوا _____

۱. الطبری: التاریخ ۴/۱۳۸ ـ ۱۶۱ .

۲. ابن الأثیر: الکامل ۳/۲۱۲ ـ ۲۱۷ . (۱۶۴)

هناک. فبعث إلیهم المغیرة جیشاً، قوامه ثلاثة آلاف رجل من نقاوة الشیعة، علی رأسهم معقل بن قیس الریاحی التمیمی الشیعی، فأرسل معقل فی أثرهم أبا الرواغ الشاکری فی ثلاثمائة من الفرسان، فلحقهم حتی أدرکهم فی أرض المذار. وحینئذاک استشار أصحابه فی قتالهم أو انتظار قدوم معقل علیه، فاختلف أصحابه بین مؤیّد ومعارض. وأخیراً تنحّی جانباً. ثمّ تقدم معقل فی سبعمائة من فرسانه والتقی الخوارج فانهزم کثیرون من أصحابه ولم یثبت سوی معقل وأبی الرواغ فی نحو مائتین من الفرسان. ووصلت مؤخّرة الجیش وتوافقوا للقتال. وفی تلک الأثناء جاءت الخوارج الأخبار بأنّ شریک بن الأعور قد أقبل فی ثلاثة آلاف من أهل البصرة، فاقترح المستورد علی أصحابه أن ینحازوا ثانیة، عن أرض البصرة وأن یعودوا إلی أرض الکوفة، لأن البصریین لایحاربون خارج دائرتهم، فانسحبوا من مواقعهم وتسلّلوا إلی أرض الکوفة حتی بلغوا جراجرایا، وقد أصاب حدسُهم، فإنّ البصریین رفضوا اللحاق بهم، فمضی الخوارج فی طریقهم وعبروا دجلة ونزلوا فی ارض بهرسیر. وهناک بالقرب من ساباط کان اللقاء الحاسم فاشتدّ القتال بین الفریقین، وکادت الدائرة تدور علی أهل الکوفة لولا ثبات معقل فی عدد من فرسانه، ونجدة أبی الرواغ الذی کان أبعده المستورد عن ساحة المعرکة بحیلة حربیة، أمّا المستورد، فإنّه نادی معقلا ودعاه للمبارزة، فحاول أصحابه منعه من ذلک، فأبی وخرج إلیه معقل، فاختلفا ضربتین، فقتل کل واحد منهما صاحبه. وکان قد أوصی بالامارة من بعده إلی عمرو بن محرز ابن شهاب التمیمی، الذی أخذ الرایة بعد مقتله و حمل علی الخوارج (۱۶۵)

فقتلوهم ولم ینج منهم إلاّ بضعة رجال فرّوا من أرض المعرکة (۱) . ۷ ـ خروج الموالی لصالح الخوارج: إنّ الموالی فی العصر الأموی کانوا تحت الضغط یحقّرون بأنّهم غیر عرب، فلأجل ذلک لاعجب إذا رأینا صلة بینهم وبین الخوارج فإنّهم وإن کانوا لایتبنّون مبادیء الخوارج ولکن کانوا یلتقون معهم بعدائهم للحکومة الأمویة، ولأجل ذلک نجد أنّ عصابة من الموالی خرجت من الکوفة فبعث إلیهم المغیرة رجلا من بجیلة، فقاتلهم وقضی علیها، وهؤلاء أوّل خارجة خرج فیها الموالی (۲) . ۸ ـ خروج حیان بن ظبیان السلمی: وفی سنة خمسین توفّی المغیرة بن شعبة، وهو ابن سبعین، وقد سجن کثیراً من الخوارج وقد أفرج عنهم بعد موته، ولمّا ولی علی الکوفة عبدالرحمن بن عبدالله بن عثمان بن ربیعة الثقفی، وهو ابن اُمّ الحکم، اُخت معاویة بن أبی سفیان عادوا للخروج. یقول الطبری: إنّ حیان بن ظبیان السلمی، جمع إلیه أصحابه، فدعاهم إلی الجهاد، وأدعم رأیه معاذ بن جوین الطائی، وبایع القوم حیان بن ظبیان، ثم اجتمعوا فی منزل معاذ بن جوین بن حصین الطائی، فقال لهم حیان: عباد الله أشیروا برأیکم أین تأمرونی أن أخرج؟ فقال له معاذ: إنّی أری أن تسیر بنا إلی «حلوان» فلم یقبله حیان، فقال له: عدوّک معاجلک قبل اجتماع الناس إلیک، ورأی الخروج إلی جانب الکوفة، ولم یرض به أصحابه، فقال لهم معاذ بن جوین: سیروا بنا فلننزل بـ«انقیا» فخرجوا فبُعِثَ إلیهم جیش فقتلوا جمیعاً، وذلک فی عام تسعة و خمسین . ویقول الطبری: وفی هذه السنة اشتدّ عبیدالله بن زیاد علی الخوارج ــــــــــــــــ

۱. د ـ نایف معروف:الخوارج فی العصر الأموی ۱۱۸ ـ ۱۱۹ .

۲. الیعقوبی: التاریخ ۲/۲۲۱ . (۱۶۶)

وقتل منهم صبراً جماعة کثیرة، وفی الحرب جماعة اُخری، وممّن قتل منهم صبراً، عروة بن ادیة أخو أبی بلال مرداس بن ادیة(۱). الخوارج فی البصرة: لم تکن الکوفة وضواحیها هی المرکز الوحید لحرکة الخوارج وثوراتهم فی أوائل العصر الأموی، فقد کانت البصرة مثل الکوفة مرکزاً لنشاطهم وخروجهم. فقد خرج حمران بن أبان علی البصرة فی عام ۴۱ فبعث معاویة بسر بن أرطاة فقتله وأخمد الثورة، ثم عزله معاویة واستعمل مکانه عبدالله بن عامر فخرج فی عصره سهم بن غالب الهجینی فی سبعین رجلا، فخرج إلیه ابن عامر ففرّق شملهم حتّی اضطرّوا إلی الأمان. ولمّا ولّی معاویة زیاداً علی البصرة فی سنة ۴۵، فوجدها تعج من الخوارج، وکانت لهم انتفاضات واحدة بعد اُخری ولکن لم یکن النجاح حلیفاً لهم (۲) ونذکر هنا أهمّها علی وجه الاجمال: ۹ ـ خروج الخطیم الباهلی

وسهم بن غالب الهجینی: خرج سهم إلی الأهواز فأحدث وحکم ثم رجع فاختفی وطلب الأمان، فلم یؤمنه زیاد وطلبه حتی أخذه وقتله وصلبه علی بابه. وأمّا الخطیم فسیّره إلی البحرین، ثمّ أذن له فقدم، ولمّا أخلّ بما أمره به زیاد أمر بقتله وأُلقی فی عشیرته (باهلة) (۳) .

---

۱. الطبری: التاریخ ۴/۲۳۱ .

۲. الطبری: التاریخ ۴/۱۷۲ .

۳. الطبری: التاریخ ۴/۱۷۲. ابن الاثیر: الکامل ۳/۲۲۵ . (۱۶۷) ۱۰ ـ خروج قریب بن مرة وزحّاف الطائی: خرج هذان الرجلان فی أمارة زیاد بالبصرة فاعترضا الناس فلقیا شیخاً ناسکاً من بنی ضبیعة فقتلاه، فخرج رجل من بنی قطیعة من الأزد وفی یده السیف، فناداه الناس من ظهور البیوت الحروریة: اُنج بنفسک، فنادوه (قریب وزحاف و من معهما): لسنا حروریة، نحن الشرط، فوقف فقتلوه. ثم جعلا لا یمرّان بقبیلة إلاّ قتلا من وجدا. حتّی مرّا علی بنی علی بن سود من الأزد وکانوا مائة فرموهم رمیاً شدیداً فصاحوا: یا بنی علی، البُقْیا، لارماء بیننا، قال رجل من بنی علی : لا شیء للقوم سوی السهام مشحوذةً فی غلس الظلام ففرّ عنهم الخوارج، إلی أن واجهوا بنو طاحیة من بنی سود، وقبائل من مزینة وغیرها، ووقع الحرب، فقتل الخوارج عن آخرهم، وقتل قریب وزحاف وقد کان عمل هؤلاء منفِّراً علی حدّ، تبرّأ عنهم بعض الخوارج، ونقل ابن أبی الحدید عن أبی بلال مرداس بن اُدَیَّة انّه قال: قریب، لاقرّبه الله، وزحاف لاعفا الله عنه، رکباها عشواء مظلمة ـ یرید اعتراضهما الناس ـ ونسب الطبری هذا القول إلی سعید بن جبیر(۱) . وقال الجزری: واشتد زیاد فی أمر الخوارج فقتلهم، وأمر سمرة بذلک فقتل منهم بشراً کثیراً، وخطب زیاد علی المنبر وقال: والله لتکفّنّنی هؤلاء، أو لأبدأنَّ بکم، والله لإن اُفِلتَ منهم رجل، لاتأخذون العام من عطیاتکم درهماً، فثار الناس بهم فقتلوهم(۲) . ۱۱ـ خروج زیاد بن خراش العجلی: خرج زیاد بن خراش العجلی فی

---

۱. الطبری: التاریخ ۴/۱۷۶ ـ ۱۷۷. ابن أبی الحدید : الشرح ۴/۱۳۵. المبرد: الکامل ۲/۱۸۰ .

۲. ابن الاثیر: الکامل فی التاریخ ۳/۲۲۹. (۱۶۸)

ثلاثمائة فارس فأتی أرض مسکن من السواد فسیَّر إلیه زیاد خیلا علیها سعد بن حذیفة أو غیره فقتلوهم، وقد صاروا إلی مائة (۱) . ۱۲ـ خروج معاذ الطائی: وخرج علی زیاد أیضاً رجل من طی یقال له معاذ، فأتی نهر عبدالرحمن بن اُمّ الحکم فی ثلاثین رجلا فی سنة ۵۱، فبعث إلیه زیاد من قتله وأصحابه، وقیل بل حلّ لواءه واستأمن(۲) . ۱۳ ـ خروج طواف بن غلاق: توفّی زیاد بن أبیه بالکوفة فی شهر رمضان سنة ۵۳، ثمّ إنّ معاویة ولّی ابنه عبیدالله بن زیاد علی البصرة عام ۵۵ فکانت سیرته مع الخوارج نفس سیرة أبیه، فاشتدّ علیهم وقتل منهم جماعة کثیرة، فقد بلغه أنّ قوماً من الخوارج بالبصرة یجتمعون إلی رجل اسمه «جدار» فیتحدّثون عنده ویعیبون السلطان، فأخذهم ابن زیاد فحبسهم، ثم دعا بهم وعرض علیهم أن یقتل بعضهم بعضاً ویخلّی سبیل القاتلین، ففعلوا، فأطلقهم، فکان ممّن قتل طواف، فعذلهم أصحابهم وقالوا: قتلتم اخوانکم؟ قالوا: اُکْرِهْنا وقد یکره الرجل علی الکفر وهو مطمئن بالایمان، وندم طواف وأصحابه، فقال طواف: أما من توبة؟ فکانوا یبکون وعرضوا علی أولیاء من قتلوا، الدیة، فأبوا، وعرضوا علیهم القود، فأبوا. ثم لقی طواف، ابن ثور السدوسی، فقال له: أماتری لنا من توبة؟ فقال: ما أجد لک إلاّ آیة فی کتاب الله عزّوجلّ: (ثُمّ إنَّ رَبَّکَ لِلَّذِینَ هاجروا مِنْ بَعْدِ مافُتِنُوا ثُمَّ جاهَدُوا وَ صَبَرُوا اِنَّ رَبَّکَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِیمٌ) (۳) . فدعا طواف أصحابه إلی الخروج وإلی أن یفتکوا بابن زیاد، فبایعوه فی سنة

---

۱. ابن الاثیر: الکامل فی التاریخ ۳/۲۴۴ .

۲. ابن الاثیر: الکامل فی التاریخ ۳/۲۴۴ .

۳. النحل: ۱۱۰. (۱۶۹)

ثمان و خمسین، وکانوا سبعین رجلا من بنی عبدالقیس بالبصرة، فسعی بهم رجل من أصحابهم إلی ابن زیاد فبلغ ذلک طوافاً، فعجّلوا

الخروج فخرجوا من ليلتهم، فقتلوا رجلاـ ومضوا إلى الجلحاء، فندب ابن زياد الشرط البخاريـة، فقاتلوهم فانهزم الشرط حتّى دخلوا البصرة وذلك يوم عيد الفطر وكثّرهم الناس فقاتلوا فقتلوا، وبقى طواف فى ستة نفر و عطش فرسه فأقحمه الماء فرماه البخارية بالنشاب حتّى قتلوه وصلبوه ثمّ دفنه أهله (۱) . ۱۴ ـ خروج عروة بن اديّة: إنّ عبيدالله بن زياد خرج فى رهان له، فلمّا جلس ينتظر الخيل، اجتمع الناس وفيهم عروة بن اُديـة، فأقبل على ابن زياد فقال: خمس كن فى الاُمم قبلنا، فقد صرن فينا(اَتَبْنونَ بِكُلِّ رِيع آيَةً تَعْبَثُونَ* وتَتَّخِذُونَ مَصانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَ إذا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبّارين)(۲) . وخصلتين اُخريين لم يحفظهما جرير (الراوى)، فلمّا قال ذلك ظنّ ابن زياد انّه لم يجتر على ذلك إلاّ ومعه جماعة من أصحابه، فقام وركب وترك رهانه. فقيل لعروة ما صنعت، تعلمنّ والله ليقتلنك، فتوارى فطلبه ابن زياد، فأتى الكوفة، فأخذ بها، فقدم به على ابن زياد، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه، ثم دعا به فقال: كيف ترى؟ قال: اَرى اَنَّك اَفْسدتَ دنياى واَفسدتُ آخرتك، فقتله وأرسل إلى ابنته فقتلها(۳) . ۱۵ ـ خروج مرداس به اُدَيَّة: قال الطبرى: حبس ابن زياد فيمن حبس مرداس بن اديه، فكان السجّان يرى عبادته و اجتهاده، وكان يأذن له فى الليل فينصرف فإذا طلع الفجر أتاه حتى يدخل السجن، ثمّ إنّه اُفرج عنه بشفاعة ـــــــــــــــــ

۱. ابن الاثير: الكامل ۳/۲۵۴ .

۲. الشعراء: ۱۲۸ ـ ۱۳۰ .

۳. الطبرى: التاريخ ۴/۲۳۱ ـ ۲۳۲. ابن الاثير: الكامل ۳/۲۵۵ . (۱۷۰)

السجّان (۱) . يقول المبرّد: كان مرداس قد شهد صفّين مع على بن أبى طالب ـ صلوات الله عليه ـ وأنكر التحكيم، وشهد النهر، ونجا فيمن نجا، وبعد ما خرج من حبس ابن زياد عزم الخروج، فقال لأصحابه: إنّه والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين، تجرى علينا أحكامهم، مجانبين للعدل، مفارقين للفصل، والله إنّ الصبر على هذا لعظيم، وإنّ تجريد السيف واخافة السبيل لعظيم، ولكنّا ننتبذ عنهم ولانجرّد سيفاً ولانقاتل إلاّ من قاتلنا. فاجتمع إليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلا، فلمّا مضى بأصحابه لقى عبدالله بن رباح الأنصارى، وكان له صديقاً فقال له: أين تريد؟ قال: اُريد أن أهرب بدينى وأديان أصحابى من أحكام هؤلاء الجورة، فقال له: أعلم بكم أحد؟ قال: لا. قال: فارجع، قال: أو تخاف علىّ مكروهاً؟ قال: نعم وأن يؤتى بك، قال: لا تخف فإنّى لا اُجرّد سيفاً ولا اُخيف أحداً ولا اُقاتل إلاّ من قاتلنى، ثم مضى حتى نزل «آسك» وهى ما بين رامهرمز وارجان، فمرّ به مال يحمل لابن زياد، وقد قارب أصحابه الأربعين، فحطّ ذلك المال، وأخذ منه عطاءه واعطيات أصحابه، وردّ الباقى على الرسل وقال: قولوا لصاحبكم: إنّما قبضنا اعطياتنا، فقال بعض أصحابه فعلام ندع الباقى؟ فقال: إنّهم يقسمون هذا الفىء، كما يقيمون الصلاة فلانقاتلهم . كل ذلك دليل على عدم تطرّفه واعتداله وانّه أحسّ بعقله أو بدينه أن مآل التطرّف هو الموت والزوال . وممّا يدل على اعتداله ـ خلافاً لمن سبق عليه ـ أنَّ رجلا من أصحاب ابن زياد، قال: خرجنا فى جيش نريد خراسان، فمررنا بـ «آسك» ـــــــــــــــــ

۱. الطبرى: التاريخ ۴/۲۳۲ . (۱۷۱)

فإذا نحن بهم ستة وثلاثين رجلاـ وصاح بنا أبوبلال: أقاصدون لقتالنا أنتم؟ وكنت أنا و أخى قد دخلنا زربا(۱)، فوقف أخى ببابه وقال: السّلام عليكم، فقال مرداس: وعليكم السّلام، فقال لأخى: أجئتم لقتالنا؟ فقال له: لا إنّما نريد خراسان، قال: فبلغوا من لقيكم انّا لم نخرج لنفسد فى الأرض، ولا لنروّع أحداً ولكن هرباً من الظلم ولسنا نقاتل إلاّ من يقاتلنا، ولانأخذ من الفىء إلاّ اعطياتنا، ثمّ قال: أنَدِب إلينا أحد؟ قلنا: نعم، أسلم بن زرعة الكلابى. قال: فمتى ترونه يصل إلينا؟ قلنا: يوم كذا وكذا، فقال أبوبلال: حسبنا الله ونعم الوكيل . فلمّا سار إليهم أسلم، صاح به أبو بلال: اتّق الله يا أسلم، فإنا لا نريد قتالا، ولا نَحْتَجِن فيئاً، فما الذى تريد؟ قال: اُريد أن أردّكم إلى ابن زياد، قال مرداس: إذاً يقتلنا، قال: وإن قتلكم؟ قال: تشركه فى دمائنا، قال: إنّى ادين بأنّه محقّ وأنّكم مبطلون، فصاح بن حريث بن جحل (من أصحاب أبى بلال): أهو محق وهو يطيع الفجرة وهو أحدهم، ويقتل بالظِنَّة، ويخص بالفىء، ويجور فى الحكم؟ أما علمت أنّه قتل بابن سُعادَ، أربعة براء؟ ثم حملوا عليه حملة رجل واحد وكان معبد أحد الخوارج قد كاد يأخذه فانهزم هو

وأصحابه من غير قتال، فلمّا ورد أسلم على ابن زياد، غضب عليه غضباً شديداً، قال: ويلك أتمضى فى ألفين فتنهزم لحملة أربعين؟.... وكان إذا خرج إلى السوق، أومرّ بصبيان، صاحوا به: أبو بلال وراءك، وربّما صاحوا به: يا مَعْبد خذه، حتى شكا ذلك إلى ابن زياد، فأمر ابن زياد الشرط أن يكفّوا النّاس عنه، ففى ذلك يقول عيسى بن فاتك من بنى تيم: _____

۱. الزرب: جمع الزرب و هو مسيل الماء، حظيرة المواشى وعرين الأسد. (۱۷۲) أألفا مؤمن فيما زعمتم * ويهزمهم بآسك أربعونا كذبتم ليس ذاك كما زعمتم * ولكن الخوارج مؤمنونا هم الفئة القليلة غير شك * على الفئة الكثيرة ينصرونا ثم ندب لهم عبدالله بن زياد الناس واختار عباد بن أخضر، فوجّهه فى أربعة آلاف وكان التقاؤهم فى يوم الجمعة فناداه أبو بلال: اخرج إلىّ يا عباد فإنّى اُريد أن اُحاورك، فخرج إليه، فقال: ما الذى تبغى؟ قال: آخذ بأقفائكم فأردّكم إلى الأمير عبيدالله بن زياد، قال: أو غير ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: أن ترجع، فإنّا لانخيف سبيلا ولا نحارب إلاّ من حاربنا، ولا نجبى إلاّ ما حمينا، فقال له عباد: الأمر ما قلت لك، فقال له حريث بن حجل: أتحاول أن ترد فئة من المسلمين إلى جبّار عنيد؟ قال لهم: أنتم أولى بالضلال منه، وما من ذاك بدّ. وقدم القعقاع بن عطية الباهلى من خراسان يريد الحجّ فلمّا رأى الجمعين، قال: ماهذا؟ قالوا: الشراة فحمل عليهم، فاُخِذَ القعقاع أسيراً، فَأُتى به أبو بلال، فقال: ما أنت؟ قال: لست من أعدائك، وأنّما قدمت للحج فجهلت وغررت، فأطلقه... . فلم يزل القوم يجتلدون، حتى جاء وقت الصّلاة يوم الجمعة، فناداهم أبوبلال: يا قوم هذا وقت الصلاة، فوادعونا حتى نصلّى و تصلّوا، قالوا: لك ذاك، فرمى القوم أجمعون أسلحتهم وعمدوا للصّلاة، فأسرع عباد ومن معه، والحروريّة مبطئون، فهم من بين راكع وقائم وساجد فى الصّلاة وقاعد، حتى مال عليهم عباد ومن معه فقتلوهم جميعاً، وأتى برأس أبى بلال (۱) . هذا أبو بلال وهذه مرونته واعتداله، فعدّ الاباضية مبدأ الاعتدال ليس بقوى، بل الحق أنّه مبدأ للطريق الذى سلكه عبدالله بن اباض، ولأجل ذلك نرى _____

۱. المبرد: الكامل ۲/۱۸۶. الطبرى: التاريخ ۴/۲۳۲. ابن الاثير: الكامل ۳/۲۵۶ . (۱۷۳)

لمّا خرج قريب وزحاف الطائى فاعترضا الناس فقتلا شيخاً ناسكاً إلى آخر مامرّ فى خروجهم، انّه لمّا بلغ أعمالهم أبا بلال اعترض عليهم، فقال: قريب لا قرّبه الله، وزحاف لا عَفا الله عنه، ركباها عشواء مظلمة (يريد اعتراضهما الناس) . مخطّط زياد لاستئصال الخوارج: كان لزياد بن أبيه اُسلوباً فى استئصال الخوارج وهو يتلخّص فى أمرين: ۱ ـ إذا وقف على خارجى فى قبيلة وثب على جميعهم، وقد خطب يوماً وقال: ألا ينهى كلّ قوم سفهاءهم يا معشر الأزد لولا أنّكم أطفأتم هذه النائرة لقلت إنّكم أرّثتموها (۱). فكانت القبائل إذا أحسّت بخارجىّ فيهم شدّتهم وأتت بهم زياداً. ۲ ـ خرجت طائفة من الخوارج وأخرجوا معهم امرأة، فظفربها فقتلها، ثم عرّاها، فلم تخرج النساء بعد على زياد، وكنّ إذا دعين إلى الخروج قلن: لولا التعرية لسارعنا. كان الحافز لتلك الثورات والانتفاضات ـ التى كانت تتضمّن التضحية بالنفس والنفيس ـ هو الاعتقاد الجدّى، بأنّ الحكومات القائمة، حكومات كافرة، اُسّست باسم الإسلام ولكن انحرفت عن الخط الصحيح له، فالأمويّون باعتبار اشاعة الظلم و الفساد بينهم، خرجوا عن ربقة الإسلام، ودخلوا فى الكفر، وهم كافرون، كما أنّ المؤيّدين لهم مثلهم أيضاً كفرة، فالخلافات والحكومات كلّها كافرة، والدار دار كفر، ويجب عليهم جهاد الكفّار (۲) . _____

۱. أرّث: أوقد نار الفتنة .

۲. يعلم ذلك من خطب أمرائهم ورؤسائهم . (۱۷۴) كان هذا هو الحافز لتلك الثورات والانتفاضات الفاشلة، فلو وجدنا فى صحيفة حياة الخوارج نقطة بيضاء فهذه النقطة المشعّة التى اعترف بها الإمام علىّ عند توصيفهم بقوله، «لا تقتلوا الخوارج من بعدى، فإنّه ليس من طلب الحق فأخطاه كمن طلب الباطل فأصابه» (۱) . فإنّهم كانوا يرون بأُمّ أعينهم، كيف شاع الفساد، ودبّ العيث بين الحكّام، فركبت اغيلمة بنى اُميّة على رقاب الناس، واستأثروا بالفيء، فكان ذلك هو السبب لقيام لفيف منهم ضدّ الحكومات، وأما مسألة التحكيم التى كانت هى المستمسك الأوّل للمخالفة فكأنها صارت منسية أو تناساها القوم، فكانوا يبّررون قيامهم بأنّهم بصدد بسط العدل والقسط وازالة الظلم والجور عن المجتمع وإعادة الصلاح والفلاح إلى الساحة الاسلامية . ولكن لم يكن النجاح حليفاً لهم،

لأنّهم راهنوا فى الساحة السياسية على جوادين خاسرين. أحدهما: الاعتماد على الأساليب الاجرامية للنيل بالهدف، وكأنّهم كانوا ينتحلون مبدأ «الغايات تبرّر الوسائل» . الثانى: المظاهرة بالعداء لعلىّ وأهل بيته . أمّا الأوّل: فكانوا يستعرضون الناس ويفّتشون عن عقائدهم، ثم يقتلون الأبرياء، بحجّة أنّهم لم يكفّروا عثمان وعليّاً، أو غيرهما ممّن كانوا يخالفونهم، وهذا هو الذى صار سبباً لرغبة الناس عنهم، وعدم ايوائهم بل طردهم والتعاون مع الحكومات ضدّهم فى بعض الموارد، إذ كيف يصحّ لمسلم أن يشهر سيفه، ويعترض الطريق، ويفّتش عن العقائد التى لاصلة لها بالإسلام الذى جاء به النبى الأكرم ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ، ولا الإسلام معقود بها، ولا هى حد الكفر _____

۱. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۶۱ . (۱۷۵)

والإسلام، فاتّخاذ هذه الأساليب الشريرة، التى تعرّفت عليها فى بعض الانتفاضات، صار سبباً لخسرانهم وخيبتهم وإن كان بعض الفرق بريئاً منها، لكن الكلّ أخذ بجرم الجزء، والجار بذنب الجار . وقد خلّفت هذه الأعمال الاجرامية آثار سيّئة فصار لفظ «الحرورية» مساوياً لسفك الدم و قطع الطريق، وكان الناس يتوسّلون للاخافة بهذا اللفظ ويقولون: حرورى!! مكان الحرامى!! وأمّا الثانى: فلأنّ المظاهرة ضدّ علىّ، ونصب عدائه و أهل بيته ليس بأمرهيّن، وكيف لا يكون كذلك، وقد عجنت دماء ونفوس المسلمين بحبّهم فهم كانوا يتلون قول الله سبحانه فى الذكر الحكيم: (قُلْ لا أَسأَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجراً إلاّ المَوَدَةَ فى القُرْبى)(۱). فهل يمكن لجماعة تتظاهر بكفر علىّ وأولاده، وتنصب عدائهم، ان يكون لهم رصيد شعبى؟ كلاّ، ولا، فلأجل ذلك خسروا فى انتفاضاتهم، حتى بوجه الطغاة . تعرب انتفاضاتهم عن أنّ الحكومة الأموية كانت تستخدم شيعة العراق فى بعض الأحيان لقتال الخوارج، فكأنّها كانت تضرب عصفورين بحجر واحد، فإنّ الطائفتين كانا من أعداء الحكومة الأموية، فضرب أحدهما بالأُخرى كان متنفّساً لها(۲). ومع الاعتراف ببراعتهم فى النقد والاعتراض، وتملّكهم القدرة على التنظيم و التخطيط، لكن كانت انتفاضاتهم المتفرّقة والمبعثرة فى الرقعة الإسلامية، كانت أشبه بالثورات العشوائية، إذ لم تكن هناك قيادة موحّدة تنبثق منها الثورات، وتستثمر هذا الجمهور لتحقيق النصر النهائى، فالحجر الأساس

---

۱. الشورى: ۲۳ .

۲. لا حظ خروج فروة بن نوفل فى تاريخ الطبرى ۴/۱۲۶ . (۱۷۶)

فى نجاح الثورة و الانتفاضة وإن طالت مدّتها، هو وجود قيادة موحّدة سرّية، ينبعث منها الأمر والنهى، وقد كان القوم يفقدون ذلك الأمر المهمّ . هذه نبذة خاطفة عن انتفاضات هؤلاء فى عصر معاوية، وأمّا ما قاموا به فى عصر عبدالله بن الزبير، وخلافة عبدالملك، وخلافة هشام بن عبدالملك، إلى أواخر العهد الأموى، فحدّث عنه ولاحرج، فهى مليئة بالانتفاضات والمعارك الدموية المريرة بين فترة وأُخرى، ومن أراد الاحاطة بها فليرجع إلى مظانّها فى كتب التاريخ . إلاّ أنّا نشير إلى بعض الانتفاضات التى قام بها بعض رؤسائهم بعد عصر معاوية كنافع بن الأزرق ونجدة بن عامر الحنفى، وغيرهم ممّن صاروا من رؤساء المذهب، وأصحاب المنهج بين الخوارج، فإنّ هؤلاء وإن كانوا قادة عسكريين إلاّ أنّهم كانوا أيضاً مرشدين لأتباعهم، ولهم آراؤهم فى المذهب، وندرس كلّ ذلك ببيان فرقهم الكثيرة فى الفصل القادم. وبذلك بيّنا الظروف التى كانت سبباً لنشوء المذاهب فى هذه الفرقة . *** (۱۷۷)

الفصل التاسع ألقاب الخوارج وفرقهم

الفصل التاسع ألقاب الخوارج وفرقهم (۱۷۸) (۱۷۹) للخوارج ألقاب عديدة فمن ألقابهم «الخوارج» لخروجهم على علىّ بن أبى طالب، و«المحكّمة»، لكون شعارهم: «لا حكم إلاّ لله»، و«الحرورية» لنزولهم بحروراء فى أوّل أمرهم، و«الشُراة» لقولهم: شرينا أنفسنا فى طاعة الله أى بِعْناها بالجنّة، و«المارقة» لأنّهم مرقوا من الدين كما يَمْرق السهم من الرميّة ـ حسب توصيف الرسول لهم ـ وخرجوا منه، والفرقة الباقية اليوم أعنى الاباضية يفسّرون الخروج بالخروج عن الدين ويخصّون اللقب بالطوائف المنحرفة الذين خرجوا فى

عصر الأمويين، وكانوا يعترضون الطريق ويقتلون الأبرياء من غير جرم وسيوافيك أنّ التخصيص بلاوجه . وأمّا فرقهم، فقد ذكر البغدادى لهم عشرين فرقة، بل أزيد، وهذه أسماؤهم: ١ ـ المحكّمة ٢ ـ الأزارقة ٣ ـ النجدات ۴ ـ الصفرية ۵ ـ العجاردة، المفترقة إلى: ۶ ـ الخازنية ٧ ـ الشعيبية ٨ ـ المعلومية ٩ ـ المجهولية ١٠ ـ أصحاب طاعة لايراد الله تعالى بها ١١ ـ والصلتية ١٢ ـ الاخنسية ١٣ ـ الشيبية ١۴ ـ الشيبانية ١۵ ـ المعبدية ١۶ ـ الرّشيدية (١٨٠) ١٧ ـ المكرمية ١٨ ـ الحمزية ١٩ ـ الشمراخية ٢٠ ـ الإبراهيمية ٢١ ـ الواقفية ٢٢ ـ الاباضية(١) . ولا يخفى أنّ الفرق حسب ما ذكرها تزيد على عشرين، ولو لم تعد العجاردة فرقة مستقلّة باعتبار أنّها مقسّمةً لأقسام كثيرة يكون عدد الفرق «٢١» فرقة. ثمّ قال البغدادى: «الاباضية» منهم افترقت فرقاً، معظمها فريقان «حفصية» و«حارثية»، وقال: فأمّا «اليزيدية» من الاباضية، و«الميمونية» من العجاردة، فهما فرقتان من غلاة الكفر الخارجين عن فرق الأُمّة . وأمّا الأشعرى فقد ذكر لهم خمس عشرة فرقة ثم ذكر الفرق المتشعّبة منها وهى فرق كثيرة (٢). وقد ذكر المقريزى فى خططه للقوم ستاً وعشرين فرقة(٣) . وذكر الشهرستانى لهم ثمانية فرق، وإليك أسماؤها: ١ ـ المحكّمة الأُولى ٢ ـ الأزارقة ٣ ـ النجدات ۴ ـ البيهسية ۵ ـ العجاردة ۶ ـ الثعالبة ٧ ـ الاباضية ٨ ـ الصفرّية(۴) . ولكن الحق، إنّ أُصول الفرق قليلة جدّاً، وقد ذكر الأشعرى أنّ أُصول أربعة وهى: الأزارقة، النجدية، الاباضية، والصفرية، والأصناف الأُخرى تفرّعوا من الصفرية (۵). ويظهر من المبرّد فى كامله، أنّ أُصول الفرق هى ثلاثة:

---

١. البغدادى: الفَرق بين الفرق ٧٢ .

٢. الأشعرى: المقالات ١/٨۶ ـ ١٣١ .

٣. تقى الدين المقريزى: الخطط ٢/٢۵۴ ـ ٢۵۵ .

۴. الشهرستانى: الملل و النحل ١/١١۴ ـ ١٣٨ .

۵. الأشعرى: المقالات: ١ / ١٠١ . (١٨١) الأزارقة، الاباضية، البيهسية، وأمّا الصفرية والنجدية فكانوا يقولون بقول ابن أباض(١) . ولعلّ ما ذكره الأشعرى فى بيان أُصول فرقهم أقرب، كما يظهر من دراسة مذهبهم ونحن نذكر الفرق الأربعة التى ذكرها الأشعرى، ونحيل بيان سائر الفرق إلى كتب المقالات والفرق، خصوصاً المقالات للأشعرى، والفَرق بين الفِرق للبغدادى، والملل و النحل للشهرستانى، وانّا ضربنا الصفح عن بيان فرقهم عامّة لأنّهم قد هلكوا ولم يبق منهم على أديم الأرض سوى فرقة واحدة هى الاباضية وأقاويلها أقرب إلى أقاويل سائر المسلمين. ولأجل ذلك نرى أنّ أبا بيهس يصف نافعاً بأنّه غلى، ويصف عبد الله بن اباض بأنّه قصَّر، وسوف يظهر غلوّ الأوّل وتقصير الثانى حسب تعبير أبى بيهس، وسيوافيك نصّه فى محلّه. والعجب أنّ هذه الفرق ظهرت فى زمان واحد، فصار للقوم أئمّة أربعة، كلّ يدعو إلى نفسه . وكانت الخوارج على رأى واحد إلى عصر ابن الزبير وبعد افتراقهم عنه حصل هناك اختلاف بين الأزارقة والنجدية كما ستعرف وصارت فرقتين ذاتى أمامين، ولم يكن لهم إلى عهد عبدالله بن الزبير إلّا أُصول بسيطة وهى: ١ ـ اكفار مرتكب الكبيرة. ٢ ـ انكار مبدأ التحكيم . ٣ ـ تكفير عثمان وعلىّ ومعاوية وطلحة والزبير ومن سار على دربهم ورضى بأعمال عثمان وتحكيم علىّ، على هذه الأُصول نشأوا إلى عهد ابن الزبير. ــــــــــــــــ

١. المبرّد: الكامل ٢/٢١۴ . (١٨٢) قال الكعبى: إنّ الذى يجمع الخوارج إكفار علىّ وعثمان و الحكمين وأصحاب الجمل وكلّ من رضى بتحكيم الحكمين، والخروج على الإمام الجائر وإكفار من ارتكب الذنوب (١) . وقال الأشعرى: أجمعت الخوارج على إكفار علىّ بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ لأنّه حكّم، وهم مختلفون هل كفره شرك أم لا. وأجمعوا على أنّ كلّ كبيرة كفرٌ إلّا النجدات، فإنّها لاتقول بذلك، وأجمعوا على أنّ الله سبحانه يعذّب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً إلّا النجدات(٢) . وما ذكره من الاستثناء دليل على أن أكثر هذه الأُصول برزت بينهم فى العصر الزبيرى وما بعده، لا فى عهد الإمام على ولا فى عهد معاوية. إذا وقفت على ذلك فلنشرع فى بيان الفرق الأربعة التى ذكرها الأشعرى ونترك بيان عداها إلى الكتب المعدّة لذلك. *** ــــــــــــــــ

١. البغدادى: الفَرق بين الفِرق ١/٧٣ نقلا عن الكعبى.

۲. الأشعری: مقالات الاسلامیین ۱/۸۶ . (۱۸۳) الفرقة الأُولی: الازارقة أتباع نافع بن الأزرق المقتول سنة ۶۵: لمّا هلک معاویة، تنّفس أهل الکوفة الصعداء، فاجتمعت شیعتهم علی تسلیم مقالید الخلافة للحسین ـ علیه السَّلام ـ فبایعوه وکاتبوه، واستقدموه حتی یتسلّم الأمر، فلمّا غادر الحسین المدینة و مکّة، متوجّهاً إلی العراق خذلته الشیعة وقصّروا فی نصرته، فلمّا بلغهم قتل الحسین واستشهاده، قام أهل المدینة بخلع یزید عن الخلافة وأخرجوا والیه مروان بن الحکم عن المدینة، ثمّ إنّ عبدالله بن الزبیر استغلَّ الظروف، فدعا إلی البیعة لنفسه من داخل البیت الحرام، وکانت نتیجة ذلک أن طرد عمّال یزید من أرض الحجاز، فخضعت المنطقة کلّها لعبدالله بن الزبیر، ثمّ إنّ یزید بن معاویة لمّا وقف علی خطورة الموقف بعث بأشقی عُمّالِه وأغلظهم «مسلم بن عقْبَة» إلی المدینة فلمّا (۱۸۴) ورد مدینة الرسول، استباح أموالهم ونفوسهم وأعراضهم ثلاثة أیام، فقتل فی ذلک آلافاً من الأبریاء ونهبت الأموال واستبیحت الأعراض إلی درجة لم یذکر التاریخ إلی یومه مثیلا لها، ثمّ توجّه مسلم إلی مکّة للسیطرة علیها، فلم یصل إلیها حیّاً. ومات فی أثناء الطریق، فتولّی القیادة بعده الحصین بن النمیر السکونی، وحاصر مکّة، وفی أثناء المحاصرة ورد نعی یزید فی ربیع الآخر عام ۶۴، فاضطرّ الحصین إلی العودة إلی الشام، ولمّا هلک یزید، قام بأعباء الخلافة معاویة بن یزید، ولکّنه مات بعد أن خلع نفسه عن الخلافة، فرأی البیت الأموی خطورة الموقف، فأجمعوا علی البیعة لمروان بن الحکم، وانتقل الملک من البیت السفیانی إلی البیت المروانی عام ۶۵، وکان ابن الزبیر مستولیاً علی الحجاز عامّة وفی ضمن ذلک، الحرمان الشریفان . استغلال الخوارج الظروف الحَرِجَة: وقد استغلّت الخوارج تلک الظروف الحرجة بعدما لاقوا من عبیدالله بن زیاد مالاقوا وقرّروا الانظمام لعبدالله بن الزبیر لمحاربة الشامیین: قال الطبری: لمّا رکب ابن زیاد من الخوارج بعد قتل أبی بلال ماترکب، وقد کان قبل ذلک لایکف عنهم ولایستبقیهم، غیر أنّه بعد ما قتل أبا بلال، تجرّد لاستئصالهم وهلاکهم واجتمعت الخوارج حین ثار ابن الزبیر بمکة... فقال نافع بن الأزرق للخوارج: إنّ الله قد أنزل علیکم الکتاب، وفرض علیکم فیه الجهاد، واحتجّ علیکم بالبیان، وقد جرّدَ فیکم السیوف أهلُ الظلم، وأُولوا العدی والغشم، وهذا من قد ثار بمکة، فاخرجوا بنا نأتی البیت، ونلقی هذا الرجل فإن یکن علی رأینا جاهدنا معه العدو، وإن کان علی غیر رأینا، دافعنا عن البیت ما استطعنا، ونظرنا بعد ذلک فی اُمورنا، فخرجوا حتی قدموا علی (۱۸۵)

عبدالله بن الزبیر، فسرّ بمقدمهم ونبّأهم أنّه علی رأیهم، وأعطاهم الرضا من غیر توقّف ولا تفتیش، فقاتلوا معه حتی مات یزید بن معاویة وانصرف أهل الشام عن مکّة . ثمّ إنّ القوم لقی بعضهم بعضاً فقالوا: إنّ الذی صنعتم أمس بغیر رأی ولا صواب من الأمر، تقاتلون مع رجل لاتدرون لعلّه لیس علی رأیکم، إنّما کان أمس یقاتلکم هو وأبوه ینادی: یالثارات عثمان، وسلوه عن عثمان، فإن برئ منه کان ولیّکم، وإن أبی کان عدوّکم. فمشوا له فقالوا له: أیّها الإنسان إنّا قاتلنا معک ولم نفتّش عن رأیک، أمنّا أنت أم من عدوّنا فأخبرنا: ما مقالتک فی عثمان؟ فنظر فإذا من حوله من أصحابه قلیل، فقال لهم: إنّکم أتیتمونی، فصادفتمونی حین أردت القیام، ولکن روحوا إلیّ العشیّة، حتی اعلمکم من ذلک الذی تریدون، فانصرفوا، وجاءت الخوارج وقد أقام أصحابه حوله وعلیهم السلاح ، وقامت جماعة منهم عظیمة علی رأسه، بأیدیهم الأعمدة، فقال ابن الأزرق لأصحابه: خشی الرجل غائلتکم وقد ازمع بخلافکم، واستعدّ لکم ماترون. فدنا منه ابن الأزرق فقال له: یا ابن الزبیر اتّق الله ربّک وابغض الخائن المستأثر، وعادِ أوّل من سنّ الضلالة وأحدث الأحداث، وخالف حکم الکتاب، فإنّک إن تفعل ذلک، ترضی ربّک، فتنج من العذاب الألیم نفسک، فإن ترکت ذلک، فأنت من الذین استمتعوا بخلاقهم وأذهبوا فی الحیاة الدنیا طیّباتهم. ثمّ أمر ابن الأزرق عبیدة بن هلال أن یتکلّم عنهم بما یریدون، فقال: إنّ الناس استخلفوا عثمان بن عفان فحمی الحمی، فآثر القربی، واستعمل الفتی، ورفع الدرة، ووضع السوط، ومزّق الکتاب، وحقَّر المسلم، وضرب منکری (۱۸۶)

الجور، وآوی طرید الرسول ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ وضرب السابقین بالفضل وسیّرهم وحرمهم، ثم أخذ فی الله الذی آفاءه علیهم فقسّمه بین فسّاق قریش، ومُجّان العرب، فصارت إلیه طائفة من المسلمین أخذ الله میثاقهم علی طاعته، لایبالون فی الله لومة لائم، فقتلوه، فنحن لهم أولیاء، ومن ابن عفان وأولیائه براء، فما تقول أنت یا ابن الزبیر؟ وروی المبرّد فی الکامل: ان ابن الأزرق سأل ابن

الزبير فى الغداة الذى جاء إليه وقال: ما تقول فى الشيخين؟ قال: خيراً، قالوا: فما تقول فى عثمان الذى أحمى الحمى، وآوى الطريد، وأظهر لأهل مصر شيئاً، وكتب بخلافه وأوطأ آل أبى معيط رقاب الناس وآثرهم بفيء المسلمين؟ وما تقول فى الذى بعده، الذى حكّم فى دين الله الرجال وأقام على ذلك غير تائب ولانادم؟ وما تقول فى أبيك وصاحبه وقد بايعا عليّاً وهو إمام عادل مرضى لم يظهر منه كفر، ثم نكثا بِعَرَض من أعراض الدنيا و أخرجا عائشة تقاتل، وقد أمرها الله وصواحبها أن يقرن فى بيوتهن، وكان لك فى ذلك ما يدعوك إلى التوبة، فإن أنت كما نقول فلك الزلفة عندالله . ثمّ إنّ ابن الزبير ترك التقية وأصحر بالعقيدة بما يخالف عليه الخوارج فى حق عثمان وحق أبيه، فلمّا سمع ذلك الخوارج تفرّقوا عنه(۱) . فأقبل نافع بن الأزرق الحنظلى وعبدالله بن صفار السعدى من بنى صريم، وعبدالله بن اباض أيضاً من بنى صريم، وحنظلة بن بيهس، وبنو الماحوز، عبدالله وعبيدالله والزبير من بنى سليط، حتى أتوا البصرة. وانطلق أبو طالوت وعبدالله بن ثور(أبوفديك) وعطية بن الأسود _____

۱. الطبرى: التاريخ ۴/۴۳۶ ـ ۴۳۸. المبرد: الكامل: ۲/۲۰۳ ـ ۲۰۸ . (۱۸۷)

اليشكرى إلى اليمامة فوثبوا باليمامة مع أبى طالوت، ثم أجمعوا بعد ذلك على إمامة نجدة بن عامر الحنفى وذلك فى سنة ۶۴(۱) . وقال الشهرستانى: كان نجدة بن عامر ونافع بن الأزرق قد اجتمعا بمكّة مع الخوارج على ابن الزبير ثم تفرّقا عنه، فذهب نافع إلى البصرة ثم الأهواز، وذهب نجدة إلى اليمامة. قال نافع: التقيّة لاتحلّ، والقعود عن القتال كفر، فخالفه نجدة، وقال بجواز التقية متمسّكاً بقوله تعالى: (إلّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً)(۲). وبقوله تعالى: (وَ قالَ رَجُلٌ مُؤمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ اِيمانَهُ)(۳) وقال: القعود جائز والجهاد إذا أمكنه أفضل. قال الله تعالى:(وَ فَضَّلَ اللهُ الْمجاهِدِيْنَ عَلَى القاعِدِيْنَ اَجْراً عَظِيماً)(۴) .(۵) ولمّا أظهر نافع أراء شاذّة عن الكتاب والسنّة والفطرة الإنسانية، فارقته جماعة كانوا معه، منهم «أبو فديك» وعطية الحنفى وراشد الطويل، وتوجّهوا شطر اليمامة، فأخبروا نجدة باحداثه وبدعه. فكتب إليه نجدة بكتاب نَقِمَ عليه احداثه واستدلّ بآيات واضحة المعنى، وأجاب نافع بكتاب وأوّل ما استدلّ به زميله من الآيات، وكان هو هذا انشقاقاً عظيماً بين الخوارج، ويعرب عن وحشيّة الأزارقة، وجمود قلبهم، ونزع الرحمة منهم، فكأنّهم جمادات متحرّكة شريرة سجّلوا لأنفسهم فى التاريخ أكبر العار، وأفظع الأعمال إلى حدّ تبرأ عنهم، سائر الفرق وليس ذلك ببعيد، فهؤلاء أتباع المحكّمة الأُولى الذين ذبحوا عبدالله بن خباب وبقروا بطن زوجته المقرب المتم، تلمس حدّ الشقاء _____

۱. الطبرى: التاريخ ۴/۴۳۸ .

۲. آل عمران: ۲۸ .

۳. غافر: ۲۸ .

۴. النساء: ۹۵ .

۵. الشهرستانى: الملل و النحل ۱/۱۲۵ . (۱۸۸)

من كتاب نجدة إلى نافع ومن اجابة الثانى. قال المبرّد: إنّ أصحاب «نجدة» رأوا أنّ نافعاً قد كفَّر القعدة ورأى الاستعراض وقتل الأطفال، انصرفوا مع نجدة، فلمّا صار نجدة باليمامة كتب إلى نافع. كتاب نجدة إلى نافع: أمّا بعد: فإنّ عهدى بك وأنت لليتيم كالأب الرحيم، وللضعيف كلأخ البّر ـ تعاضد قوى المسلمين، و تصنع للأخرق منهم ـ لا تأخذك فى الله لومة لائم، ولاترى معونة ظالم، كذلك كنت أنت و أصحابك. أو ما تذكّر قولك: لولا انّى أعلم أنّ للإمام العادل أجر رعيّته، ماتولّيتُ أمر رجلين من المسلمين. فلمّا شريت نفسك فى طاعة ربّك ابتغاء مرضاته، وأصبت من الحق فصّه (۱)، وركبت مُرّه، تجرّد لك الشيطان، ولم يكن أحد أثقل عليه وطأةً منك ومن أصحابك، فاستمالك واستهواك وأغواك، فُغُوِيْتَ، وأكفرت الذين عذرهم الله تعالى فى كتابه، من قعدة المسلمين وضَعَفَتهم، قال الله عزّوجلّ، وقوله الحق، ووعده الصدق:(لَيْسَ عَلى الضُّعَفاءِ وَ لا عَلَى الْمَرْضى وَ لا عَلَى الَّذِيْنَ لا يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إذا نَصَحُوا لِلهِ وَ رَسُولِهِ) (۲): ثمّ سمّاهم تعالى أحسن الأسماء فقال: (ما عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيل) (۳) ثم استحللت قتل الأطفال، وقد نهى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ عن قتلهم، وقال الله جلّ ثناؤه: (وَ لا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ اُخْرى)(۴)، وقال سبحانه فى القعدة

خیراً، فقال: _____

۱. فصّه: کنهه .

۲. التوبة: ۹۱.

۳. التوبة: ۹۱.

۴. الاسراء: ۱۵ . (۱۸۹) (وَ فَضَّلَ اللهُ الْمجاهِدِیْنَ عَلَی القاعِدِیْنَ اَجْراً عَظِیماً)(۱) فتفضیله المجاهدین علی القاعدین لایدفع منزلة من هو دون المجاهدین، أو ماسمعت قوله تعالی: (لا یَسْتَوِی القاعِدُونَ مِنَ الْمُؤمِنِینَ غَیْرُ أُولِی الضَّرَر)(۲) فجعلهم من المؤمنین وفضّل علیهم المجاهدین بأعمالهم، ثمّ إنّک لاتؤدّی أمانةً إلی من خالفک، والله تعالی قد أمر أن تودّی الأمانات إلی أهلها، فاتّق الله فی نفسک، واتّق یوماً لا یجزی فیه والد عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شیئاً، فإنّ الله بالمرصاد، وحکمه العدل، وقوله الفصل، والسَّلام. اجابة نافع عن کتاب نجدة: أمّا بعد: أتانی کتابک تعظنی فیه، وتذکّرنی وتنصح لی وتزجرنی، وتصف ما کنتُ علیه من الحق، و ماکنتُ اُوثره من الصواب،وأنا أسأل الله أن یجعلنی من القوم الذین یستمعون القول فیتّبعون أحسنه. وعبت علی مادِنْتُ، من إکفار القعدة وقتل الأطفال، واستحلال الأمانة من المخالفین، وسأُفسّرلک لِمَ ذلک إن شاء الله.... أمّا هؤلاء القعدة، فلیسوا کمن ذکرت ممّن کان علی عهد رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ لأنّهم کانوا بمکّة مقهورین محصورین لا یجدون إلی الهرب سبیلا، ولا إلی الاتّصال بالمسلمین طریقاً، وهؤلاء قد تفقّهوا فی الدین، وقرأوا القرآن، والطریق لهم نهج واضح. وقد عرفت ما قال الله تعالی فیمن کان مثلهم، قالوا: (کُنّا مُسْتَضْعَفِینَ فِی الأرْضِ)(۳). فقال: (أَلَمْ _____

۱. النساء: ۹۵ .

۲. النساء: ۹۵.

۳. النساء: ۹۷ . (۱۹۰) تَکُنْ اَرْضُ اللهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِیها)(۱) وقال سبحانه: (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللهِ وَ کَرِهُوا أنْ یُجاهِدُوا بِأَمْوالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ فِی سَبِیلِ اللهِ)(۲) وقال: (وَ جاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأعْرابِ لِیُؤذَنَ لَهُمْ)(۳) فخبّر بتعذیرهم، وأنّهم کذبوا الله ورسوله، ثمّ قال: (سَیُصِیبُ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ)(۴) فانظر إلی أسمائهم وسماتهم . وأمّا الأطفال، فإنّ نوحاً نبیّ الله، کان أعلم بالله منّی ومنک، وقد قال: (رَبِّ لا تَذَرْ عَلَی الأرْضِ مِنَ الکافِرِینَ دَیَّاراً* إنَّکَ انْ تَذَرْهُمْ یُضِلُّوا عِبادَکَ ولا یَلِدُوا إلّا فاجِراً کَفّاراً)(۵) فسمّاهم بالکفر وهم أطفال، وقبل أن یولدوا، فکیف کان ذلک فی قوم نوح، ولاتقوله فی قومنا، والله تعالی یقول: (اَکُفّارُکُمْ خَیْرٌ مِنْ اُولئِکُمْ اَمْ لَکُمْ بَراءَةٌ فِی الزُّبُرِ)(۶) وهؤلاء کمشرکی العرب، لایقبل منهم جزیة ولیس بیننا وبینهم إلّا السیف، والإسلام. وأمّا استحلال أمانات من خالفنا فإنّ الله تعالی أحلّ لنا أموالهم، کما أحلّ دماءهم لنا، فدماؤهم حلال طلق(۷) وأموالهم فیء للمسلمین، فاتّق الله وراجع نفسک، فإنّه لا عذر لک الّا بالتوبة، ولن یسعک خذلاننا والقعود عنّا وترک ما نهجناه لک من مقالتنا، والسلام علی من أقرّ بالحق و عمل به (۸) . _____

۱. النساء:۹۷ .

۲. التوبة: ۸۱ .

۳. التوبة: ۹۰ .

۴. التوبة ۹۰ .

۵. نوح: ۲۶ ـ ۲۷ .

۶. القمر: ۴۳ .

۷. یقال: حلال طلق،أی حلال طیّب.

۸. المبرد: الکامل ۲/۲۱۰ ـ ۲۱۲، ونقلهما ابن أبی الحدید فی الشرح لاحظ ۴/۱۳۷ ـ ۱۳۹ . (۱۹۱) هذا هو نافع بن الأزرق، وهذا غلو

منهجه وتطرّفه الفكرى، حيث يجوّز استعراض الناس والتفتيش عن عقائدهم وقتل الأطفال إلى غير ذلك. وأمّا خروجه فقد بسط الكلام فيه المؤرّخون(۱) على وجه لايسعنا نقله وإنّما نكتفى بما لخّصه البغدادى. قال البغدادى: ثمّ الأزارقة بعد اجتماعها على البدع التى حكيناها عنهم بايعوا نافع بن الأزرق و سمّوه أمير المؤمنين، وانضمّ إليهم خوارج عمان واليمامة فصاروا أكثر من عشرين ألفاً، واستولوا على الأهواز وما وراءها من أرض فارس و كرمان وجبوا خراجها. رسالة نافع إلى محكّمة البصرة(۲): وكتب إلى من بالبصرة من المحكِّمة: أمّا بعد فإنّ الله اصطفى لكم الدين فلاتموتنّ إلّا وانتم مسلمون، إنّكم لتعلمون أنّ الشريعة واحدة، والدين واحد، ففيم المقام بين أظهر الكفّار، ترون الظلم ليلا ونهاراً، وقد ندبكم الله عزّوجلّ إلى الجهاد، فقال: (وَقاتِلُوا المُشرِكينَ كافَّةً)(۳) ولم يجعل لكم فى التخلّف عذراً فى حال من الأحوال فقال: (انْفِرُوا خِفافاً وَ ثِقالاً)(۴) وإنّما عذر الضعفاء والمرضى، والذين لا يجدون ما ينفقون، ومن كانت اقامته لعلّة، ثم فضّل عليهم مع ذلك المجاهدين فقال: (لا يَسْتَوِى القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ وَ الْمجاهِدُونَ فِى سَبِيلِ الله)(۵)، فلا تغترّوا وتطمئنوا إلى الدنيا، فإنّها غرّارة _____

۱. ذكر ابن أبى الحديد مفصّل حروب الأزارقة فى شرحه، لاحظ ۴/۱۳۶ ـ ۲۷۸ .

۲. المبرّد: الكامل ۲/۲۱۳ .

۳. التوبة: ۳۶ .

۴. التوبة: ۴۱ .

۵. النساء: ۹۵ . (۱۹۲)

مكّارة، لذّتها نافذة، ونعيمها بائد، حُفَّتْ بالشهوات اغتراراً، وأظهرت حَبْرةً(۱) وأضمرت عبرة، فليس آكلُ منها أكلةً تَسرّه، ولا شاربُ منها شربةً تونقه (۲) إلّا دنابها درجةً إلى أجله، وتباعد بها مسافة من أمله، وإنّما جعلها الله دار المتزوّد منها، إلى النعيم المقيم، والعيش السليم، فليس يرضى بها حازم داراً ولا حليم قراراً، فاتّقوا الله وتزوّدوا، فإنّ خير الزاد التقوى، والسلام على من اتّبع الهدى. قال المبرّد:لمّا ورد كتابه عليهم وفى القوم يومئذ أبوبيهس هيصم بن جابر الضبعّى، وعبدالله بن اباض المرى، فأقبل أبوبيهس على ابن أباض فقال: إنّ نافعاً غلا فكفر، وانّك قصّرت فكفرت تزعم أنّ من خالفنا ليس بمشرك، وانّما كفّار النعم، لتمسّكهم بالكتاب، وإقرارهم بالرسول، تزعم أنّ مناكحهم ومواريثهم والاقامة فيهم حلّ طلق، ثم أدلى أبوبيهس برأيه وسيوافيك فى محلّه . ويظهر من هذا الكتاب والكتاب الذى كتبه إلى عبدالله بن الزبير(۳): إنّ نافع بن الأزرق كان من المتطرّفين بين الخوارج، ولم نجد فى تاريخ الخوارج أشدّ تطرّفاً منه. ثمّ إنّ عامل البصرة يومئذ عبدالله بن الحارث الخزاعى من قبل عبدالله بن الزبير، فأخرج عبدالله بن الحارث جيشاً مع مسلم بن عبس بن كريز بن حبيب بن عبد شمس لحرب الأزارقة، فاقتتل الفريقان بدولاب الأهواز، فقتل مسلم بن عبس وأكثر أصحابه، فخرج إلى حربهم من البصرة عمربن عبيدالله بن معمر التميمى فى ألفى فارس، فهزمته الأزارقة، فخرج إليهم حارثة بن بدر الغدانى _____

۱. الحبرة: النعمة .

۲. تونقه: تعجبه .

۳. المبرّد: الكامل ۲/۲۱۲ . (۱۹۳)

فى ثلاثة آلاف من جند البصرة، فهزمتهم الأزارقة، فكتب عبدالله بن الزبير من مكّة إلى المهلّب بن أبى صفرة(۱) و هو يومئذ بخراسان يأمره بحرب الأزارقة وولاّه ذلك، فرجع المهلّب إلى البصرة، وانتخب من جندها عشرة آلاف، وانضمّ إليه قومه من الأزد فصار فى عشرين ألفاً، وخرج وقاتل الأزارقة وهزمهم عن دولاب الأهواز إلى الأهواز، ومات نافع ابن الأزرق فى تلك الهزيمة وبايعت الأزارقة بعده عبيدالله بن مأمون التميمى، وقاتلهم المهلَّب بعد ذلك بالأهواز فقتل عبدالله بن مأمون فى تلك الواقعة، وقتل أيضاً أخوه عثمان بن مأمون مع ثلاثمائة من أشدّ الأزارقة، وانهزم الباقون منهم إلى أيدج وبايعوا قطرىّ بن الفجاءة(۲) وسمّوه أمير المؤمنين، وقاتلهم

المهلّب بعد ذلك حروباً سجالا(۳)، وانهزمت الأزارقة فى آخرها إلى سابور من أرض فارس، وجعلوها دار هجرتهم، وثبت المهلَّب وبنوه وأتباعهم على قتالهم تسع عشرة سنة، بعضها فى أيام عبدالله بن الزبير، وباقيها فى زمان خلافة عبدالملك بن مروان وولاية الحجّاج على العراق، وقرّر الحجّاج المهلَّب على حرب الأزارقة، فدامت ــــــــــــــــــ

۱. هو أبوسعيد: المهلب بن أبى صفرة ـ واسم أبى صفرة ظالم بن سراق، الأزدى، من أزد العتيك. كان المهلّب من أشجع الناس. وهو الذى حمى البصرة من الخوارج حتى سمّاها الناس بصرة المهلّب. ولاّه عبدالله بن الزبير خراسان فى سنة ۶۵، فحارب الأزارقة وأفنى منهم عدداً كثيراً، ثمّ ولّى قتالهم فى عهد عبدالملك ابن مروان، وفى شهر ذى الحجة من سنة ۸۲ مات (المعارف ۳۹۹، العبر: ۱/۷۲ ـ ۷۵ ـ ۷۷ ـ ۸۸ ـ ۹۲ ـ ۹۵) .

۲. هو أبو نعامة: قطرى بن الفجاءة، أحد بنى حرقوص بن مازن بن مالك ابن عمرو بن تميم، خرج فى أيام عبدالله بن الزبير وبقى عشرين سنة يسلّم عليه بالخلافة، وفى أيام عبدالملك بن مروان وجّه إليه الحجاج جيشاً بعد جيش، وكان آخرها بقيادة سفيان بن الأبرد الكلبى، فقتله ـ ويقال: عثرت به فرسه فمات ـ وأتى الحجاج برأسه، وذلك فى سنة ۷۹ (المعارف ۴۱۱، العبر: ۱/۹۰).

۳. تقول «كانت الحرب بين الفريقين سجالا» تعنى أنّ النصر يكون لهذا الفريق مرّة ولذلك مرّة اُخرى، وأصل السجال جمع سجل و هو الدلو. (۱۹۴)

الحرب فى تلك السنين بين المهلّب وبين الأزارقة وفرّوافيما بين فارس والأهواز، إلى أن وقع الخلاف بين الأزارقة ففارق عبد ربّه الكبير قطرياً وصار إلى واد بجيرفت كرمان فى سبعة آلاف رجل، وفارقه عبد ربّه الصغير فى اربعة آلاف، وصار إلى ناحية اُخرى من كرمان، وبقى قطرى فى بضعة عشر ألف رجل بأرض فارس، وقاتله المهلّب بها، وهزمه إلى أرض كرمان و تبعه وقاتله بأرض كرمان وهزمه منها إلى الرى، ثم قاتل عبد ربّه الكبير فقتله، وبعث بابنه يزيدبن المهلّب إلى عبد ربّه الصغير فأتى عليه و على أصحابه، وبعث الحجّاج سفيان ابن الأبرد الكلبى فى جيش كثيف إلى قطرى بعد أن انحاز من الرى إلى طبرستان فقتلوه بها، وأنفذوا برأسه إلى الحجّاج وكان عبيدة بن هلال اليشكرى(۱) قد فارق قطريّاً وانحاز إلى قومس، فتبعه سفيان بن الأبرد وحاصره فى حصن قومس إلى أن قتله وقتل أتباعه، وطهّر الله بذلك الأرض من الأزارقة، والحمدلله على ذلك(۲) . وفى الختام نقول: يظهر من كتبه ورسائله أنّ الرجل كان حافظاً للقرآن، ومقرئاً له، ويؤيّد ذلك ما نقله السيوطى أنّ نافع بن الأزرق لمّا رأى عبدالله بن عباس جالساً بفناء الكعبة، وقد اكتنفه الناس ويسألونه عن تفسير القرآن، فقال لنجدة بن عويمر الحرورى: قم بنا إلى هذا الذى يجترى على تفسير القرآن بما لا علم له به، فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله، فتفسّرها لنا وتأتينا بمصادقه من كلام العرب، فإنّ الله تعالى أنزل القرآن بكتاب عربى مبين، فقال ابن عباس: سلانى عمّا بدالكم، فقال نافع: أخبرنى عن قول ــــــــــــــــــ

۱. عبيدة بن هلال: أحد بنى يشكر بن بكر بن وائل .

۲. الطبرى: التاريخ ۴/۴۷۶. والجزرى: الكامل ۳/۳۴۹. ابن عبد ربه: العقد الفريد۱/۹۵ ـ ۱۲۱ . (۱۹۵)

الله تعالى:(عن اليَمينِ وَ عَنِ الشّمالِ عِزين)(۱). قال: العزون حلق الرقاق، فقال: هل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول: فجاءوا يهرعون إليه حتى * يكونوا حول منبره عزينا ثم سألاه عن أشياء كثيرة عن لغات القرآن الغريبة، ففسّرها مستشهداً بالشعر الجاهلى، وربّما تبلغ الأسئلة والأجوبة إلى مائتين، ولو صحّت تلك الرواية لدلّت على صلة السائلين بالقرآن صلة وثيقة، كما تدلّ على نبوغ ابن عباس فى الأدب العربى وإلمامه بشعر العرب الجاهلى حيث استشهد على كل لغة فسّرها بشعر عنهم، فجاءت الأسئلة والأجوبة فى غاية الاتقان (۲) . إنّ ابن الأزرق كان يتعلّم من ابن عباس ما يجهله من مفاهيم القرآن، نقل عكرمة عن ابن عباس انّه بينما كان يحدّث الناس إذ قام إليه نافع بن الأزرق، فقال له: يا ابن عباس تفتى الناس فى النملة و القملة؟ صف لى إلهك الذى تعبد، فأطرق ابن عباس إعظاماً لقوله، وكان الحسين بن علىّ جالساً ناحية فقال: إلىّ يا ابن الأزرق، قال ابن الأزرق: لست إيّاك أسأل، قال ابن عباس: يا ابن الأزرق، إنّه من أهل بيت النبوّة وهم ورثة العلم، فأقبل نافع نحو الحسين، فقال له الحسين: يا نافع إنّ

من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر فى الالتباس، سائلا ناكباً عن المنهاج، ظاعناً بالاعوجاج، ضالاّ عن السبيل، قائلا غير الجميل. يا ابن الأزرق أصف إلهى بما وصف به نفسه و أُعرّفه بما عرّف به نفسه: لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، قريب غير ملتصق، وبعيد غير منقص، _____

۱. المعارج: ۲۷ .

۲. السيوطى الاتقان ۱/۳۸۲ ـ ۴۱۶ ط دار ابن كثير دمشق بيروت، تحقيق الدكتور مصطفى . (۱۹۶)

يوحّد ولا ـ يتبعّض، معروف بالآيات، موصوف بالعلامات، لا إله إلاّ هو الكبير المتعال. فبكى ابن الأزرق، وقال: يا حسين ما أحسن كلامك؟ قال له الحسين: بلغنى أنّك تشهد على أبى وعلى أخى بالكفر وعلىّ؟ قال ابن الأزرق: أما والله يا حسين لئن كان ذلك لقد كنتم منارالإسلام ونجوم الأحكام. فقال له الحسين: إنّى سائلك عن مسألة. قال: اسأل، فسأله عن هذه الآية: (وَ أمّا الْجِدارَ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى الْمَدِينَةِ)(۱) . يا ابن الأزرق من حفظ فى الغلامين؟ قال ابن الأزرق: أبوهما. قال الحسين: فأبوهما خير أم رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ؟ قال ابن الأزرق: قد أنبأنا الله تعالى أنّكم قوم خصمون (۲) . آراء الأزارقة وعقائدهم: إنّ للأزارقة أهواء متطرّفة وبدعاً فظيعة وقد تشترك فى بعضها مع سائر الفرق: ۱ ـ قولهم: إنّ مخالفيهم من هذه الاُمّة مشركون، وكانت المحكّمة الاُولى يقولون: إنّهم كفرة لامشركون. ۲ ـ قولهم: إنّ القعدة ـ ممّن كان على رأيهم ـ عن الهجرة إليهم مشركون. ۳ ـ اوجبوا امتحان من قصد عسكرهم إذا ادّعى أنّه منهم: أن يدفع إليه أسيراً من مخالفيهم ويأمره بقتله، فإن قتله صدَّقوه فى دعواه أنّه منهم، وإن لم

---

۱. الكهف: ۸۲ .

۲. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق. قسم حياة الإمام الحسين: ۱۵۸. بتحقيق محمد باقر المحمودى، والمجلسى: بحار الأنوار ۴/۲۹۷ (ذيل الحديث يحتاج إلى توضيح) . (۱۹۷)

يقتله قالوا: هذا منافق مشرك، وقتلوه. ۴ ـ اباحة قتل أطفال المخالفين ونسائهم، والمقصود: المسلمون، وزعموا أنّ الأطفال مشركون، وقطعوا بأنّ أطفال مخالفيهم مخلّدون فى النار مع آبائهم. ۵ ـ اسقاط الرجم عن الزانى، إذ ليس فى القرآن ذكره، واسقاط حدّ القذف عمّن قذف المحصنين من الرجال(۱) مع وجوب الحدّ على قاذف المحصنات من النساء . ۶ ـ إنّ التقيّة غير جائزة فى قول ولا عمل . ۷ – تجويزهم أن يبعث الله نبيّاً يعلم أنّه يكفر بعد نبوّته، أو كان كافراً قبل البعثة . ۸ ـ اجتمعت الأزارقة على أنّ من ارتكب الكبيرة كفر كفر ملّة، خرج به عن الاسلام جملة، ويكون مخلّداً فى النار مع سائر الكفّار، واستدلّوا بكفر ابليس وقالوا:ما ارتكب إلاّ كبيرة، حيث اُمر بالسجود لآدم ـ عليه السَّلام ـ فامتنع، وإلاّ فهو عارف بوحدانيّة الله تعالى(۲) . ۹ ـ إنّ دار مخالفيهم دار كفر، وقالوا: إنّ مخالفيهم مشركون فلا يلزمنا اداء أماناتهم إليهم، وسيوافيك تحليل عقائدهم فى فصل خاص. *** _____

۱. بحجّة أنّه سبحانه قال: (والّذين يَرْمُونَ الْمُحَصَنات) (النور: ۴) ولم يقل: والذين يرمون المحصنين.

۲. البغدادى: الفَرق بين الفِرق: ۸۳ ، الشهرستانى: الملل والنحل ۱/۱۲۱ ـ ۱۲۳ . (۱۹۹) الفرقة الثانية: النجديَّة وهم أتباع نجدة بن عامر الحنفى، ومن الغريب أنّه كان للخوارج إمامان فى وقت واحد، إمام فى البصرة وهو نافع بن الأزرق، وإمام فى اليمامة وأطرافها وهو نجدة بن عامر، وذلك انّه لمّا أظهر نافع آراءه المستهجنة الشاذّة كالبراءة من القعدة حتّى سمّاهم مشركين، واستحلّ قتل أطفال مخالفيه ونسائهم، تبرّأ منه عدّة من الخوارج، منهم أبو فديك، وعطية الحنفى، وراشد الطويل، ومقلاص، وأيّوب الأزرق، فذهبوا إلى اليمامة، فاستقبلهم نجدة بن عامر فى جند من الخوارج يريدون اللحوق بعسكر نافع، فأخبروهم باحداث نافع وردّوهم إلى اليمامة، وبايعوا بها نجدة بن عامر، وكفّروا من قال بإكفار القعدة منهم عن الهجرة إليهم، وأكفروا من قال بإمامة نافع، وأقاموا على إمامة نجدة إلى أن اختلفوا عليه فى اُمور نقموها منه. (۲۰۰) ثمّ الذين اختلفوا عليه بعد ما اجتمعوا حوله صاروا ثلاث فرق: ۱ ـ فرقة صارت مع عطيّة بن الأسود الحنفى ففارقهم إلى سجستان، وتبعهم خوارج سجستان، ولهذا قيل لخوارج سجستان فى ذلك الوقت: عطويّة . ۲ ـ

فرقـة صارت مع أبى فديك وهم الذين قتلو نجدة . ۳ ـ وفرقـة عذروا نجدة فى ما أحدثه من البدع وأقاموا على إمامته. والذين خالفوه نقموا عليه الاُمور التالية: الف ـ إنّه بعث جيشاً فى غزو البّر وجيشاً فى غزو البحر، ففضّل الذين بعثهم فى البّر على الذين بعثهم فى البحر فى الرزق والعطاء. ب ـ بعث جيشاً فأغاروا على مدينة الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ وأصابوا منها جارية من بنات عثمان، فكتب إليه عبـدالملك فى شأنها، فاشتراها نجـدة من الذى كانت فى يديه، وردّها إلى عبدالملك بن مروان، فقالوا له: إنّك رددت جارية لنا على عـدوّنا. ج ـ عـذر أهـل الخطأ فى الاجتهاد إذا كان سببه الجهل وذلك يعود إلى الحادثـة التاليـة: بعث ابنه المضـرج مع جنـد من عسـكره إلى القطيف، فأغاروا عليها، وسـبوا منها النساء والذرّية وقوّموا النساء على أنفسـهم، فنكحوهنّ قبل اخراج الخمس من الغنيمة، وقـالوا: إن دخلت النسـاء فى قسـمنا فهو مرادنـا، وإن زادت قيمتهنّ على نصـيبنا من الغنيمـة غرمنـا الزيـادة من أموالنـا، فلمّا رجعوا إلى «نجـدة» وسألوه عمّا فعلوا من وطء النساء، ومن أكل طعام الغنيمـة قبل اخراج الخمس منها، وقبل قسـمة أربعـة أخماسـها بين الغانمين، قال لهم: لم يكن لكم ذلك، فقالوا: لم نعلم أنّ ذلك لا يحلّ لنا، فعذَّرهم بالجهالة. ثم قال: إنّ الدين (۲۰۱)

أمران: أحدهما: معرفة الله تعالى، ومعرفة رسـله ـ عليهم الصـلاة والسلام ـ ، وتحريم دماء المسلمين ـ يعنون موافقيهم ـ والاقرار بما جاء من عنـد الله جملـة، فهـذا واجب على الجميع، والجهـل به لايعـذر فيه. والثانى: ما سوى ذلك، فالناس معـذورون فيه إلى أن تقوم عليه الحجّـة فى الحلال والحرام. قـالوا: ومن جوّز العـذاب على المجتهـد المخطئ فى الأحكـام قبـل قيـام الحجّـة عليه فهو كـافر. د ـ تولّى أصـحاب الحـدود من موافقيه وقال: لعلّ الله يعـذّبهم بـذنوبهم فى غير نار جهنّم ويـدخلهم الجنّـة، وزعم أنّ من خالفه فى دينه يـدخل النار. هـ ـ أسـقط حدّ الخمر(۱) . و ـ من نظر نظرة صـغيرة، أو كذب كذبة صـغيرة، وأصـرّ عليها فهو مشـرك، ومن زنى وسرق وشرب الخمر غير مصـرّ عليه فهو مسـلم، إذا كان من موافقيه على دينه. ولهذه البدع، اسـتتابه أكثر أتباعه وقالوا: اُخرج إلى المسـجد، وتب من احداثك فى الدين، ففعل ذلك. ثمّ إنّ قوماً منهم ندموا على اسـتتابته، وانضـمّوا إلى العاذرين له، وقالوا له: أنت الإمام ولك الإجتهاد ولم يكن لنـا أن نسـتتيبك، فتب من توبتـك، واسـتتب الـذين اسـتتابوك وإلاّ ـ نابـذناك، ففعـل ذلـك، فـافترق عليه أصـحابه، وخلعه أكثرهم، وقالوا له: اختر لنا إماماً، فاختار «أبافديك». وصار «راشد الطويل» _____

۱. هـذا ما يقوله البغـدادى، ويقول الشهرسـتانى: غلظ على الناس من حـد الخمر تغليظاً شديـداً، والظاهر صـحّة الثانى لكون نجـدة من الخوارج . (۲۰۲)

(أحد رؤساء الخوارج) مع «أبى فديك» يداً واحدة، فلمّا اسـتولى أبو فديك على اليمامة علم أنّ أصحاب نجدة إذا عادوا من غزواتهم أعادوا نجـدة إلى الإمارة فطلب نجدة ليقتله فاختفى نجدة فى دار بعض عاذريه، ينتظر رجوع عساكره الذين كان قد فرّقهم فى سواحل الشام و نواحى اليمن، ونادى منادى «أبى فـديك»: من دلّنا على «نجدة» فله عشـرة آلاف درهم، وأى مملوك دلَّنا عليه فهو حر، فدلّت عليه أمـة، فأنفـذ أبوفـديك «راشد الطويل» فى عسـكر إليه فكبسوه وحملوا رأسه إلى «أبى فديك» . ولما قُتِلَ نجدة فصارت النجدات بعده ثلاث فرق: ۱ ـ فرقة اكفرته وصارت إلى أبى فديك، كراشد الطويل، وأبى بيهس، وأبى الشمراخ وأتباعهم. ۲ ـ فرقة عذَّرته فيما فعل، وهم النجدات. ۳ ـ وفرقـة من النجدات هاجروا من اليمامة، وكانوا بناحية البصـرة شـكوا فيما حكى من احداث نجدة وتوقّفوا فى أمره وقـالوا: لانـدرى هـل أحـدث تلـك الاحـداث أم لا ـ؟ فلانبرأ منه إلاّ ـ بـاليقين. وبقى أبوفـديك بعـد قتل نجـدة إلى أن بعث إليه عبـدالملك بن مروان، عمربن عبيـدالله بن معمر التميمى فى جند فقتلوا أبا فديك، وبعثوا برأسه إلى عبدالملك بن مروان، فهذه قصـة النجدات (۱) . وبالامعـان فيمـا نقلنـا عنه من الآراء يظهر مـذهب النجديـة، وأنّهم كانوا أخف وطأة من الأزارقـة وتتلخّص الأفكار التى امتازوا بها عن غيرهم من فرق الخوارج فى الاُمور التالية: _____

۱. البغدادى: الفَرق بين الفِرق ۸۷ ـ ۹۰ ; الأشعرى: مقالات الإسلاميين ۱/۸۹ ; الشهرستانى: الملل و النحل ۱/۱۲۲ ـ ۱۲۵ . (۲۰۳) ۱ ـ التقيّة جائزة (۱). ۲ ـ تعذير قَعَدة المسلمين وضَعَفَتهم. ۳ ـ تحريم قتل الأطفال . ۴ ـ لزوم رد أمانة المخالف(۲) . ۵ ـ لا حاجة للناس إلى إمام قط، وإنّما عليهم أن يتناصحوا فيما بينهم، فإن هم رأوا أنّ ذلك لايتم إلاّ بإمام يحملهم عليه فأقاموه، جاز(۳) . ۶ ـ تولّى أصحاب

الحدود والجنايات من موافقيه. ۷ ـ من نظر نظرة صغيرة، أو كذب كذبة صغيرة وأصرّ عليها فهو مشرك (ولعلّه فى حقّ مخالفيهم) ومن زنى، وسرق، وشرب الخمر غير مصرّ عليه فهو مسلم، إذا كان من موافقيه على دينه(۴) . هذه آراؤهم وسوف نرجع إلى دراسة هذه الموضوعات فى فصل خاص. وأخيراً نعيد ما ذكرناه: انقسمت النجدية بعد «نجدة» إلى ثلاث فرق هم: النجدية والفديكية، والعطوية (۵) . وهذا يدل على أنّ كثيراً من الفرق كانت فرقاً سياسية، لادينية. _____

۱. ولو صحّ ذلك كما هو صريح كتاب نجدة لايصحّ ما نسب إليهم الأشعرى فى مقالاته من أنّهم استحلّوا دماء أهل المقام وأموالهم فى دار التقيّة وبرأوا ممّن حرمّها، الأشعرى: مقالات الاسلاميين ۱/۹۱ .

۲. لاحظ فى هذا الُاصول الأربعة كتاب نجدة إلى نافع تجد فيه تلك الآراء.

۳. الشهرستانى: الملل والنحل ۱/۱۲۴ .

۴. الأشعرى: مقالات الإسلاميين ۱/۹۱ .

۵. الأشعرى: مقالات الإسلاميين ۱/۹۲ . (۲۰۴) (۲۰۵) الفرقة الثالثة: البيهسية البيهسية من الخوارج ينسبون إلى أبى بيهس و اسمه هيصم بن جابر وهى فرقة مستقلّة، لاصلة لها بالإبراهيمية والميمونية، وإنّما تدخّلت فى الخلاف الذى حدث بين تلك الفرقتين، والفرقتان من الاباضية كما سنبيّن: قد وقفت عند الكلام فى الأزارقة على أنّ أبابيهس هيصم بن جابر الضبعى وعبدالله بن اباض كانا فى وقت واحد، وكان لنافع قيادة روحية مثلما كان لعبدالله بن اباض أو أقوى، وإنّما خرج أبوبيهس بمنهج عندما ظهر له غلوّ نافع و تقصير عبدالله بن اباض، حيث إنّ نافع غلا فى البراءة من المسلمين وجوّز استعراضهم والتفتيش عن عقائدهم واستحلّ أماناتهم وقتل أطفالهم . بينما عبدالله بن اباض قد قصّر (أى فى التطرّف) حيث إنّ المخالفين عندهم كفّار ولكن كفّار فى النعم كما عدّ سبحانه وتعالى تاركَ الحج مع (۲۰۶)

الاستطاعة كافراً وقال: (وَلِلّه عَلَى النّاسِ حجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ سَبِيلا و مِنْ كَفَرَ فَإنَّ اللهَ غَنِىٌّ عَنِ العالمين)(۱) وجوّز مناكحهم ومواريثهم والاقامة فى بلدهم. عند ذلك أدلى أبو بيهس بأوّل رأيه حيث اعتبر أنّ هناك إفراطاً وتفريطاً والحق الوسط، يقول: إنّ أعداءنا كأعداء رسول الله، تحلّ لنا الاقامة فيهم، خلافاً لنافع كما فعل المسلمون خلال اقامتهم بمكة وأحكام المسلمين تجرى عليهم، وزعم أنّ مناكحهم ومواريثهم تجوز لأنّهم منافقون يظهرون الإسلام، وانّ حكمهم عند الله حكم المشركين. قال المبرّد: فصارت الخوارج فى هذا الوقت على ثلاثة أقاويل: ۱ ـ قول نافع فى البراءة والاستعراض واستحلال الأمانة وقتل الأطفال. ۲ ـ قول أبى بيهس الذى ذكرناه. ۳ ـ وقول عبدالله بن اباض وهو أقرب الأقوال إلى السنّة من أقاويل الضلال (۲). ثمّ إنّ البيهسية انقسمت إلى فرق : ۱ ـ العوفية. ۲ ـ أصحاب التفسير. ۳ ـ أصحاب السؤال، وهم أصحاب شبيب النجرانى . ولنذكر المشتركات بين هاتيك الفرق، ثمّ نذكر المميّزات، أمّا الُاولى فقال أبو بيهس: لا يسلم أحد حتّى يقرّ بمعرفة الله، ومعرفة رسوله، ومعرفة ما جاء به محمّد جملة، والولاية لأولياء الله سبحانه، والبراءة من أعداء الله وما _____

۱. آل عمران: ۹۷ .

۲. المبرّد: الكامل ۲/۲۱۴ وأضاف انّ الصفرية والنجدية فى ذلك الوقت يقولون بقول ابن اباض . (۲۰۷)

حرّم الله سبحانه ممّا فيه الوعيد ، فلا يسع الإنسان إلّا علمه ومعرفته بعينه، وتفسيره . ومنه ما ينبغى أن يعرفه باسمه ولايبالى أن لايعرف تفسيره و عينه حتى يبتلى به، وعليه أن يقف عند ما لا يعلم، ولا يأتى شيئاً إلّا بعلم. وفى مقابل البيهسية من قال: قد يسلم الإنسان بمعرفة وظيفة الدين، وهى شهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ عبده و رسوله، والاقرار بما جاء من عندالله جملة(۱)، والولاية لأولياء الله، والبراءة من أعداء الله وإن لم يعرف ما سوى ذلك فهو مسلم. ثمّ إنّه مسلم حتى يبتلى بالعمل، فمن واقع شيئاً من الحرام، ممّا جاء فيه الوعيد، وهولايعلم أنّه حرام، فقد كفر، ومن ترك شيئاً من كبير ما افترضه الله سبحانه عليه وهو لا يعلم فقد كفر، فإن حضر أحد من أوليائه مواقعة من واقع الحرام وهو لا يدرى أحلال أم حرام، أو اشتبه عليه، وقف فيه، فلم يتولّه ولم يبرأ

منه حتى يعرف أحلال ركب أم حرام؟ . قالت البيهسية: الناس مشركون بجهل الدين(۲)، مشركون بمواقعة الذنوب، وإن كان ذنب لم يحكم الله فيه حكماً مغلظاً ولم يوقفنا على تغليظه فهو مغفور، ولا يجوز أن يكون أخفى أحكامه عنّا فى ذنوبنا، ولو جاز ذلك جاز فى الشرك (۳) . وقالوا: التائب فى موضع الحدود، وفى موضع القصاص، والمقرّ على ـــــــــــــــــ ۱. الفرق بين الفرقتين: هو أنّ البيهسية التزموا بالمعرفة جملة، وهؤلاء اكتفوا بالاقرار جملة، والفرق بينهما واضح، فإنّ المعرفة تستلزم المعرفة التفصيلية دون الاقرار .

۲. ذلك لازم الأصل الأوّل من اشتراط تحقّق الإسلام بمعرفة ما جاء به محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ .

۳. يريد أنّ المعاصى الكبيرة لا تكون خفيّة علينا، ولو جاز خفاؤها لجاز خفاء حكم الشرك. (۲۰۸)

نفسه يلزمه الشرك إذا أقرّ من ذلك بشىء وهو كافر، لأنّه لايحكم بشىء من الحدود والقصاص إلّا على كل كافر يشهد عليه بالكفر عندالله(۱) . هذه هى الأحكام المشتركة بين جميع فرق البيهسية ولب الجميع عبارة عن أمرين: ۱ ـ لزوم معرفة ما جاء به النبى على وجه التفصيل . ۲ ـ إنّ مرتكب الكبائر مشرك خصوصاً فيما إذا كان فى موضع الحد. نعم هناك فِرق من البيهسية اختصّوا ببعض الأحكام، نذكر منها ما يلى: الف ـ العوفية: وهم فرقتان: فرقة تقول: من رجع من دار هجرتهم ومن الجهاد إلى حال القعود نبرأ منهم. وفرقة تقول: لا نبرأ منهم، لأنّهم رجعوا إلى أمر كان حلالا لهم. وكلا الفريقين من العوفية يقولون: إذا كفر الإمام فقد كفرت الرعية، الغائب منهم و الشاهد. والبيهسية يبرأون، منهم وهم جميعاً يتولّون أبا بيهس، وقالت العوفية: السكر كفر، ولا يشهدون أنّه كفر حتى يأتى معه غيره كترك الصلاة، وما أشبه ذلك، لأنّهم إنّما يعلمون أنّ الشارب سكر إذا ضمّ إلى سكره غيره ممّا يدلّ على أنّه سكران (۲) . ب ـ أصحاب التفسير: كان صاحب بدعتهم رجل يقال له الحكم بن مروان من أهل الكوفة، زعم أنّه من شهد على المسلمين لم تجز شهادتهم إلّا بتفسير الشهادة كيف هى. قال: ولو أنّ أربعة شهدوا على رجل منهم بالزنا لم تجز شهادتهم حتى يشهدوا كيف هو، وهكذا قالوا فى سائر الحدود، فبرأت ـــــــــــــــــ

۱. وهذا مبنى على كون ارتكاب الكبائر كفراً.

۲. إنّ العلم بالسكر يعلم بأدنى شىء ولا يتوقّف على ترك الصلاة . (۲۰۹)

منهم البيهسية على ذلك وسمّوهم أصحاب التفسير. ج ـ أصحاب السؤال: وهم الذين زعموا أنّ الرجل يكون مسلماً إذا شهد أن لا إله إلّا الله و أنّ محمّداً ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ عبده و رسوله، وتولّى أولياء الله وتبرّأ من أعدائه، وأقرّ بما جاء من عندالله جملة، وإن لم يعلم سائر ما افترض الله عليه ممّا سوى ذلك، أفرض هوأم لا؟ فهو مسلم حتى يبتلى بالعمل به (فيسأل)(۱) . وقالوا: فى أطفال المؤمنين: إنّهم مؤمنون أطفالا ـ وبالغين، حتى يكفروا، وإنّ أطفال الكفّار كفّار، أطفالا وبالغين حتى يؤمنوا. وقالوا بقول المعتزلة فى القدر (أى كون الأفعال منسوبةً إلى الإنسان دونه سبحانه). هذه هى البيهسية وهذه الفرق المتشعّبة عنها. وهاهنا آراء تنسب إلى بعض البيهسيين ولم يعرف قائلها. منها قول بعض البيهسية: من واقع زنا، لم يُشهد عليه بالكفر حتى يرفع إلى الإمام أو الوالى ويحد، فوافقهم على ذلك طائفة من الصفرية، إلاّ ـ أنّهم قالوا: نقف فيهم ولا ـ نسمّيهم مؤمنين ولاكافرين . منها قول بعضهم: إذا كفر الإمام كفرت الرعية، وإنّ الدار دار شرك وأهلها جميعاً مشركون، ولا يصلّى إلّا خلف من يعرف، وقالوا: بقتل أهل القبلة وأخذ الأموال واستحلال القتل والسبى على كل حال. ـــــــــــــــــ ۱. قد عرفت أنّ القدر المشترك بين البيهسية هو لزوم معرفة ما جاء به محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ تفصيلا، ولكن أصحاب السؤال اكتفوا بالاقرار الإجمالى، فعدّهم من البيهسية موضع تأمّل، وإن عدّه منهم الأشعرى فى مقالاته.

ثمّ إنّ الفرق بينهم وبين الفرقة المخالفة للبيهسية التى أوعزنا إليها فى صدر البحث هو أنّهم يحكمون بالكفر إذا ابتلى بالعمل وهو لا يعلم أنّه حرام، وهذا بخلاف أصحاب السؤال فهم لا يحكمون بكفره بل يحكمون عليه بالسؤال . (۲۱۰) منها: السكر من كل شراب، حلال موضوع عمّن سكرمنه، وكل ما كان فى السكر من ترك الصلاة أوشتم الله سبحانه موضوع فيه، لاحدّ فيه، ولا حكم، ولا يكفّر أهله بشىء من ذلك ماداموا فى سكرهم، وقالوا: إنّ الشراب حلال الأصل، ولم يأت فيه شىء من التحريم لا فى قليله ولا فى اكثار أو

سکر(۱). وأمّا تدخّل أبی بیهس فی الخلاف الذی حدث بین الإبراهیمیة والمیمونیة فحاصله أنّ رجلا من الاباضیة یعرف بإبراهیم، دعا قوماً من أهل مذهبه إلی داره، وأمر جاریة له کانت علی مذهبه بشیء، فأبطأت علیه فحلف لیبیعنّها فی الأعراب، فقال له رجل منهم اسمه میمون: کیف تبیع جاریة مؤمنة إلی الکفرة؟ فقال له إبراهیم: إنّ الله تعالی قد أحلّ البیع وقد مضی أصحابنا وهم یستحلّون ذلک، فتبرّأ منه میمون وتوقّف آخرون منهم فی ذلک وکتبوا بذلک إلی علمائهم، فأجابوهم بأنّ بیعها حلال، وبأنّه یستتاب میمون، ویستتاب من توقّف فی إبراهیم، فصاروا فی هذا ثلاث فرق: أبراهیمیة، ومیمونیة، وواقفة. ثمّ إنّ البیهسیة قالوا: إنّ میموناً کفر بأن حرّم الأمة فی دار التقیة من کفّار قومنا، وکفرت الواقفة بأن لم یعرفوا کفر میمون وصواب أبراهیم، وکفر إبراهیم بأن لم یبرأ من الواقفة(۲) . وأمّا مصیر أبی بیهس، فقد طلبه الحجاج أیّام الولید فهرب إلی المدینة فطلبه بها عثمان بن حیّان المزنی فظفربه وحبسه، وکان یسامره إلی أن ورد کتاب الولید بأن یقطع یدیه ورجلیه ثم یقتله، ففعل ذلک به (۳) . *** _____

۱. الأشعری: مقالات الإسلامیین ۱/۱۱۳ ـ ۱۱۸، والشهرستانی: الملل والنحل ۱/۱۲۵ ـ ۱۲۷ .

۲. البغدادی: الفرق بین الفرِق ۱۰۷ ـ ۱۰۸ .

۳. الشهرستانی: الملل و النحل ۱/۱۲۵ . (۲۱۱) الفرقة الرابعة: الصفریة اختلفت کلمة أصحاب المقالات فی مؤسّس هذه الفرقة، فنری أنّ المبرّد یعرّفهم بأنّهم أصحاب ابن صفار، وانّهم إنّما سمّوا بصفرة لصفرة عَلَتْهم ویستشهد علی ذلک بقول ابن عاصم اللیثی، وکان یری رأی الخوارج وصار مرجئاً. فارقتُ نجدة والذین تزرّقوا * وابن الزبیر وشیعة الکذّاب والصفر الآذان (۱) الذین تخیّروا * دیناً بلاثقة ولا بکتاب بینما الأشعری والشهرستانی ینسبانها إلی زیاد بن أصفر(۲) . _____

۱. قال المبرّد: خفف الهمزة من الاذان ولولاه لانکسر الشعر.(المبرّد: الکامل ۲/۲۱۴) .

۲. الأشعری: مقالات الإسلامیین ۱۰۱، والشهرستانی: الملل والنحل ۱/۱۳۷ . (۲۱۲) ولکن یقول المقریزی: إنّهم أتباع زیاد بن الأصفر ویضیف، ربّما یقال: إنّهم أتباع النعمان بن الصفر، وقیل: بل نسبوا إلی عبدالله بن صفار، ویقال لهم أیضاً: الزیادیة...ویقال لهم أیضاً: النُکّار من أجل أنّهم ینقصون نصف علی وثلث عثمان وسدس عائشة(۱) . وعل کل تقدیر فهم کالأباضیة أقرب الفرق إلی المسلمین: ۱ ـ یخالفون الأزارقة فی عذاب الأطفال، فإنّهم لا یجیزون ذلک ولا یکفّرونهم ولایخلّدونهم فی النار. ۲ ـ لم یکفّروا القعدة عن القتال ـ والمراد قعدة الخوارج ـ . ۳ ـ لم یسقطوا الرجم . ۴ ـ التقیة جائزة فی القول دون العمل عندهم. ۵ ـ وأمّا إطلاق الکافر و المشرک علی مرتکبی الکبائر، فقد قالوا فیه بالتفصیل الآتی: ماکان من الأعمال علیه حدّ واقع فلا یتعدّی بأهله، الاسمُ الذی لزمه به الحدّ کالزنا والسرقة، والقذف، فیسمّی زانیاً سارقاً، قاذفاً، لا کافراً مشرکاً. وماکان من الکبائر ممّا لیس فیه حدّ لعظم قدره مثل ترک الصلاة والفرار من الزحف، فإنّه یکفّر بذلک. ۶ ـ ونقل عن الضحّاک منهم انّه جوّز تزویج المسلمات من کفّار قومهم (یرید سائر المسلمین) فی دار التقیّة دون دار العلانیة . ۷ ـ ونقل عن زیاد بن الأصفر انّ الزکاة سهم واحد فی دار التقیّة(۲) . _____

۱. المقریزی: الخطط ۲/۳۵۴، والنکّار جمع ناکر.

۲. یرید أنّه لا یجب صرف الزکاة علی الأصناف الثمانیة الواردة فی آیة الصدقات، لعدم بسط الید فی دار التقیّة بل تصرف فی مورد واحد. (۲۱۳) ۸ ـ ویحکی عنه أنّه قال: نحن مؤمنون عند أنفسنا ولاندری أنّنا خرجنا من الإیمان عند الله! ۹ ـ الکفر کفران، کفر بانکار النعمة، وکفر بانکار الربوبیة. ۱۰ ـ البراءة براءتان: براءة من أهل الحدود، سنّة، وبراءة من أهل الجحود، فریضة(۱) . وعلی ما ذکره الشهرستانی فهم لایرون ارتکاب الکبیرة موجباً للشرک والکفر إلّا فیما إذا لم یرد فیه حدّ کترک الصلاة . لکن الظاهر ممّا نقله البغدادی فی الفرق انّ بین الصفریة قولین آخرین: الف ـ إنّ صاحب کل ذنب مشرک، کما قالت الأزارقة. ب ـ إنّ صاحب الذنب لا یحکم علیه بالکفر حتی یرفع إلی الوالی فیحدّه(۲). وکل الصفریة بل جمیع فرق الخوارج حتی الاباضیة الذین یتحرّجون من تسمیتهم خوارج، یقولون بموالاة عبدالله بن وهب الراسبی وحرقوص بن زهیر واتباعهما من المحکّمة الأُولی . ویقولون بإمامة أبی بلال مرداس، الخارج بعد المحکّمة الأُولی، وبإمامة عمران بن حطان السدوسی بعد أبی بلال. أمّا أبو بلال فقد مرّت ترجمته وأنّه خرج فی

أیّام یزید بن معاویة بناحیة البصرة، فبعث إلیه عبیدالله بن زیاد، عبّاد بن أخضر التمیمی، فقتله مع أتباعه. وأمّا الثانی فهو من شعراء الخوارج وخطبائهم، مات سنة ۸۴، وبلغ من خبثه فی بغض علی ـ علیه السَّلام ـ أنّه رثا عبدالرحمن بن ملجم وقال فی ضربه

---

۱. الشهرستانی: الملل و النحل ۱/۱۳۷. البغدادی: الفَرق بین الفِرق ۹۰. الأشعری: المقالات ۱۰۱ .

۲. البغدادی: الفَرق بین الفِرق ۹۱ . (۲۱۴) علیّاً: یا ضربة من منیب ما أراد بها * إلا لیبلغ من ذی العرش رضوانا إنّی لأذکره یوماً فأحسبه * أوفی الربیة عند الله میزانا قال عبدالقاهر (البغدادی): وقد اجبناه عن شعره هذا بقولنا: یا ضربة من کفور ما استفاد بها * إلاّ الجزاء بما یصلیه نیرانا إنّی لألعنه دیناً، وألعن من * یرجو له أبداً عفواً وغفرانا ذاک الشقی لأشقی الناس کلّهم * أخفّهم عند ربّ الناس میزانا(۱) اُصول الفرق للخوارج: هذه هی اُصول فرق الخوارج المتطرّفین وأمّا سائر الفرق فکلّها مشتقّة منها بسبب اختلاف غیر هامّ فی التخطیط والتطبیق، لا ـ فی المبدأ والأصل، وأمّا الاباضیة، فلم یکونوا بهذا التطرّف، ولأجل ذلک أسماهم سائر الفرق باسم «القعدة» لأنّهم قعدوا عن الجهاد فی سبیل الله بمحاربة الولاة والحکّام الظالمین. یقول «الدکتور رجب محمّد»: قد تطّورت الأحوال فی جماعة المحکّمة الذین ظلّوا علی عدائهم وصدامهم مع الدوله الأمویة إلی الانقسام إلی فرق ثلاث: هی الأزارقة، والنجدات، والبیهسیة منذ عام ۶۴، واُضیفت إلیها الفرقة الرابعة وهی الفرقة المعروفة باسم الصفریة منذ عام ۷۵، واتّفقت هذه الفرق الأربع فیما بینهم علی آراء، وکفّر بعضهم بعضاً، واصطدموا بالدولة الأمویة مرّات عدیدة، وتصدّت لهم قوات الخلافة وأخضعت شوکتهم وقضت علی زعمائهم، وکان ذلک علی ید المهلّب بن أبی صفرة المعانی وعلی ید قومه من ــــــــــــــــ

۱. البغدادی: الفَرق بین الفِرق ۹۳ . (۲۱۵)

الأزد العمانیین، وعندما حاول بعض زعمائهم اللجوء إلی عمان، تصدّی لهم العمانیون وقاتلوهم وقتلوهم (۱). وعلی کل تقدیر فالفرقة الباقیة من الخوارج تلعن الفرق الأربع وتتبرّأ منها، وإلیک نصّ بعضهم فی هذا الشأن: لقد حرص ابن اباض فی رسالته إلی عبدالملک بن مروان أن یقرّر رأیه بصراحة فی ابن الأزرق... فذکر فیها قوله: «أنا براء إلی الله من ابن الأزرق وصنیعه وأتباعه. لقد کان حین خرج علی الإسلام فیما ظهر لنا، ولکنّه أحدث وارتدّ وکفر بعد اسلامه فنبرأ إلی الله منهم» (۲) . وقد عرض القلهاتی بالتحلیل لآراء الأزارقة: «الأزارقة إمامهم أبو راشد نافع بن الأزرق، وهو أوّل من خالف اعتقاد أهل الاستقامة، وشقّ عصی المسلمین، وفرّق جماعتهم، وانتحل الهجرة، وسبی أهل القبلة، وغنم أموالهم، وسبی ذراریهم، وسنَّ تشریک أهل القبلة، وتبرأ من القاعد ولو کان عارفاً لأمره تابعاً لمذهبه، واستحلّ اعتراض الناس بالسیف، وحرّم مناکحتهم وذبائحهم ومواریثهم، وابتدع اعتقادات فاسدة وآراء حائدة خالف فیها المسلمین أهل الاستقامة فی الدین» (۳) . وقد تعرَّض کذلک لسائر فرق الخوارج الاُخری فقال: «وجمیع أصناف الخوارج ـ غیر أهل الاستقامة (الأباضیة) ـ اجتمعوا ــــــــــــــــ

۱. الدکتور رجب محمّد عبدالحلیم (استاذ التاریخ بجامعة القاهرة وجامعة السلطان قابوس): الاباضیة فی مصر و المغرب: ۱۴ .

۲. البرادی: الجواهر المنتقاة (رسالة ابن اباض) ۱۵۶ ـ ۱۶۷. ویأتی نصّ الرسالة فی محلّها.

۳. القلهاتی: الکشف والبیان ۲/۴۲۳ . (۲۱۶)

علی تشریک أهل القبلة، وسبی ذراریهم، وغنیمة أموالهم، و منهم من یستحل قتل السریرة والعلانیة، واعتراض الناس بالسیف علی غیر دعوة، ومنهم من یستحلّ قتل السریرة، وهم مختلفون فیما بینهم، یقتل بعضهم بعضاً، ویغنم بعضهم مال بعض، ویبرأ بعضهم من بعض، وانتحلوا الهجرة، وحرّموا مواریثهم، ومناکحتهم، وأکل ذبائحهم» (۱) . الخوارج قد شوّهوا محاسن الدین : إنّ الخوارج قد شوّهُوا محاسنَ الدین الإسلامی تشویهاً غریباً، فإنَّ هذا الاغراق فی التأویل و الاجتهاد أخرجهم عن روح الإسلام وجماله واعتداله، وهم فی تعمّقهم قد سلکوا طریقاً ما قال به محمّد ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ ولا دعا إلیه القرآن، وأمّا التقوی التی کانوا یَظْهرون بها فهی من قبیل التقوی العمیاء، والصلاح، الذی کانوا یتزینون به فی الظاهر، کان ظاهر التأویل بادئ الزخرفة، وقد طمعوا فی الجنة وأرادوا السعی

لها عن طریق التعمق والتشدد والغلوّ فی الدین، غلّواً أخرجهم منه، ومجاوزة الحدِّ، تُوقع فی الضد(۲). *** _____

۱. صالح بن أحمد الصوافی: الإمام جابر بن زید العمانی: ۲۱۵ ـ ۲۱۶ .

۲. عمر ابو النضر: الخوارج فی الاسلام: ۱۱۱ . (۲۱۷) الفرقة الخامسة: الاباظیة أتباع عبدالله بن اباض(۱) م ۸۶ وصفت الاباضیة فی کلام غیر واحد بأنّهم أقرب الناس إلی أهل السنّة(۲) وأنّهم هم الفرقة المعتدلة من الخوارج، ولأجل هذا اُتیح لهم البقاء إلی یومنا هذا، فهم متفرّقون فی عمان وزنجبار وشمال أفریقیا، فإذا کان البحث فی سائر الفرق بحثاً فی طوائف أبادهم الدهر وصاروا خبراً لِکانَ، فالبحث عن الاباضیة بحث عن فرقة موجودة من الخوارج ویعتبر مذهبهم، المذهب الرسمی فی عُمان، وقد ذکرنا فی بدایة الکتاب النشاط الثقافی التی تقوم به وزارة الأوقاف عندهم. فنبحث أوّلا عمّا یقول عنهم أصحاب المقالات والتاریخ، ثم نرجع إلی

---

۱. إنّ اباضیة عمان یقرأونه ـ بالفتح ـ خلافاً لاباضیة شمال أفریقیا فیقرأونه ـ بالکسر ـ وعلی کل تقدیر واباض ـ بضم الهمزة ـ فهی قریة أو واحة بالیمامة.

۲. المبرّد: الکامل ۲/۲۱۴ . (۲۱۸)

کتبهم المنتشرة فی هذه الأیام لغایة التعریف بهم. الاباضیة فی کتب المقالات والتاریخ : عبدالله بن اباض المقاعسی المرّی التمیمی من بنی مرّة بن عبید بن مقاعس، رأس الاباضیة وإلیه نسبتهم، وقد عاصر معاویة وعاش إلی أواخر أیّام عبدالملک بن مروان، وکان ممّن خرج إلی مکّة لمنع حرم الله من مسلم بن عقبة المرّی(۱) عامل یزید بن معاویة. اتّفق عبدالله بن اباض مع نافع و أصحابه علی أن یسألا ـ عبدالله بن الزبیر عن رأیه فی عثمان، لأنّ الخوارج یومذاک کانوا ملتفّین حول عبدالله بن الزبیر، فلمّا سألوه وجدوه، مخالفاً للعقیدة فتفرّقوا من حوله، وذهبت طائفة من الخوارج إلی الیمامة وعدّة اُخری إلی البصرة، منهم ابن الأزرق وعبدالله بن اباض وعبدالله بن الصفار(۲) . ثمّ إنّ ابن الأزرق خرج علی ثلاثمائة رجل عند وثوب الناس بعبیدالله بن زیاد، وتخلّف عنه عبدالله بن صفّار وعبدالله بن اباض ورجال معهما علی رأیه، وکتب إلیهما ما ألقاه لأصحابه فی خطابته وهو: «إنّ الله قد أکرمکم بمخرجکم، وبصَّرکم ما عمی عنه غیرکم. ألستم تعلمون أنّکم إنّما خرجتم تطلبون شریعته وأمره، فأمره لکم قائد، والکتاب لکم إمام، وإنّما تتّبعون سننه و أثره؟ فقالوا: بلی، فقال: أ لیس حکمکم فی ولیّکم حکم النبی ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ فی ولیّه، وحکمکم فی وعدوّکم حکم النبی ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ فی عدوّه، عدوّکم الیوم عدوّالله وعدوّ _____

۱. الطبری: التاریخ ۴/۴۳۸ .

۲. الطبری: التاریخ ۴/۴۳۸ . (۲۱۹)

النبی ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ کما أنّ عدوّ النبی ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ یومئذ هو عدوّ الله وعدوّکم الیوم؟ فقالوا: نعم، قال: فقد أنزل الله تبارک و تعالی:(بَراءَةٌ مِنَ اللهِ وِرَسُولِهِ اِلَی الَّذِینَ عاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِکِینَ) وقال: (لا تَنْکِحُوا المُشْرِکاتِ حَتّی یُؤْمِنَّ) فقد حرّم الله ولایتهم، والمقام بین أظهرهم، واجازة شهادتهم، وأکل ذبائحهم، وقبول علم الدین عنهم، ومناکحتهم و مواریثهم. قد احتجّ الله علینا بمعرفة هذا، وحقّ علینا أن نعلم هذا الدین الذین خرجنا من عندهم، ولانکتم ما أنزل الله، والله عزّوجلّ یقول:(إِنَّ الَّذِینَ یَکْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ البَیِّناتِ وِ الهُدی مِنْ بَعْدِ ما بَیَّنّاهُ لِلنّاسِ فِی الکِتابِ اُولئِکَ یَلْعَنُهُمُ اللهُ وَ یَلْعَنُهُمُ اللّاعِنُونَ)(۱) . فبعث بالکتاب إلی عبدالله بن صفار وعبدالله بن اباض، فأتیا به، فقرأه عبدالله بن صفار، فأخذه، فوضعه خلفه فلم یقرأه علی الناس خشیة أن یتفرّقوا ویختلفوا، فقال له عبدالله بن اباض: مالک لله أبوک؟ أیّ شی أصبت؟ أن قد اُصیب اخواننا؟ أو اُسر بعضُهم؟ فدفع الکتاب إلیه، فقرأه، فقال: قاتله الله، أیّ رأی رأی. صدق نافع بن الأزرق (لکن) لوکان القوم مشرکین، کان أصوب الناس رأیاً وحکماً فیما یشیر به، وکانت سیرته کسیرة النبی ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ فی المشرکین . ولکنّه قد کذب وکذبنا فیما یقول: إنّ القوم کفّار بالنعم والأحکام، وهم براء من الشرک، ولایحلّ لنا إلّا دماؤهم، وما سوی ذلک من أموالهم فهو علینا حرام (۲) . ثمّ إنّ المبرّد نقل کتاب

ابن الأزرق إليهما بغير هذه الصورة، والنقلان ــــــــــــــــــ

۱. البقرة: ۱۵۹ .

۲. الطبرى: التاريخ ۴/۴۳۸ ـ ۴۴۰ . (۲۲۰)

متّفقان فى المادة، وأضاف أنّ الكتاب ورد إلى أبى بيهس وعبدالله بن اباض، فأقبل أبوبيهس على ابن اباض فقال: إنّ نافعاً غلا فكفر وانّك قصّرت فكفرت(۱). هذا هو عبدالله بن اباض، وهذه زمالته مع نافع بن الأزرق وهذا فراقه له فى مسألة تكفير المسلمين كفر ملّة ودين، وهذه اباحته دماء المسلمين (بعد اتمام الحجّة) ولأجل هذه المرونة بين الاباضية، يقول المبرّد: إنّ قول عبدالله بن اباض أقرب الأقاويل إلى أهل السنّة من أقاويل الضلال. أوهام حول مؤسّس المذهب: ثمّ إنّ هناك أوهاماً حول الرجل فى كتب الفِرق والتواريخ: ۱ ـ خرج ابن اباض فى أيام مروان بن محمّد (۲) وهذا وهم فقد مات قبل أيام مروان بأربعين عاماً. ۲ ـ وقال الزبيدى: كان مبدأ ظهوره فى خلافة مروان الحمار(۳). ۳ ـ وقال المقريزى: إنّه من غلاة المحكّمة وانّه خرج فى أيام مروان، ثمّ قال: ويقال: إنّ نسبة الاباضية إلى اباض ـ بضم الهمزة ـ وهى قرية باليمامة نزل بها نجدة بن عامر(۴) . وكلا الأمرين يدلّان على أنّه ظهر بين سنتى ۱۲۷ ـ ۱۳۲، أيام حكم مروان وهو لايتّفق مع ما عليه الاباضية على أنّ وفاته كانت فى أيام عبدالملك بن مروان . ــــــــــــــــــ

۱. المبرّد: الكامل ۲/۲۱۳ ـ ۲۱۴ وقد مرّ ـ كتاب ابن الأزرق ـ إليهما عند البحث عن البيهسية، فلاحظ.

۲. نقله خير الدين الزركلى فى الاعلام ۴/۱۸۴، عن هامش الأغانى: ۳۳۰ من المجلد السابع .

۳. الزبيدى: تاج العروس، مادة ابض .

۴. المقريزى: الخطط ۲/۳۵۵ . (۲۲۱) وقال الشهرستانى: عبدالله بن اباض الذى خرج فى أيام مروان بن محمّد (۱) . ولعلّ وجه اشتباههم هو: وقوع فتنة الاباضية فى أواخر حكومة مروان بن محمّد، وكان فى رأس الفتنة عبدالله بن يحيى الجندى الكندى الحضرمى طالب الحق وكان اباضياً. قال ابن العماد: وفى سنة ۱۳۰ كانت فتنة الاباضية وهم المنسوبون إلى عبدالله بن اباض. قال: مخالفونا من أهل القبلة كفّار، ومرتكب الكبيرة موحّد غير مؤمن، بناءً على أنّ الأعمال داخلة فى الإيمان، وكفّروا عليّاً وأكثر الصحابة، وكان داعيتهم فى هذه الفتنة عبدالله بن يحيى الجندى الكندى الحضرمى (طالب الحق)، وكانت لهم وقعة بقديد مع عبدالعزيز بن عبدالله بن عمرو بن عثمان فقتل عبدالعزيز ومن معه من أهل المدينة، فكانوا سبعمائة أكثرهم من قريش منهم: تخرمة بن سليمان الوالبى، روى عن عبدالله بن جعفر وجماعة، وبعدها سارت الخوارج إلى وادى القرى ولقيهم عبدالملك السعدى فقتلهم ولحق رئيسهم إلى مكّة فقتله أيضاً، ثمّ سار إلى تبالة ـ وراء مكّة بستّ مراحل ـ فقتل داعيتهم الكندى(۲) . ومن الأوهام ما ذكره ابن نشوان الحميرى عن أبى القاسم البلخى المعتزلى: انّ عبدالله لم يمت حتى ترك قوله أجمع، ورجع إلى الاعتزال (۳)، والرجل توفّى ولم يكن للاعتزال أى أثر، فإنّ رأس الاعتزال هو واصل بن عطاء الذى ولد عام ۸۰ . ثمّ إنّ الاباضية انقسمت إلى فرق خرجوا عن الاعتدال والمرونة ومالوا ــــــــــــــــــ

۱. الشهرستانى: الملل و النحل ۱/۱۳۴ .

۲. ابن عماد الحنبلى: شذرات الذهب ۱/۱۷۷ .

۳. ابن نشوان الحميرى: الحور العين ۱۷۳ . (۲۲۲)

إلى التطرّف والشدّة، ولكن جمهور الاباضية على الاعتدال. يقول الأشعرى: وجمهور الاباضية يتولّى المحكّمة كلّها إلّا من خرج، ويزعمون أنّ مخالفيهم من أهل الصلاة كفّار، وليسوا بمشركين، حلال مناكحتم وموارثتهم حلال غنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب، حرام ماوراء ذلك، وحرام قتلهم وسبيهم فى السر، إلّا من دعا إلى الشرك فى دار التقيّة ودان به، وزعموا أنّ الدار ـ يعنون دار مخالفيهم ـ دار توحيد إلّا عسكر السلطان، فإنّه دار كفر ـ يعنى عندهم ـ . وحكى عنهم أنّهم أجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم، وحرّموا الاستعراض إذا خرجوا، وحرّموا دماء مخالفيهم حتّى يدعوهم إلى دينهم، فبرأت الخوارج منهم على ذلك، وقالوا:

إنّ کل طاعة إیمان ودین، وإنّ مرتکبی الکبائر موحّدون ولیسوا بمؤمنین(۱). وقریب من ذلک ما ذکره البغدادی فی کتابه، یقول: افترقت الاباضیة فیما بینها فرقاً یجمعها القول بأنّ کفّار هذه الاُمّة ـ یعنون بذلک مخالفیهم من هذه الاُمّة ـ براء من الشرک والإیمان، وانّهم لیسوا مؤمنین ولا مشرکین ولکنّهم کفّار، وأجازوا شهادتهم وحرّموا دماءهم فی السرّ واستحلّوها فی العلانیة، وصحّحوا مناکحتهم، والتوارث منهم، وزعموا أنّهم فی ذلک محاربون لله ولرسوله، لایدینون دین الحق، وقالوا باستحلال بعض أموالهم دون بعض، والذی استحلّوه الخیل والسلاح، فأمّا الذهب والفضة فإنّهم یردّونهما إلی أصحابهما عند الغنیمة . ثمّ افترقت الاباضیة فیما بینهم أربع فرق: الحفصیة، والحارثیة، والیزیدیة، وأصحاب طاعة لایراد الله بها. ــــــــــــــــــ

۱. الأشعری: مقالات الإسلامیین ۱۰۴ ـ ۱۰۵ . (۲۲۳) ثم قال: والیزیدیة، منهم غلاة لقولهم بنسخ شریعة الإسلام فی آخر الزمان (۱) . ولأجل تصریح عبدالله بن اباض بأنّ المراد من الکفر هو الکفر بالنعم لا محیص عن تفسیر الکفر فیما نقله البغدادی عنه بالکفر بالنعم، نعم بعض الفرق منهم خرجوا عن الاعتدال وحکموا بکفر المسلمین کفراً حقیقیاً . هذا ما یقوله أصحاب المقالات عنهم ولکنّهم فی کتبهم المنتشرة فی السنوات الأخیرة یقولون خلاف ذلک، وانّهم لا یختلفون مع جماهیر المسلمین إلّا فی مسألة التحکیم، وأمّا ما سواه فهم وغیرهم سواسیة، وینکرون وجود هذه الفرق التی نسبها إلیهم الأشعری ثم البغدادی (۲) . ولأجل ذلک یجب دراسة مذهبهم من کتبهم . الاباضیة فی کتب اعلامهم: قد تعرّفت علی المذهب الاباضی وترجمة مؤسّسه علی ما فی کتب الفرق والتاریخ، غیر أنّ کُتّاب الاباضیة فی العصر الحاضر وماقبله یتحرّجون من أن یُعَدُّوا من فرق الخوارج، وإن کانوا یتّفقون معهم فی بعض المبادئ ولکن یخالفونهم فی کثیر من المبادئ والعقائد، ویعتقدون أنّه مذهب نجم فی أواخر القرن الأوّل بید مؤسّسه عبدالله بن اباض وجابر بن زید العمانی، فکأنّ الأوّل قائداً مخطّطاً والثانی قائداً دینیاً، وانّ الخوارج هم المتطرّفون کالأزارقة الذین کانوا یکفّرون المسلمین ویعدّونهم مشرکین ویستبیحون أموالهم ویستحیون ــــــــــــــــــ

۱. البغدادی: الفَرق بین الفِرق: ۱۰۳، ثمّ ذکر عقائد فرق الاباضیة تبعاً للشیخ الأشعری فی المقالات ۱۰۲ ـ ۱۱۱، ومن أراد التفصیل فلیرجع إلیهما.

۲. الاباضیة بین الفرق الإسلامیة ۱/۲۱ ـ ۲۸ . (۲۲۴)

نسائهم ویقتلون أولادهم، وأمّا غیرهم الذین لایعتنقون هذا المبدأ وماشابه فلیسوا من الخوارج . وقد بذلت الاباضیة فی هذه العصور الأخیرة جهوداً فی تنزیههم عن کونهم من هذه الطائفة وانّ المقصود منه غیرهم، وإلیک بعض نصوصهم وتحلیلاتهم: هل الاباضیة من الخوارج؟: ۱ ـ قد عمد البعض من الخوارج بعد وقعة النهروان إلی سلوک طریق لایتّفق مع الاُصول الصحیحة للشریعة الغّراء وأحد ثوا فی الإسلام حدثاً کبیراً بما استحلّوا من استعراض المسلمین بالسیف وتکفیر أهل القبلة الذین لایذهبون مذهبهم، وتفرّق هؤلاء الخارجون إلی فرق عدیدة کان منها الأزارقة والنجدات والصفریة... وهؤلاء هم الذین أصبحوا یعرفون بالخوارج، ویعنی وصفهم بذلک أنّهم خارجون عن الدین ومارقون بما استحلّوا من المحرّمات وما خالفوا فیه من الأحکام الصحیحة للإسلام . أمّا الاباضیة ـ وهم عرفوا بجماعة المسلمین أهل الحقّ والاستقامة ـ فهم لایرون رأی هؤلاء الخوارج بل یرونهم مارقین خارجین عن الدین، ورغم أنّهم یوالون المحکّمة الاُولی ـ وعلی رأسهم عبدالله بن وهب الراسبی ـ إلّا أنّهم لم یوافقوا الأزارقة و من والاهم من بعده بل تبرأوا منهم ولم یذهبوا مذهبهم . وعلی ذلک فالخوارج هم غیر الاباضیة ولایمکن اعتبار الاباضیة احدی فرقهم، وإلّا فکیف نجمع بین النقیضین فی صعید واحد، وکیف نصف من یتمسّک بصحیح الإسلام، ولایکفّر أصحاب القبلة، ولایستحلّ دماء المسلمین ولا أموالهم إلّا دفعاً لبغی أو ردّاً لعدوان؟....کیف نصف هؤلاء بأنّهم من (۲۲۵)

الخوارج الذین أبوا إلّا مفارقة الجماعة والخروج علیهم واستعراض المسلمین بالسیف، واستحلال دمائهم وأموالهم بغیر حقّها، وذهابهم إلی تکفیر هؤلاء، وإذا کانت الاباضیة قد والوا المحکّمة الاُولی إلّا أنّ ولاءهم لم یکن لمن خرج من بعد ذلک علی الدین، وکان سلوکهم مروقاً وعصیاناً (۱) . ۲ ـ الاباضیة لم یجمعهم جامع بالصفریة والأزارقة ومن نحا نحوهم إلّا انکار الحکومة بین علی

ومعاویة، وأمّا استحلال الدماء والأموال من أهل التوحید، والحکم بکفرهم کفرَ شرک، فقد انفرد به الأزارقة والصفریة والنجدیة، وبه استباحوا حمی المسلمین ولمّا کان مخالفونا لایتورّعون، ولایکلّفون أنفسهم مؤونة البحث عن الحق، لیقفوا عنده، خلطوا بین الاباضیة الذین لایستبیحون قطرة من دم موحّد بالتوحید الذی معه، وبین ما استحلّوا الدماء بالمعصیة الکبیرة حتی قتلوا الأطفال تبعاً لآبائهم، مع أنّ الفرق کبیر جداً کالفرق بین المستحل والمحرّم . ثمّ قال: إنّ تسمیة الخوارج لم تکن معهودة فی أوّل الأمر، وإنّما هی انتشرت بعد استشراء أمر الأزارقة ولم تعرف هذه التسمیة فی أصحاب علیّ، المنکرین للتحکیم والراضین به، ولعلّ أوّل ما ظهر هذا اللفظ بعد ثبوت الأمر لمعاویة والاستقرار ولم یفرّقوا فی ذلک بین المتطرف وغیره (۲). ۳ ـ إنّ الاباضیة رغم اعتدالهم من الناحیة المذهبیة والفقهیة إلّا أنّهم کانوا فی عداء سیاسی مع دولة بنی اُمیة ودولة بنی العباس لأنّهم کانوا یقولون بأنّ الإمامة أو الخلافة حق لأیّ مسلم صالح، فلا تکون قاصرة علی قریش، ولا علی بطونها المختلفة من الأمویین أو العباسیین أو العلویین، ولمّا کان هذا الموقف

---

۱. صالح بن أحمد الصوافی: الإمام جابر بن زید العمانی: ۲۱۲ .

۲. أبو إسحاق السالمی: تحفة الأعیان : هامش الجزء الأوّل کما فی الإمام جابر بن زید العمانی . (۲۲۶)

السیاسی للاباضیة یلتقی من الناحیة النظریة ومن الناحیة الفکریة البحتة مع الخوارج: الأزارقة والنجدات والصفریة، فقد عمّم کُتاب الفرق القول ووضعوا الاباضیة ضمن هؤلاء الخوارج واعتبروهم فرقة رابعة من فرقهم، والاباضیة أنفسهم کما هو موجود فی کتبهم القدیمة والحدیثة یتبرّأون من هؤلاء الخوارج کل البراءة بل ویقاتلونهم بأشدّ قتال. إنّ المذهب الاباضی لم یعرف بهذا الاسم إلّا منذ الربع الأخیر من القرن الثالث للهجرة حینما غلب علی أصحابه هذا الاسم واشتهروا به، وانّما أصحابه قبل ذلک یعرفون باسم جماعة القعدة وهو اسم له دلالته السیاسیة، وقد أطلقه علیهم جماعات الخوارج من الأزارقة وغیرهم احتقاراً لهم ورفضاً لمبدئهم: ذاک فی القعود، فقد وضع هؤلاء القعدة لأنفسهم مبدأ المسالمة وعدم اشتهار السیف فی وجه اخوانهم من المسلمین، وأجازوا لأنفسهم البقاء تحت حکم الجبابرة، وقالوا بعدم جواز قتل أطفال مخالفیهم ولا قتل نسائهم ولا استحلال أموالهم وأخذوا یعملون علی نشر مبادئهم السیاسیة فی سرّیّة وکتمان، ودخلوا فی مرحلة کتمان طویلة امتدّت منذ أن تأسّس المذهب علی ید جابر بن زید فی أواخر القرن الأوّل للهجرة حتی هاجر معظم علماء المذهب وآخر أئمة الکتمان أبو سفیان محبوب بن الرحیل إلی عمان فی أواخر القرن الثانی للهجرة(۱) . ۴ ـ إنّ مذهب الاباضیة لم یعرف بهذا الاسم فی المصادر الاباضیة إلّا فی الربع الأخیر من القرن الثالث للهجرة وقد قبلت الاباضیة بهذا الاسم منذ ذلک التاریخ لأنّه غلب علیهم بمرور الزمن وصار علماً یلتفّون حوله، وإنّما یطلقون علی أنفسهم قبل ذلک اسم «جماعة المسلمین» أو «أهل الدعوة» أو «أهل الاستقامة» وقد سمّاهم أعداؤهم من الخوارج المتطرّفین باسم «القعدة»

---

۱. الدکتور رجب محمّد عبدالحلیم: الاباضیة فی مصر والمغرب: ۵۴ ـ ۵۶ . (۲۲۷)

احتقاراً لهم، لأنّهم طبقاً لوجهة نظر هؤلاء الخوارج، قعدوا عن الجهاد فی سبیل الله بمحاربة الولاة والحکّام الظالمین. وکان هؤلاء القعدة قد رأوا القعود عن الحرب، وعن رفع السیف ضد اخوانهم المسلمین عقب موقعة النهروان التی وقعت بین الإمام علی بن أبی طالب وجماعة المحکّمة الذین عارضوه لقبوله التحکیم، وقالوا: «لاحکم إلّا لله» واشتهروا باسم «المحکّمة» أو «الشراة» أو «الحروریة» وأطلق علیهم خصومهم من أرباب الدولة الأمویّة اسم الخوارج (۱). ۵ ـ إنّ الصفریّة اتّخذت الخروج بالسیف علی الدولة وسیلة لتحقیق أهدافهم، فإنّ الصفریّة فی بلاد المغرب اتّبعوا هذا الاسلوب فی هذه المنطقة النائیة، ولذلک رفعوا لواء الثورة ضدّ بنی اُمیّة منذ عام ۱۲۲ . وقد أظهر هؤلاء الصفریة من تطرّف شدید فی معاملتهم لخصومهم سواء کانوا من العرب أم من البریر، فکانوا یستحلّون سبی النساء، ویستحلّون الأموال، یسفکون الدماء، وکانوا فی حرکتهم فی بلاد المغرب أقسی علی الناس من حرکة الأزارقة فی بلاد المشرق، وقد وصل تطرّف البریر الصفریة إلی غایته عندما داهموا القیروان فی عام ۱۳۹، واحتلّوها وفعلوا بأهلها وبمساجدها ما تقشعرّ

له الأبدان على يد قبيلة«ورفجومة» التى كان أهلها من غلاة الصفرية . ثمّ بعد فترات تنقّلت قيادة البربر من الصفرية إلى الاباضية بعد أن ضاق البربر بعنف الصفرية وتطّرفهم المقيت، فضعف أمر الصفرية منذ ذلك الحين وذاب أغلبهم فى الاباضية (۲) .

---

۱. الدكتور رجب محمّد عبدالحليم: الاباضية فى مصر والمغرب: ۱۲ ـ ۱۳ .

۲. نفس المصدر: ۵۳ . (۲۲۸) ۶ ـ المذهب الاباضى يعتمد فى اُصوله على الكتاب والسنّة ويتّفق فى كثير من اُصوله وفروعه مع مذهب أهل السنّة، ولايختلف معها إلّا فى مسائل قليلة، اختلاف مذاهب السنّة فيما بينها، فلا يخلو منها مذهب لايخالف غيره فى قليل أو كثير من المسائل، وما كان اعتماد المذهب الاباضى على الكتاب والسنّة وعدم تباعده عن مذاهب السنّة إلّا لأنّ مؤسسّه جابر بن زيد قد أخذ عن الصحابة الذين أخذ عنهم أصحاب هذه المذاهب من الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة، بل انّه يمتاز على أصحاب هذه المذاهب، فى انّه أخذ عن الصحابة مباشرة بينما هم لم يأخذوا فى معظمهم إلّا من التابعين، كما أنّ الأحاديث التى جمعها هو وغيره من علماء وفقهاء وجمّاع الأحاديث من الاباضية كالربيع بن حبيب وغيره، ليست إلّا أحاديث وردت عند البخارى ومسلم وغيرهم من أئمّة الحديث كأبى دواد والترمذى والنسائى وابن ماجه والدارقطنى والطبرانى والبيهقى وغيرهم من أهل السنّة والجماعة (۱). ۷ ـ اطلاق لفظ الخوارج على الاباضية من الدعايات الفاجرة التى نشأت عن التعصّب السياسى أوّلا ثمّ عن المذهبى ثانياً، لمّا ظهر غلاة المذاهب وقد خلطوا بين الاباضية والأزارقة والصفرية والنجدية. إنّ لاطلاق الخوارج على الاباضية سببين: الف ـ اشتراكهم مع سائر الخوارج فى انكار التحكيم، فصار ذلك سبباً للجمع بين كل منكر للتحكيم فى صعيد واحد. ب ـ إنّ تسمية الخوارج لم تكن معهودة فى أوّل الأمر وإنّما انتشرت بعد استشراء أمر الأزارقة، ولم تعرف هذه التسمية فى أصحاب علىّ المنكرين للتحكيم والراضين به، ولعلّ أوّل ما ظهر هذا الأمر بعد ثبوت الأمر لمعاوية، فإنّ

---

۱. الدكتور رجب محمّد عبدالحليم: الاباضية فى مصر و المغرب: ۶۰ . (۲۲۹)

الأمويين أطلقوا هذه التسمية على كل من يعارض ملكهم العضوض(۱) ولم يفرّقوا بين الاباضية وبين سواهم من متطرّفى الخوارج(۲) .

۸ ـ إنّ ابن اباض تبرأ من الأزارقة فى الرسالة التى كتبها إلى عبدالملك وجاء فيها: أنا براء إلى الله من ابن الأزرق وضيعه وأبقاعه، لأنّه خرج عن مبادئ الإسلام فيما ظهر لنا و أحدث وارتدّ وكفر بعد إسلامه فنبرأ إلى الله منهم(۳) . نَظُرنا فى الموضوع: هذه كلمات القوم وهى تعبّر عن كونهم مصرّين على أنّهم ليسوا بخوارج ومن سمّاهم بذلك فقد ظلمهم، وبما أنّ الخوارج لم يكونوا ذوى سمعة حسنة، وكان المسلمون يتبرّأون من عقائدهم وأعمالهم، صار هذا هو الحافز لعلماء الاباضية على السعى البالغ من اخراج أنفسهم عن صفوفهم، وانّهم فرقة مستقلّة لاصلة لهم بالخوارج إلّاكونهم مشتركين فى أصل واحد وهو انكار التحكيم . ولعلّ القارىء، يتعجّب من الاطناب والافاضة فى المقام وماهذا إلّا لأجل اراءة منطق القوم فيما يتبنّونه لئلّانبخس حقوقهم، فإنّهم كما عرفت يتّهمون المخالفين بعدم التورع فى البحث وعدم تكليف الأنفس مؤونة الفحص عن الحق، ولكنّها غير لاصقة بنا، فإنّا كلّفنا أنفسنا مؤونة البحث ويشهد بذلك نقل كلماتهم، ومع هذا كل ما ذكروه أشبه بالخطابة، وذلك:

---

۱. لازم ذلك أن يسمّوا الشيعة أيضاً باسم الخوارج .

۲. صالح بن أحمد الصوافى، الإمام جابر بن زيد العمانى: ۲۱۳ ـ ۲۱۴، والكاتب غفل عن القريض المعروف فى شأن أبى بلال المنتصر كما سيوافيك، وكانت الحادثة سنة ۶۰ قبل فتنة الأزارقة .

۳. الإمام جابر بن زيد العمانى: ۲۲۴، ونقلا عن الجواهر المنتقاة للبرادى: ۱۵۶ ـ ۱۶۷ . (۲۳۰) أوّلا: إنّ هذه الكلمات تحكى أنّ الاباضية أوّل من خطّ خطّ الاعتدال ومشى على ضوئه، واكتفى بالعزلة والقعود ولم يحارب الناس، ولم يعترضهم، ولكنّه فى غير محلّه إذ لو صحّ كلّ ذلك فى عبدالله بن اباض فراسم هذا الخط هو أبو بلال مرداس بن جدير، فإنّه أوّل من ندّد بعمل الخوارج فى اعتراضهم الناس و نهب أموالهم، وكان ينادى بأعلى صوته بأنّه لا يحارب الّا من حاربه ولايروّع أحداً ولا...ولا...فعلى ذلك يجب أن

يقال: إنّ مبدىء هذه الكفرة هو أبوبلال المقتول عام«۶۰» وقد كان أبو بلال قد شهد صفّين مع على بن أبى طالب ـ صلوات الله عليه ـ وأنكر التحكيم وشهد النهر ونجا فيمن نجا(۱) . ثانياً: إنّ الحجر الأساس لفرقة الخوارج هو التّطرف والخروج عن الاعتدال، وإن كان للتطرّف مدارج ومراحل، فالقوم من بدو الخروج على على وانكار التحكيم عليه بعدما فرضوه عليه، كانو متطرّفين، لا يحترمون دماً ولاعرضاً. إنّ تخصيص التطرّف بالأزارقة، والنجدات، والصفرية بزعم أنّهم هم الذين كانوا يستعرضون المسلمين، ويستحلّون دماءهم، ويكفّرون أهل القبلة، كلام فارغ عن الحجّة، بل الحجة على خلافه، فإنّ المحكّمة الأُولى وعلى رأسهم عبدالله بن وهب الراسبى أيضاً كانوا من المتطرّفين، ويظهر ذلك من خطب هذا الراسبى وكلماته التى ألقاها فى الحروراء، وقد نقلنا بعض كلماته فى الفصل السادس، وإليك لقطات منها: قال مخاطباً إخوانه عند الشخوص من الحروراء إلى النهروان: فاخرجوا بنا اخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال أو بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدع المضرّة(۲) . _____

۱. المبرّد: الكامل ۲/۱۸۳ ومرّ تفصيله.

۲. مرّ المصدر فى الفصل السادس . (۲۳۱) ماذا يريد من قوله: الظالم أهلها، وهل يريد بلدة الكوفة وأهلها الملتفّين حول الإمام على بن أبى طالب ـ عليه السَّلام ـ ؟ والحال انّ الآية نزلت فى حق المشركين قال سبحانه:(وِمالَكُمْ لاتُقاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ وِ المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجال وَالنِّساءِ وَ الوِلْدانِ الّذينَ يَقُولُونَ رَبَّنا أَخرِجْنا مِنْ هذِهِ القَرْيَةِ الظّالِمِ أهْلُها واجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً واجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ نصِيراً)(۱). إنّ المحكّمة الأُولى هم الذين بقروا بطن زوجة عبدالله بن خباب بن الأرت، ذلك التابعى العظيم، ولم يكتفوا بذلك، فذبحوا زوجها كما يذبح الكبش، بعدما أعطوه الأمان، وهم الذين قتلوا ثلاث نسوة من طى، وقتلوا أمّ سنان الصيداوية، كل ذلك ارتكبوه بعد ما انتقلوا من الحروراء إلى النهروان، ولمّا بلغ عليّاً هذه الجنايات المروِّعة عمد إلى مقاتلتهم بعد ما أتمّ الحجّة عليهم . وأىّ دليل على تطرّفهم أتقن من توصيف الإمام إيّاهم بقوله: «سيوفكم على عواتقكم، تضعونها مواضع البُرء والسقم، وتخلطون من أذنب بمن لم يذنب»(۲) . أبعد هذا يصحّ للُاستاذ صالح بن أحمد الصوافى تخصيص التطرّف بالخوارج الذين جاءوا بعدهم. هذا هو شبيب، مساعد ابن ملجم فى قتل على، دخل على معاوية فى الكوفة بعد قتل علىّ، ولمّا وقف معاوية على أنّه فيها، بعث إلى الأشجع لأن يخرجه من الكوفة، وكان شبيب إذا جنّ عليه الليل خرج فلم يلق أحداً إلّا قتله.(۳) _____

۱. النساء ۷۵ .

۲. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۱۲۷ .

۳. ابن الأثير: الكامل ۳/۲۰۶ . (۲۳۲) وهذا هو قريب بن مرّة وزحاف الطائى قد خرجا فى امارة زياد بن أبيه فاعترضا الناس، فلقيا شيخاً ناسكاً من بنى ضبيعة فقتلاه، فخرج رجل من بنى قطيعة من الأزد وفى يده السيف، فناداه الناس من ظهور البيوت: «الحرورية»!!! انج بنفسك، فنادوه (قريب وزحاف ومن معهما): لسنا حرورية، نحن الشرط، فوقف فقتلوه، ثمّ جعلا لا يمرّان بقبيلة إلّا قتلا من وجدا حتى مرّا على بنى على بن سود من الأزد، وكانوا رماة فرموهم رمياً شديداً، فصاحوا: يا بنى على! البقيا! لارماء بيننا. قال رجل من بنى على: لاشىء للقوم سوى السهام * مشحوذة فى غلس الظلام ففرّ عنهم الخوارج إلى ان واجهوا بنو طاحية من بنى سود، وقبائل من مزينة وغيرها، ووقعت الحرب فقتل الخوارج عن آخرهم، وقتل قريب وزحاف(۱) . ما ذكرنا نماذج من استعراضهم للناس وقتلهم الأبرياء، قبل قيام ابن الأزرق بالدعوة، فإنّ ماذكرنا يرجع إلى عهد على وما بعده بقليل، وأمّا فتنة الأزارقة والنجدات فهى راجعة إلى عصر ابنه يزيد بن معاوية فهى من حوادث بعد الستين. ثالثاً: إنّ تخصيص اسم الخوارج بالمتطرّفين منهم كالأزارقة والنجدات تخصيص بلاوجه، فقد أُطلق هذا اللفظ فى عصر علىّ على هؤلاء أى على عبدالله بن وهب الراسبى وذى الخويصرة ومن قتل معهما فى وقعة النهروان: هذا هو الإمام على بن أبى طالب ـ بعد ما خرج من قتال الخوارج فى ضفة النهر مرفوع الرأس ـ قال: لا تقاتلوا الخوارج بعدى فليس من طلب الحق فأخطاه _____

۱. المبرّد: الكامل ۲/۱۸۰ . (۲۳۳)

كمن طلب الباطل فأدركه(۱). فلو كانت هذه الكلمة لعلى كما هوالمقطوع لكان دليلا على أنّ القوم فى بدء نشوئهم كانوا مسمّين بهذا الاسم، وإن كان لغيره فالظاهر أنّ ذلك الغير هو الموالى للخوارج بقرينة مدحهم فى ذيل الجملة، فكان شاهداً على أنّ القوم كانوا مسمّين بهذا الاسم منذ البداية. ويظهر ممّا نظمه نفس الخوارج من الأشعار أنّ تسميتهم بها كان رائجاً فى عصر معاوية أى قبل الستين وقبل أنّ يتسنّم الأزارقة والنجدات منصّة القيادة يقول عيسى بن فاتك من بنى تميم تأييداً لموقف أبى بلال مرداس به ادية الذى قتل عام ۶۰ فى أبيات : أألفا مؤمن فيما زعمتم * ويهزمهم بآسك أربعونا؟ كذبتم ليس ذاك كما زعمتم * ولكن الخوارج مؤمنونا هم الفئة القليلة غير شكّ * على الفئة الكثيرة ينصرونا(۲) ويُستنتج من ذلك الأمرين: أنّ الخوارج أُطلق يوم أُطلق على من خرج عن طاعة أمير المؤمنين وأنكروا التحكيم عليه من غير فرق بين أوائلهم ومن بعدهم. رابعاً: لاشك إنّ المحكّمة الأُولى كانوا يبغضون عليّاً ويكفّرونه، وتشهد بذلك كلماتهم و أشعارهم خصوصاً فى مفاوضاتهم مع علىّ، وقد تضافرت الروايات أنّ حبّه آية الإيمان وبغضه آية النفاق، ولايمكن لعالم ملّم بالأحاديث انكار ذلك . هذا هو مسلم روى فى صحيحه عن زر بن حبيش قال: قال علىّ: والذى ــــــــــــــــ

۱. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۶۰ .

۲. المبرّد: الكامل ۲/۱۸۶، ابن سلّام (م۲۷۳) بدء الاسلام وشرائع الدين: ۱۱۱، مرّت قصة أبى بلال . (۲۳۴)

خلق الجنّة وبرأ النسمة أنّه لعهد النبىّ الأُمىّ إلىّ لايحبّنى إلاّ مؤمن ولايبغضنى إلاّ منافق(۱) . وروى الإمام أحمد فى فضائل الصحابة عن زرّ بن حبيش، عن على قال: عهد النبى إلىّ أنّه لايحبّك إلاّ مؤمن ولايبغضك إلاّ منافق (۲) . ورواه النسائى فى خصائصه بعدّة طرق(۳) . ورواه الحافظ ابن عساكر فى تاريخه بأسانيد تربو على ۱۸ طريقاً(۴) . وعلى ضوء ذلك فهؤلاء محكومون بالنفاق والخلود فى النار، فيشملهم قول النبى الأكرم ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ فى شأن ذى الخويصرة الذى كان فى الرعيل الأوّل من المحكّمة: فإنّه سيكون له شيعة يتعمّقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرميّة (۵) . روى المبرّد فى الكامل أنّ علياً(رضى الله عنه) وجّه إلى رسول الله مذهّبة من اليمن فقسّمت أرباعاً فأعطى ربعاً للأقرع بن جالس المجاشعى، وربعاً لزيد الخيل الطائى، وربعاً لعيينة بن حصن الغزارى، وربعاً لعلقمة بن علاثة الكلابى، فقام إليه رجل مضطرب الخلق غائر العينين ناتئ الجبهة فقال: لقد رأيت قسمة ماأُريد بها وجه الله، فغضب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ حتى تورّد خداه، ثم قال: أيأمننى الله عزّوجلّ على أهل الأرض ولاتأمنونى؟ فقام إليه عمر فقال: أقتله يا رسول الله؟ فقال ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ إنّه سيكون من ــــــــــــــــ

۱. مسلم: الصحيح ۱، كتاب الايمان ۶۰ .

۲. أحمد بن حنبل: المسند ۱/۱۲۷. الحديث ۹۴۸، وفضائل الصحابة ۲/۵۶۳، ونقله فى كتابه الأخير فى غير واحد من المواضع، لاحظ الأحاديث ۹۷۹، ۱۰۵۹، ۱۰۸۶، ۱۱۴۶ .

۳. الحافظ أبو عبدالرحمان النسائى: الخصائص ۱۸۷ .

۴. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ترجمة الإمام على بن أبى طالب ۲/۱۹۰ ـ ۱۹۹ .

۵. ابن هشام: السيرة النبوية ۴/۴۹۶. ابن الأثير: الكامل ۲/۱۶۴ . (۲۳۵)

ضئضىء هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية تنظر فى النصل فلاترى، شيئاً، وتنظر فى الرصاف فلاترى شيئاً، وتتمارى فى الفوق(۱) . إنّ المحكّمة الأُولى كفّروا من طهّره الله سبحانه فى كتابه وقال: (إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)(۲) وقد اصفقت الأُمّة إلاّ الشواذ من الخوارج كعكرمة على نزول الآية فى حقّ العترة الطاهرة، هذا هو مسلم يروى فى صحيحة عن عائشة، قالت: خرج النبى غداة وعليه مرط مرجّل من شعر أسود وجاء الحسن بن على فأدخله، ثم جاء الحسين بن على فأدخله، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء على فأدخله، ثم قال: (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً)(۳) . وروى إمام الحنابلة فى مسنده نزول الآية فى شأن الخمسة الطاهرة، فمن أراد فليرجع إلى مظانّه(۴) . إلى غير ذلك من

الآیات النازلة فی حقّ أهل البیت . أفیصحّ لنا الحکم باسلام من یکفّر ویبغض ویقاتل من طهّره الله فی نصّ کتابه، ومحکم ذکره؟ ولأجل ذلک فالمحکّمة الأُولی محکومون بالکفر والنفاق وإن افترضنا أنّهم اکتفوا بانکار التحکیم فقط، ولم یستعرضوا المسلمین بالسیف ولم یقتلوا النساء ولا الأطفال ولاکفّروا المسلمین . وفی کلمات أئمّة أهل بیت اشارة إلی هذا النوع . _____

۱. المبرّد: الکامل ۲/۱۴۲ .

۲. الأحزاب: ۳۳ .

۳. مسلم: الصحیح ۷/۱۳۰ .

۴. أحمد بن حنبل: المسند: ۴/۱۰۷ و ۶/۲۹۲، ۲۹۶ و ۳۲۳ . (۲۳۶) کان عبدالله بن نافع بن الأزرق یقول: لو عرفت أنّ بین قطریها أحداً تبلغنی إلیه الإبل یخصمنی بأنّ علیّاً ـ علیه السَّلام ـ قتل أهل النهروان وهو غیر ظالم، لرحلتها إلیه، فقیل له: إئت ولده محمّد الباقر ـ علیه السَّلام ـ فأتاه فسأله، فقال بعد کلام: الحمد لله الذی أکرمنا بنوبّته، واختصّنا بولایته، یامعشر أولاد المهاجرین و الأنصار من کان عنده منقبة فی أمیر المؤمنین، فلیقم ولیحدّث، فقاموا ونشروا من مناقبه فلمّا انتهوا إلی قوله: لأُعطینّ الرایة غداً رجلا یحبّه الله ورسوله ویحبّ الله ورسوله، سأله أبو جعفر عن صحّته فقال: هو حقّ لاشکّ فیه، ولکن علیّاً أحدث الکفر بعد. فقال أبو جعفر ـ علیه السَّلام ـ : أخبرنی عن الله أحبّ علی بن أبی طالب یوم أحبّه وهو یعلم أنّه یقتل أهل النهروان، أم لم یعلم، إن قلت: لا، کفرت، فقال: قد علم، فقال: فأحبّه علی أن یعمل بطاعته أم علی أن یعمل بمعصیته؟ قال: علی أن یعمل بطاعته، فقال أبو جعفر: قم مخصوماً، فقام عبدالله بن نافع ابن الأزرق وهو یقول: حتّی یتبّین لکم الخیط الأبیض من الخیط الأسود، اللهُ یَعْلَمُ حَیْثُ یَجْعَلُ رِسالَتَه (۱) . روی الشریف المرتضی عن الشیخ المفید: أحبّ الرشید أن یسمع کلام هشام بن الحکم مع الخوارج، فأمر بإحضار هشام بن الحکم وإحضار عبدالله بن یزید الاباضیّ(۲) وجلس بحیث یسمع کلامهما ولایری القوم شخصه، وکان بالحضرة یحیی بن خالد، فقال یحیی لعبدالله بن یزید: سل أبا محمّد ـ یعنی هشاماً ـ عن شیء، فقال هشام: لا مسألة للخوارج علینا، فقال _____

۱. ابن شهر آشوب: مناقب آل آبی طالب: ۲/۲۸۹ کما فی البحار ۱۰/۱۵۸ .

۲. ترجمه ابن حجر فی لسان المیزان ۳ / ۳۸۷ بقوله: عبدالله بن یزید الفزاری الکوفی المتکلّم، ذکره ابن حزم فی النحل: انّ الاباضیة من الخوارج أخذوا مذهبهم عنه . (۲۳۷)

عبدالله بن یزید، وکیف ذلک؟ فقال هشام: لأنّکم قوم قد اجتمعتم معنا علی ولایة رجل وتعدیله والإقرار بإمامته وفضله، ثمّ فارقتمونا فی عداوته والبراءة منه، فنحن علی إجماعنا وشهادتکم لنا، وخلافکم علینا غیر قادح فی مذهبنا، ودعواکم غیر مقبولة علینا، إذ الاختلاف لایقابل الاتّفاق، وشهادة الخصم لخصمه، مقبولةٌ، وشهادته علیه مردودة. قال یحیی بن خالد: لقد قرّبت قطعه یا أبامحمّد، ولکن جاره شیئاً، فإنّ أمیر المؤمنین أطال الله بقاءه یحبّ ذلک، قال: فقال هشام: أنا أفعل ذلک، غیر أنّ الکلام ربّما انتهی إلی حدّ یغمض ویدق علی الأفهام، فیعاند أحد الخصمین أو یشتبه علیه، فإن أحبّ الإنصاف فلیجعل بینی وبینه واسطة عدلا، إن خرجت عن الطریق ردَّنی إلیه، وإن جار فی حکمه شهد علیه، فقال عبدالله بن یزید: لقد دعا أبومحمّد إلی الإنصاف، فقال هشام: فمن یکون هذه الواسطة؟ وما یکون مذهبه؟ أیکون من أصحابی، أو من أصحابک، أو مخالفاً للملّة أو لنا جمیعاً؟ قال عبدالله بن یزید: اختر من شئت فقد رضیت به، قال هشام: أمّا أنا فأری أنّه إن کان من أصحابی لم یؤمن علیه العصبیّة لی، وإن کان من أصحابک لم آمنه فی الحکم علیَّ، وإن کان مخالفاً لنا جمیعاً لم یکن مأموناً علیّ ولا علیک، ولکن یکون رجلا من أصحابی، ورجلا من أصحابک، فینظران فیما بیننا ویحکمان علینا بموجب الحقّ ومحض الحکم بالعدل، فقال عبدالله بن یزید: فقد أنصفت یا أبامحمّد، وکنت أنتظر هذا منک. فأقبل هشام علی یحیی بن خالد فقال له: قد قطعته أیّها الوزیر، ودمّرت (۱) علی مذاهبه کلّها بأهون سعی، ولم یبق معه شیء، واستغنیت عن مناظرته، قال: فحرّک الرشید الستر، فأصغی یحیی بن خالد فقال له: هذا متکلّم الشیعة وافق _____

۱. دمّر علیه: هجم علیه هجوم الشر. دمّر علیه: أهلکه . (۲۳۸)

الرجل موافقة لم تتضمّن مناظرة، ثمّ ادّعی علیه أنّه قد قطّعه وأفسد علیه مذهبه، فمره أن یبیّن عن صحّة ما ادّعاه علی الرجل، فقال یحیی بن خالد لهشام: إنّ أمیر المؤمنین یأمرک أن تکشف عن صحّة ما ادّعیت علی هذا الرجل، قال: فقال هشام رحمه الله: إنّ هؤلاء القوم لم یزالوا معنا علی ولایة أمیرالمؤمنین علیّ بن أبی طالب ـ علیه السَّلام ـ حتّی کان من أمر الحکمین ماکان، فأکفروه بالتحکیم وضلّلوه بذلک، وهم الّذین اضطرّوه إلیه، والآن فقد حکّم هذا الشیخ وهو عماد أصحابه مختاراً غیر مضطرّ رجلین مختلفین فی مذهبهما: أحدهما یکفّره، والآخر یعدّله، فإن کان مصیباً فی ذلک فأمیر المؤمنین أولی بالصواب، وإن کان مخطئاً کافراً فقد أراحنا من نفسه بشهادته بالکفر علیها، والنظر فی کفره وإیمانه أولی من النظر فی إکفاره علیّاً ـ علیه السَّلام ـ قال: فاستحسن ذلک الرشید و أمر بصلته وجائزته(۱) . إنّ عداء القوم بالنسبة إلی الإمام أمیر المؤمنین کانت ظاهرة فی کتب أوائلهم، هذا هو محمّد بن سعید الکدمی أحد علماء المذهب الاباضی بعمان، حتی لُقّب بإمام المذهب فی القرن الرابع الهجری یذکر علیّاً فی کتابه ویقول: «إنّ علی بن أبی طالب استخلف علی الناس، ونقض عهد الله وحکم فی الدار غیر حکم کتاب الله، وقتل المسلمین وسار بالجور فی أهل رعیّته، فعلی الذی قد صحّت منه سعادة علیّ بن أبی طالب أن یتولّی لله علی بن أبی طالب علی سفکه لدماء المسلمین وعلی تحکیمه فی الدماء غیر حکم کتاب الله، وسیرته القبیحة، لا یحلّ له الشک فی ولایته، وعلیه أن یبرأ لله من باطله ومن سفک دمه إن قدر علی ذلک، ولیس له أن ینکر علی المسلمین ــــــــــــــــ

۱. الشریف المرتضی: الفصول المختارة ۱/۲۶ . (۲۳۹)

البراءة منه» (۱) . وهذا هو ابن سلّام الاباضی المتوفّی بعد عام ۲۷۳ یقول: «وحکّموا الحکمین خلافاً لکتاب الله، وحکّموا الحکمین فی أمر قضاه الله، واختلفت الاُمّة وتفرّقت الکلمة، وصار الناس شیعتین مفترقتین، وظهر أهل الباطل من أصحاب معاویة علی أهل الحق، فاختفی المسلمون بالحقّ الذی تمسّکوا به فاختلفت علیهم کلمة المختلفین، یقتلونهم علی دین الله الحنیف والملّة الصادقة (مِلَّةَ إبْراهِیمَ حَنِیفاً وَ ما کانَ مِنَ المُشْرِکِینَ)(۲). یبصّرون الناس دینهم فی السرّ ویصبرون فی الله علی الأذی والقتل، واحتقروا ذلک فی ذات الله» (۳) . یالیت ابن سلّام یشیر إلی الذین حکّموا الحکمین خلافاً لکتاب الله، إلی الذین فرضوا التحکیم علی الإمام المفترض طاعته فی أمر قضاه الله. أو لیس هؤلاء أشیاخه وأولیاءه الذین کانوا مقنّعین فی الحدید یدعون إمامهم باسم علیّ لابإمرة المؤمنین، ویقولون: «أجب القوم إلی کتاب الله وإلاّ قتلناک کما قتلنا ابن عفان» . إنّ الکاتب نسی أو تناسی الجرائم المریرة التی ارتکبتها المحکّمة الاُولی حین تنقّلهم من حروراء إلی النهروان. فکان الأولی له التنویه بذلک، لکّنه شطب علی هذه الحقائق التاریخیة بقلم عریض، وإلی الله المشتکی . یقول بعض فقهائهم فی مسألة «الولایة والبراءة» . فإن قالوا: فما تقولون فی علی بن أبی طالب؟ قلنا له: إنّ علی بن أبی طالب مع المسلمین فی منزلة البراءة . ــــــــــــــــ

۱. الکدمی ـ محمّد بن سعید: المعتبر ۲/۴۱ .

۲. البقرة: ۱۳۵ .

۳. ابن سلام الاباضی: بدء الاسلام وشرائع الدین ۱۰۶ . (۲۴۰) فإن قال: من أین وجبت علیه البراءة وقد کان إماماً للمسلمین وهو ابن عم رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ وختنه (۱)، مع فضائله المشهورة وقتاله بین یدی النبی ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ المشرکین؟ قلنا له: أوجبنا علیه البراءة من وجوه شتّی، أحدها أنّه ترک الحرب التی أمر الله بها للفئة الباغیة قبل أن تفیء إلی الله، و أحدها تحکیم الحکمین فی دماء المسلمین وفیما لم یأذن الله به المضلّین الذین کان النبی ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ یحذّرهما ویخوّفهما أصحابه. وأحدهما بقتله أهل النهروان وهم الأفضلون من أصحاب النبی ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ وهم الأربعة آلاف رجل من خیار الصحابة رحمهم الله. والأخبار بذلک تطول ویضیق بها الکتاب ویتّسع بها الجواب ولم نعدّ کتابنا هذا لشرح جمیع أخبارهم، وإنّما أردنا أن نلوّح لکم ونذکر بعض الذی کان من أحداثهم، لتکونوا من ذلک علی علم ومعرفة لتعلموا ضلال من ضلّ وخالف وشغب علیکم وبالله التوفیق. فإن قالوا: فما تقولون فی طلحة بن عبیدالله والزبیر بن العوام؟ قلنا له: إنّهما عند المسلمین بمنزلة

البراءة. فإن قال: من أین وجبت علیهما البراءة؟ قلنا له: بخروجهما علی علی بن أبی طالب والمسلمین وطلبهما بدم عثمان بن عفان بإرادتهما إزالة علی بن أبی طالب عن إمامته، وقالا: حتی یکون الأمر شوری بین المسلمین یختارون لأنفسهم إماماً غیره، بعد رضائهما به وبیعتهما له وأعطیا صفقة أیدیهما (۲) علی طاعة الله وطاعة رسوله وعلی قتال من خرج یطلب بدم ــــــــــــــــــ

۱. الختن: الصهر، زوج الابنة، والجمع: أختان .

۲. صفقة الأیدی تعنی توکید البیعة . (۲۴۱)

عثمان بن عفان . فإن قال: فما تقولون فی الحسن والحسین ابنی علی؟ قلنا له: هما فی منزلة البراءة، فإن قال: من أین أوجبتم علیهما البراءة وهما ابنا فاطمة ابنة رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ ؟! قلنا له: أوجبنا علیهما البراءة بتسلیمهما الإمامة لمعاویة بن أبی سفیان ولیس قرابتهما من رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ تغنی عنهما من الله، لأنّ النبی ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ قال فی بعض ما أوصی به قرابته: یا فاطمة بنت رسول الله، ویا بنی هاشم، اعملوا لما بعد الموت، فإنّی لیس أغنی عنکم شیئاً، أو نحو ذلک من الخطاب. فلو کانت القرابة من رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ تغنی عن العمل لم یقل ذلک لهم النبی. فهذا نقض لقول من یقول: إنّ القرابة من رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ مغفور لها. وقد وجدنا الله یهدّد نبیه بقوله: (وَ لِوْ تَقَوَّلَ عَلَیْنا بَعْضَ الأقاوِیلِ* لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْیمینِ * ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الوَتِینَ * فَما مِنْکُمْ مِنْ أَحَد عَنْهُ حاجِزِینَ)(۱). فقد بطل ما خاصمت به أیّها الخصم واحتججت به من قبل القرابة للنبی ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ (۲) . إنّ الخوارج فی مصطلح القوم مفهوم سیاسی وفی الوقت نفسه مفهوم دینی، فیراد من الأوّل خروجهم عن طاعة الإمام المفترض طاعته، ویحکم علیهم بما یحکم علی البغاة، ویراد من الثانی خروجهم من الدین والملّة، وصیرورتهم کفّاراً. وعلی کلا المفهومین، فالمحکّمة الاُولی خوارج، حیث خرجوا عن

---

۱. الحاقة: ۴۴ ـ ۴۷ .

۲. السیر والجوابات لبعض فقهاء الاباضیة: تحقیق الاستاذة الدکتورة «سیدة إسماعیل کاشف، استاذة التاریخ الاسلامی فی کلیة البنات جامعة عین شمس ;القاهرة ط ۱۴۱۰ هـ ـ ۱۹۸۹ م، ص ۳۷۵ ـ ۳۷۷. (۲۴۲)

طاعة الإمام وبقوا علیه فی أثناء المعرکة، وخارجون عن الدین حیث أبغضوا من بغضه نفاق وکفر وحبّه دین وإیمان. وقال عمر أبوالنظر: وتعالیم الخوارج منذ ظهورهم مزیج من السیاسة والدین، فشعارهم «الحکم لله» شی یمتزج بالدین والسیاسة معاً، فلا یصحّ والحالة هذه أن یقال: إنّ دعوتَهم هذه کانت دینیّة محضة أو سیاسیة محضة، وظلت دعوتهم بسیطة حتی خلافة عبدالملک بن مروان حیث خرجوا فیها کثیراً عن التعالیم الجدیدة، وذهبوا یتأوّلون الأحکام الدینیة تأویلا فیه کثیر من الاغراق و التعقید، فقالوا: إنّ العمل بأوامر الدین من الایمان، فمن اعتقد التوحید والرسالة وارتکب الکبائر فهو کافر(۱) . هذا ما یرجع إلی المحکّمة الاُولی ومن جاء بعدهم من الأوائل المنتمین إلی الاباضیة . وأمّا اباضیة الیوم المنتشرة فی عمان والمغرب العربی أعنی لیبیا والجزائر وتونس وکذلک مصر، فلم یظهر لنا من کتبهم المنتشرة الیوم إلّا تخطئة التحکیم وتصویب المحکّمة الاُولی من دون نصب عداء للوصیّ أو بذاءة فی اللسان بالنسبة إلیه ـ إلا ما نقلناه أخیراً ـ فلایمکن الحکم فی حقّهم إلّا بالمقدار الذی ظهر لنا ولکن لایمکن الوثوق به لأنّ للقوم فی الدین مسالک أربعة، منها مسلک الکتمان کما سیوافیک توضیحه عند البحث عن التقّیة، فإنّ القوم من أصحابها ومجوّزیها والعاملین بها طیلة قرون، وفی ظلّها عاشوا ومهّدت لهم الطریق، وقامت لهم دول فی عمان، وفی أقصی المغرب العربی . ــــــــــــــــــ

۱. عمر أبو النصر: الخوارج فی الإسلام ۱۰۲ . (۲۴۳) نظریة اُخری فی مفهوم الخوارج : المتبادر من الخوارج لدی المسلمین هو المحکّمة الاُولی الذین ثاروا علی علیّ فی ثنایا حرب صفّین وخرجوا عن الطاعة بوجه وعن الدین بوجه آخر، غیر أنّ بعض الاباضیین فی العصر الحاضر یفسّره بالخروج عن الدین ویصّر علی أنّ المراد منه هو أصحاب الردّة بعد وفاة رسول الله أو الثورات الاُخری التی وقعت إلی انتهاء خلافة الإمام علی ـ علیه السَّلام ـ (۱) . قال علی یحیی معمر: «کان الأمویّون والشیعة یحاولون بکل ما استطاعوا أن

یلصقوا هذا اللقب لقب الخوارج ـ بعد أن فسّر بالخروج من الدین ـ بهؤلاء الثائرین الذین ینادون فی اصرار وشدّة بالمبادیء العادلة فی الخلافة، وکان الشیعة یحاولون بما اُوتوا من براعة أن یحصروها فی بیت علی، کما کان غیر هم من الطامعین فیها، یشترط لها الهاشمیة أو القرشیة أو العروبة، حسب المصلحة السیاسیة لأصحاب الآراء فی ذلک الحین، وکلّ هذه الاّتجاهات تجتمع علی محاربة الاّتجاه الذی اتجه إلیه أتباع عبدالله بن وهب الراسبی. ذلک الاّتجاه العادل الذی یری أنّ المسلمین متساوون فی الحقوق والواجبات. (إنَّ أکْرَمَکُمْ عِنْدَ اللهِ أتْقاکُم). «لا ـ فضل لِعربیّ علی أعجمیّ إلاّ ـ بالتقوی» . یلاحظ علیه: أنّ النبیّ الأکرم لم یتکلّم عن الخوارج بوصف کلّی وإنّما عیّن إمامهم وأشار إلی قائدهم، وقد رواه المحدّثون فی صحاحهم ومسانیدهم وأطبق علی نقله الفریقان، فلا یمکن لمحدّث واع انکاره، ولا التشکیک فی صحّة أسانیده، فما ظنّک بحدیث رواه البخاری ومسلم وابن ماجة وأحمد بن حنبل وغیرهم،

---

۱. علی یحیی معمر: الاباضیة فی موکب التاریخ، الحلقة الاُولی ۲۷ . (۲۴۴)

ولأجل ایقاف القاریء علی نصّ الروایة نذکرها عن تلک المصادر ونشیر إلی محلّها: ۱ ـ روی البخاری عن أبی سعید الخدری قال: بینا النبی یقسّم ذات یوم قسماً، فقال ذو الخویصرة ـ رجل من بنی تمیم ـ: یا رسول الله أعدل. قال: ویلک! من یعدل إذا لم أعدل؟ فقال عمر: إئذن لی فلأضرب عنقه؟ قال: لا إنّ له أصحاباً یحقّر أحدکم صلاته مع صلاتهم وصیامه مع صیامهم. یمرقون من الدین کمروق السهم من الرمیّة ینظر إلی نصله (۱) فلایوجد فیه شیء، ثم ینظر إلی رصافه فلا یوجد فیه شیء، ثم ینظر إلی نضیّه (۲) فلا یوجد فیه شیء، ثم ینظر إلی قذذه (۳) فلا یوجد فیه شیء سبق الفرث والدم، یخرجون علی حین فرقة من الناس آیتهم رجل إحدی یدیه مثل ثدی المرأة، أو مثل البضعة تدردر(۴). قال أبو سعید: أشهد لسمعته عن النبی وأشهد أنّی کنت مع علیّ حین قاتلهم فالتمس فی القتلی فأتی به علی النعت الذی نعت النبی (۵) . ورواه بنصّه بلا تفاوت مسلم فی صحیحه (۶) . ۲ ـ روی ابن ماجة عن جابر بن عبدالله، قال: کان رسول الله بالجعرانه، وهو یقسّم التبر و الغنائم، وهو فی حجر بلال، فقال رجل: أعدل یا محمّد، فإنّک لم تعدل، فقال: ویلک ومن یعدل بعدی إذا لم اعدل؟ فقال عمر: دعنی یا رسول الله حتی أضرب عنق هذا المنافق؟ فقال رسول الله: إنّ هذا فی

---

۱. هی عصیة تلوی فوق مدخل النصل .

۲. هو القدح فی عود السهم .

۳. جمع القُذّة وهی ریش السهم .

۴. تضطرب وتتحرک.

۵. البخاری: الصحیح ۸/۷۰ رقم الحدیث ۱۸۶ من باب ما جاء فی قول الرجل ویلک.

۶. مسلم: الصحیح ۳/۱۱۲ طبعة محمّد علی صبیح . (۲۴۵)

أصحاب أو اصیحاب له یقرأون القرآن لا یجاوز تراقیهم، یمرقون من الدین کما یمرق السهم من الرمیّة(۱) . والرسول وإن لم یسمّ الرجل أو لم یجیء اسمه فی الروایة، ولکن علم المقصود منه بفضل الروایتین السابقتین. ۳ ـ روی أحمد بن حنبل فی مسنده بالنصّ الذی رواه البخاری ومسلم بتفاوت طفیف فی آخره، حیث جاء فیه: رجل أسود فی إحدی یدیه أو قال إحدی ثدییه مثل ثدی المرأة أو مثل البضعة تدردر، یخرجون علی حین فترة من الناس فنزلت فیهم:(وَ مِنْهُمْ مَنْ یَلْمِزُکَ فِی الصَّدَقاتِ...)ثم نقل ما ذکره أبوسعید من سماعه عن رسول الله و مشاهدته فی عصر علیّ(۲) . کیف یفسّر حدیث ذی الخویصرة بأصحاب الردّة، فقد أشار النبیّ الأکرم إلیه، وقال: «سیخرج من ضئضیء هذا الرجل قوم یمرقون من الدین...» ولم یکن هو من أصحاب الردّة، بل کان من المحکّمة الاُولی. کیف یفسرّ هذا المفهوم بالثورات التی وقعت إلی انتهاء خلافة الإمام علیّ ـ علیه السَّلام ـ مع أنّ النبی الأکرم قال: أنت یا علی قاتل الناکثین والقاسطین والمارقین، ولم یقاتل الإمام بعد أصحاب الجمل (الناکثین) وأصحاب معاویة (القاسطین) إلاّ المحکّمة الاُولی. أظنّ انّ هذه

الاستدلالات الواهية أشبه بتمسّك الغريق بالطحلب، فالأولى على علماء الاباضية المفكّرين، والعائشين فى عصر ظهرت البواطن، وطلعت الحقائق، وانقشع غمام الجهل عن سماء المعرفة، أن يعرضوا عقائدهم على الكتاب والسنّة، وعلى المقاييس الصحيحة من الاجماع و _____

١. أبو عبدالله بن ماجة (٢٠٧ ـ ٢٧٥ هـ): السنن ١/١٧١ الباب ١٢، باب فى ذكر الخوارج .

٢. أحمد بن حنبل: المسند ٣/٥٦. وسيوافيك مجموع ما رواه اهل السنّة عن النبى والصحابة والتابعين فى آخر الكتاب فانتظر . (٢۴۶) العقل، فلربّما عادوا إلى الطريق المهيع، وتنكّبوا عن سبيل الغواية، فلهم أن يعملوا بما وصل إليهم من الكتاب والسنّة فى ضوء الاجتهاد الصحيح، ويجدّدوا النظر فى مسألة التحكيم كما لهم أن يجدّدوا النظر فى حق المحكّمة، وربّما اختاروا طريقاً واضحاً لاتعصّب فيه ولا تساهل . (وَ لَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بِهِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَاَشَدَّ تثبيتاً) ***

الفصل العاشر عقائد الاباضية واُصولهم الثمانية

الفصل العاشر عقائد الاباضية واُصولهم الثمانية (٢۴٨) (٢۴٩) إنّ الاباضية تشترك مع سائر فرق الخوارج فى أمرين بلاشك ولاشبهة، ولا يمكن لأحد منهم انكاره . ١ ـ تخطئة التحكيم . ٢ ـ عدم اشتراط القرشية فى الإمام . وفى ظل الأصل الأوّل يوالون المحكِّمة الاُولى كعبدالله بن وهب الراسبى وحرقوص بن زهير السعدى وغيرهما، ولأجل الأصل الثانى، اعترفوا بإمامة عبدالله بن وهب الراسبى ومن جاء بعده من المحكِّمة . ثمّ إنّ لهم اُصولا خاصّة يتميّزون بها عن أهل السنّة (الأشاعرة) وإن كانوا يلتقون فيها مع غيرهم، فتجب علينا دراسة تلك الاُصول التى يعتقدون بها، وربّما يكون بعضها أصلا لامعاً ورصيناً يدعمه الكتاب والعقل . ١ ـ صفات الله ليست زائدة على ذاته: إذا كانت الأشاعرة قائلة بأنّ صفات الله تعالى غير ذاته، وكان المنسوب إلى الماتريدية من أهل السنّة انّ الصفات ليست شيئاً غير الذات، فهى ليست (٢۵٠)

صفات قائمة بذاتها ولا منفكّة عن الذات فليس لها كينونة مستقلّة عن الذات، فهذا هو ما يقوله الاباضية فى الصفات أيضاً، وربّما يلتقى الاباضية والماتريدية فى هذه المسألة حتى فى التعبير واختيار الكلمات(١) . إنّ البحث عن الصفات من أهم المسائل الكلامية، فقد طال النقاش فيها قروناً، وأوّل من أصحر بالحقيقة، وصوّر التوحيد بأعلى مظاهره هو الإمام أمير المؤمنين ـ عليه السَّلام ـ فنفى زيادة صفاته على ذاته، وإنّه عين ذاته، لا بمعنى نفى صفاته، تعالى عنه علوّاً كبيراً، بل بمعنى أنّ الذات بلغت من الكمال والعلو مرتبة صارت نفس العلم، والقدرة، والحياة، وليس هناك صفات قديمة وراء الذات حتى يناقض التوحيد ويكون هناك قدماء كثيرة وراء الذات، وكون العلم والقدرة والحياة فينا اُموراً قائمة بالمادة أو بالموضوع، لايكون دليلا على كونها كذلك فى جميع المراتب، إذكما أنّ من العلم ممكناً، فكذا منه واجباً، فلولم يكن الممكن قائماً بالذات، فلايكون دليلا على كونه كذلك عند ما كان واجباً، والحكم بالتوحيد وانّه لاواجب سواه، يجرّنا إلى القول بعينية صفاته مع ذاته، وقد أوضحنا الحال فيها فى الجزء الثالث من هذه الموسوعة عند البحث عن عقائد المعتزلة، ولايبعد أن يتأثّر الخوارج فى هذه المسألة بالمعتزلة كما أنّ المعتزلة اخذت هذا الأصل من خطب الإمام أميرالمؤمنين وكلماته، بل لايبعد أن يكون الجميع قد أخذوا من الإمام أميرالمؤمنين ـ عليه السَّلام ـ . والعجب انّ هذه النقطة من النقاط الوضّاءة فى عقائد الاباضية، مع أنّهم لايركّزون على ذلك الأصل خوفاً من مخالفة الأشاعرة، وطفقوا يبحثون بين الكتب الإسلامية حتى يجدوا موافقاً لهم من أهل السنّة حتى استبان لهم أنّ الماتريدية من أهل السنّة يوافقونهم . _____

١. على يحيى معمر: الاباضية بين الفرق الإسلامية ١/٢٩۵ . (٢۵١) إنّ الرجل الواعى الطالب للحقيقة لا يخاف من لومة لائم، ولا من مخالفة فئة، فكان على الاباضية أن يرفعوا علم المخالفة فى هذه المسألة، وفى مسألة الرؤية، وخلق القرآن، ويندّدوا بالمخالفين سواء أكانوا من السنّة أو غيرهم، فالحق أحق أن يتّبع، كيف يصحّ لموحّد أن يقيس الواجب بالممكن فيصوّر له ذاتاً وصفة قائمة بها، ويحكم بالتعدّد ويخرج فى النتيجة بالقدماء الثمانية ثمّ يدّعى التوحيد ويخطّىء النصارى القائلين بالتثليث. ثمّ إنّ من يرى أنّ مرجع

عینیـة الصـفات إلی نفی حقائقها عن ذاته، (کما علیه الزنادقة) رأی باطل صدر ممّن لاقدم له فی المباحث العقلیة، ولیس له مصدر إلّا قیـاس الممکن بالواجب، فإذا رأی أنّ القول بالعینیّـة ینتـج نفیها فی الممکنات، عاد یخطّیء القائل بالعینیّـة فی الواجب بأن معناها نفی حقائقهـا عن ذاته سـبحانه . ۲ ـ امتنـاع رؤیـة الله سـبحانه فی الآـخرة: إنّ امتنـاع رؤیـة الله سـبحانه من الاُصول التی استقاها الوعاة من المسلمین من القرآن الکریم وخطب سیّد الموحّدین أمیرالمؤمنین ـ علیه السَّلام ـ إذ قال عزّ من قائل: (لا تُدْرِکَهُ الأَبْصارُ وَ هُوَ یُدْرِکُ الأبْصـارَ وَ هُوَ اللَّطِیفُ الخَـبِیرُ)(۱). وهـذا الأصـل أیضـاً من الاُصول اللامعـة فی عقائـد الاباضـیة، والأسف انّ الکُتّاب المتأخّرین منهم یُقلِّلون من أهمیـة هـذا الأصل، توخّیاً لتقریب عقائدهم من أهل السـنّة. حتی أنّ علی یحیی معمَّر یُعَنْوِنُ المسألةَ بقوله: هل رؤیة الباری جـلّ وعلا فی الآخرة ممکنـة؟ والعنوان یحکی عن وجود تردّد وشک فی نفس الکاتب، ولا أقل یطرح المسألـة علی شـکل غیر قطعی وعلی خوف ووجل، _____

۱. الأنعام: ۱۰۳ . (۲۵۲)

ولیس کتابه کتاباً دراسیاً یطلب فیه طرح المسائل علی وجه السؤال والاستفهام. ثمّ إنّه یکتب: قد کان فی الرؤیة طرفان متطرّفان ووسط معتـدل هوکان اللقاء بین المـذهبین، وذلک إنّ طرف الاثبات یبالغ حتی یصل به التطرّف إلی حـدّ التشبیه والتمثیل والتحدید، وطرف النفی یبالغ حتّی یصل به التطرّف إلی حـد نفی حصول کمال العلم، وبینهما یقف أصـحاب التحقیق فی الجوانب المتقاربـة التی تلتقی فی المعنی الواحـد لقاءً کاملا أو لقاءً متقارباً، وهـذه الصورة تتمثّل فیما ذهب إلیه بعض علماء أهل السـنّة من أنّ الرؤیة معناها حصول کمـال العلم بـالله تبارک وتعالی، وعبَّر عنها آخرون منهم بأنّ الرؤیـة تقع بحاسّـة سادسـة هی کمال العلم، واختلفت تعابیر الکثیر منهم ولکنّهـا تتلاـقی فی النهایـة علی نفی کامـل الصورة التی یتخیّلهـا الإنسان لصورة راء ومرئیّ وما تسـتلزمه من حـدود وتشبیه، وتتّفق فی النهایة علی الابتعاد عمّا یشـعر بأیّ تشبیه فی أیّ مراتبه، وبالمحدودیة فی أیّ أشـکالها، ولیس لنا أن نخوض فیه بغیر القدر التی جاءت به النصوص . والمعتـدلون من الاباضـیة لایمنعون أن یکون معنی الرؤیة هو کمال العلم به تعالی ویمنعون الرؤیة بالصورة المتخّیلة عند الناس(۱) . عزب عن الکـاتب انّ محـلّ النزاع من القرن الأـوّل إلی القرون المتـأخّرة لیس إلّا الرؤیـة بالأبصار لابحاسّـة سادسـة سـمّاها کمـال العلم، فـإنّ القـائلین بالرؤیـة یسـتندون إلی مـا رواه البخاری وأمثاله من أنّ النبی ـ صـلّی الله علیه وآله وسـلم ـ قال: «إنّکم ترون ربّکم کما ترون القمر لیلـة البـدر غیر متضامّین»، فلیس للمحقّق الکلامی إلّا موافقة هذا الأصل أو طرده من الرأس، فاللجوء إلی الرؤیة بحاسّة سادسة بمعنی کمال العلم تفسیر بأمر بائن وخروج عن محطّ البحث . _____

۱. علی یحیی معمِّر: الاباضـیة بین الفرق الإسلامیة ۱/۲۹۱ ـ ۲۹۲ . (۲۵۳) وأظن وظن الأـلمعی یقین انّ الکاتب توخّیاً لإیجاد القرب بین الاباضـیة وأهل السـنّة تنازل إلی حـدّ غیر مطلوب، ولم یقم بالـدفاع عن مـذهبه بحماس. نعم قد أحسن فی المقام صالح بن أحمد الصوافی، فقد طرح المسألة بشـکل رصـین، ودفع شـبهة القائلین فی المقام،تری أنّه قام بتفسیر قوله سبحانه:(وُجُوهٌ یَوْمَئذ ناضِرَةٌ * إلی رَبِّها ناظِرَةٌ)(۱)، الـذی هو من أهم أدلّـة القائلین بالرؤیـة، فقال: «أوّلا: النظر فی اللغـة غیر الرؤیة، ولذا یقال: نظرت إلی الهلال فلم أره، ولایصـحّ أن یقال رأیته فلم أره، واطلاقه علی الرؤیـة مجاز، لایصـحّ إلّا لقرینـة، والعدول عن الحقیقة إلی المجاز خلاف الظاهر . ثانیاً: إنّ سیاق الآیـة دال علی انتظار رحمـة الله تعالی بدلیل أنّه عطف علیها قوله: (وَ وَجُوهٌ یَوْمَئِذ باسِرَةٌ * تَظُنُّ أنْ یُفْعَلَ بَها فاقِرَةٌ)(۲) فلو فسّر النظر فی الآیة بالرؤیة لارتفعت المناسبة بین الجملتین ولتداعی بناؤها واختلّ نظمها، إذ لامناسبة بین عیون رائیة ربّها ووجوه باسرة تظن أن یفعل بها فاقرة(۳) . ثالثاً: إنّ النظر فی الآیة انتظار ما لهم عند الله من الثواب، ومنه قول الشاعر: فإن یک صدر هذا الیوم ولّی * فإنّ غداً لناظره قریب وقول الآخر: کلّ الخلائق ینظرون سجاله * نظر الحجیج إلی طلوع هلال _____

۱. القیامة: ۲۲ ـ ۲۳ .

۲. القیامة: ۲۴ ـ ۲۵ .

۳. صالح بن أحمد الصوافی: الإمام جابر بن زید العمانی: ۲۳۸ وقد أوضحنا هذا الوجه فی الجزء الثانی من هذه الموسوعة (لاحظ ص

۲۰۲ ـ ۲۰۸) . (۲۵۴) وقول الآخر: وکنّا ناظریک بکل فجّ * کما للغیث ینتظر الغماما وقال امرؤ القیس: وقد نظرتکم أعشی بخامسة * للورد طال بها حبّی وتبساسی(۱) *** ۳ ـ القرآن حادث غیر قدیم: إنّ المترقّب من الأباضیة الذین رفضوا القشریة، وخضعوا للعقل، أن یکون موقفهم فی خلق القرآن موقف العدلیة ویصرّحوا بأنّ القرآن مخلوق لله سبحانه وحادث بعد أن لم یکن، لکونه حادثاً ومخلوقاً لله سبحانه غیر أنّ الظاهر من بعض کتّابهم أنّهم یتحرّجون من التصریح بخلق القرآن وإن کانوا بعداء عن القول بکونه قدیماً غیر مخلوق. وننقل فی المقام نصّین من کتّابهم، حتی تلمس الحقیقة . ۱ ـ یقول الدکتور رجب: وبالنسبة لمشکلة خلق القرآن نراهم یقفون أمام هذا القول الذی فرضه المأمون علی العالم الإسلامی فرضاً بتأثیر من المعتزلة، ممّا أدّی إلی تمزیق وحدة الأُمّة الفکریة، وإلی اضطهاد کثیر من العلماء والفقهاء، ولذلک توقّف العمانیون عن القول بخلق القرآن، وقالوا فی صراحة واضحة فی واحد من أهمّ کتبهم الفقهیة: «لا یلزم الناس معرفة هذه المسألة» وکتب أبو عبدالله القلهاتی الذی عاش فی القرن الرابع للهجرة ـ العاشر للمیلاد ـ أکثر من عشرین صفحة فی مناقشة القول بخلق القرآن والردّ علی من قال بذلک، کما کتب أحمد بن نظر العمانی الذی عاش فی القرن الخامس للهجرة _____

۱. المصدر نفسه، وقد اغرق نزعاً فی التحقیق فی اثبات القول الحق وتنزیهه، والتبساس: هو الشوق الشدید. (۲۵۵)

ـ الحادی عشر للمیلاد ـ فی کتابه دعائم الإسلام خمسة وسبعین بیتاً من الشعر، فندّد القول بهذه المسألة واستنکرها کل الاستنکار. وفی العصر الحدیث نجد الشیخ نورالدین السالمی یعبّر عن هذا الموقف قائلا: «إنّ الأشیاخ توقّفوا عن اطلاق القول بخلق القرآن وأمروا بالشدة علی من أطلق القول فی هذه المسألة، حتی لایفتتن الناس فی دینهم» (۱). تری فی هذا الکلام التناقض، فبینما ینقل عن بعضهم الرد علی من قال بخلق القرآن ینقل عن الأشیاخ انّهم توقّفوا عن اطلاق القول بخلق القرآن، وأمروا بالشدّة علی من أطلق القول فی هذه المسألة . لاشکّ إنّ القرآن لیس بمخلوق أی لیس بمختلق للبشر کما قال سبحانه حاکیاً عن بعض المشرکین: (إنْ هذا إلاّ قَوْلُ البَشَرِ)(۲) ولکنّه مخلوق لله سبحانه، إذ لایتجاور کون القرآن فعله، وفعله کلّه حادث غیر قدیم، وإلاّ ـ یلزم تعدّد القدماء وأما علمه سبحانه بما فی القرآن من المضامین والمعارف والحوادث فلاشک إنّه قدیم، وهو غیر کلامه . فاللائق بمن یصف نفسه بأنّه أهل تقیید لاتقلید أن یصرّح بموقفه فی مسألة خلق القرآن، اللّهم إلاّ إذا کان موجباً للفتنة أو کانت عقول الناس بعیدة عن درک الحقیقة، فحینئذ الأولی عدم البحث والطرح . ونؤکّد من جدید أنّ القول بعدم قِدم القرآن هو من الأُصول الوضّاءة فی عقائد الاباضیة، وهم فی الاعتقاد بها عیال علی المعتزلة، فاللائق بالکاتب الواعی أن یجهر بالحق ویحدّد محل النزاع، ویالأسف انّ بعضهم ـ مثل الکاتب السابق ـ بدل أن یخرج من المسألة مرفوع الرأس، ویحقّقها علی ضوء _____

۱. الدکتور رجب محمّد عبدالحلیم: الأباضیة فی مصر والمغرب: ۷۰ ـ ۷۱ .

۲. المدثر: ۲۵ . (۲۵۶)

القرآن والعقل، طفق یطلب من یقول بکون القرآن مخلوقاً من بین أهل السنّة . ۲ ـ یقول علی یحیی معمّر: إنّ من علماء أهل السنّة من یقول دون تحرّج أو احتراز:«القرآن مخلوق» فقد ذکر الخطیب البغدادی من طرق متعدّدة عن أبی یوسف انّ أبا حنیفة کان یقول: القرآن مخلوق، أمّا أبو منصور الماتریدی، فقد کان یقول: إنّه محدث، ولم یحفظ عنه أنّ قال: مخلوق، وقد کان أبو النضر العمانی من أئمّة الاباضیة یقول: إنّ القرآن غیر مخلوق، وأنکر انکاراً شدیداً علی من یقول بخلق القرآن، وذهب القطب من أئمّة الاباضیة انّ هذه المسألة لیست من الأُصول، وقال أبو إسحاق طفیش: إنّ الخلاف فیها لفظی، وهذا القدر کاف للدلالة علی اللقاء بین المذهبین، ویکفی أن یلتقی المسلمون علی حقیقتین فی هذا الموضوع: هی أنّ الله تبارک و تعالی سمیع بصیر متکلّم وانّ القرآن الکریم کلام الله عزّوجلّ أنزله علی رسوله(۱) . یلاحظ علیه: أنّ ما ذکره ناش من توخّی ایجاد اللقاء بین المذهبین: الأشاعرة والاباضیة، فلأجل ذلک ذهب لیجد من أهل السنة من یقول بأنّ القرآن مخلوق، ومن أئمّة الاباضیة من یقول: بأنّ القرآن غیر مخلوق، وهذا یعرب عن أنّه لم یتّخذ الکاتب فی هذا الموقف رأیاً حاسماً أولیس للأباضیة فیه رأی جازم، مع أنّ المنقول منهم کونه حادثاً أو غیر قدیم أو

مخلوقاً بمعنى أنّه أنزله الله سبحانه وأوجده من العدم . فكان من الواجب على الكاتب أن يدافع عقيدته وعقيدة طائفته ويطرحها بوضوح ويذبَّ عنها ذبّاً علميّاً تحقيقياً متحرّياً للواقع. ثمّ إنّ ما ذكره فى ذيل كلامه من أنّه «يكفى أن يلتقى المسلمون على أنّ القرآن الكريم كلام الله عزّوجلّ أنزله على رسوله». وإن كان كلاماً صحيحاً، _____

١. على يحيى معمرّ: الاباضية بين الفرق الإسلامية ١/٢٩١ . (٢٥٧)

إذ ليس الاعتقاد بالحدوث والقدم فى القرآن من الأصول العقائدية التى يناط بها الإسلام و الكفر، غير أنّه لو كان هذا هو الأصل الثابت فى جميع المواقف فليضرب هذا الكاتب الاباضى صفحاً على الأصول التى اتّخذها اُصولا لمذهبه كمسألة التحكيم وولاء المحكّمة الاُولى، أو ليس ذلك أوفق بالتقريب و توحيد الاُمّة وجعلهم صفّاً واحداً فى مقابل الأعداء؟ إنّ البحث عن التحكيم و المحكّمة وخلق القرآن وعدمه ومايأتى من الاُصول الاُخرى للاباضية من خلود الفاسق فى النار وعدمه، وكونه كافراً كفر النعمة، بحوث علمية يختصّ فهمها بالمحقّقين والوعاة من علماء الإسلام، فالتحيّز إلى هذه الاُصول وجعلها محاور للحقّ والباطل والإسلام والكفر، لايدعمه الكتاب ولا يوافقه العقل، فليكن شعار الجميع ما سمحت به قريحة شاعر الأهرام: إنّا لتجمعنا العقيدة أمّة * ويُضمّنا دين الهدى أتباعا ويؤلّف الإسلام بين قلوبنا * مهما ذهبنا فى الهوى أشياعا والحق إنّ الخوارج بالمعنى العام الذى يعمّ الاباضية لم يكن يوم ظهورها إلّا حزباً سياسيّاً يهدف إلى تخطئة مسألة التحكيم مع عزل على عن الحكومة والدعوة إلى بيعة رئيس المحكّمة الاُولى عبدالله بن وهب، ولم يكن لهم يومذاك أى شأن فى المسائل العقائدية الماضية، ولمّا قضى علىٌ نحبه واستولت الطغمة الغاشمة من الأمويين و المروانيين على منصَّة الحكم، صار الخوارج يكافحون الحكومات، ويصارخون فى وجوههم للقضاء عليهم ولم يكن لهم فى هذه الأيّام أيضاً إلّا هذا الأصل، غير أنّ مرور الزمن وتلاقى الخوارج مع المعتزلة وغيرهم من الطوائف الإسلامية، ألجأهم إلى أن يّتخذوا فى بعض المسائل موقفاً فكريّاً، فعند ذلك أصبحوا جمعيّة دينية وفرقة كلامية بعد ما كانوا حزباً سياسياً بحتاً (٢٥٨)

فتلاقوا فى هذه المسائل مع المعتزلة بل تأثّروا بهم كما هو الحال فى المسألة التالية، فقد تأثرت الاباضية فيها عن المعتزلة وخالفوا الشيعة وغيرهم من الطوائف الإسلامية. ٤ ـ الشفاعة: دخول الجنّة بسرعة: إنّ مرتكبى الكبيرة عند الاباضية إذا ماتوا بلا توبة، محكومون بالخلود فى النار، فلأجل هذا الموقف المسبَّق فى هذه المسألة فسّروا الشفاعة بدخول المؤمنين الجنّة بسرعة، وفى الحقيقة خَصُّوها بغير المذنبين من الاُمّة، وهذا التفسير يوافق ما عليه المعتزلة من أنّ الغاية من الشفاعة هو رفع الدرجة لامغفرة الذنوب . إنّ الشفاعة أمر مسلّم عند جميع المسلمين غير أنّهم اختلفوا فى تفسيرها، وهؤلاء كالمعتزلة ذهبوا إلى أنّ شفاعة النبىّ بل شفاعة جميع الشفعاء لاتنال أهل الكبائر متمسّكاً بقوله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : «ليست الشفاعة لأهل الكبائر من اُمّتى» . يقول السالبى فى كتابه شرح أنوار العقول: «فإن قيل: المؤمنون مستوجبون للجنّة بأعمالهم فلا معنى للشفاعة، فالجواب أنّ الشفاعة لهم هى طلب تنقلهم من المحشر، ودخولهم الجنّة بسرعة»(١) . يلاحظ عليه: أنّ الشفاعة مسألة قرآنية، وفى الوقت نفسه مسألة روائية وحديثية، فلا يجوز لمسلم الإدلاء برأى إلّا بعد الرجوع إلى المصدرين الرئيسيّين مجرّداً عن كل رأى، وأمّا تفسيرها على ضوء الرأى المسبق فهو من قبيل التفسير بالرأى الذى حذَّر عنه النبى فى الحديث المتواتر عنه و قال: «من _____

١. صالح بن أحمد الصوافى: الإمام جابر بن زيد العمانى: ٢٥٦، نقلا عن مشارق أنوار العقول: ٢٩٤ . (٢٥٩)

فسّر القرآن برأيه فليتبوّء مقعده من النار»(١) . إنّ مسألة الشفاعة ليست مسألة جديدة ابتكرها الإسلام وانفرد بها، بل كانت فكرة رائجة بين اُمم العالم من قبل، وخاصّة بين الوثنيين واليهود، فلو ذكرها القرآن فإنّما يذكرها بالمفهوم الرائج عندهم، لا بمفهوم مغاير، فلو أمضاها، فإنّما أمضاها بهذا المفهوم، ولو هذّبها من الخرافات وحدّدها فى اطار خاص فإنّما هذّب ذلك المفهوم وحدّده، ومن المعلوم أنّ الشفاعة عندهم إنّما هو لغفران الذنوب لالرفع الدرجة أو سرعة التنقّل إلى الجنّة، ولأجل ذلك كانوا يرجون لصلتهم بالأنبياء حطَّ ذنوبهم، وغفران آثامهم، وكان المتطرّفون منهم يرتكبون الذنوب تعويلا على الشفاعة. وفى هذا الموقف وردّاً على ذلك التطرّف الباعث للجرأة، يقول سبحانه:(مَنْ ذَا الّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلّا بِإذْنِهِ)(٢) ويقول أيضاً رفضاً لتلك الشفاعة المقترنة بالخرافة:(وَلا يَشْفَعُونَ

إلاّ لِمَنِ ارْتَضَی)(۳) . ومن تدبّر فی الآیات الواردة حول الشفاعة أیجاباً وسلباً، یقف علی أنّ الإسلام قَبِلَ الشفاعة بنفس المفهوم الرائج بین الاُمم، لکن حدّدها بشروط وجعل لها إطاراً خاصّاً، وعلی ضوء ذلک فتفسیر الشفاعة بدخول الجنّة بسرعة، نبع من العقیدة بخلود العصاة فی النار إذا ماتوا بلاتوبة، فلأجل ذلک إلتجأوا إلی تفسیر الشفاعة بغیر المعنی المعروف . نعم یجب إلفات نظر القارىء إلی أمر هامّ: إنّ بعض الذنوب الکبیرة ربّما تقطع العلائق الإیمانیة بالله سبحانه کما _____

۱. حدیث متّفق علیه. رواه الفریقان .

۲. البقرة: ۲۵۵ .

۳. الأنبیاء: ۲۸ . (۲۶۰)

تقطع الأواصر الروحیة بالشفیع فمثل هذا الشخص لاینال الشفاعة، ولایرضی الرب بشفاعة الشفیع فی حقّه، وقد أوضحنا حقیقة الشفاعة وشروطها فی موسوعتنا التفسیریة، وقمنا بالذّبّ عن الاشکالات التی تثار حولها من جانب المعتزلة أو بعض المفکّرین الجدد(۱) . ۵ ـ مرتکب الکبیرة کافر نعمة لاکافر ملّة: اتّفقت الخوارج حتی الاباضیة علی أنّ ارتکاب الکبیرة موجب للکفر، ولکن المتطرّفین یرونه خروجاً عن الملّة، ودخولا فی الکفر والشرک، ولکن الاباضیة لاعتدالهم، یرونه کفر النعمة، فالمسلم الفاسق کافر عندهم لکن کفر النعمة، ولأجل التعرّف علی حقیقة مرامهم نأتی بنص بعض کُتّابِهم، وإن کان طویلا مفصّلا: یقول علی یحیی معمّر: «یحسب کثیر ممّن لاـ علم له أنّ الاباضیة ممّن یتّفقون مع الخوارج فی تکفیر العصاة کفر شرک، ولایعرفون أنّ الاباضیة یطلقون کلمة الکفر علی عصاة الموحّدین الذین ینتهکون حرمات الله، ویقصدون بذلک کفر النعمة، أخذاً من الآیات الکریمة التی أطلقتها فی أمثال هذه المواضیع و استناداً إلی أحادیث الرسول ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ : (وِلِلّهِ عَلَی النَّاسِ حِجُّ البَیْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إلَیْهِ سَبِیلا وَ مَنْ کَفَرَ فَإنَّ الله غَنِیٌّ عَنِ العالَمِیْنَ)(۲) . (لِیَبْلُوَنِی ءَأَشْکُرُ أمْ أَکْفُرُ وَ مَنْ شَکَرَ فَإنَّما یَشْکُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ کَفَرَ فَإنَّ رَبِّی _____

۱. لا حظ: مفاهیم القرآن ۴/۱۵۶ ـ ۲۷۹ .

۲. آل عمران: ۹۷ . (۲۶۱) غَنِیٌّ کَرِیمٌ)(۱) . (وَ مَنْ لَمْ یَحْکُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَاُولئکَ هُمُ الکافِرُوْنَ)(۲). سأل الأقرع بن حابس رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ : «الحج علینا کل عام یا رسول الله؟ فقال ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ : لو قلت نعم لوجب، ولو وجب لما قدرتم علیه، ولو لم تفعلوا لکفرتم، وقال: من ترک الصلاة کفر، وقال: لیس بین العبد والکفر إلاّ ترکه الصلاة، وقال: ألا لاترجعوا بعدی کفّاراً یضرب بعضکم رقاب بعض وقال: الرشا فی الحکم کفر». وخلاصة البحث انّ الأباضیة عندما یطلقون کلمة الکفر علی أحد من أهل التوحید فهم یقصدون کفر النعمة، وهو ما یطلق علیه غیرهم کلمة الفسوق و العصیان، والمعنی الذی یطلق علیه الاباضیة کفر النعمة ویطلق علیه المعتزلة (۳) الفسوق، ویطلق علیه غیرهم النفاق أو العصیان فهو معنی واحد. والسبب الذی دعا الاباضیة إلی اطلاقهم هذه الکلمة علی العصاة بدلا من کلمة النفاق أو الفسوق أمران: أوّلهما: إنّها الکلمة التی أطلقها الکتاب الکریم والسنّة القویمة علیهم فی کثیر من المواضیع والمناسبات . ثانیهما: إنّ لکلمة النفاق أثراً خاصّاً فی تاریخ الإسلام، فقد اشتهر بها عدد من الناس فی زمن رسول الله، آمنوا ظاهراً، ولکن قلوبهم لم تطمئن بالإیمان، فکان القرآن الکریم ینزل بتقریعهم، ویفضح بعضهم، ویتوعّدهم بالعذاب الألیم _____

۱. النمل: ۴۰ .

۲. المائدة: ۴۴ .

۳. اطلاق الفاسق علی مرتکب الکبیرة غیر مختصّ بالمعتزلة، بل الأشاعرة والإمامیة فی ذلک أیضاً سواء، بل الفرقتان الاخیرتان أولی بهذا الاصطلاح من المعتزلة، لأنه عندهما مؤمن، لا کافر ولا مشرک بخلاف المعتزلة فإنّه عندهم لاکافر ولا مؤمن بل منزلة بین المنزلتین. (۲۶۲)

فی الدنیا والآخرة حتی اشتهروا بهذا الاسم وعرفوا به، قال الله تعالی: (المُنافِقُونَ والمُنافِقاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْض یَأْمُرُونَ بالمُنْکَرِ وَ یَنْهَوْنْ

عَنِ المَعْرُوفِ وَ يَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ المُنافِقِينَ هُمُ الفاسِقُونَ)(۱) حتى صارت هذه الكلمة تشبه أن تكون علماً لهم فإذا اطلقت انصرفت إليهم . والنقاش فى هذا الموضوع نقاش لغوىّ والاختلافات لفظى، والنتيجة انّ من يصرّ على معصية الله يلاقى نفس الجزاء الذى يلاقيه من يكفر بالله، أمّا معاملة المسلمين لمن يفسق عن أمر الله، أو ينافق فى دين الله، أو يكفر بنعمة الله، فإنّها معاملة للعاصى المنتهك الذى تجب محاولة ارشاده إلى وجوب الاستمساك بدينه ورجوعه إلى أوامر ربّه، واقلاعه عن محادة الله ورسوله، فإن أصرّ واستكبر وتغلّب عليه الشيطان، بُرِئ منه (۲) . يلاحظ عليه أوّلا: انّ المحكّمة الأُولى كانوا لايريدون من الكفر إلّا الخروج عن الدين، وكانوا يقولون للإمام أميرالمؤمنين: تب من كفرك، وكان يجيبهم: أبعد ايمانى بالله، وجهادى مع رسول الله أشهد على نفسى بالكفر؟ لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين (۳) . فلمّا أحسّ عبدالله بن اباض أو من قبله بتطرّف هذه الفكرة عاد بتأويله إلى كفر النعمة تحرّزاً عن ردّ فعل للنظرية الأُولى. ثانياً: لو فرضنا إنّ القرآن الكريم استعمل الكفر فى كفر النعمة أو استعمله الحديث فى حق تارك الصلاة، ولكن هذا الاستعمال طفيف جدّاً، فقد ورد لفظ الكفر ومشتقّاته فى القرآن قريباً من ۴۵۰ مرّة وأُريد فى أغلبها كفر الملّة

۱. التوبة: ۶۷.

۲. على يحيى معمّر: الاباضية فى موكب التاريخ، الحقلة الأُولى ۸۹ ـ ۹۲ .

۳. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۵۸ . (۲۶۳)

والخروج عن الدين، ولو استعمل فى كفر النعمة فانّما استعمل مورد أو موردين، هذا من جانب، ومن جانب آخر انّ لفظ الكفر والكافر يعطيان مفهوماً خاصّاً يهزّ القلوب ويروّعها، إذ لايقصد منه إلّا الخروج عن الدين فاستعمال ذلك فى كلّ معصية كبيرة، يقلّل من شدّة خطره ويُصغّر أمره العظيم. والأثر الخاص الذى ادّعاه لكلمة النفاق، موجود فى كلمة الكفر بوجه أشدّ. فلو عدلوا عن إعماله، فليعدلوا عن اطلاق كلمة الكفر لأجله والكلمتان مشتركتان فى أثر السيّىء. أوليس الأولى للاباضية أن ينتهجوا نهج جميع المسلمين فيختاروا لفظاً غيره فى مورد ركوب الكبيرة؟ وقد تنبّه لما ذكرناه الكاتب الاباضى حيث علّق على ماينسب إلى الاباضية: «المخالفون كفّار نعمة لا كفّار فى الاعتقاد» قوله: لا شكّ انّ أىّ مسلم إذا قيل له: «إنّ الاباضية يعتبرونك غير مسلم، ويرونك كافراً» يتملّكه الغضب ويعتبرهم فرقة ضالّة ظالمة تستحقّ اللعن، ولن ينتظر منك أن تشرح له الفرق بين معانى الكفر(۱) . ولكن اللوم متوجّه عليه وعلى أسلافه لا لأصحاب المقالات فإنّهم استعملوا لفظ الكفر فى حق المخالفين غير أنّ المتطرّفين فسّروه بالكفر فى الاعتقاد وغيرهم فسّروه بكفر النعمة مستشهدين بأنّه ورد لفظ الكفر فى مورد المرتكبين للكبائر، ونقلوا عن الرسول الأعظم أنّه قال: الرشوة فى الحكم كفر، وقوله من أتى كاهناً أو عرّافاً فصدّقه فيما يقال فقد كفر بما أُنزل على محمّد(۲) .

۱. على يحيى معمّر: الاباضية بين الفرق الإسلامية ۱/۱۰۳ .

۲. صالح بن أحمد الصوافى: الإمام جابر بن زيد: ۱۲۳ . (۲۶۴) ۶ ـ الخروج على الإمام الجائر: يقول أبو الحسن الأشعرى: «والاباضية لاترى اعتراض الناس بالسيف لكنّهم يرون ازالة أئمّة الجور ومنعهم من أن يكونوا أئمّة بأىّ شىء قدروا عليه بالسيف أو بغيره»(۱) . وربّما ينسب إليهم أمر غير صحيح، وهوأنّ «الاباضية لايرون وجوب اقامة الخلافة» (۲) . إنّ وجوب الخروج على الإمام الجائر أصل يدعمه الكتاب والسنّة النبوية وسيرة أئمّة أهل البيت إذا كانت هناك قدرة ومنعة، وهذا الأصل الذى ذهبت إليه الاباضية بل الخوارج عامّة، هو الأصل العام فى منهجهم، ولكن نرى أنّ بعض الكتّاب الجدد من الاباضية الذين يريدون ايجاد اللقاء بينهم وبين أهل السنّة يطرحون هذا الأصل بصورة ضئيلة. يقول على يحيى معمر: إنّ الاباضية يرون أنّه لابدّ للأُمّة المسلمة من اقامة دولة ونصب حاكم يتولّى تصريف شؤونها، فإذا ابتليت الأُمّة بأن كان حاكمها ظالماً، فإنّ الاباضية لايرون وجوب الخروج عليه لاسيّما إذا خيف أن يؤدّى ذلك إلى فتنة وفساد أو أن يترتّب على الخروج ضرر أكبر ممّا هم فيه، ثم يقول: إذا كانت الدولة القائمة جائرة وكان فى امكان الأُمّة المسلمة تغييرها بدولة عادلة دون احداث فتن أكبر تضّر بالمسلمين فإنّهم ينبغى(۳) لهم تغييرها. أمّا إذ كان ذلك لايتسنّى إلّا بفتن

واضرار فإنّ البقاء مع الدولة الجائرة ومناصرتها فى حفظ الثغور ومحاربة أعداء الاسلام، وحفظ _____

۱. الأشعرى: مقالات الإسلاميين: ۱۸۹ .

۲. على يحيى معمّر: الاباضية بين الفرق الإسلامية: ۲ / ۵۳ ـ ۵۴ .

۳. إنّ الرجل لتوخّى المماشاة مع أهل السنّة يعّبر عن مذهبه بلفظ لايوافقه، بل عليه أن يقول مكان «ينبغى» «يجب» . (۲۶۵)

الحقوق، والقيام بما هو من مصالح المسلمين واعزاز كلمتهم، أوكد وأوجب(۱) . إنّ ما ذكره لاتدعمه سيرة الأباضية فى القرون الأُولى ويكفى فى ذلك ما ذكره المؤرّخون فى حق أبى يحيى عبدالله بن يحيى طالب الحق، قالوا: إنّه كتب إلى عبيدة بن مسلم بن أبى كريمة وإلى غيره من الاباضية بالبصرة يشاورهم بالخروج، فكتبوا إليه: إن استطعت ألاّ تقيم إلاّ يوماً واحداً فافعل، فأشخص إليه عبيدةُ بن مسلم أبا حمزة المختار بن عوف الأزدى فى رجال من الاباضية فقدموا عليه حضرموت، فحثّوه على الخروج، وأتوه بكتب أصحابه، فدعا أصحابه فبايعوه فقصدوا دار الامارة إلى آخر ما سيوافيك بيانه من حروبه مع المروانيين وتسلّطه على مكّة والمدينة . وأظنّ انّ ما يكتبه على يحيى معمّر فى هذا الكتاب وفى كتاب «الاباضية فى موكب التاريخ» دعايات و شعارات لصالح التقارب بين الاباضية وسائر الفرق خصوصاً أهل السنّة، ولأجل ذلك يريد أن يطرح أُصول الاباضية بصورة خفيفة حتى يتجاوب مع شعور أهل السنّة، تلك الأكثرية الساحقة، وأوضح دليل على أنّهم يرون الخروج واجباً مع القدرة والمنعة بلا اكتراث، إنّهم يوالون المحكّمة الأُولى ويرون أنفسهم اخلافهم والسائرين على دربهم، وهم قد خرجوا على علىٍّ بزعم أنّه خرج بالتحكيم عن سواء السبيل . وأظنّ انّ هذا الأصل أصل لامع فى عقيدة الخوارج والاباضية بشرطها وشروطها، وأنّ التخفيض عن قوّة هذا الأصل دعاية بحتة . والعجب أنّه يعترف بهذا الأصل فى موضع آخر من كتابه ويقول: إنّ الثورة على الضلم والفساد والرشوة ومايتبع ذلك من البلايا والمحن، إنّما هو المنهج الذى جاء به الإسلام ودعا إليه المسلمين، ودعا المسلمون إليه، وقاموا _____

۱. على يحيى معمّر: الاباضية بين الفرق الإسلامية ۲ / ۵۳ ـ ۵۴ . (۲۶۶)

به فى مختلف أدوار التاريخ، ولم تسكت الألسنة الآمرة بالمعروف، الناهية عن المنكر، ولم تكفّ الأيدى الثائرة فى أىّ فترة من فترات الحكم المنحرف....وقد استشهد فى هذا السبيل عدد من أفذاذ الرجال، ويكفى أن أذكر الأمثلة لأُولئك الثائرين على الانحراف و الفساد: شهيد كربلاء الإمام الحسين سبط رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ وعبدالله بن الزبير نجل ذات النطاقين، وسعيد بن جبير، وزيد بن على بن الحسين، وكلّ واحد من هؤلاء يمثّل ثورة عارمة من الأُمّة المسلمة على الحكم الظالم، والخروج عليه ومدافعته حتى الاستشهاد(۱) . ۷ ـ التولّى والتبرّى والوقوف: قد اتّخذ الاباضيون «التولّى» و«التبرّى» نحلة ولهما أصل فى الكتاب والسنّة وهما ممّا يعتنقه كل مسلم اجمالا، ولكن التفسير الاباضى لهذين المفهومين يختلف تماماً مع تفسير الجمهور، وإليك بيانه بنقل نصوصهم من كتبهم: «أصل الولاية، الموافقة فى الدين، فكل من وافقك فى الدين فهو وليّك، سواء علمت بموافقته أو جهلتها، أو برئتَ منه بالظاهر، لحدث عرفته منه وهو قد تاب ورجع عنه، فالملائكة عليهم السلام أولياؤنا لأنّهم موافقوننا فى أصل الامتثال، وكذلك أهل الطاعة من الأُمم السالفة، فإنّه وإن اختلفت الأوامر بالنظر لاختلاف الشرائع، فالدين عندالله الإسلام أى الانقياد لأحكامه مطلقاً . فاعلم انّ ممّا يدين به المسلمون وهو لازم لهم، الولاية لأولياء الله والحب لهم، والبغض لأعداء الله والبراءة منهم. فولاية من اتّصف بالإيمان فرض _____

۱. على يحيى معمّر: الاباضية بين الفرق الإسلامية ۱/۱۸۳ . (۲۶۷)

واجب، ثبت وجوبه بأدّلة قطعية، وأمّا البراءة فهى مثل الولاية فتجب البراءة من الفاسقين مطلقاً سواء كانوا من المشركين أو كانوا أهل كفر نعمة، فالبراءة منهم واجب بنصّ الكتاب العزيز والسنّة المطهّرة . ثمّ إنّهم ذكروا للولاية والبراءة أقساماً نوردها فيما يلى: ۱ ـ أن يرد الكتاب بما يوجب ولاية أحد، أو البراءة منه، كالأنبياء المذكورين بأسمائهم فى الولاية وكأبليس فى البراءة . ۲ ـ ما نطق فيه رسول من رسل الله انّ فلاناً من أهل السعادة، أو من أهل الشقاء، بشرط أن يسمع السامع من لسان الرسول ذلك الكلام حين نطقه. ۳ ـ ولاية

الجملة وبراءة الجملة، وصورتها أن يعتقد المكلّف ولاية أهل طاعة الله من الأوّلين والآخرين إنسهم وجنّهم وملائكتهم، وأن يعتقد البراء من جميع أهل معصية الله من الأوّلين والآخرين إنسِهم وجنّهم إلى يوم الدين. وهذا القسم هو الذى يعبّر عنه بعقيدة الإنسان لأنّه لابدّ لكل مكلّف أن يعتقده ديناً. ۴ ـ نعم يجب الوقوف فيمن لم يعلم فيه موجب الولاية ولا ـ البراءة لقوله تعالى: (وَ لا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)(۱)، وقال ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : «المؤمن وقّاف، والمنافق وثّاب (۲) . قال أبو سعيد الكدمى: واعملوا رحمنا الله وإيّاكم: انّ الولاية والبراءة فريضتان وقد نطق بذلك القرآن وأكّدته السنّة، ونسخته آثار الأئمّة الذين هم ــــــــــــــــــــ

۱. الاسراء: ۳۶ .

۲. صالح بن أحمد الصوافى: الإمام جابر بن زيد: ۲۵۸ ـ ۲۶۳ بتلخيص، وكان عليه أن يذكر قسماً خامساً وهو تولّى شخص معيّن لكونه مطيعاً والتبرّى منه لكونه عاصياً إذا لمسنا شخصيّاً منهما الطاعة أو العصيان، ولعلّه لم يذكره لكونه مستفاداً من القسم الاوّل. (۲۶۸)

حجّة الله فى دينه، فمن ذلك قوله تعالى: (قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إبْراهِيمَ والَّذِينَ مَعَهُ إذ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إنّا بُرَءَ ؤُاْ مِنْكُمْ وَ مِمّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنا بِكُمْ وَ بدَا بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمُ العَداوَةُ وَالبَغْضاءُ أَبَداً حتّى تُؤْمِنُوا بِالله وَحْدَهُ)(۱) . ويقول أيضاً: لايجوز له أن يتولّى أحداً من علماء أهل الخلاف ولامن أفضلهم، ولو جهل أمرهم، ولو ظنّ أنّهم أهل الحقّ وأهل الفضل، ماجاز أن يتولّى أحداً منهم بدين(۲) . ويقول أيضاً: البراءة حكم من أعظم أحكام الإسلام (۳) . ويقول: واعلموا انّه ممّا يلزم المسلمون ويدينون به: الولاية لأولياء الله والحبّ لهم، والبغض لأعداء الله والبراءة منهم، ومن أحبَّ عبداً فى الله فكأنّما أحبّ الله، وذلك من أشرف أعمال البّر (۴) . وقد حرّر هذه المسألة أحد المعاصرين من علماء الاباضية وقال: ولاية الجملة وبراءتها فريضتان بالكتاب والسنّة والاجماع على كلّ مكلّف عند بلوغه إن قامت عليه الحجّة، وأمّا ولاية الأشخاص وبراءتها فواجبتان قياساً عليهما. إنّ محبّة المؤمن الموفى بدينه، الحريص على واجباته، المبتعد عن المحارم، المتخلّق بأخلاق الإسلام، المتّبع لهدى محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ وجبت محبّته على المؤمنين، وأُعلِنَت ولايته بين المسلمين، وطلبت له المغفرة والرحمة من ربّ العالمين . فإذا نزغ أحدهم من الشيطان نزغ، ولم يستعذ بالله من الشيطان، فأقدم على المعصية ولم يُسارع إلى التوبة، انفصم هذا الرباط الذى يربطه ــــــــــــــــــــ

۱. أبوسعيد الكدمى: المعتبر ۲/۱۳۴. والآية من سورة الممتحنة: ۴ .

۲. المصدر نفسه ۱/۹۵ .

۳. المصدر نفسه: ۱ / ۱۳۵ .

۴. المصدر نفسه: ۱ / ۱۳۷ . (۲۶۹)

بالمؤمنين، وتهدَّمَتْ هذه الأُخوّة التى قامت على الدين حتى يجدّد ايمانه بربّه، ويستغفرالله من ذنبه، ويصل حبال قلبه بفاطر السموات و الأرض، فإذا فعل ذلك، رجعت منزلته بين اخوانه كما كانت، وعزَّتْ نفسه بينهم بعد أن هانت (وللِّهِ العِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلمُؤْمِنِينَ). إنّ المسلم الذى يعلن بين الملأ قول «لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله»، ثمّ يجترئ على أوامر الله فيتخلّى عن واجباته، أو يقدم على ارتكاب المحظورات... لايحقّ أن يكرم بالتساوى مع الصادقين ولا يمكن أن تشمله المحبّة فى الدين، بل يجب أن يجد الغلظة من المؤمنين وأن يسمع التقريع والتوبيخ، وأن يُطْلب الابتعاد عنه، وأن يُعْلَنَ البراءة منه، ويُقلَّلَ التعامل معه حتى تضيق عليه الأرض بما رحبت، ولايجد ملجأ من الله إلّا إليه، فأمّا أن يشرح الله صدره للإسلام، وأن يفتح قلبه للإيمان وأن يسخّر أعضاءه للعبادة، وأن يباعد بينه و بين المعصية فيتوب ممّا ارتكب ويعود إلى حظيرة الإسلام بالعمل الصالح، والجهاد المتواصل، جهاد النفس و الهوى، فترتبط أواصره حينئذ بأواصر الناس، ويصبح بعد الهداية و التوفيق أخاً فى الله . وأمّا أن يرتكس إلى الشيطان، ويصّر على العصيان، ويبتعد عن محاسبة النفس، ويستمرّ فى الغواية والضلال، وحينئذ لايمكن لأولياء الله أن يحبّوا عدوّالله، ولا أن يرضوا عمّن جاهره بالمعصية، وانّ القلوب المؤمنة لتستحى أن تّتجه إلى المليك الديّان لتطلب منه الرحمة والغفران، لعبيد الشهوات و أغوياء الشيطان . إنّ العصاة الذين يصرّون

على ما فعلوا ويجاهرون الله والناس بما ارتكبوا، انفصلوا بكبريائهم عن ربّهم، وابتعدوا عن محّبة إخوانهم، وحادوا الله ورسوله. (۲۷۰) (لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حادَّ اللهَ وَ رَسُولَهُ....)(۱). (إنَّ الَّذِينَ يُحادُّونَ اللهَ وَ رَسُولَهُ أُوْلئِكَ فِي الأَذَلِّينَ)(۲). (إنَّ الَّذِينَ يُحادُّونَ اللهَ وَ رَسُولَهُ كُبِتُوا كَما كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)(۳). إنّ المجتمع الاسلامى أنظف من أن تقع فيه المعصية من مسلم، ثم يسكتون عنه، فيدعونه فيهم محبوباً قبل أن يبادر إلى التوبة والاستغفار والتكفير إن كانت المعصية ممّا يتحلّل منه بالتكفير . إنّ هذه القضيّة من القضايا التى يكاد ينفرد بها الاباضية(۴) عن غيرهم من الفرق الإسلامية فلم يساووا بين مؤمن تقيّ وعاص شقيّ فى المعاملة، وقالوا: يجب على المجتمع المسلم أن يُعْلِنَ كلمة الحق فى كلّ فرد من أفراده، وأن يتولّى تهذيب الناشزين، وتقويم المنحرفين وتربية المتذرّعين بالوسائل التى شرعها الإسلام للتربية الجماعية من أمر بمعروف و نهى عن منكر، واعراض عمّن يتولّى عن الله. وليس من الحق أبداً أن نتغاضى عن اُولئك الذين يرتكبون المعاصى، ونضعهم فى صفّ واحد مع المؤمنين الموفين، بل يجب أن نزجر العاصى عن معصيته، وأن نعالِنَه بالعداوة، مادام منحرفاً عن سبيل الله، وأن لانساوى فى المعاملة بينه و بين الموفى، وأن لانعطيه من المحبّة وطلب المغفرة، وحسن التعامل، مانعطيه للذى يراقب الله فى الخفاء والعلانية، ويرجع إليه فى كلّ كبيرة وصغيرة، ويقف عند حدوده التى رسمها لايتخطّاها، (وَلِيَجِدُوا فِيْكُمْ _____

۱. المجادلة: ۲۲ .

۲. المجادلة: ۲۰ .

۳. المجادلة: ۵ .

۴. ستعرف ضعفه و انّه ممّا أصفقت عليه الاُمّة الإسلامية اجمالا، نعم انفردت الاباضية بالغلظة والشدّة فى المسألة. (۲۷۱) غِلْظَة)، والاباضية لايخرجون العصاة من الملّة ولايحكمون عليهم بالشرك، ولكن يوجبون البراءة منهم و بغضهم و اعلان ذلك لهم حتى يقلعوا عن معصيتهم ويتوبوا إلى ربّهم (۱) . هذا عصارة ماذكروه فى هذه المسألة، أى الولاية والبراءة والوقوف . يلاحظ عليه: لاأظنّ أنّ من أحاط بالكتاب والسنّة أو ألمّ بهما أن ينكر وجوب التولّى والتبرّى فإن المصدرين الأساسيّين مملوءان بالأمر بتولّى الرسول، والمؤمنين، والتبرّى من المشركين وأهل الكتاب والعصاة، وإليك رشحة من ذلك فيكفى فيه قوله سبحانه:(لا يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ)(۲) و قوله عزّوجلّ: (وَالمُؤْمِنُونَ وَ المُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْض)(۳) وقوله عزّوجلّ: (فَإن لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فَإخْوانُكُمْ فِي الدِّينِ وَ مَواليكُمْ)(۴) وقوله عزّوجلّ:(لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حادَّ اللهَ وَ رَسُولَهُ ولَو كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُم أَوْ إخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإيمانَ وأَيَّدَهُمْ بِرُوح مِنْهُ ويُدْخِلُهُمْ جَنَّات تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ خالِدِينَ فيها رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رضُوا عَنْهُ أُوْلئِكَ حِزْبُ الله ألا إنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفلِحُونَ).(۵) وأمّا السنّة فيكفى فى ذلك الأحاديث التالية: قال على بن أبى طالب ـ عليه السَّلام ـ : من ترك انكار المنكر بقبله و لسانه _____

۱. على يحيى معمّر: الاباضية فى موكب التاريخ، الحقلة الاُولى ۸۳ ـ ۸۷ .

۲. آل عمران: ۲۸ .

۳. التوبة: ۷۱ .

۴. الأحزاب: ۵ .

۵. المجادلة: ۲۲ . (۲۷۲)

فهو ميّت بين الأحياء (۱) . وقال ـ عليه السَّلام ـ : أمَرَنا رسول الله أن نلقى أهل المعاصى بوجوه مكفهَّرة(۲). وقال ـ عليه السَّلام ـ : أدنى الانكار أن تلقى أهل المعاصى بوجوه مكفهّرة. وعن الإمام جعفرالصادق ـ عليه السَّلام ـ : حسب المؤمن غيرة إذا رأى منكراً أن يَعْلَم الله عزّوجلّ من قلبه انكاراً.(۳) إنّ الحب والبغض من الظواهر والحالات النفسية، ولهما آثار على الأعضاء والجوارح فى حياة الإنسان، فلقاء أهل المعاصى بوجوه مكفهرّة من آثار تلك الظاهرة، هذا كلّه ممّا لاشكال فيه. إنّما الكلام فى موضع آخر يجب

إلفات النظر إليه وهو أنّ التبرّی من عصاة المسلمين ليس شيئاً مطلوباً بالذات، وإنّما الغاية منه ارجاع العاصی إلی حظيرة الطاعة، وإلحاقه بأصفياء الاُمّة، وعلی ذلک فهو من مراتب الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر، فيدور وجوبه مدار وجود شرائطهما: منها کون التبرّی مؤثّراً فی کبح جماح العاصی وتماديه فی الغی، ولأجل ذلک جوّز الإسلام غيبة المتجاهر بالفسق وربّما أوجب الوقيعة فی أهل البدع، واکثارالوقيعة فيهم، وقال ـ صلّی الله عليه وآله وسلم ـ : «أربعة ليس غيبتهم غيبة: الفاسق المعلن بفسقه، والإمام الکذّاب إن أحسنت لم يشکر وإن أسأت لم يغفر، والمتفکّهون بالاُمّهات، والخارج من الجماعة الطاعن علی أمّتی، الشاهر عليها بسيفه» (۴). وقال ـ صلّی الله عليه وآله وسلم ـ : «لاغيبة لثلاث: سلطان جائر، وفاسق معلن، _____

۱. الحرّ العاملی: وسائل الشيعة ۱۱/۴۰۴ .

۲. المصدر نفسه: ۱۱ / ۴۰۹ .

۳. المصدر نفسه: ۱۱ / ۴۱۳ .

۴. حسين النوری: المستدرک، الجزء ۹، الباب ۱۳۴ من أبواب أحکام العشرة، الحديث ۲ . (۲۷۳)

وصاحب بدعة»(۱) . فعلی ذلک فوجوب التبرّی رهن شروط نشير إليها: ۱ ـ أن يحتمل کون التبرّی مؤثّراً فی ارجاعه عن المعصية کما عرفت، وإلاّ ـ فلا ـ يجب کما هو الحال فی جميع مراتب الأمر بالمعروف . ۲ ـ إن لا ـ يکون اظهار التبرّی موجباً لتماديه فی الغی، وانکبابه علی الإثم، فإنّ إيجاب التبرّی فی ذلک ينتج نقيض المطلوب . ۳ ـ يکفی فی التبرّی، الاعراب عمّا فی ضمير المتبرّی من کونه کارهاً لعمله، بلا حاجة إلی اعمال الغلظة والشدّة کما فی کلام القائل. ثمّ الآيات والروايات الدالّة علی التبرّی واردة فی حقّ الکفّار والعصاة المتمادين فی الغی، لامن عصی مرّة واحدة ويبدو أنّه سوف يرجع ويستغفر. وأمّا ما ذکره القائل فی کيفية التبرّی فليس عليه دليل بل الدليل علی خلافه، لأنّ المعاملة مع العصاة علی النحو الذی ذکره القائل لم يکن رائجاً فی عصر الرسول، إلاّ فی حقّ العتاة المتمادين فی الغی، أو المتخلّفين عن الزحف، وقد ورد فی حقّهم قوله سبحانه: (وَ عَلَی الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتّی إذا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِما رَحُبَتْ وضاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَ ظَنُّوا أَنْ لامَلْجَأ مِنَ اللهِ إلاّ ـ اِلَيْهِ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا اِنَّ اللهِ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ)(۲).ترى أنّ الغلظة والشدّة کانت فی حقّ هؤلاء الثلاثة الذين تخلّفوا عن الجهاد فی الوقت الذی کان الرسول فی أشدّ حاجة إلی المجاهد الصادق، فنزل الوحی بالضغط وايجاد الضيق عليهم حتی يصلوا إلی مرتبة تضيق عليهم أرض المدينة بما رحبت. وأمّا المعاملة لکلّ عاص ولو مرّة واحدة بهذا النحو والضغط عليه حتی _____

۱. حسين النوری: المستدرک، الجزء ۹، الباب ۱۳۴ من أبواب أحکام العشرة، الحديث ۱ .

۲. التوبة: ۱۱۸ . (۲۷۴)

تضيق عليه الأرض، فهو بعيد عن سماحة الإسلام، کيف وقد قال سبحانه حاکياً عن حملة العرش الذين يستغفرون للذين تابوا واتّبعوا سبيله: (رَبَّنا وَسِعْتَ کُلَّ شیْء رَحْمَةً)(۱) وقال سبحانه:(وَ لا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ اِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ اِلاّ القَوْمُ الکافِرُونَ)(۲) وقال سبحانه: (قالَ وَ مَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ اِلاّ الضّالُّونَ)(۳) وقال سبحانه:(قُلْ يا عِبادِیَ الَّذِينَ اَسْرَفُوا عَلی اَنْفُسِهِمْ لا تَقنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ الله إ نَّ اللهَ يَغْفِرُ الـذُّنُوبَ جَمِيعاً اِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ)(۴) . فأين هذه الوعود ودعوة العصاة إلی حظيرة الغفران والنهی عن اليأس من روح الله ممّا جاء فی کلام هذا القائل؟ فالاباضية وإن کانوا غير متطرّفين فی مسلکهم لکن فی التبرّی عن العاصی فی جميع الأحوال والظروف علی النحو الذی سمعت نوع تطرّف کما لايخفی. علی أنّ هذا النحو من التبرّی الوارد فی کلام القائل يناسب العيشة القبلية، والاجتماعات الصغيرة، ولايتمشّی أبداً مع الاجتماعات الکبيرة التی تضم الفسّاق، إلی العدول فی جميع الأندية والمجالس کما لايخفی. اکمال: ثمّ إنّه لو ثبت کون رجل عدوّاً من أعداء الله لارتکابه الکبائر أو لإرتداده عن الدين، فليس لآحاد الاُمّة القيام بإجراء الحدّ عليه، وإنّما واجب الآحاد هو التبرّی منه، ومن فعله، روحاً وجسداً، وأمّا إجراء الحدّ عليه فإنّما هو علی _____

۱. غافر: ۷ .

۲. یوسف: ۸۷ .

۳. الحجر: ۵۶ .

۴. الزمر: ۵۳ . (۲۷۵)

القویّ المطاع فی الاُمّـة وهو الحاکم الإسـلامی، ولأجل ذلک ینقسم الأمر بالمعروف الی قسـمین: قسم یُعَدُّ واجباً فردّیاً، یقوم به آحاد الاُمّـة، وقسم یعـدّ رسالـة اجتماعیة تقوم به القوّة التنفیذیة فی الدولة الاسـلامیة، وهنا کلمة قیّمة للإمام الصادق ـ علیه السَّلام ـ نذکرها: سئـل عن الأمر بـالمعروف والنهی عن المنکر أواجب هو علی الاُمّـة جمیعـاً؟ فقال: لا. فقیل له: ولم؟ قال: إنّما هو علی القویّ المطاع، العالم بالمعروف من المنکر، لاعلی الضـعیف الـذی لایهتـدی سبیلا إلی أیٍّ، مِنْ أیّ؟ یقول من الحق إلی الباطل، والـدلیل علی ذلک من کتـاب الله عزّوجلّ قوله: (وَلْتَکُنْ مِنْکُمْ اُمَّةٌ یَـدْعُونَ اِلی الخَیْرِ وَیَأْمُرونَ بالمَعْرُوفِ وَیَنْهَوْنَ عَنِ المُنکَرِ) فهـذا خاصّ غیر عام.(۱) ۸ ـ آراء الاباضـیة فی الصـحابة: قـد طرحنا مسألـة عدالة الصـحابة فی الجزء الأوّل من هذه الموسوعة عند البحث عن عقائد أهل الحدیث، والمعروف بین کتّاب الفرق انّ الاباضیة یحبّون الشیخین ویبغضون الصهرین، غیر أنّ کتّاب الاباضیة فی هذا العصر ینکرون هذه النسبة ویقولون إنّ الدعایة التی سلّطها المغرضون علی الاباضیة نبذتهم بهذه الفریة، وذهب علی یحیی معمّر فی نقد النسبة وتزییفها إلی نقل الکلمات التی فیها الثناء البالغ علی الصـهرین، ینقل عن أبی حفص عمرو بن عیسی قوله: وعلی الهادی صلاة نشرها * عنبرٌ ماخبّ ساع ورمـل وسـلام یتـوالی وعلی * آلـه والصـحب مـا الغیـث هطـل سـیما الصـدیق والفـاروق والجـامع * القرآن والشـهم البطل

---

۱. الحر العاملی: وسائل الشیعة ۱۱/۴۰۰. والآیة من سورة آل عمران: ۱۰۴. (۲۷۶) وینقل عن دیوان البدر التلاتی مایلی: بنت الرسول زوجها وابناها * أهل لبیت قد فشـی سـناها رضی إلاله یطلب التلاتی * لهم جمیعاً ولمن عناها(۱) نحن نرحّب بهـذا الود الذی أمر الله سبحـانه به فی کتـابه بالنسـبة إلی العترة الطـاهرة إذ قـال: (قُلْ لااَسْأَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إلاّ المَوَدَّةَ فِی القُرْبَی)(۲) . ولکن لایمکننـا التجاهل بأنّهم یحبّون المحکّمة الاُولی، ویعتبرونهم أئمّة، وهم قُتلوا بسـیف علی، وهل یمکن الجمع بین الحبّین والودّین؟ قد قال الله سـبحانه: (مـا جَعَلَ اللهُ لِرَجُل مِنْ قَلْبَیْنِ فِیْ جَوْفِهِ)(۳) وهـل یجتمع حبّ علی وودّه وحبّ من کان یکفّر علیّاً ویطلب منه التوبـة؟ کیف وهؤلاء هم الـذین قلّبوا له ظهر المجنَ وضـعّفوا أرکان حکومته الراشـدة. نری أنّ الاباضـیة یعدّون عمران بن حطان من القعدة، وهو إمام لهم بعد أبی بلال، وهو القائل فی حق عبدالرحمن بن ملجم قاتل الإمام علی، شقیق عاقر ناقة ثمود، قوله: یاضربة من تقی ما أراد بها * إلاّ لیبلغ من ذی العرش رضوانـا إنّی لأذکره یوماً فأحسـبه * أوفی البریّـة عنـدالله میزانا(۴) ومع هذا السـعی لکتمان الحقیقة فالظاهر أن للشـهرة حقیقـة: أمّا حبّهما للشـیخین فلیس مجال شک وأمّا بغضـهما للصـهرین فقـد وقفت فی الفصل التاسع علی نظر قـدمائهم فی حق الإمام علی ـ علیه السَّلام ـ وإلیک نظرهم فی حق عثمان، لیعلم _____

۱. علی یحیی معمّر: الاباضیة بین الفرق الإسلامیة ۲/۵۰ .

۲. الشوری: ۲۳ .

۳. الاحزاب: ۴ .

۴. مرّ مصدر البیتین . (۲۷۷)

مدی صحّة النسبة: فإن قال: فما قولکم فی عثمان بن عفان؟ قلنا له: فی منزلة البراءة عند المسلمین . فإن قال: من أین وجبت البراءة من عثمان بن عفان وقـد تقـدمت ولایته وصـحّت عقـدة إمامته مع فضائله المعروفة فی الإسـلام، وفی تزویج النبی له ـ علیه السَّلام ـ بابنتیه واحـدة بعد واحدة؟ قلنا: إن الولایة والبراءة هما فرضان فی کتاب الله لا عذر للعباد فی جهلهما، وقد أمرنا الله تبارک وتعالی أن نحکم ونـدین له فی عباده بما یظهر لنا فی اُمورهم ولم یکلّفنا علم الغیب. ثم وجـدنا أصـحاب النبی ـ صـلّی الله علیه وآله وسـلم ـ قـد قـدّموا عثمـان إماماً لهم بعـد عمر بن الخطاب ـ رحمه الله ـ ، ثم قصـدوا إلیه فقتلوه علی ما اسـتحقّ عنـدهم من الأحـداث التی زایل بها الحق

وسبيله، فمن قال إنّ عثمان قتل مظلوماً كان قد أوجب على أصحاب النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ البراءة بقتلهم لعثمان بن عفان وألزام البراءة من على بن أبى طالب لأنّه وضعه المسلمون بعد عثمان إماماً لهم. وعلى الإمام إقامة الحدود و لم يغيّر ذلك على بن أبى طالب ولم ينكره ولم يقم الحد على من قتل عثمان، وحارب من طلب بدمه و هو طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام، ولو لم يكن مستحقاً للقتل وأنّه مظلوم لكان على قد كفر لقتاله لمن طلب بدم عثمان بن عفّان. فلما قاتل على والمسلمون من طلب بدم عثمان وصوّبوا من قتله وأقرّهم على بين يديه وكانوا أعوانه و أنصاره، كان دليلا على أنّهم محقّون فى قتله لأنّ إجماعهم على ذلك حجّة لغيرهم ودليل. وأمّا قولك زوّجه النبى بابنتيه واحدة بعد واحدة فإنا لاننكر ذلك ولايكون عثمان مستوجباً للولاية بتزويج النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ له بابنتيه. ولو كان عقد النبى له بالنكاح موجباً للرجل المشرك الذى كان النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ (۲۷۸)

قد زوّجه بابنته زينب قبل التحريم بين المسلمين والمشركين مع قوله الله تبارك وتعالى:(إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ)(۱)، فهذا مبطل لاحتجاجك علينا بتزويج النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ له بابنتيه. وأمّا قولك: إنّه كانت له فضائل فى الإسلام متقدّمة، فإن الأعمال بالخواتم فى الآخرة، لابالفضائل الأُولى(۲). وعلى كل تقدير فما يذكره هذا الكاتب وغيره هو الحق الذى يجب أن تمشى عليه الاباضية فى حياتهم الدينية ويجب علينا احترام الصحابة وودّهم على الموازين التى وردت فى الكتاب والسنّة، ولا أظنّ مسلماً على أديم الأرض يبغض الصحابى بما هو صحابى أو بما أنّه رأى النبى أو بما أنّ له صلة به، ولو كان هناك استنكار فانّما لبعض الصحابة أمثال المغيرة بن شعبة وبسر بن أرطاة، وعمرو بن العاص، وسمرة بن جندب لما قاموا به من سفك الدماء البريئة والظلم فى الأحكام، والطلب الحث بلذائذ الدنيا، كيف لايصحّ التبرّى منهم؟ وقد قال عمرو بن العاص لمعاوية عندما دعاه للمشاركة فى الحرب ضدّ على أبياتاً أوّلها: معاوية لا اعطيك دينى ولم أنل * به منك دنياً فانظرن كيف تصنع فإن تعطنى مصراً فأربح بصفقة * أخذتَ بها شيخاً يضرّ وينفع (۳) *** _____

۱. النساء: ۴۸ و ۱۱۶ .

۲. السير و الجوابات لعلماء وأئمة عمان ۱/۳۷۴ ـ ۳۷۵ طبع وزارة التراث القومى والثقافة، تحقيق سيدة إسماعيل كاشف.

۳. الطبرى: التاريخ ۳/۵۵۸. اليعقوبى: التاريخ ۲/۱۷۵ طبع النجف الاشرف . (۲۷۹) الفتاوى الشاذّة عن الكتاب والسنّة المذهب الاباضى يدّعى أنّه يعتمد فى اُصوله على الكتاب والسنّة ويتّفق فى كثير من اُصوله وفروعه مع مذاهب أهل السنّة، ولا يختلف معها إلّا فى مسائل قليلة اختلاف مذاهب السنّة نفسها فى ما بينها. وما كان اعتماد المذهب الاباضى على الكتاب والسنّة وعدم تباعده عن مذاهب السنّة إلّا لأنّ مؤسّسه جابر بن زيد قد أخذ عن الصحابة الذين أخذ عنهم أصحاب هذه المذاهب من الحنفيّة والشافعيّة والمالكيّة والحنابلة، بل أنّه يمتاز على أصحاب هذه المذاهب فى أنّه أخذ عن الصحابة مباشرة بينما هم لم يأخذوا فى معظمهم إلّا من التابعين . كما أنّ الأحاديث التى جمعها هو وغيره من علماء وفقهاء وجمّاع الأحاديث من الاباضية كالربيع بن حبيب و غيره، ليست إلّا أحاديث وردت عن البخارى ومسلم وغيرهم من أئمّة الحديث كأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجة والدارقطنى والطبرانى والبيهقى وغيرهم من أهل السنّة والجماعة. (۲۸۰) إنّ الاباضية لا يعترفون بالتقليد فيما يأخذون أو يدّعون حتى لفقهائهم أنفسهم، والمشهور عنهم أنّهم يقولون: إنّهم رجال تقييد لاتقليد، أى أنّهم يتقيّدون بالكتاب والسنّة، وبما تقيّد والتزم به السلف الصالح، ولايقلّدون أصحاب المذاهب أو أصحاب الأقوال إلّا إذا كانت أقوالهم موافقة للكتاب والسنّة (۱) . إنّ المذهب الاباضى كما وصفه الكاتب يستند إلى الأدلّة الشرعية والعقلية، فالعقل عندهم حجّة كالكتاب والسنّة، وليس ذلك أمراً خفيّاً على من سبر كتبهم العقائدية والفقهية، وقد كان ذلك معروفاً عنهم فى القرون الأُولى حتى بين مخالفيهم على وجه قالوا: باغناء العقل عن السمع فى أوّل التكليف. يقول المفيد شيخ الشيعة فى القرن الرابع: «اتفقت الإمامية على أنّ العقل يحتاج فى علمه ونتائجه إلى السمع وأنّه غير منفك عن سمع يتبّه الغافل على كيفيّة الاستدلال، وأنّه لابدّ فى أوّل التكليف وابتدائه فى العالم من رسول، ووافقهم فى ذلك أصحاب الحديث،

وأجمعت المعتزلة والخوارج والزيدية على خلاف ذلك، وزعموا أنّ العقول تعمل بمجرّدها من السمع و التوقّف، إلاّ أنّ البغداديين من المعتزلة خاصّة يوجبون الرسالة فى أوّل التكليف»(۲). وهذا النحو من الاعتماد على العقل يعد نوع مغالاة فى القول بحجيّته إلاّ فى مورد لزوم إصل المعرفة، لاستقلاله عليه دفعاً للضرر المحتمل وغيره ما حرّر

۱. الدكتور رجب محمّد عبدالحليم: الاباضية فى مصر والمغرب وعلاقتهم بأباضية عمان والبصرة: ۵۸ ـ ۶۱ .

۲. الشيخ المفيد (۳۳۶ ـ ۴۱۳ هـ): أوائل المقالات ۱۱ ـ ۱۲ . (۲۸۱)

فى محلّه (۱) إنّ القول بحجّية العقل لا ـ يعنى منها إلاّ ـ حجّيته فى موارد يستقلّ بحكمها العقل على وجه اللزوم والقطع كالملازمات العقليّة، مستقلّة كانت أو غير مستقلّة، والأوّل كاستقلاله بالبراءة عن أىّ تكليف فيما إذا لم يرد من الشارع فيه بيان، ولزوم الفحص عن بيّنة مدّعى النبوّة، والنظر فى دعواه وبرهانه، والثانى كالمسائل المعروفة بباب «الملازمات العقلّية» فى اُصول الفقه، كادّعاء الملازمة بين وجوب الشىء ووجوب مقدّمته، أو نقيضه (الضد العام) إلى غير ذلك ممّا هو مذكور فى محلّه، ولا يحتجّ به الاّ فيما إذا لم يرد من الشرع حكم فى مورده، وإلاّ ـ فلا ـ يقام له وزن، ولأجل الغلوّا الموجود فى كلماتهم التى ترتبط بالعقل نجد لهم فتاوى فقهية لاتوافق الكتاب و السنّة، وقد أعطوا للعقل العاطفى فيها قيمة أكثر ممّا أعطوه للكتاب والسنّة، فقدّموا حكم العقل الظنّى على الحكم الشرعى القطعى، وإليك نماذج: ۱ ـ قد بلغت السماحة وحب السلام لدى الاباضية أنّ فقهاءهم فضّلوا الصلح بين أى فئتين من المؤمنين وقع القتال بينهما، وأنّه لاينبغى لأحد أن يفضّل أىّ فئة منهما على الاُخرى، حتى لاتحدث فتنة، وفى ذلك قال أحد شيوخهم من المغاربة: «إنّه إذا وقعت الفتنة بين فئتين من المؤمنين فالأحبّ إلىّ أن يصطلحوا، فإن لم يفعلوا فالأحبّ إلىّ أن لاتغلب فئة فئة، فإنّ من أحبّ أن تغلب أحدهما الاُخرى فقد دخل فى الفتنة ولزمه ما لزمه أهل تلك، وكان سيفه يقطر دماً، والسلامة عندى أن يكونا فى البراءة سواء، لايرجّح احدى الطائفتين، فإنّه متى رجّح اُثم»(۲).

۱. لا حظ محاظراتنا فى الالهيات بقلم الشيخ حسن مكّى العاملى ۱/۲۴ .

۲. الدكتور رجب محمّد عبدالحليم: الاباضية فى مصر والمغرب: ۶۱، نقلا عن الدرجينى: طبقات المشايخ بالمغرب ۲/۴۹۱ . (۲۸۲)

لاشك انّ هذه الفتوى صدرت عن عاطفة القائل وكونه محبّاً للوئام والسلام، لكنّها عاطفة فى غير محلّها وربّما تتم لصالح الظالمين والفئات الباغية، والذكر الحكيم يصرّح بخلافه وانّه يجب مقاتلة الباغى إن لم يرجع إلى أمر الله، قال سبحانه:(وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الاُخْرَى فَقاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حَتَّى تَفِيءَ اِلَى أَمْرِاللهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالعَدْلِ وَ أَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)(۱) . وعلى ضوء ما ذكره القائل، فالواجب على المسلمين فى الفتنة التى أثارها طلحة والزبير فى خلافة على ـ عليه السَّلام ـ أو الفتنة التى أثارها ابن أبى سفيان بعد حرب الجمل، أن لاتفضّل أى فئة على الاُخرى حتى لاتحدث فتنة، وهذا النوع من حبّ الصلح والسلام أشبه بالخضوع لعاطفة عشواء ولو كان فى ذلك ركوب الباطل. ۲ - اتّفقت الاُمّة الإسلامية على أنّ الزنا بمجرّده لاينشر الحرمة بين الفاعلين إلاّ فى موارد خاصّة كما إذا كانت الزانية مزوّجة، ويسمى فى مصطلح الفقه« الزنا بذات الاحصان» وروت عائشة: أنّ النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ قال الحرام، لا يحرّم الحلال. ومع ذلك فقد جاءت الاباضية بفتوى شاذّة حسبها أنّها صيانة لكرامة المرأة حتى أنّ بعض المتأخّرين منهم صاغها فى قالب اجتماعى حسب أنّه ينطلى على أصحاب الفقه، قال: «لقد كانت بيئة الحياة فى الاُمّة المسلمة لا تبيح للمرأة أن تخلى برجل أجنبى ولا تبيح لرجل أن يختلى بامرأة اجنبية عنه، وذلك خوفاً من الفتنة، لأنّ الدوافع الجنسية قد تتغلّب على النفس عند الرجل أو عند المرأة وهما مختليان،

۱. الحجرات: ۹ . (۲۸۳)

فيصلان إلى المحذور، ويقع السوء الذى منه يحذران. ولقد درس الاباضية هذه المشكلة منذ خير القرون وانتهوا فيها إلى رأيهم الذى ينفردون به فيما أعرف، فحرّموا الزواج بين من ربطت بينهما علاقة إثم، وقد كانوا فى تحريمهم لهذا الزواج يستندون إلى روح الإسلام الذى يحارب الفاحشة . روت اُمّ المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن رسول الله أنّه قال: «أيّما رجل زنا بامرأة ثم تزوّجها فهما

زانیان إلی یوم القیامة»(۱) . یلاحظ علیه أوّلا: انّ الخضوع للعاطفة والتمسّک بهذه الذرائع إنّما یجوز إذا لم یکن فی المسألة دلیل من الشرع وإلاّ ـ فیضرب بها عرض الجدار، وإن نبع عن مبدأ عقلی!!! أو عاطفی، فإذا کان الکتاب والسنّة واجماع الاُمّة حاکماً بجواز التزویج فلایسوغ لنا التمسّک بهذه الوجوه، ویکفی فی ذلک اطلاق قوله سبحانه:(وَ أُحِلَّ لَکُمْ ماوَرآءَ ذلِکُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِکُمْ مُحْصِنِینَ غَیْرَ مُسافِحِین)(۲)، نعم عن بعض الفقهاء اشتراط الجواز بالتوبة، وعلی کلّ تقدیر فلیس فی الاُمّة من یحرّم إلاّ ـ الحسن البصری، وقوله شاذّ مخالف للکتاب واتّفاق الاُمّة. قال الشیخ الطوسی: إذا زنی بامراة جاز له نکاحها فیما بعد، وبه قال عامّة أهل العلم، وقال الحسن البصری:لایجوز، وقال قتادة ومحمّد (وفی نسخة أحمد): إن تابا جاز وإلاّ لم یجز، وروی ذلک فی أخبارنا(۳) . وقال ابن قدامة: «وإذا زنت المرأة لم یحل لمن یعلم ذلک نکاحها إلاّ بشرطین: _____

۱. علی یحیی معمّر: الاباضیة فی موکب التاریخ، الحلقة الاُولی ۱۱۱ ـ ۱۱۲.

۲. النساء: ۲۴.

۳. الشیخ الطوسی: الخلاف ج ۲، کتاب النکاح، المسألة ۷۱ ص ۳۷۸ . (۲۸۴) ۱ ـ انقضاء العدّة. ۲ ـ التوبة: وإذا وجد الشرطان حلّ نکاحها للزانی وغیره فی قول أکثر أهل العلم، منهم: أبوبکر وعمر و ابنه و ابن عباس وجابر بن زید وعطاء والحسن وعکرمة والزهری والثوری والشافعی و ابن المنذر و أصحاب الرأی، وروی عن ابن مسعود والبَراء بن عازب وعائشة: انّها لاتحلّ للزانی بحال، ویحتمل انّهم أرادوا بذلک ما کان قبل التوبة أو قبل استبرائها فیکون کقولنا، فأمّا تحریمها علی الاطلاق فلایصحّ لقول الله تعالی: (وَ أُحِلَّ لَکُمْ ماوَراءَ ذَلِکُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِکُمْ...)، لأنّها محلّلة لغیر الزانی فحلّت له کغیرها(۱) . ثانیاً: إنّ صیانة کرامة المرأة إنّما هو فی تجویز الزواج لافی التحریم لأنّ الزواج ـ بعد الإثم ـ یغطّی الفاحشة التی صدرت منهما عن جهالة، ویصیر الفاعلان فی المجتمع الإسلامی کزوجین شرعیّین یتعامل الناس معهما معاملة صحیحة وواقعیة، وأمّا إذا أفتینا بحرمة الزواج، فالمرأة المخدوعة المحکومة بحکم العاطفة ربّما تلتحق بالغانیات إذا انتشر أمرها وظهر سرّها، ورغب عنها کلّ شابّ غیور. ۳ ـ «قد وردت أحادیث کثیرة فی النهی عن الاستجداء والمسألة، واعتمد الاباضیة تلک الأحادیث الشریفة فمنعوا المسلم من إراقة ماء الوجه والتعرّض لمذلّة السؤال، فإذا هانت علیه کرامته، وذهب یسأل الناس الزکاة، حرم منها عقاباً له علی هذا الهوان، وتعویداً له علی الاستغناء عن الناس، والاعتماد علی الکفاح»(۲) . لاشک انّ السؤال و الاستجداء حرام شرعاً ومکروه فی بعض الموارد، _____

۱. عبد الله بن قدامة: المغنی ۷ / ۶۴ ـ ۶۵ .

۲. علی یحیی معمّر: الاباضیة فی موکب التاریخ، الحلقة الاُولی ۱۱۶ . (۲۸۵)

غیر أنّ الافتاء بتحریم الزکاة بحجّة صیانة ماء وجه السائل فتوی علی خلاف الکتاب والسنّة، ولو کان ذلک موجباً للتحریم لصدر فیه نصّ عن رسول الله لکثرة الابتلاءبها . أضف إلی ذلک انّه سبحانه یأمر باعطاء السائل وعدم نهره، یقول سبحانه: (وَ الَّذِینَ فِی أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ* لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ)(۱). وقال سبحانه: (وأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ)(۲) . وقال سبحانه: (وَ آتَی الْمَالَ عَلَی حُبِّهِ ذَوِی الْقُرْبَی وَالْیَتَامی وَالْمَسَاکِینَ وَ ابْنَ السَّبِیلِ وَ السَّائِلِینَ وَ فِی الرِّقابِ وأَقامَ الصَّلاةَ وآتَی الزَّکاةَ)(۳)، والآیة مطلقة تعم مورد الزکاة وغیره لولم نقل بورودها فیها. *** _____

۱. المعارج: ۲۴ ـ ۲۵ .

۲. الضحی: ۱۰ .

۳. البقرة: ۱۷۷ . (۲۸۶) (۲۸۷) خاتمة المطاف قد تعرّفت فی ماسبق علی عقائد الاباضیة وخصائصهم وقد اخترنا منها أموراً ثمانیة بقی هنا أمرٌ یطیب لنا أن نلفت نظر القارىء إلیه: أ ـ إنّ الاباضیة لتجویزهم التقیّة جعلوا مسالک الدین أربعة تنتهی فی المرحلة الرابعة إلی الکتمان المساوق للتقیّة، فقالوا: مسالک الدین أربعة: ۱ ـ الظهور ۲ ـ الدفاع ۳ ـ الشراء ۴ ـ الکتمان. إنّ للاباضیة لجنة تقوم بالاشراف الکامل علی شؤون المجتمع الاباضی تسمّی بـ «العزّابة» ولأجل ایقاف القارىء علی خصوصیّات وصلاحیّات هذه اللجنة

وشؤونها نأتی بنصّ کتابهم، فإلیک البیان: مسالک الدین عند الباضیة: إنّ المجتمع الإسلامی إمّا أن یکون ظاهراً علی أعدائه، حرّاً فی أراضیه، مستقّلا بأحکامه، عاملا بکتاب الله وسنّة رسوله، منفّذاً لأحکام الدین، لایخضع (۲۸۸)

لأجنبیّ بوجه من الوجوه، ولایستبدّ به حاکم، ولا یطغی علیه ذو سلطان، فهذه الحالة هی حالة الظهور، وهی أکمل الحالات للمجتمع المسلم، و علیها یجب أن تکون الاُمّة، لأنّها المنزلة التی ارتضاها الله للمؤمنین (وَ لِلَّهِ العِزَّةُ وَ لِرَسولِهِ وِ للمؤمِنینَ). فإذا انحدر المسلمون عن هذا المقام، وتضاءلوا عن هذا الشرف، ونزلوا عن هذه المرتبة التی رفعهم إلیها الإیمان بالله، والثقة فیه، فیجب أن لایهادنوا الظلم، وأن لایستکینوا للطغیان، وأن لایسمحوا للأیدی العابثة، أن تعبث بمقدّرات الاُمّة، فتنتهک حرماتهم، وتحول دون اُمور دینهم، وتتحکّم فی أعمالهم وعباداتهم، وتتصرّف فی أموالهم بغیر التشریع الذی وضعه عالم الغیب والشهادة، والهدی الذی ترکه محمّد ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ لأبناء الإسلام . إذا انحدرت الاُمّة إلی هذه الوهدة، فیسیطر علیها عدوّ أجنبی، أو تخلّی ـ من أولته الاُمّة ثقتها، وأسلمته مقالیدها، ووضعت بین یدیه رعایتها ـ عن الأمانة، وحاد بها عن الطریق، وخان الله ورسوله والمسلمین فیما وضع بین یدیه، وجب حینئذ أن یقف المسلمون فی طریق تلک الدولة الباغیة، یأمرونها بالمعروف، وینهونها عن المنکر، ویلزمونها أن تسلک بهم طریق الصواب، فإذا اعتزّت بالإثم، واستمرأن طعم الظلم، واستکبرت أن تخضع لأمرالله، وأن ترجع إلی سبیل الله، فحینئذ یأتی القسم الثانی من التنظیم الإسلامی وهو الدفاع، والدفاع فی مسالک الدین یرادف ما یعبّر عنه فی العصر الحاضر بالثورة...الثورة علی الاستعمار الأجنبی، أو الثورة علی الاستعمار الداخلی: کالثورة علی الظلم، والثورة علی الاقطاع، والثورة علی الفساد، والثورة علی الانحراف عن دین الله فی کلّ مظاهره وأشکاله. والزعیم الذی یقود هذه الثورة یسمّی «إمام الدفاع» وله علی الاُمّة الثائرة حق الطاعة والامتثال، مادامت (۲۸۹)

الثورة قائمة، فاذا استقرّت الاُمور، ورجعت إلی الهدوء والاستقرار، أصبح واحداً من أفراد الاُمّة، له حقوقهم، وعلیه واجباتهم، ورجوع الاُمور إلی نصابها یکون بأحد أمرین: إمّا نجاح الثورة، وإمّا فشلها، ونجاحها یکون بأحد أمرین: إمّا استجابة الدولة لمطالب الاُمّة، ورجوعها إلی أحکام الله، وفی هذه الحالة ینتهی عمل الثورة إلی هذا الحد. وإمّا الإطاحة بالنظام الفاسد، وقلب الحکم الظالم، وتغییره إلی نظام إسلامی، یتمشّی مع التشریع الذی جاء به کتاب الله الکریم، وعندئذ أیضاً لایکون لزعیم الثورة أو أمیر الدفاع، أیّ حق فی الحکم، إلّا إذا اختارته الاُمّة، لشروط توفّرت فیه بعد الهدوء والاجتماع و التفکیر والمفاضلة، حسب الشروط المتبعة فی اختیار أمیر للمؤمنین. فإذا ضعف المسلمون حتی عن هذا الموقف، وأصبحوا لایستجیبون لداعی الثورة، ویفضّلون طریق السلامة، ویرکنون إلی الدعة والاستراحة، جاء المسلک الثالث من مسالک الدین، وهو الشراء: فحق لقلّة منهم إذا بلغوا أربعین شخصاً أن یعلنوا الثورة علی الفساد، وبما أنّ هذه الثورة التی یقوم بها عدد قلیل، لایتوقّع لها النجاح فی کفاحها ضدّ دولة ظالمة مسلّحة، واُمّة مسالمة راضیة بالذل، فإن هذا التنظیم یشبه أن یکون شغباً علی دولة ظالمة حتی لاتطمئنّ إلی تنفیذ خططها الجائرة، وقد لاتکون لها نتائج غیر هذا القلق الذی یخیّم علی الظالمین، والتوجّس والخوف الذی یسود أعمالهم وحرکاتهم، ولذلک فقد اشترط لهذا التنظیم، شروط قاسیة لایقبلها إلّا الفدائیّون، الذین وهبوا حیاتهم لحیاة الاُمّة، وذلک أنّه لایحلّ لهم بعد أن ینخرطوا فی هذه المؤسّسة، أن یعودوا إلی بلادهم، أو یستقرّوا فی أمکنتهم، أو یتخلّوا عن رسالتهم، حتی ینتهی بهم الأمر إلی النجاح أو القتل، والقتل أقرب الأمرین إلیهم، وعندما تضطرّ الظروف أحدهم إلی منزله لشأن من شؤون تمدید الثورة، (۲۹۰)

کالتزوّد، فإنّه یعتبر فی منزله غریباً مسافراً یقصر الصلاة. ولکنّه عندما یکون فی شعف الجبال، أو بطون الأدویة، یقطع المواصلات علی الطغاة، أو یهدم الجسور التی تمرّبها القطر الظالمة، أو یقتلع اُسس القلاع التی تجمع ذخیرة الجبابرة، حینئذ یعتبر فی منزله وبین أهله، وهم فی کلّ ذلک لایحلّ لهم أن یروّعوا الآمنین، أو أن یسیئوا إلی المسالمین. إنّه تنظیم رائع للفدائیة فی الإسلام عندما یتحکّم الظلم، ویستعلی عبید الشیطان، وتعطّل أحکام الله بأحکام الإنسان، یقول أبو إسحاق: «الشراء من أخص أوصاف الاباضیة». فإذا رضیت الاُمّة بالذل، واستسلمت للظلم، وجری علیها حکم الطغاة، ولم یقم فیها من یثور لکرامة الإسلام المهدرة، ولالشرف الرسالة التی أعزّت

الإنسانية، وتغلّب حبّ الدعة على كلّ فرد، وركن الجميع إلى الراحة، فلم تتكوّن حتى الفدائية التى تقضّ مضاجع الظالمين، وتذكّرهم أنّ حكمهم لن يقر، وأنّ كراسيهم لن تستقر، وأنّ المقاومة لاتزال هى أمل المؤمنين، وانّهم سوف يحاسبون أمام الله، والأُمّة حساباً عسيراً. إذا ضعفت الأُمّة حتى عن هذه المرتبة، أصبحت تحت التنظيم الأخير، تنظيم الكتمان. وعندئذ يجب أن يبتعد المؤمنون عن مساعدة الظالمين بتولّى الوظائف الظالمة ، وأن تتولّى شؤونهم جمعيات تبثّ فيهم هداية الله، وتملأ قلوبهم بالإيمان بالله، وتنشر فيهم المعرفة والثقافة الاسلامية التى تبصّرهم بدين الله، فلاتكون علاقتهم بالظالمين إلّا فى أيسر طريق، وأضيق مجال، فيما يتعلّق بجباية الأموال المفروضة عليهم للحاكمين، وهى الجمعيّات، أو ما يسمّى فى التنظيم الاباضى «بحلقة العزّابة»(۱) .

۱. على يحيى معمّر: الاباضية فى موكب التاريخ، الحلقة الأُولى ۹۳ ـ ۹۶ . (۲۹۱) العزّابة: تعريف العزّابة: العزّابة هيئة محدودة العدد، تمثّل خيرة أهل البلد علماً وصلاحاً، وهذه الهيئة تقوم بالاشراف الكامل على شؤون المجتمع الاباضى، الشؤون الدينية، والشؤون التعليمية، والشؤون الاجتماعية، والشؤون السياسية. وهى فى زمن الظهور والدفاع تمثّل مجلس الشورى للإمام أو عامله ومن ينوب عنه. أمّا فى زمنى الشراء أو الكتمان فهى تمثّل الإمام وتقوم بعمله. تختار هيئة العزّابة من بينها شيخاً يسمّى «شيخ العزّابة» يكون أعلمهم وأكثرهم كفاءة، ولايشترط فيه أن يكون أكبر هم سنّاً، والشيخ يرأس الهيئة فى جلساتها، ويمثّلها فى جميع أعمالها، ويتكلّم باسمها، وينفّذ قراراتها، ويتولّى الاشراف المباشر على جميع شؤون البلد أو الأُمّة، ويجب أن تعرض عليه جميع المشاكل والأحداث، وحكمه بعد قرار الهيئة نافذ فى جميع الأحكام. اشتقاق كلمة العزّابة: اشتقّت هذه الكلمة من العزوب أو العزابة، وهى تعنى العزالة، والغربة، والتصوّف والتهجّد، والانقطاع فى رؤوس الجبال، ويقصد بها فى هذا الاستعمال الانقطاع إلى خدمة المصلحة العامة، والاعراض عن حظوظ النفس، والبعد عن مشاغل الحياة، من أهل ومال وولد، فإنّ العزّابى لايعطى لهؤلاء من جهده ووقته إلّا القليل، أمّا أعظم طاقته فيجب أن يصرفها لله فى خدمة المسلمين، دون مقابل يتقاضاه على عمله، أو أجر يرجوه منهم، لأنّ أجره وحسابه على الله. معنى كلمة الحلقة: كلمة الحلقة استعمال ثان يقصد به هيئة العزّابة، فهى مرادفة لها، وقد أُخذت هذه الكلمة من التحليق، وهو الاستدارة، وذلك انّ العزّابة فى اجتماعاتهم الرسمية يجلسون على هيئة حلقة أو دائرة، وهو أنسب وضع لتبادل الآراء، ودارسة وجهات النظر المختلفة. (۲۹۲) كما أنّ الجلوس على هذا الوضع أفضل حال عند الدراسة، أو تلاوة القرآن الكريم، والاتجاه إلى الله بالدعاء . مقرّ العزّابة: المقرّ الرسمى للعزّابة يكون فى المسجد، ولذلك فلزام أن يكون فى جانب من جوانب المسجد بيت خاص بالعزّابة، ويستحسن أن يكون بعيداً عن مجالس الناس، حتى لاتسمع المداولات التى تجرى فيه، وهذا البيت الخاص بهم لايجوز لغيرهم الدخول إليه مطلقاً، ويتحتّم على الجدد منهم أن يقوموا بتنظيفه ومراقبته وفرشه وملاحظة جميع مايلزمه، وفيه تحفظ وثائقهم فلايطّلع عليها أحد غيرهم. وجميع المداولات والمناقشات والمباحث التى تجرى داخله تعتبر سرّيّة، لايجوز اخراجها وافشاؤها لأىّ سبب من الأسباب، ماعدا القرارات التى تّتخذ للتنفيذ فيتولّى الشيخ اعلانها، وقد ينوب عنه أحد الأعضاء الآخرين، ولايجوز للعزّابة أن يناقشوا أى موضوع فى غيرمقرّهم الرسمى، وبعد أن ينتهوا إلى قرار فى أى موضوع يحق لهم أن ينتقلوا إلى مكان آخر لتنفيذ ذلك القرار، إذا كان تنفيذه يقتضى منهم الانتقال، وإذا أصدروا أمراً فى شأن من الشؤون الاجتماعية للبلد، كتحديد المهور، أو تحديد الأسعار، أوبدء العمل فى المواسم الزراعية، أو ما شاكل ذلك، فلم يستجب الجمهور لقرارهم، اعتصموا فى مقرّهم، ولزموا المسجد دون أن يقوموا بأعمالهم المعتادة، وامتنعوا من دخول الأسواق والبلد، حتى يستجيب الناس للحكم، ويقوموا بتنفيذ الأمر، ولم تحدث مثل هذه الحالة عند الاباضية فى ليبيا، إلّا عدداً قليلا من المرّات، استجاب فيها الناس لأمر العزّابة بأسرع مايمكن، بل لقد كان الناس يسارعون حين يسمعون بمثل هذا الموقف من العزّابة، فيقنعون بعضهم، ويبلّغون موافقتهم إلى المجلس قبل حضور وقت الصلاة الثانية، فتسيرالأُمور فى معتادها. (۲۹۳) عدد أعضاء الحلقة: يتراوح عدد أعضاء الحلقة بين عشرة أعضاء وستة عشر عضواً، يوزّع عليهم العمل كما يأتى: ۱ ـ شيخ العزّابة: ويكون أعلم القوم، وأقواهم شخصية، وأقدرهم على حلّ المشاكل. ۲ ـ المستشارون: ويكون عددهم أربعة لايزيدون ولاينقصون، ويلزمون الشيخ، ولايقطع أمراً دون موافقتهم. ۳ ـ الإمام: شخص واحد، يقوم بصلاة الجماعة، ويجوز أن يكون أحد الأربعة

المستشارين. ۴ ـ المؤذّن: وهو شخص واحد مسؤول عن تحرّى أوقات الصلاة، والقيام بمهمّة الأذان، ويصحّ أن يكون أحد الأربعة المستشارين. ۵ ـ وكلاء الأوقاف: يخصّص عضوان للاشراف على الأوقاف، وعلى ميزانيّة الحلقة، وضبط الواردات والصادرات، وطريقة اصلاح وتنمية الأوقاف، ويشترط فى هذين العضوين بالاضافة إلى الشروط العامّة لأعضاء الحلقة، أن لايكونا من الأغنياء المكثرين، ولامن الفقراء المعوزين، ولكن من متوسّطى الحال المستورين. ۶ ـ المعلّمون: يخصّص ثلاثة أعضاء أو أكثر أو أقلّ حسب الحاجة، للاشراف على التربية والتعليم، وتنظيم الدراسة، ومراقبة التلاميذ فى المحاضر، وهى دور التعليم، أو فى الأقسام الداخلية، وما إلى ذلك من شؤون التعليم . ۷ ـ حقوق الموتى: يخصّص أربعة أعضاء أو خمسة للاشراف على حقوق الموتى، فيتولّون الاشراف على غسلهم، وتجهيزهم، والصّلاة عليهم، ودفنهم ومراقبة تنفيذ وصاياهم، وتقسيم تركاتهم حسب الفرائض فى أحكام (۲۹۴)

الإسلام. وإذا توفّى شخص وهو فى براءة المسلمين بأن مات على معصية، فإنّ هؤلاء العزّابة لايقومون بحقوقه، لأنّ العاصى لاحقّ له على المؤمنين، ولكنّهم يسمحون لمن شاء من غير أعضاء الحلقة أن يقوم بتلك الحقوق، ذلك أنّ القيام بأُمور الميّت فرض على الكفاية، إذا قام به البعض أجزى عن الباقين. شروط العضوية: يشترط فى أعضاء العزّابة عدّة شروط، منها: ۱ ـ أن يكون حافظاً لكتاب الله. ۲ ـ أن يمرّ بمراحل الدراسة مرحلة مرحلة، ويستوفى الدراسة فيها. ۳ ـ أن يكون محافظاً على الزّى الرسمى للطلبة عندما كان فى الدراسة، وللزّى الرسمى للعزّابة عندما يدخل الحلقة . ۴ ـ أن يكون أديباً كيساً فطناً، ذا لباقة ومهارة فى تصريف الأُمور. ۵ ـ أن يكون محبّاً للدراسة راغباً فيها، مواصلا للتعلّم والتعليم. ۶ ـ أن لاتكون له مشاغل دنيوية كثيرة تحمله على كثرة التردّد على الأسواق، والاختلاط بالعامّة والسَوَقة، اختلاطاً يزرى بمقامه، ويذهب بهيبته . ۷ ـ أن يغسل جسده بماء ويغسل قلبه بماء و سدر، وهذه عبارة اصطلاحية، يقصد منها أن يكون الإنسان نظيف اليد، والبطن، والعين من أموال الناس، وأن يكون نظيف القلب من جميع أمراض القلوب، أى أن يكون طاهر الباطن والظاهر. وقد شرح أبو عمار عبد الكافى هذه العبارة، بقوله: «أمّا الجسد فيغسله من الدنس فى الناس، وأمّا القلب فيغسله من الغش والتكّبر وما أشبه ذلك ممّا يوجب حبط العمل» والعبارة كماترى فى غاية الدقّة، وهى تحتمل أكثر ممّا أشرت إليه وأشار إليه العلاّمة أبو عمار فتأمّلها، فكلّما تأمّلتها وجدت فيها (۲۹۵)

معنى جديداً.... ولقد شدّد المشايخ فى تنظيف المؤمن لقلبه، لأنّ أدران القلوب أشدّ قذارة من أدران الأبدان، ولذلك أوجبوا عليه أن يغسل جسده بالماء، وأن يغسل قلبه بماء وسدر، وهى كناية تفيد الحرص الشديد على نظافة الباطن أكثر من نظافة الظاهر، فإنّ من طهرت سريرته حسنت سيرته، واستقامت أُموره، وكثرت محاسبته لنفسه، ورعايته لسلوكه، وفى ذلك النجاح . واجبات الحلقة: على هيئة العزّابة واجبات أكيدة هى مسؤولة عنها باعتبارها هيئة، وتتلخّص هذه الواجبات فيما يلى: ۱ ـ الاشراف على التعليم وتهيئة الوسائل لذلك، وتيسير السبل أمام جميع الأطفال لينالوا قسطاً من الدراسة، ويتعلّموا جزءاً من القرآن الكريم وما يعرفون به أُمور دينهم، وهذا أقل ما يمكن أن يتاح للطفل، فإذا كانت أُسرة الطفل فقيرة بحيث لاتستغنى عن مجهوده الضعيف، أو ليس لها ما تموّنه به أوقات الدراسة، وجب أن تقدّم له مساعدة، وذلك بالانفاق عليه. ۲ ـ مراعاة الحالة الاجتماعية للناس، وتيسير سبل الحياة للفقير والضعيف وايجاد العمل للجميع، وذلك بمطالبة الأغنياء وأصحاب اليسار أن يستعينوا بالفقراء فى انجاز أعمالهم مقابل أُجور، كثيراً ما يعيّنها أعضاء العزّابة . ۳ ـ حلّ المشاكل التى تنجم بين الناس، والفصل فى قضاياهم، والحكم بينهم فى خصوماتهم وايصال الحقوق إلى أصحابها . ۴ ـ الاشراف على أوقاف المساجد، وعلى ميزانية الحلقة أو ضبط الصادر والوارد، وانفاق جميع ذلك فى وجوهه، والعمل على تنمية الأوقاف الثابتة، واصلاحها، واستغلالها أحسن استغلال. ۵ ـ حفظ الأسواق ومراقبتها من أن تقع فيها معاملات لايبيحها الشرع، أو (۲۹۶)

أن ترد إليها أموال مستربة أو مشبوهة. ۶ ـ تنظيم الحراسة البلدية على أموال الناس من زراعة وماشية حتى لاتصل إليها أيدى الغارة والسرقة والاضرار . ۷ ـ الحكم على العصاة والمجرمين وتأديبهم، واعلان البراءة منهم، وقطع التعامل معهم حتى يتوبوا ويرجعوا إلى الله . ۸ ـ القيام بالعلاقات الخارجية وتنظيمها، سواء كانت علاقات حرب أو سلام. هذه بعض المهام التى تناط بمجلس العزّابة باعتباره هيئة

مسؤولـة عن المجتمع أمام الله وأمام الناس، وعلى الهيئـة أن توزّع الأعمال على الأعضاء حسب الكفاءة والمقـدرة، والذى يقوم بذلك إنّما هو الشيخ بعد اتّفاق الحلقة. أين تنشأ حلق العزّابة: تنشأ حلق العزّابة فى كل بلد أو قرية، وحلقة العزّابة هم الذين يشرفون على اُمور البلـد أو القريـة الخاصّـة، فإذا كان هنالك أمر هام، أو حـدث أكبر من مستوى القريـة أو البلـد رفع إلى المجلس الأعلى للعزّابة الذى يرأسه الشـيخ الأـكبر، أو حـاكم الجبـل حسـبما كـان فى جبل نفوسـة، وذلك كمسائل ايقاع الحـدود، وما يتعلّق بالأمن العام، وما إلى ذلك من المشاكل التى تكون أكبر من المسـتوى المحلّى للقريـة، والهيئـة الكبرى للعزّابـة أو الهيئـة العامـة لهم هى الهيئة التى يرأسـها الشـيخ الأكبر، ولابـدّ أن يكون شـيخاً للعزّابـة فى بلـده ويقوم مقام الإمام فى أزمنـة الكتمان، أمّا أعضاء العزّابة الذين يكونون معه فهم المسـتشارون، ويكونون من شـيوخ حلق العزّابة فى بلدانهم. ومقرّهم هو مركز البلاد وعاصـمتها، ولهم مع الشيخ اجتماعات دورية، مرة فى كلّ ثلاثة أشـهر، ومتى دعت الحاجة. وأحكام هذا المجلس نافذة على جميع البلاد، وكل الحلق خاضع مادّياً وأدبيّاً لهذا المجلس، ويعتبر السلطة الحقيقية للمجتمع (۲۹۷)

الاباضـى، أمّا بقيـة الحلق فهى مساعـدة له، منفّذة لأعماله، ويجب على الشـيخ الأكبر للعزّابة ان يكون مقر حكمه فى مركز البلاد، فإذا اختار السـكن فى غير ذلك المكان فعليه أن يباشـر الأحكام فى مركز الحكم لا فى محل السـكن كما كان يفعل أبو هارون موسى بن هـارون، وأبو عبـدالله بن جلـداسن اللالـوتى، وأبو يحيى الارّجانى، وغيرهم. إنّ شـيخ العزّابـة فى المجتمع الاباضـى يمثّل سـلطة الإمام العادل، ويقوم بجميع مهامه فى النطاق الذى تسمح به ظروف الحياة فى زمن كل واحد منهم. وهو مقيّد بمجلس الشورى الذى لايحق له أن يصدر رأياً قبل موافقته، اللّهمّ إلّا فى الأحكام الثابتة فى الدين الإسـلامى، وله أن يسـتعين بشخص يقوم له مقام المفتى، والقصد من هـذا المفتى هو تحرير نصوص الحكم المسـتمدّة من الشـرع الشـريف، أو المساعـدة على ترجيح الأقوال فى المسائل الخلافية التى تتعدّد فيها وجهات أنظار الفقهاء. وليس المقصود من وجود المفتى أن يبصـر الشـيخ باحكام لا يعرفها، لأنّ شيخ العزّابة يشترط فيه أن يكون من أعلم المشايخ، إذا لم يكن أعلمهم. وفى الاجتماعات الدورية التى تعقد فى ثلاثة أشـهر، أو فى سـتّة أشـهر، يحضـر ممثّلون عن جميع حلق العزّابـة، ويسـتعرضون مـا لـديهم من مشاكـل، ويـدرسون معـاً وضع المجتمع، ويتّخـذون فى ذلـك القرارات اللازمـة، يرسـمون خطط السـير فى المسـتقبل، على أنّه يحق لكل حلقـة أن تتّصل بالمجلس الأعلى وتـدعوه للانعقاد إذا كانت هنالك أسـباب تـدعو إلى ذلك، كما أنّ لها الحق أن تعرض مشاكلها الخاصة على الشـيخ الأكبر، وتقتبس منه الرأى والنصيحة. ويمثّل كلّ حلقة من حلق العزّابة شيخها وبعض مستشاريه، إلّا فى أحوال الضرورة التى يتعذّر فيها عليه أن يقوم بهذه المهمّة. (۲۹۸) اختيار أعضاء الحلقة: يراعى فى اختيار العزّابـة بالاضافة إلى الشـروط التى يجب أن تتوفّر فى كل شـخص أن يكونوا ممثّلين للقبائل أو الجهات التى يشـتمل عليها البلد، ولايشترط تساوى العدد، كما أنّه إذا لم يوجد فى قبيلة ما ، من تتوفّر فيه الشـروط الشخصـية اُخذ من غيرها، وعندما يحتاج العزّابة إلى اضافة عضو جديد إلى الحلقة يأخذونه عن أحد طريقين: إمّا أن يطلبوا من القبيلة التى يراد أخذ العضو منها أن ترشّح عدداً معّين تتـوفّر فيهم شـروط العضويـة والكفـاءات المطلوبـة مـع الشـهرة بالصـلاح، والتقـوى، والعفـاف، والنزاهـة، وحب الخير، والايثـار، والتضحية، والعمل للصالح العام، فتختار الهيئة واحداً منهم، وإمّا أن يطلبوا إلى منظمة «إيزْوان» أن يقدّموا إليهم واحداً ممّن يملأ ذلك الفراغ . حين يتعيّن العضو لأن يشـغل مركزاً فى العزّابـة، يـدعى إلى مقرّهم الرسـمى ويتولّى الشـيخ تعريفه بالسـيرة التى يجب عليه أن يسـيرها، وبالأـدب الـذى يلتزمه، ويؤكّـد عليه أن يعرف انّ من أوكـد الواجبـات عليه أن يحافـظ على آداب الإسـلام، ويتخلّق بأخلاقه الحميدة، من الاستقامة والنزاهة، والعفّة، والانقطاع إلى خدمة الاُمّة، والتزام المسجد، والاعراض عن حظوظ الدنيا إلّا بمقدار الضرورة، والاجتهـاد فى العبـادة، والتواضع للمؤمنين، والغلظـة على العصـاة والمجرمين، وأن يكون قـدوة حسـنة للنـاس فى قوله وفى عمله، وأن يتحرّى فى رزقه التحرّى الكامـل، ويختار له أن يكون مجال احترافه الزراعـة، لأنّ التجارة تسبّب له احتكاكاً مباشـراً بالناس، فيغلب أن لايسـلم منها بالحق أو بالباطل، وهم يلخّصون هـذا الموقف فى عبارة مشـهورة متداولة هى: «أن لايكون فى مسـجده، أو حقله أو بيته» وبعد أن يعرّف بجميع ما يترتّب عليه من حقوق وواجبات، وما يلقى عليه من مهام ومسؤوليات، يطلب (۲۹۹)

إليه أن يعلن عن قبوله أو رفضه، فإذا أعلن قبوله ـ وهذا ما يحدث فعلا ـ أُسندت إليه المهامّ العملية، كأن يقوم بالتدريس أو وكالة المسجد، أو الاشتراك فى الاشراف على حقوق الموتى، ثمّ اعلم انّه يعتبر أصغر العزّابة، ولو كان أكبر من بعضهم سنّاً، وعليه أن يتولّى خدمتهم، ويطلب إلى سلفه ـ أى العزّابى الذى كان أصغرهم قبل هذا العضو الجديد ـ أن يبقى معه ثلاثة أيّام، يدرّبه فيها على آداب خدمة العزّابة، لأنّه يعتبر رئيسه المباشر، وعندما يجلس العزّابة يتحتّم أن يكون مجلسه بعده... وترتيب مجالس العزّابة ضرورى، فلايجوز للمتأخّر أن يسبق المتقدّم، والعزّابى يعتبر رئيساً فى أى مكان يوجد فيه، وله وحده حق افتتاح الكلام فى المجالس العامّة، وكذلك اختتامه، وادارة المناقشات، وما إلى ذلك، فلايجوز لتلميذ أو عامى أن يتولّى شيئاً من ذلك إلّا بإذنه. عقوبة العزّابى: المطلوب من العزّابى أن يكون قدوة ومثلا ـ للاستقامة، ولذلك فإنّ ما يعتبر من غير أخطاء صغيرة يعتبر منه أخطاء كبيرة يجب عليه الاحتراس منها، والابتعاد عنها، وهذا حتى فى مكارم الأخلاق، ومعاملة الناس، فإذا قدّر عليه فأخطأ، نظر مجلس العزّابة فى موضوعه: فإن كان الخطأ كبيراً يتّصل بمعصية الله، ويسىء إلى سمعة العزّابة، أو يلحق إهانة بالمسجد أو استخفافاً بالحق، أو ما أشبه ذلك، وجب عليهم أن يحكموا عليه بالبراءة على الأشهاد، كما يقع بالنسبة لغيره من الناس، ولايرفع عنه حكم البراءة حتى يتوب علناً، وليس له بعد ذلك حق الرجوع إلى مجلس العزّابة أبداً، فإنّ من أُخرج من هذا المجلس بطريق البراءة لايحق له دخوله مرّة (۳۰۰)

ثانية، وإن تاب ونصحت توبته، ويبقى كسائر المسلمين له حقوقهم وعليه واجباتهم. أمّا إذا كان الخطأ صغيراً لايقتضى التوبة، فإنّهم يعقدون له مجلس تأديب سرّى، وقد يحكمون عليه بالابعاد عن مجلس العزّابة لمدة طويلة أو قصيرة حسب الخطأ الذى ارتكبه، وستروا عليه ذلك عن الناس. وبسبب هذا الحكم كان العزّابة من أشد المحافظين على الإسلام وآدابه، وقد لخّص أحد المشايخ هذه السيرة فى عبارة لطيفة فقال: «إنّ متولّى الناس مثل اللبن يغّيره أى شىء يقع عليه» . كيف تكون نظام العزّابة: فى أواخر القرن الثالث الهجرى وقعت حادثتان كبيرتان، وكان لهما أثر كبير على الاباضية، فى ليبيا و تونس والجزائر: الأُولى: الحرب الطاحنة بين الأغالبة والاباضية فى قصر مانو، وقد تلقّى فيها الاباضية ضربة عنيفة من يد الطاغية أحمد بن الأغلب. أمّا الثانية: فهى تغّلب الشيعة على الدولة الرستمية فى الجزائر، وقضائهم على هذه الدولة. وإذا كانت كلتا الدولتين الأغلبية والشيعية لاتتبعان أحكام الإسلام، ولاتعملان بها، فقد فكّر علماء الاباضية فى جعل نظام يسيرون عليه، يحفظون به أحكام الله فى مواطنهم، ويسيّرون به الأُمّة فى الوجهة الصالحة، دون أن يلتجئوا إلى اعلان دولة جديدة، أو يتعلّقوا بدولة ظالمة مستبدّة. فاهتدوا إلى وضع هذا النظام، وقد كان فى أوّل الأمر عرفاً يسير عليه الناس، حتى جاء الإمام الكبير أبو عبدالله محمد بن بكر فى أواخر القرن الرابع، (۳۰۱)

فحرّره على شكل قانون يشتمل على مواد، ثمّ طبّقه تطبيقاً كاملا ـ فى مواطن الاباضية، فى ليبيا، ثمّ فى تونس، ثمّ فى الجزائر، حيث لايزال يطبّق بدقّة، وعلى هذا الأساس اعتبر المؤرّخون أنّ الإمام أبا عبدالله هو واضع نظام العزّابة، والحق أنّه يعتبر واضعاً لهذا النظام، فلولاه لما وصل إلينا على تلك الطريقة المنسّقة، وقد جاء بعد أبى عبدالله عدد من العلماء الكبار عنوا بدراسة هذا النظام عناية خاصّة، وأضافوا إليه بعض المواد، وأطلق عليه بعضهم لفظ «سيرة العزّابة» ومن العلماء الذين عنوا به، وكتبوا عنه: أبو زكريا يحيى بن بكر، وأبو عمّار عبدالكافى، وأبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتى، وقد حرص المتأخّرون منهم أن يضيفوا إليه جملا فى آداب العالم والمتعلّم، وآداب حلقة العزّابة وما يجب أن تتنزّه عنه. والذى يدرس هذا النظام كما شرحه أُولئك الأئمّة الأعلام يخرج بقانون فذّ لنظم التربية والتعليم من جهة، وللسيرة الصالحة التى يجب أن يسير عليها المسلمون، فتحفظ عليهم خلقهم ودينهم، عندما تسيطر عليهم دول البغى والعدوان. هذا ملخّص يسير مختصر عن نظام العزّابة الذى بقى يسير به الاباضية فى المغرب الإسلامى مُدّة طويلة . وقد ارتفع حكم العزّابة من مواطن الاباضية، فى ليبيا وتونس فى القرن الأخير، ومنذ ارتفع نظام العزّابة فى هذه المواطن تسرّب الفساد إلى المجتمع، ولن يستطيع الاباضية أن يعودوا إلى ما كانوا عليه من دين وخلق واستقامة مالم يعودوا إلى الاستمساك بدين الله واللياذ به، وانّ المسلمين جميعاً ما أُصيبوا به إلّا لانحرافهم عن دين الله، وخروجهم عن منهاجه. ولن يصلح آخر هذه الأُمّة إلّا بما صلح به أوّلها. *** (۳۰۲) نصيحة للاباضية أظن أنّ العالم الاباضى إذا قرأ فصول هذا الجزء لايرمينا بالبخس لحقّه، والتجاهل لمذهبه، والتساهل فى نقل

عقائده بعدم الرجوع إلى المصادر الأصيلة لهم، كما اتّهم به غيرنا من كتّاب المقالات (۱) . وذلك لأنّا كما رجعنا إلى كتب المخالفين رجعنا إلى مصادرهم أيضاً، ولنا هنا موقف خاص و هو موقف الناصح الشفيق لاخوانه فى الدين، لايريد من القاء هذا النصح سوى وجه الله ـ تبارك و تعالى ـ ودعم وحدة الأُمّة وقطع جذور الاختلاف بقدر الامكان. إنّ كتّاب الاباضية اليوم وأمس خرجوا بهذه النتيجة أنّه لافرق بينهم وبين جميع فرق المسلمين إلاّ فى أمرين: ۱ ـ تخطئة التحكيم. ۲ ـ نفى لزوم القرشيّة فى الإمام.

---

۱. على يحيى معمّر: الاباضية بين الفرق الإسلامية ۱/۱۹ ـ ۲۰ . (۳۰۳) وأمّا سائرالأُصول التى يعتقدون بها فهم يلتقون فيها مع بعض الفرق الإسلامية، مثلا يلتقون فى القول بعدم زيادة صفاته على ذاته، وامتناع رؤية الله سبحانه فى الآخرة، وتنزيهه سبحانه عن وصمة التشبيه بتأويل الصفات الخبرية تأويلا تؤيّده قواعد الأدب والمحاورة وحدوث القرآن، ففى هذه الأُصول يلتقون مع المعتزلة والشيعة الإمامية، وفى تفسير الشفاعة بمعنى ترفيع الدرجة، أو سرعة الدخول إلى الجنّة وخلود أهل المعاصى فى النار يلتقون مع المعتزلة، وفى تفسير القدر و كون أفعال الانسان مخلوقة لله سبحانه فهو خالق و العبد كاسب يلتقون مع الأشاعرة (۱) . إذا سلّمنا أنّ هذه الأُصول من عقائدهم وسلّمنا أنّ ما كتبه كتّاب الفرق ورموهم به فرية بلامرية، نرى أنّ من الواجب أن تقوم الطائفة الاباضية بالأُمور التالية حتى يدعم الوئام ويملأ الفراغ وتصبح الأُمّة يداً واحدة، وهى: ۱ ـ إنّ الإيمان بصحّة كل ما يكتبونه عن منهجهم ويفسّرون به عقائدهم مشكلٌ جدّاً لما وافاك من أنّ لهم فى تبيين الدين مسالك أربعة ومن بين تلك المسالك: «الكتمان والسر» فعندئذ انّه من المحتمل أن تكون كل هذه المناشير مستقاة من هذا المبدأ وأنّها دعايات برّرتها التقيّة، وسوّغتها المصالح الزمنيّة. فلأجل استقطاب قلوب الناس، حان حين الشطب على هذه المسالك فى تبيين الدين، خصوصاً انّ القوم يعيشون فى عصر الحريّة، وعندئذ لامبرّر لهم للتقيّة لأنّ التقيّة شأن من يخفى عقيدته من مخالفه، ويخاف من ابداء موقفه من الهجوم والقتل والضرب، وأنتم بحمدالله أيّها الاباضيّون ملتقون مع الفرق الإسلامية فى جميع المسائل إلاّ مسألتين غير هامّتين، فأجهروا بالحقيقة واشطبوا على هذه المسالك واتّخذوا مسلكاً واحداً . _____

۱. على يحيى معمّر: الاباضية بين الفرق الإسلامية ۱/۲۸۹ ـ ۲۹۷ . (۳۰۴) ۲ ـ إذا كان الحدّ الفاصل بينكم وبين سائر المسلمين هو الأمران المذكوران، فمن الجدير شطب القلم على هذين الأمرين ايضاً: أمّا مسألة القرشية فلو كان شرطاً فإنّما هو شرط فى الخلافة الإسلامية والإمامة الدينية، وأين المسلمون من هذه المنى؟ وأين هم به من إقامة صرح الإمامة، وهم يعيشون فى سحيق القومية البغيضة النامية فى أقوام المسلمين، والعجب انّ الشيخ على يحيى معمّر قد تنّبه بما ذكرنا، وقال: «والآن قد ألغت الحياة بعض تلك الاعتبارات التى أدخلتها السياسة على الموضوع، واتّضح للناس جميعاً انّ الصراع الذى وقع بسبب اشتراط الوصية، أو الهاشمية أو القرشية، أو العروبة أو اعتبار الإمام معصوماً، أو لايجوز اسقاطه ولو كان منحرفاً، كل هذه الجوانب التى كان الخلاف بسببها بين فرق الأُمّة ثبت اليوم أنه صراع على تفصيلات لاتدخل فى أصل الموضوع» (۱). إنّ فيما ذكره و إن كان إغراقاً حيث انّ البحث عن الوصاية ليس بالمرتبة التى تخيّلها، لأنّه كان يجب على المسلمين بعد رحلة النبى أن يبحثوا عن كيفيّة الاستخلاف وانّه هل هو أوصى برجل أو أدلى الأمر إلى الأُمّة، ولكن وراء ذلك كلّه مشاغبات حدثت بين المسلمين، لاتمت إلى الإسلام بصلة، فإذا كان شرط القرشية وعدمها هذا فما هو المبرّر لجعله أصلا دينياً. أما مسألة التحكيم، فقد عرفت الحقّ فيه، ولكنّه ليس أصلا من أُصول الدين يناط به الإسلام و الإيمان وقد عاش المسلمون فى عصر النبى وبعده إلى أواسط خلافة الإمام على ـ عليه السَّلام ـ ولم تكن هذه المسألة مطروحة. أفهل يصحّ أن نتّخذه شعاراً وأصلا أصيلا من الأُصول كالتوحيد، والنبوّة، والمعاد، وما جاء به النبى فى مجال المعاش والحياة؟ _____

۱. على يحيى معمّر: الاباضية بين الفرق الإسلامية ۲/۱۵۰ . (۳۰۵) إنّ مسألة التحكيم مسألة تاريخية اختلف فيها الناس من حيث التصويب والتخطئة، فإذا لم تكن الإمامة عند أهل السنّة، أصلا من الأُصول فكيف يكون فرعه اصلا منها؟ وأقصى ما عند أهل السنّة قوله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» وهو لايدل على أزيد من لزوم معرفة الإمام

الحى، فالاعتقاد بوصف فعل الإمام (صحّة التحكيم وعدمه) الذى مضى قبل أربعة عشر قرناً لايكون أصلا من الأُصول حتى تلزم الأُمّة بالاعتقاد بأحد الطرفين. نعم إنّ ذلك لايمنع عن طرح الموضوع على بساط البحث بين العلماء وبين المدارس والصفوف العلمية من دون أن يكون تحيّز كل فئة فى المسألة سبباً للتفرقة. ۳ ـ إنّ الاباضية يثنون على المحكّمة الأُولى كعبدالله بن وهب، وحرقوص بن زهير السعدى، وزيد بن الحصين الطائى، ومن لفّ لفّهم من المحكِّمة الأُولى ولايذكرون عنهم شيئاً سوى أنّهم خالفوا التحكيم، وانّ عليّاً حكَّم الرجال فى موضوع له حكم فى الكتاب والسنّة وهو قتال أهل البغى... يذكرون ذلك ويطرون عليهم ولايذكرون من عملهم الإجرامى شيئاً وهو أنّ هؤلاء هم الذين فرضوا التحكيم على الإمام، وانّ زيد بن الحصين الطائى جاء مع زهاء عشرين ألف رجل مقّنعين فى الحديد ونادوا الإمام باسمه لابإمرة المؤمنين، وقالوا له: لابد من الموافقة على وضع الحرب، وإلاّ نقتلك كما قتلنا عثمان، فاضطرّ الإمام إلى التنازل والموافقة بعد ما خالفهم واحتجّ عليهم بأنّ رفع المصاحف خدعة ومكيدة، وانّه يعرف هؤلاء وانّهم كانوا شرّ أطفال فصاروا شرّ رجال . هذا هو زيد بن الحصين الطائى فهو بعد فترة قصيرة أصبح مخالفاً للتحكيم إلى حدّ كان هو المرشَّح الأوّل للخوارج فى قضية سوق المحكّمة إلى النهروان، (۳۰۶)

ولمّا امتنع من قبول القيادة اقترح على حرقوص بن الزهير السعدى، ثمّ على غيره فقبل القيادة فى النهاية عبدالله بن وهب الراسبى(۱). فكيف يتولّون جماعة متسرّعين فى القضاء تسمّونهم أئمّة وشهداء ولاتذكرون من عملهم الاجرامى شيئاً؟! شهد الله انّى لم أر كلمةً فى كتبهم تذكر عملهم الإجرامى فى أمر التحكيم. ۴ - إنّ الاباضية وصلت فى ضوء الاجتهاد المطلق مرتبة جديرة بالذكر وآية ذلك انّهم التقوا فى مسألة الرؤية، وعينيّة الصفات، وحدوث القرآن، وتفسير الصفات الخبرية، مع أهل الوعى والعقل والتفكير من المسلمين، ولاشكّ إنّهم وصلوا إلى هذه الأُصول بعد موت عبدالله بن اباض، وجابر بن زيد، ومسلم بن أبى كريمة، والربيع بن حبيب، لأنّ هذه الأُصول إنّما صفت وتنوّرت وتلألأت بفضل البحوث الجبّارة من أهل الفكر و التحقيق و من فضل ماورث علماء أهل البيت من خطب الإمام أمير المؤمنين على ـ عليه السَّلام ـ حتى صقلوها ببراهينهم الجليّة، فإذا كان هذا حال مذهبهم فلأى مبرّر يسندون مذهبهم إلى واحد من التابعين كعبدالله بن اباض وجابر بن زيد وتلاميذه؟ مع أنّهم لم يكونوا بالنسبة إلى هذه المسائل فى حلّ ولامرتحل. أضف إلى ذلك أنّ الرجلين كانا من التابعين أخذوا عن الصحابة وبلغوا إلى ما بلغوا من العلم، ولكن بين علماء الأُمّة من كان أعلم منهما أعنى أُستاذه ابن عباس، ذلك البحر الموّاج ـ حسب تعابير القوم ـ بل وبينهم الإمامان الحسن و الحسين، وباقر العلوم، وجعفر الصادق(عليهم السلام) وغيرهم فلوكان هناك ملزم للانتساب، فالانتساب إلى الأعلم والأتقى ومن نصّ الكتاب على وجوب ودّه، أولى وألزم، فإن كان هذا الانتماء غير ممكن فالانتماء إلى _____

۱. الطبرى: التاريخ ۴/۵ . (۳۰۷)

جميع الصحابة والتابعين بلا رفع واحد و خفض آخر، أولى وأحق . ۵ ـ إذا كان الكتاب و السنّة هما المصدران الرئيسيان لدى المسلمين ولديكم فنحن نحيّذ لكم دراسة حال حياة الإمام على ـ عليه السَّلام ـ ومناقبه الواردة فى السنّة النبوية، ولعلّكم عند ذلك سترجعون عن ولاء المحكّمة الأُولى، وتخطّئون منهجهم وأعمالهم. هذه أمنيتى وأُمنية كل ناصح مشفق، عسى الله أن يجمع كلمة المسلمين ويلمَّ شعثهم، ويجعلهم يداً واحدة قبال المعتدين والمستعمرين، والله رؤوف رحيم. ***

الفصل الحادى عشر مؤسس المذهب الاباضى

الفصل الحادى عشر مؤسس المذهب الاباضى ودعاته فى العصور الأُولى (۳۱۰) (۳۱۱) قد تعرّفت على عقائد الاباضية وشيئاً من أُصولهم وفقههم وسيرتهم والمسالك الأربعة عندهم، فحان التعرّف على أئمّتهم و دعاتهم فى القرون الأُولى، خصوصاً أنّ الاباضية هى الفرقة الوحيدة الباقية من الخوارج المنتشرة فى مناطق مختلفة أعنى عمان، الجزائر، تونس، ليبيا، مصر، المغرب وزنجبار. ۱ ـ عبدالله بن اباض، مؤسّس المذهب: هو عبدالله بن اباض المقاعسى، المرى، التميمى ـ من بنى مرّة ـ ابن عبيد ابن مقاعس من دعاة الاباضية بل

هو مؤسّس المذهب. قد اشتهرت هذه الفرقة بالاباضیة من أوّل یوم، وهذا یدل علی أنّه کان لعبدالله بن اباض دور فی نشوء هذه الفرقة وازدهارها، وإن کانت الفرقة یطلقون علی أنفسهم أسماء اُخری یشترک فیها سائر المسلمین کأهل الإسلام وأهل الحق أو جماعة المسلمین، وغیر ذلک، غیر أنّ هذه الأسماء لم تکن وافیة بالتعرّف علیهم بل کان المعرّف لهم عنوانین: ۱ ـ القعدة ۲ ـ الاباضیة. کل ذلک یشرف الإنسان علی الاطمئنان بأنّ لابن اباض تأثیراً هامّاً فی (۳۱۲)

نشوء هذه الفرقة، وإلیک البیان: ظهور خط الاعتدال بعد مقتل الإمام: قد عرفت أنّ علیّاً ـ علیه السَّلام ـ قد قضی علی الخوارج الذین کانوا یثیرون الشغب، ویستعرضون الناس بالسیف، فلمّا مضی علی ـ علیه السَّلام ـ وضع معاویة بن أبی سفیان السیف فی الخوارج واستأصل شأفتهم لما کانوا یرتکبون من الأعمال الإجرامیة التی عبّر عنها علی ـ علیه السَّلام ـ فی خطبة له: «کلّا والله إنّهم نطف فی أصلاب الرجال وقرارات النساء. کلّما نجم منهم قرن قطع، حتی یکون آخرهم لصوصاً سلّابین»(۱) . وقال ـ علیه السَّلام ـ مخطاباً لهم: «أما إنّکم ستلقون بعدی ذلّا شاملا، وسیفاً قاطعاً، وأثرة یتّخذها الظالمون فیکم سنّة»(۲) . ففی هذه الظروف القاسیة وجد بینهم رجل یملک شیئاً من العقل ورأی أنّ تلک الأعمال الإجرامیّة تسقطهم عن العیون ولا تُبلِغُهم إلی الهدف، وهو «أبو بلال مرداس بن حدیر» ونقطة البدایة فی دعوة أبی بلال کانت هی انکار مسلک العنف وما یذهبون إلیه من قتل المخالفین واستعراض الناس، فأمر أتباعه أن لا یُجرِّدوا سلاحاً، ولایقاتلوا مسلماً إلاّ إذا تعرّضوا لعدوان، أو واجهوا قتالا فکان علیهم حمل السلاح دفاعاً عن النفس، وینقل البلاذری عنه قوله: «إنّ تجرید السیف واخافة السبیل لأمر عظیم، ولکنّا نشذّ عنهم ولانجرّد سیفاً _____

۱. الرضی: نهج البلاغة، الخطبة ۶۰ .

۲. الرضی: نهج البلاغة، الخطبة ۵۸ . (۳۱۳)

ولا نقاتل إلاّ من قاتلنا»(۱) . ویؤیّد الکاتب انّ خط الاعتدال، ظهر بعد مقتل الإمام علی ـ علیه السَّلام ـ بقوله: «إنّ هذا المسلک (التطرّف) منهم، دعا بعض من کانوا یوازرونهم، إلی مخالفتهم، والافتراق عنهم، بل وتوجیه شدید النقد علیهم،...هذا البعض ـ الذی تشدّد بعد أن کانوا لهم مؤیّدین ـ بدا لهم رأی غیر الذی ارتأوه جمیعاً ورأوا أنّ علیّاً وإن أخطأ فی قبول التحکیم، وإن لم ینزل عند طلبهم علیه التوبة ممّا فعل، وکذلک سائر أهل القبلة الذین مازالوا علی الشهادتین، إنّما هم مسلمون لایجوز قتالهم، ولاسبی نسائهم، ولیست أموالهم غنیمة، وانّ قتالهم لایکون إلاّ فی حالة بغی وعدوان منهم، فهنا یجب القتال بمقدار مایلزم لدفع العدوان وردّ البغی (۲) . ویقول: إنّ المحکّمة بعد واقعة النهروان افتقدوا وحدة الصف، وشاعت فیهم الفرقة، وساد الاضطراب، ممّا دفع بعضهم إلی الغلو فی التطرّف، وتنکُّبِ الطریق السوی، ووجد بینهم من استنکره ولم یجد بداً من الافتراق عن هؤلاء الذین عرفوا بالخوارج، إیماناً منهم بأنّ طریق الاستعراض بالسیف، لیس هو طریق الإسلام، وقد کان علی رأس هؤلاء – الذین عرفوا بالقعدة ـ أبو بلال مرداس ومن خلفه من الدعاة الذین عرفوا فیما بعد بالاباضیة(۳). وقد تأثّرت عدّة من الخوارج بهذه الفکرة واستفحلت دعوة أبی بلال، وظهرت معالمها، غیر أنّ بنی اُمیّة لم یکونوا یرضون بوجود قدرة ماثلة أمامهم، _____

۱. صالح بن أحمد الصوافی: الإمام جابر بن زید العمانی: ۱۳۸ وما نقله عن البلاذری مذکور فی الأنساب ۵/۹۴ .

۲. صالح بن أحمد الصوافی: الإمام جابر بن زید العمانی: ۱۰۵ و ۱۳۱ ـ ۱۳۲ .

۳. نفس المصدر . (۳۱۴)

فلأجل ذلک استعمل ابن زیاد (والی البصرة) بعد موت أبیه زیاد بن أبیه، الشدّة والقسوة علی جمیع المحکِّمة متطرّفیهم ومعتدلیهم، فقتل أبابلال مرداس بن حدیر فی منطقة نائیة عن البصرة(۱)کما قتل أخاه عروة بن ادیة(۲) فی البصرة فقطّع أیدیه ثمّ صلبه. ففی البصرة اتّبع عمّال الأمویین سیاسة البطش والتعذیب والنفی والقتل ضدّ معارضیهم بصفة عامّة، ولم یستثنوا من هذه السیاسة جماعة القعدة، ورغم انّ هذه الجماعة لم تأخذ بأسلوب الخوارج فی التطرّف والعدوان، وترویع الآمنین، ورفع السیف فی وجه الدولة، إلاّ أنّ عمّال بنی اُمیّة فی بلاد العراق، شدّدوا علیها خوفاً من دعوتها التی کانت تستسری بین الناس، وتحاشیاً للشرّ قبل وقوعه، وقمعاً للنفاق

قبل أن ينجم. وازاء هذا الإضطهاد لجأت القعدة إلى السرّية والكتمان، وظلّوا على هذا الأمر(إلّا فی فترة ثورة ابن الزبير) حتى جاء عصر الحجاج بن يوسف الذی قام بدوره فی اضطهاة من ينكشف لديه أمره(۳) . وبعد ما ثار عبدالله بن الزبير على عمّال يزيد، ودانت له الحجاز والعراق، فعند ذلك اجتمعت الخوارج وعلى رأسهم نافع بن الأزرق وعبدالله بن صفّار وعبدالله بن اباض، فزعموا أنّه ربّما يوجد عنده أُمنيتهم، ولكن بعدما وقفوا على عقائده فی حق عثمان وأصحاب الجمل تفرّقوا عنه، وغادروا مكّة المكرّمة فمنهم من ذهب إلى البصرة ومنهم من ذهب إلى حضرموت. وفی هذه اللحظة الحسّاسة بدأ الخلاف بين ابن الأزرق وعبدالله بن اباض

---

۱. قتل أوائل خلافة «يزيد» فی منطقة «آسك» قريبة من الأهواز عام ۶۰ .

۲. وهو الذی سلّ السيف على الأشعث بعد عقد التحكيم كما عرفت تفصيله.

۳. الدكتور رجب محمّد عبدالحليم: الاباضية فی مصر والمغرب: ۳۲ ـ ۳۳ . (۳۱۵)

فاختار الأُوّل الخروج وسلّ السيف، وقتل المخالفين وسبى النساء وأنكر الثانی هذا التطرّف، كل ذلك حوالى عام ۶۴ إلى ۶۵ من الهجرة، فقتل الأوّل بسبب تطرّفه فی ناحية الأهواز وبقی الثانی يعيش فی ظل الاعتدال والتقيّة. كل ذلك يعرب عن أنّ عبدالله بن اباض كان فی تلك الفترة رجلا كاملا لايقلّ عمره عن عمر الدعاة الذين يقودون اُمّة ويتأمّرون عليهم، ولعلّه كان فی تلك الأيام من أبناء الأربعين لو لم يكن أكثر، فعلى ذلك نخرج بهذه النتيجة انّه كان من مواليد سنة ۲۴ من الهجرة فيكون أصغر بسنتين من جابر بن زيد على رواية أو ستّ سنوات على رواية اُخرى . هذا من جانب، ومن جانب آخر نرى أنّه يخاطب عبدالملك بن مروان فی رسالة إليه بقوله: «فلا تسأل عن معاوية ولاعن عمله ولا عن صنعته غير انّا قد أدركناه ورأينا عمله وسيرته فی الناس، ولا نعلم أحداً اترك للقسمة التی قسم الله، ولالحكم حكمه الله، ولا أسفك لدم حرام منه»(۱) . كل ذلك يعرب عن أنّ عبدالله بن اباض كان رجلا كاملا وداعياً قويّاً إلى خط الاعتدال وكان هو الناطق باسم هذه الجماعة، فنسب المذهب إليه لأجل ذلك ،فكونه هو المؤسّس للمذهب أو الداعی القوی إلى خط الاعتدال الذی أسّسه أبو بلال هو الأقوى بالنظر إلى النصوص التاريخية، والناظر إلى رسالته التی كتبها إلى عبدالملك بن مروان يجده مناظراً قويّاً ينقض دليل خصمه بحجّة أقوى من حجّته، ونذكر منه نموذجاً: احتجّ عبدالملك على صلاح معاوية بقوله: «إنّ الله قام معه وعجّل نصره وبلّج حجّته وأظهره على عدوّه بالطلب لدم عثمان....» فأجابه فی ذلك _____

۱. الحارثی: العقود الفضية: ۱۲۲ كما فی «الإمام جابر بن زيد» وسيوافيك نصّ الرسالة برمّتها عن مصدر آخر. (۳۱۶)

عبدالله بن اباض بقوله: «فإن كنت تعتبر الدين من قبل الدولة والغلبة فی الدنيا فإنّنا لانعتبره من قبل ذلك، فقد ظهر المسلمون على الكافرين لينظر كيف يعملون (۱) وظهر المشركون على المؤمنين ليبلى المؤمنين ويُعلى الكافرين...فلا تعتبر الدين من قبل الدولة...». ولو كان هو الكاتب لتلك الرسالة(۲) ولم تكن مملاة عليه لدّل على احاطته بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية. كل ذلك يؤيّد انّه هو المؤسّس الثانی للمذهب بعد انطماس خط أبی بلال. وبما أنّ فی تلك الرسالة احتجاجات على الطغمة الأمويّة، وفی الوقت نفسه، تعكس الأحوال السائدة فی تلك الأيّام، نأتی بنصّها فی آخر هذا الفصل و هی من المواثيق التاريخية. هذا ما وقفنا عليه بعد الغور فی التاريخ . رأی آخر فی المؤسّس : هناك رأی آخر هو أنّ المؤسّس هو جابر بن زيد التابعی، تلميذ ابن عبّاس وغيره كما سيوافيك، وأنّ عبدالله بن اباض كان ناطقاً عن الجماعة التی كان يرأسها ويقودها ذلك التابعی سرّاً وخفاء . يقول على يحيى معمّر: «وبعد وفاة جابر بن زيد ظهر عبدالله بن اباض بأجلى مظاهر الغيرة الدينية ولقّن أصحابه مبدأ الإقدام فی تقرير الحق، وقمع أهل الجور والظلم،

---

۱. لعلّه اشارة إلى قوله سبحانه فی حقّ بنی اسرائيل قال: (عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهلِكَ عَدُوَّكُمْ وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِی الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) ـ الاعراف ۱۲۹ ـ .

۲. قد نقل البرّادی فی كتاب الجواهر المنتقاة رسالة ابن اباض فی ۱۵۶ ـ ۱۶۷ والكتاب مطبوع بمصر طبعة حجرية، كما نقلها مؤلف

السير والجوابات لبعض أئمة الاباضيّة . (۳۱۷)

المنحرفين عن جادة الصواب، حتى ظهرت هذه الفرقة الناجية المحقة الصادقة فى أدوارها الوجودية فى حالتى الكتمان والظهور»(۱) .

وقال أيضاً: «فقد كان يحضر مجلس جابر بن زيد عدد من الطلاب كقتادة، وأيّوب، وابن دينار، وحيّان الأعرج، وأبى المنذر تميم بن حويص، ومنهم من يأخذ عنه أكثر ممّا يأخذ من غيره، أو يكاد يختصّ بمجلسه، كأبى عبيدة بن مسلم، وضمام، وأبى نوح الدهان، والربيع بن حبيب، وعبدالله بن اباض، ومن هؤلاء الطلاب من كان يشتغل أثناء التحصيل وبعده بالشؤون العامة، ومنهم من اشتغل بالمسائل السياسية ومطارحاتها مع حكّام الدولة الأموية فى ميدان الكلمة دون استعمال السيف كعبدالله بن اباض، ومنهم من جلس للتدريس وأخذ مكان الإمام كأبى عبيدة أبى نوح الدهان وقام بنفس الدور وتخصّص فيه (۲). إنّ ما ذكره بصورة أمر قاطع غير ثابت فى التاريخ، كيف وأغلب الظن انّ عبدالله بن اباض مات قبل جابر وانّه كان يقود أمر القعدة فى حياة جابر، وإن كانت الأقوال فى زمان حياته مختلفة، فمن قائل إنّه مات عام ۸۰ إلى آخر إنّه مات قرابة ۸۶، إلى ثالث بأنّه مات سنه ۱۰۰ بالمغرب ودفن فى جبل نفوسه، كما أنّه اختلفت الأقوال فى حق جابر وأكثر الأقوال إنّه مات عام ۹۴، ذكر بعض المؤرّخين انّه مات عام ۱۰۴، فكيف يمكن أن يكون عبدالله هو القائم بالأمر بعد وفاة جابر؟ ويظهر تقدّم قيادة عبدالله بن اباض على جابر، من الدكتور رجب محمّد عبدالحليم: قال: إنّ القعدة أو جماعة المسلمين هم الذين انظمّوا إلى جابر بن

۱. على يحيى معمّر: الاباضية فى موكب التاريخ، الحلقة الأُولى ۱۵۱ .

۲. الاباضية بين الفرق الاسلاميّة ۲/۱۳۵ ـ ۱۳۶ . (۳۱۸)

زيد، وانضووا تحت قيادته بعد أن انتهى دور عبدالله بن اباض، فبعد أن رأوا مدى القوّة التى ينعم بها هذا الفقيد الأزدى بسبب مساندة الأزد له، لدرجة انّ الحجّاج المشهور بالبطش والعنف لم يجرأ على قتله عندما عرف صلته بالاباضية واكتفى بنفيه إلى بلدة عمان ولم يلبث أن عاد منها إلى البصرة مرّة أُخرى، ولم يتعرّض له الحجاج فى كثير أو قليل(۱) . ويقول فى موضع آخر: ولمّا أحسّ الحجاج بنشاط جابر بن زيد الذى تولّى أمر جماعة القعدة بعد عبدالله بن اباض، ألقى به فى السجن ثم نفاه إلى عمان، ولمّا عاد منها، ألقى به فى السجن مرّة ثانية، كما سجن قيادات القعدة الآخرين(۲) . وهناك نظرية ثالثة وهى أنّ الرجلين كانا متعاصرين، غير أنّ المصلحة الزمنية كانت توجب اختفاء جابر وظهور عبدالله بن اباض فى الساحة. يقول الدكتور صالح بن أحمد الصوافى: «لقد آثرت الجماعة أن يظل أمر جابر مستوراً ولعلّ مرجع ذلك مارأوه من عظم الخسارة فيما لو اشتهر أمر جابر وأخذوه بالشدّة، فإنّ ذلك يفقد الجماعة عقلها المدبّر وزعيمها الحقيقى، ولقد بالغ جابر فى التخفّى حتى قدّم سواه للتحدّث باسم الجماعة ومُناظرة خصومه، وكان عبدالله بن اباض أحد أُولئك الذين تحدَّثوا كثيراً باسمهم حتى لقد ظن انّه الزعيم الحقيقى للجماعة فنسبها الآخرون إليه، وعرفوها بأنّها جماعة الاباضية مع أنّ عبدالله بن اباض لم يكن إلّا واحداً من أفرادها قدّمه زعيمها ـ جابر بن زيد ـ للتحدّث عنهم ومناظرة خصومهم»(۳) .

---

۱. الاباضية فى مصر والمغرب: ۲۰۰ .

۲. الاباضية فى مصر و المغرب: ۳۳.

۳. صالح بن أحمد الصوافى: الإمام جابر بن زيد العمانى ۱۵۳ . (۳۱۹) يلاحظ عليه: أنّه مجرد استحسان وتحليل حدسى لم يقترن بدليل، وقد عرفت اقتران الرجلين فى الولادة والوفاة وظهور عبدالله بن اباض فى الدعوة أيّام يزيد بن معاوية، ولم يكن يومذاك اسم من جابر ولاخبر. ثمّ إنّ الكاتب لمّا رأى أنّ المذهب منتم إلى ابن اباض طيلة قرون، حاول أن يصحّح وجه النسبة إليه وإنّه كان فرداً واحداً من القعدة، وذلك بوجهين: ۱ ـ إنّ هذه الجماعة لم تطلق على نفسها اسم الاباضية بل كانوا يسمّون أنفسهم أهل الدعوة أو جماعة المسلمين. ۲ ـ إنّ تسمية الاباضية إنّما أطلقها على هذه الجماعة مخالفوهم فى فترات تالية، وربّما كان الأمويّون كما يرى البعض هم الذين أطلقوا عليهم هذا الاسم نسبة إلى عبدالله بن اباض لأنّ الأخير كان من علمائهم وشجعانهم والمناظر باسمهم، كما أنّ

الأمويّين لايريدون نسبة هذه الفرقة إلى جابر حتى لايجذبوا إليه الأنظار، ولايبدو فی حياة جابر المشرقة، فتميل إليهم النفوس، فنسبوهم إلى عبدالله بن اباض وهو أقلّ منزلة من جابر فی العلم و إن كان لايقلّ عنه فی التقوى والورع والصلاح (۱). ولا يخفى ضعف الوجهين: أمّا الأوّل فلأنّ الهدف من التسمية هو التعرّف على المسمّى، ومن المعلوم أنّ اللفظين المذكورين لفظان عامّان لايكونان مشيرين إليه. وأمّا الثانی: فمجرّد حدس لادليل عليه ، ولم يكن جابر بن زيد من المشاهير والأعلام بين العلماء والمحدّثين حتى تكون التسمية باسمه موجباً للانجذاب، بشهادة انّه ليس لجابر روايات وافرة فی الصحاح والمسانيد. _____

۱. الدكتور صالح بن أحمد الصوافی: الإمام جابر بن زيد ۱۶۱ ـ ۱۶۲ نقلا عن تاريخ المغرب الكبير، لمحمّد على دبوز ۲/۲۹۸ . (۳۲۰) ولعلّ القول الحق ما يذكره الصوافی فی آخر كلامه ويقول: إنّ جماعة الاباضية كانت حريصة على التخفّی والتسترّ ولم تبد كجماعة خارجة، وكان أوّل ظهور لها عندما راح عبدالله بن اباض يتحدّث باسمها ويبعث برسائل إلى الأمير الأموی عبدالله بن مروان، فكان من الطبيعی أن تنسب هذه الجماعة إلى من أبدى للخليفة نفسه على أنّه صاحب الرأی والكلمة (۱) . أضف إلى ذلك أنّه لم يثبت كون جابر بن زيد من الاباضية، وسيوافيك انّه كان يصلّی خلف الحجاج ويأخذ جوائزه. ۲ ـ جابر بن زيد العمانی الأزدی: وهو الشخصية الثانية التی تتبنّاها الاباضية زعيماً ومؤسّساً لمذهبهم وقد أطروه فی كتبهم، وقد تعرّفت على الاختلاف فی ميلاده ووفاته، فهو من رجال النصف الثانی من القرن الأوّل، وقد طلع نجمه فی هذه الفترة، وهو عمانی عاش فی العراق وأمضى أكثر عمره فی البصرة احدى عواصم العراق العلمية، وإليك كلمات أهل الرجال فی حقّه. ۱ – قال أبو حاتم الرازی: جابر بن زيد أبو الشعثاء الأزدی اليحمدی روى عن ابن عباس والحكم بن عمرو وابن عمر، روى عنه عمرو بن دينار وقتادة وعمرو بن هرم. سمعت أبی يقول ذلك. وعن عطاء انّ ابن عباس قال : لو أنّ أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علماً عن كتاب الله عزّوجلّ، وقال عكرمة: كان ابن عباس يقول: هو أحد العلماء، و عن تميم بن حدير عن الرباب قال: سألت ابن عباس عن شیء، فقال: تسألوننی وفيكم ابن زيد؟

---

۱. الدكتور صالح بن أحمد الصوافی، الإمام جابر بن زيد: ۱۶۲ ـ ۱۶۳ . (۳۲۱) وعن أبی هلال، عن داود، عن عذرة قال: دخلت على جابر بن زيد، فقلت: إنّ هؤلاء القوم ينتحلونك ـ يعنی الاباضية ـ ، قال: أبرأ إلى الله عزّوجلّ من ذلك، وعن يحيى بن معين يقول: أبو الشعثاء جابر بن زيد روى عنه قتادة، بصری، ثقة. وقال أبو زرعة: إنّه بصری أزدی، ثقة(۱). ۲ ـ وقال أبو زكريا النووی بمثل ما قاله الرازی وأضاف: قال أحمد بن حنبل وعمرو بن على والبخاری: توفّی سنة ثلاث و تسعين، وقال محمّد بن سعد: سنة ثلاث ومائة، وقال الهيثم: سنة أربع ومائة (۲) . ۳ ـ وقال ابن حجر العسقلانی بمثل ما قالا، وأضاف: وقال العجلی: تابعی ثقة، وفی تاريخ البخاری عن جابر بن زيد قال: لقينی ابن عمر فقال: جابر! إنّك من فقهاء أهل البصرة، وقال ابن حبان فی الثقات: كان فقيهاً، ودفن هو وأنس بن مالك فی جمعة واحدة، وكان من أعلم الناس بكتاب الله ، وفی كتاب الزهد لأحمد: لمّا مات جابر بن زيد، قال قتادة: اليوم مات أعلم أهل العراق. وقال اياس بن معاوية: أدركت الناس ومالهم مفت غير جابر بن زيد. وفی تاريخ ابن أبی خيثمة: كان الحسن البصری إذا غزا أفتى الناس جابر بن زيد. وفی الضعفاء للساجی: عن يحيى بن معين: كان جابر اباضياً، وعن عكرمة: صفرياً، وأغرب الأصيلی فقال: هو رجل من أهل البصرة لايعرف، انفرد عن ابن عباس بحديث: «من لم يجد إزاراً فليلبس السراويل» ولايعرف هذا الحديث بالمدينة(۳). _____

۱. أبو حاتم الرازی: الجرح والتعديل ۲/۴۹۴، رقم ۲۰۳۲ .

۲. أبو زكريا النووی (ت ۶۷۶)، تهذيب الأسماء واللغات ۱/۱۴۲، رقم ۹۸ .

۳. تهذيب التهذيب ۲/۳۴ ،رقم ۶۱ . (۳۲۲) ۴ ـ وقال أيضاً: جابر بن زيد، أبو الشعثاء الأزدی الجوفی (۱) ـ بفتح الجيم وسكون الواو بعدها فاء ـ البصری، مشهور بكنيته، ثقة فقيه، من الثالثة، مات سنة ۹۳، ويقال: ومائة (۲) . ولم يذكره الذهبی فی ميزان الاعتدال ولا ابن حجر فی لسانه، وقال الأوّل فی سير أعلام النبلاء: روى جابر عن ابن عباس، قال: آخى النبی بين الزبير وابن مسعود. وفی موضع

آخر منه روی قتادة، قال: سمعت جابر بن زید یحدّث عن ابن عباس قال: تقطع الصلاة الحائض(۳) . هذا ما وقفت علیه فی کتب الرجال من أحوال الرجل، وقد قامت الاباضیة فی العصور الأخیرة بترجمته ترجمة وافیة، وقد اطروه وإلیک نبذاً من کلماتهم فی حقّه: کلمات الاباضیة فی حقّ جابر: هذه نصوص علماء الرجال من أهل السنّة ولاعتب علینا أن نشیر إلی کلمات اتباع الرجل وإن طال بنا المقام. ۱ ـ لم یکن جابر بن زید ممّن عرف عنهم المیل إلی التمرّد أو الثورة، فلم یُعرف عنه أنّه کان ضمن الذین خرجوا علی الإمام علی بن أبی طالب، أو اعتزلوه أو تمرّدوا علیه، إذ أنّه ولد فی عمان فی الفترة ما بین عامی ۱۸ و ۲۲ هـ، ثمّ رحل إلی البصرة یطلب العلم، وهو شاب فی زمن لاـ نعرفه، ولایمکن تحدیده، وغلب انّه رحل إلیها بعد سنّ العشرین حیث کان شابّاً یستطیع تحمّل مشقّة

---

۱. ینسب إلی درب الجوف وهی محلّة بالبصرة.

۲. ابن حجر العسقلانی: تقریب التهذیب ۱/۱۲۲، رقم ۵ .

۳. الذهبی: سیر أعلام النبلاء ۱/۴۹۰ و ۱۰/۲۵۲ . (۳۲۳)

السفر و الترحال. والمعروف أنّ التحکیم الذی أدّی إلی انفصال جزء من جیش علی عنه، وقیامهم بمعارضته والخروج علیه، کان فی رمضان من عام ۳۷، وحدثت معرکة النهروان التی أکّدت هذا الانفصال وکرّسته فی عام ۳۸ هـ. وعلی ذلک فإنّ جابر بن زید امّا أنّه لم یکن موجوداً فی البصرة عند وقوع هذه الأحداث، أو انّه کان موجوداً، ولکنّه لم یشارک فیها علی أی نحو من الأنحاء، لأنّ کتب التاریخ السنّیة والشیعیة والاباضیة لم یرد فیها ذکر لأی شیء یتعلّق به، أو حتی مجرّد ذکر اسمه فی تلک الفترة، ولم یسمع أحد شیئاً عن جابر بن زید إلاّ بعد انتهاء هذه الأحداث لحوالی أربعین عاماً عندما أتی الحجاج بن یوسف الثقفی إلی العراق والیاً علیه من قبل عبدالملک بن مروان فی عام ۷۵ (۱). ۲ ـ إنّ مؤسّس مذهب الاباضی لم یکن ممّن شهدوا حرب الجمل او صفّین أو النهروان، ولم یکن ضمن هؤلاء الذین رفعوا السیف فی وجه الدولة أو حاربوها من الخوارج وغیرهم، بل کان یأتلف معها، فقد کان یأخذ عطاءه من الحجاج بن یوسف الثقفی، کما کان یأخذ جائزته ویحضر مجلسه ویصلّی خلفه. ولذلک کان من مبادئ الاباضیة بعد جابر، جواز الصلاة خلف أهل القبلة کلّهم، وخلف الجبابرة فی أی بلد غلب علیه الجبابرة، ویجیزون الغزو معهم أیضاً، کما کانوا یأخذون بأحکامهم، ولایرون فی ذلک بأساً طالما أنّ أحکامهم کانت موافقة للحقّ والعدل، وکانوا یستحسنون أفعالهم إذا جاءت علی هذه الصفة. من ذلک: ما حدث عندما عرض علی عبدالملک بن مروان أمر رجل ــــــــــــــــ

۱. الدکتور رجب محمّد عبدالحلیم: الاباضیة فی المصر والمغرب: ۱۵ . (۳۲۴)

تزوّج من امرأة أبیه ظنّاً منه انّها تجوز له، فأمر عبدالملک بقتله علی جهله فیما لایجوز الجهل به، وقال: لاجهل فی الإسلام ولاتجاهل، فاستحسن جابر بن زید هذا العمل من عبدالملک وقال عنه: إنّه أحسن وأجاد. وما ذاک إلاّ لما تمیّز به هذا الفقیه الکبیر، تمیّز مذهبه من صفة التسامح والاعتدال، ولما قام علیه هذا المذهب من اُسس واُصول (۱). ۳ - إنّ جابراً کان یصلّی الجمعة فی المسجد الجامع فی البصرة خلف عبیدالله بن زیاد، وکان یقول لهم: إنّها صلاة جامعة وسنّة متّبعة. وذکروا: انّه کان یتناول من الحجاج عطاء مقداره ستمائة أو سبعمائة درهم ویصلّی خلفه، وعرض علیه الحجاج أن یولّیه القضاء ولکن جابراً رفض هذا العرض(۲) . ۴ ـ إنّ العلم مثله مثل طائر باض فی المدینة المنّورة، وفرّخ بالبصرة، وطار إلی عمان (۳). یرید انّه فرّخ بالبصرة بید جابر، ولمّا مات جابر انتقل العلم إلی عمان و ذلک قبیل نهایة القرن الثانی للهجرة حیث قامت الإمامة الاباضیة فی عمان عام ۱۷۷، وصارت هذه البلاد حجر الزاویة ومرکز الثقل السیاسی بالنسبة إلی المذهب و الدعوة. ۵ ـ إنّ جابر بن زید الأزدی من أهل البصرة، یروی عن عبدالله بن عباس، وقد لقی جابر بن زید عائشة اُمّ المؤمنین وسألها عن بعض مسائل، فلمّا خرج عنها قالت: لقد سألنی عن مسائل لم یسألنی عنها مخلوق قط، وإنّما توفّی ــــــــــــــــ

۱. الدکتور رجب محمد عبدالحلیم: الاباضیة فی مصر والمغرب: ۵۷ ـ ۵۸ .

۲. الدکتور رجب محمد عبدالحلیم: الاباضیة فی مصر والمغرب: ۱۶ ـ ۱۹ ـ ۳۲ .

۳. یکرّرون هذا التعبیر فی غیر واحد من کتبهم وهو من المغالاة فی القول . (۳۲۵)

جابر ـ رضی الله عنه ـ سنة ثلاث سنین ومائة (۱). ۶ ـ اشتهر انّه لایماکس فی ثلاث: فی کراء إلی مکّة، وفی عبد یشتری لیعتق، وفی شاة التضحیة، وکان یقول: لانماکس فی شیء نتقرّب إلیه. روی أنّه رأی أحد الحجبة یصلّی فوق الکعبة، فنادی: یا من یصلّی فوق الکعبة لاقبلة لک(۲) . ۷ - إنّ جابراً أحد المؤلّفین فی الإسلام وقد کان لدیوانه رنّة، وکان موضع تنافس بین دور الکتب الإسلامیة، واستطاعت مکتبة بغداد أن تحصل علیه و أن تبخل به عن غیرها من المکتبات. یقول علی یحیی معمر: کان لهذا الکتاب قیمة کبری لما فیه من علم وهدی، ولقربه من عصر النبوّة، ولأخذ مؤلّفه عن الصحابة ـ رضوان الله علیهم ـ ، وکانت له قیمة اُخری أثریة وهی أنّه أوّل کتاب ضخم اُلّف فی الإسلام. وإنّه لمن المؤسف أن یضیع هذا التراث العظیم من مکتبة بغداد عندما اُحرقت تلک المکتبة العظیمة. وضاعت منها آلاف النفائس، کما أنّه من المؤلم المُرّ أن تضیع النسخة التی وصلت إلی لیبیا، فیما ضاع من التراث الإسلامی العظیم بسبب الجهل والحقد وطلب الرفعة عند الناس، ولیس أعظم محنة من ضیاع التراث العلمی والخلقی والدینی لاُمّة مسلمة لایستقیم حاضرها إلاّ ـ علی القواعد المتینة التی ابتنی علیها ماضیها، ولن یصلح حاضر هذه الاُمّة إلاّ ـ بما صلح به أوّلها(۳) .

---

۱. ابن سلام الاباضی: بدء الاسلام وشرائع الدین: ۱۰۸ .

۲. علی یحیی معمّر: الاباضیة فی موکب التاریخ، الحلقة الاُولی: ۱۴۸.

۳. علی یحیی معمّر: الاباضیة فی موکب التاریخ، الحلقة الاُولی: ۱۵۰ . (۳۲۶) ۸ ـ إنّ جابراً أخذ عن عبدالله بن مسعود وجابر بن عبدالله وأبی هریرة وأبی سعید الخدری، وقال: کان جابر بن زید یلتقی بأُمّ المؤمنین عائشة ویأخذ عنها العلم ویسألها عن سنّة الرسول، وقد سألها یوماً عن جماع النبی وکیف کان یفعل، وانّ جبینها یتصبّب عرقاً وتقول عائشة: سل یا بُنیّ، ثم قالت له ممّن أنت؟ قال: من أهل المشرق من بلد یقال لها عُمَان. ولمّا کان هذا السؤال بظاهره بمعزل عن الوقار علّق علیه صاحب «تحفة الأعیان» بقوله: المراد انّه سألها عن مقدّمات الجماع التی یجوز السؤال عنها حرصاً منه ـ رضی الله عنه ـ علی نقل السنّة وجمعها کی یکون المسلم مقتدیاً برسول الله فی کل أعماله دقیقها وجلیلها. یلاحظ علیه: أنّه لو صحّ السؤال لما نفع هذا التعلیق وأمثاله ممّا حشدها مؤلّف الکتاب وهو یعرب عن سذاجة الرجل و عدم عرفانه بموضع السؤال والمسؤول، والعجب انّ جواب اُمّ المؤمنین لم یذکر فی هذه الکتب ولم تصل السنّة إلی أیدیهم، ولعلّ تکذیب أصل القضیة أولی من توجیهها. وهناک ملاحظة حول حیاة جابر وهو أنّ صلاته خلف الحجاج تبرّرها التقیة، وأمّا أخذ الجوائز الذی هو بمعنی دعم ولایته واضفاء المشروعیة علیها، فهل تبرّره التقیّة؟ أو کان من واجبه التخلّی عنها کما تخلّی عن قبول القضاء؟ إنّ ما جاء فی هذه الکلمات من کون الرجل اباضیاً مدعماً لمبدئه قاصر عن افادة الاطمئنان و الاذعان، فإنّ التقیّة أمر مشترک بین الاباضیة وغیرهم، فالذی یوجب تقدیر الرجل بل تقدیر تلک الطائفة، انّهم یملکون الشجاعة الأدبیة فی الاجهار بجواز التقیة والسلوک علیها فی حیاتهم، بینما یفقدها غیرهم من فرق أهل السنّة، فهم یعملون بالتقیة فی حیاتهم السیاسیة والاجتماعیة ولکن لایجاهرون بجوازها لو لم یکونوا مجاهرین بحرمتها!

(۳۲۷) فقه جابر بن زید: قد قام «یحیی محمّد بکوش» بجمع أقوال وآراء جابر من بطون الکتب، وهو یقول فی مقدّمة الکتاب: «فقد وجدت فی بطون الکتب أقوالا عدیدة للإمام جابر بن زید سواء ذلک فی کتب الاباضیة أو فی غیرها، من کتب المذاهب الاُخری، ثمّ رجعت إلی کتب الحدیث فالتقیت بروایاته منبثّة من هنا وهناک فانقدحت فی ذهنی فکرة أجمع ما یتیسّر لی جمعه وضمّه فی مجموعة اُخرجها للناس...وفی أثناء بحثی ظهر للاُستاذ الصوافی کتاب یتناول هذا الجانب فاطّلعت علیه واستفدت منه کما اطّلعت أثناء ذلک علی کتاب للاُستاذ «عوض خلیفات» الذی درس نشأة الحرکة الاباضیة فی المشرق فاستفدت منه أیضاً...وقد قسّمت الکتاب إلی أبواب بلغت أحد عشر باباً، وکل باب یشتمل علی مسائل متفرّقة قد لایجمع بینها سوی أنّها تنسب إلی ذلک الباب، وإلیک فهرس

الأبواب: ۱ ـ فی حیاة الإمام جابر بن زید، فیه ۱۳ مسألة. ۲ ـ فی مسائل القرآن وعلومه، فیه ۴۱ مسألة . ۳ ـ فی الطهارات، فیه ۱۹ مسألة . ۴ ـ فی الصلاة، فیه ۴۴ مسألة. ۵ ـ فی الزکاة، فیه ۱۲ مسألة. ۶ ـ فی مسائل الصوم، فیه ۱۸ مسألة . ۷ ـ فی مسائل الحج، فیه ۳۰ مسألة. ۸ ـ فی مسائل النکاح والطلاق، فیه ۶۱ مسألة . ۹ ـ فی المعاملات، فیه ۲۱ مسألة. ۱۰ ـ فی الأقضیة والأحکام، فیه ۱۵ مسألة. (۳۲۸) ۱۱ - فی الزکاة والأطعمة والکفّارات والنذور والوصایا والمواریث، فیه ۳۱ مسألة (۱) . ثمّ إنّ الکتاب خرج فی ۷۲۸ صفحة، وربّما یتخیّل القارىء فی بادیء النظر أنّ أکثر ما جاء فیها یرجع إلی آراء جابر وأقواله وأفکاره، ولکنّه بعد ما سبر الکتاب سرعان ما یرجع ویقف انّ مجموع ما روی عنه فی تلک الأبواب ـ لو جمع فی محل واحد ـ لایتجاوز عن عشر صفحات، ولکن المؤلّف اتّخذ طریقة المقارنة الفقهیة وطلب لآراء المذاهب دلیلها، فجاء الکتاب کتاباً ضخماً فی الفقه، هو لایمت إلی جابر بصلة إلّا قلیلا. هذا وقد بسط المؤلّف الکلام فی ترجمة جابر فی الباب الأوّل، ومن أراد التبسّط فلیرجع إلیه. ۳ ـ أبو عبیدة مسلم بن أبی کریمة (ت حوالی ۱۵۸ هـ) : هذا هو الشخصیة الثالثة لفرقة الاباضیة وله ترجمة فی کتب الرجال والتاریخ کما له ترجمة مفصّلة فی کتب الاباضیة، ونذکر ما وقفنا علیه فی القسم الأوّل ثمّ نردفه بکلمات الاباضیة. قال الحافظ الرازی: «مسلم بن أبی کریمة روی عن علی ـ رضی الله عنه ـ، روی عنه...(کذا)، سمعت أبی یقول ذلک ویقول: هو مجهول (۲) . ولو کان المقصود من العنوان هو المترجم فیروی عن علی ـ علیه السَّلام ـ بواسطة أو واسطتین کما لا یخفی. وعنونه ابن حبّان فی الثقات، واکتفی بنقل اسمه فقط وقال: مسلم بن ــــــــــــــــــــ

۱. یحیی محمّد بکوش: فقه الإمام جابر بن زید: ۷ ـ ۸ وفهرس الکتاب .

۲. الرازی: الجرح والتعدیل ۸/۱۹۳ برقم ۸۴۵ . (۳۲۹)

أبی کریمة (۱) . وقال ابن الجوزی: مسلم بن أبی کریمة، قال الرازی: مجهول(۲) . ولم أجد له ترجمة فی الکتب الرجالیة، وأمّا کلمات الاباضیة فی حقّه، فإلیک بیانها: یقول علی یحیی معمّر: أبو عبیدة مسلم بن أبی کریمة التمیمی الذی توفّی فی ولایة أبی جعفر المنصور المتوفّی سنة ۱۵۸ هـ، وقد أدرک من أدرکه جابر بن زید، فروایته عن جابر روایة تابعی عن تابعی. وقد روی أبو عبیدة أیضاً عن جابر بن عبدالله وأنس بن مالک وأبی هریرة وابن عباس وأبی سعید الخدری وعائشة اُمّ المؤمنین (۳) ـ رضی الله عنها ـ وروایته هذه عنهم موجودة فی هذا المسند الصحیح (۴) وهی روایة تابعی عن تابعی . شیوخه: أخذ أبو عبیدة العلم عمّن لقیه من الصحابة وعن الجابرین: جابر بن عبدالله وجابر بن زید، وعن ضمار السعیدی وجعفر السماک وغیرهم. تلامیذه : وحمل العلم عن أبی عبیدة خلق کثیر، منهم الربیع بن حبیب الفراهیدی صاحب المسند، وفیهم: حملة العلم إلی المغرب و هم: أبو الخطاب ــــــــــــــــــــ

۱. محمد بن حبّان بن أحمد التمیمی البستی: الثقات ۵/۳۵۴ و ۴۰۱ .

۲. عبدالرحمان بن الجوزی: کتاب الضعفاء و المتروکین ۳/۱۱۸ دار الکتب العلمیة، بیروت ۱۴۰۶، ولاحظ بدء الاسلام: ۲۶، ۹۹، ۱۱۰، ۱۱۴، ولسان المیزان ۶/۳۲ .

۳. سماعه عن اُمّ المؤمنین عائشة و أبی هریرة بعید جداً إلّا أن یکون الرجل من المعمّرین .

۴. اشارة الی مسند الربیع بن حبیب، والصحیح أن یقال: الجامع الصحیح، کما سیوافیک . (۳۳۰)

المعافری، وعبدالرحمن بن رستم وعاصم السدراتی، وإسماعیل بن درار الغذامسی، وأبو داود القبلی النفراوی، وکان الإمام أبو الخطاب المعافری قد جاء من الیمن فرافق الأربعة من أهل المغرب فخرج معهم إلی بلادهم، فنصّبوه علیهم بأمر شیخهم أبی عبیدة. وبأمره نُصّب الإمام عبدالله بن یحیی الکندی فی أرض الیمن، وجمعت إمارته الیمن والحجاز، وأقام حملة العلم عنده خمس سنین فلمّا أرادوا الوداع سأله إسماعیل بن درار عن ثلاثمائة مسألة من مسائل الأحکام. فقال له أبو عبیدة: «أترید أن تکون قاضیاً مع ابن درار؟ قال: أرایت ان ابتلیت بذلک» (۱). وقد روی عنه أنّه قال: من لم یکن له اُستاذ من الصحابة فلیس هو علی شیء من الدین، وقد منَّ الله علینا بعبدالله بن عباس، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن سلّام(۲) . ۴ ـ أبو عمرو ربیع بن حبیب الفراهیدی: إنّ الربیع من أئمّة الاباضیة وهو صاحب المسند المطبوع، ولم نجد له ترجمة وافیة فی کتب الرجال لأهل السنّة (۳) ونکتفی فی المقام بما ذکره الاُستاذ التنوخی

فی مقدّمته علی شرح الجامع الصحیح مسند الإمام الربیع بن حبیب: «ومن یمن الطالع عن الحدیث أن یکون الربیعان: الربیع بن صبیح والربیع بن حبیب فی طلیعة رکب الجامعین للحدیث، والمصنّفین فیه، ومن _____

۱. علی یحیی معمّر: الاباضیة بین الفرق الاسلامیة ۱/۱۶۶ ـ ۱۶۷ .

۲. صالح بن أحمد الصوافی: الإمام جابر بن زید العمانی، وقد ترجم له ترجمة مفصّلة وذکر مواقفه فی تنظیم الدعوة ومجالها، والانتهاز من مواسم الحج لنشر المذهب واعمال السیاسة السرّیة والأخذ بالتقیّة، فمن أراد فلیرجع إلیه (۱۶۹ ـ ۱۷۵) .

۳. له ترجمة فی بدء الاسلام ۱۱۰، والاعلام ۳/۱۳ . (۳۳۱)

الأسف أن لاندری شیئاً عن مصیر مسند ابن صبیح وعسی أن یهتم بذلک الباحثون عن نفائس المخطوطات، ومن لطف الباری أن أبقی لنا مسند الربیع بن حبیب، ثمّ من نعمه علیّ أن وفّقنی لإعادة نشره مع شرح علاّمة عمان عبدالله بن حمید السالمی ولم یطّلع علی المسند وشرحه فی علماء مصر والشام والعراق إلاّ قلیل. الثلاثیات: قد ذکر أئمّة الحدیث أنّ رتب الصحیح تتفاوت تفاوت الأوصاف المقتضیة للصحیح، وانّ المرتبة العلیاما اطلق علیه بعض رجال الحدیث أنّه أصح الأسانید الثلاثیة کسند الزهری عن سالم بن عبدالله بن عمر عن أبیه، وسند إبراهیم النخعی عن علقمة عن ابن مسعود، وسند مالک عن نافع عن ابن عمر، وهو قول البخاری لأنّ هذه الأسانید قصیرة السند و قریبة الاتصال بالینبوع المحمّدی ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ . ویشبه هذه الثلاثة الذهبیة سلسلة مسند الربیع بن حبیب وثلاثیاته... أبو عبیدة عن جابر بن زید عن ابن عباس، ورجال هذه السلسلة الربیعیة من أوثق الرجال وأحفظهم و أصدقهم، لم یشب أحادیثها شائبة انکار ولا ارسال ولاانقطاع ولااعضال. ولمزایا هذه الثلاثیات اهتمّ کثیر من أئمّة الحدیث بتألیف الثلاثیات . ۱ ـ ثلاثیات الإمام أحمد المطبوعة أخیراً بدمشق سنة ۱۳۸۰ هـ، وشرحها فی جزأین الإمام محمّد السفارینی، وعدد ثلاثیاته خمسة وستون ومائة حدیث. ۲ ـ ثلاثیات البخاری وهی فی صحیحه ثنان و عشرون حدیثاً. (۳۳۲) ۳ ـ ثلاثیات الدارمی وهی خمسة عشر حدیثاً وقعت فی مسنده بسنده. ۴ ـ ثلاثیات الربیع بن حبیب الأزدی، وأحادیثها فی مسنده، ورجال سلسلتها الثلاثیة هم أبو عبیدة التمیمی، وجابر بن زید الأزدی، والبحر عبدالله بن عباس ـ شیخ جابر ـ، وغیره من الصحابة . وقد طبع هذا المسند القدیم مع شرحه للإمام عبدالله السالمی فی أربعة مجلدات طبع اثنان منها فی مصر والثالث بدمشق، ولقد سبرته ولمست أنّ الرجل کان یملک شیئاً من الانصاف، فلابأس بالاشارة إلی بعض خصوصیاته. انطباعات عن الجامع الصحیح: هذا الجامع: مسند الربیع بن حبیب الأزدی البصری رتّبه أبو یعقوب یوسف بن إبراهیم الوارجلانی وطبع فی أربعة أجزاء تبلغ عدد صفحاته ۳۰۲ صفحة، طبع بدمشق سنة ۱۳۸۸ هـ بتقدیم عبدالله بن حمید السالمی وأشرف علی طبعه محمود غیران. أکثیر المؤلّف فی هذا المسند الروایات عن ضمام بن السائب البصری العثمانی عن جابر. ثمّ عن أبی عبیدة (مسلم بن أبی کریمة). ثمّ عن أبی نوح (صالح بن نوح). ثمّ عن سائر مشایخه . وأکثر الروایات فی الکتاب موقوفات تنتهی إلی الصحابة الاّ قلیل منها مسند إلی النبی ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ وممّا یشهد علی کون الرجل موضوعیاً أنّه نقل الروایات عن علی بن أبی طالب ـ علیه السَّلام ـ وإلیک روایاته عنه: (۳۳۳) «الباب (۹) ما روی عن علی بن أبی طالب»: «فی التعظیم لله عزّوجلّ ونفی التشبیه له سبحانه عن الأشباه» قال الربیع: بلغنی عن أبی مسعود، عن عثمان بن عبدالرحمن المدنی، عن أبی إسحاق والشعبی قال: کان علی بن أبی طالب یقول فی تمجید الله عزّوجلّ: الحیُّ القائمُ الواحدُ الدائمُ فکّاک المقادِمِ ورزّاقُ البهائم، القائمُ بغیر منصبة، الدائم بغیر غایة، الخالق بغیر کلفة، فأعرَفُ العباد به الذی بالحدود لایصفُهُ ولا بما یوجد فی الخلق یتوهّمه، لاتدرکه الأبصار وهو یدک الأبصار . «الباب (۱۰) خطبة علی»: قال الربیع: وأخبرنا أبان قال: حدثنا یحیی بن إسماعیل، عن الحارث الهمدانی قال: بلغ علیّاً أنّ قوماً من أهل عسکره شبّهوا الله وأفرطوا، قال: فخطب علی الناس فحمدالله وأثنی علیه ثمّ قال: یا أیّها الناس اتّقوا هذا العارقة(۱) فقالوا: یا أمیر المؤمنین وما العارقة؟ قال: الذین یشبّهون الله بأنفسهم، فقالوا: وکیف یشبّهون الله بأنفسهم؟ قال: یضاهئون بذلک قول الذین کفروا من أهل الکتاب إذ قالوا: خلق الله آدم علی صورته، سبحانه وتعالی عمّا یقولون، سبحانه وتعالی عمّا یشرکون، بل هو الله الواحد الذی لیس کمثله شیء، استخلص الوحدانیة والجبروت، وأمضی المشیئة والارادة والقدرة والعلم بما هو

کائن، لامنازع له فی شیء، ولاکفؤ له یعادله، ولاضد له ینازعه، ولاسمیّ له یشبهه، ولامثل له یشاکله، ولاتبدو له الاُمور، ولاتجری علیه الأحوال، ولا تنزل به الأحداث، وهو یجری الأحوال وینزّل الأحداث علی المخلوقین، لایبلغ الواصفون کنه حقیقته ولایخطر علی القلوب مبلغ جبروته لأنّه لیس له فی _____

۱. وفی نسخة الفارقة. (۳۳۴)

الخلق شبیه ولا له فی الأشیاء نظیر، لاتدرکه العلماء بألبابها ولاأهل التفکیر بتدبیرها وتفکیرها إلا بالتحقیق إیماناً بالغیب لأنّه لایوصف بشیء من صفات المخلوقین و هو الواحد الذی لاکفؤله (وَ أَنَّ مَا یَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الباطِلُ وَ أَنَّ اللهَ هُوَ العَلِیُّ الکَبِیرُ). «الباب (۱۱) قصة الیهودی مع علی بن أبی طالب»: قال: وأخبرنا إسماعیل بن یحیی قال: حدثنا سفیان(۱) عن الضحّاک قال: جاء یهودی إلی علی بن أبی طالب فقال: یاعلی متی کان ربّنا؟ فقال علی إنّما یقال متی کان لشیء لم یکن فکان، وهو کائن بلاکینونة، کائن بلاکیفیة، ولم یزل بلاکیف، لیس له قبل وهو قبل القبل، بلاغایة ولامنتهی غایة تنتهی إلیها غایته انقطعت الغایات عنده وهو غایة الغایات. «الباب (۱۲) قصة القصاب مع علی بن أبی طالب»: أخبرنا أبو قبیصة، عن عبدالغفار الواسطیّ، عن عطاء: انّ علی بن أبی طالب مرّ بقصّاب یقول: لاوالذی احتجب بسبع سموات لاأزیدُک شیئاً، قال: فضرب علی بیده علی کتفه فقال: یا لحّام إنّ الله لایحتجب عن خلقه ولکن(۲) حجب خلقه عنه، فقال: اُکفّر عن یمینی؟ فقال: لا، لأنّک إنّما حلفت بغیرالله(۳) . _____

۱. خ سنان.

۲. خ ولکّنه .

۳. قوله: انّما حلفت بغیر الله، هذا منه اعتبار بظاهر اللفظ انکاراً لما سمع وتغلیظاً علی القائل، وإلّا فإنّ الحالف انّما قصد الحلف بالله عزّوجلّ وإن أخطأ فی وصفه والله أعلم . (۳۳۵) وقال علی بن أبی طالب لمّا وجّه رسله إلی معاویة بن أبی سفیان: صلّوا فی رحالکم واجعلوا صلاتکم معهم سبحة فإنّ الله لایتقبل إلا من المتّقین. قال: وحدثنی موسی بن جبیر، عن عبدالمجید والفضیل بن عیاض، عن منصور بن المعتمر، عن الحکم بن عیینة، عن علی بن أبی طالب قوله تعالی: (لِلَّذِینَ اَحْسَنُوا الحُسْنی وَ زِیادَة) . قال: غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب(۱) . ۵ ـ أبو یحیی عبدالله بن یحیی الکندی (طالب الحق): کان عبدالله بن یحیی بن عمر الکندی من حضرموت، وکان قاضیاً لإبراهیم بن جبلة عامل القاسم بن عمر علی حضرموت، وهو عامل مروان علی الیمن(۲) . إنّ عبدالله بن یحیی الکندی أحد بنی عمرو بن معاویة کان من حضرموت، وکتب إلی ابی عبیدة مسلم بن أبی کریمة وإلی غیرهم من الاباضیة بالبصرة، یشاورهم بالخروج، فکتبوا إلیه: إن استطعت أن لاتقیم یوماً واحداً فافعل، وأشخص إلیه ابو عبیدة، أبا حمزة المختار بن عوف الأزدی فی رجال من الاباضیة فقدموا علیه حضرموت، فحثّوه علی الخروج وأتوه بکتب أصحابه، فدعا أصحابه فبایعوه فقصدوا دار العمارة وعلی حضرموت، إبراهیم بن جبلة بن مخرمة الکندی، فأخذوه فحبسوه یوماً ثم أطلقوه، فأتی صنعاء وأقام عبدالله بن یحیی بحضرموت، وکثر جمعهم، وسمّوه «طالب الحق»، ثمّ استولی علی صنعاء فأخذ الضحّاک بن الزمل وإبراهیم بن _____

۱. مسند ربیع بن حبیب: ص ۲۱۷ ـ ۲۱۹ و ص ۲۰۵ .

۲. صالح بن أحمد الصوافی: الإمام جابر بن زید: ۱۷۶، نقلا عن الحارثی: العقود الفضیة: ۱۸۷ . (۳۳۶)

جبلة بن مخرمة فحبسهما، وجمع الخزائن والأموال فأحرزها ثمّ أرسل إلی الضحّاک وإبراهیم فأرسلهما، وقال لهما: حبستکما خوفاً علیکما من العامة ولیس علیکما مکروه فأقیما إن شئتما أو أشخصا، فخرجا. فلمّا استولی عبدالله بن یحیی علی بلاد الیمن خطب الناس وقال: إنّا ندعوکم إلی کتاب الله تعالی وسنّة نبیّه وإجابة من دعا إلیهما. الإسلام دیننا، ومحمّد نبیّنا، والکعبة قبلتنا، والقرآن إمامنا. رضینا بالحلال حلالاً لانبغی به بدلا، ولانشتری به ثمناً قلیلا، وحرّمنا الحرام ونبذناه وراء ظهورنا، ولاحول ولا قوّة إلّا بالله وإلی الله المشتکی وعلیه المعوّل، من زنا فهو کافر، ومن سرق فهو کافر، ومن شرب الخمر، فهو کافر، ومن شکّ فی أنّه کافر، فهو کافر، ندعوکم إلی فرائض بیّنات، وآیات محکمات، وآثار مقتدی بها، ونشهد أنّ الله صادق فیما وعد، عدل فیما حکم، وندعوا إلی توحید

الرب واليقين بالوعيد والوعد، واداء الفرائض، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والولاية لأهل ولاية الله، والعداوة لأعداء الله. كلّ ذلك كان فى سنة ثمان و عشرين ومائة (۱). ثمّ إنّه استولى على مكّة ثم المدينة وذلك فى الوقت الذى بدأت ثورة بنى العباس فى خراسان، فكانت الدولة المركزية المروانية مشغولة باخماد الثورة، فانتهز طالب الحق الفرصة وبسط سيطرته على الحجاز كلّه، ولكن فى سنة ثلاثين ومائة جهزّ مروان بن محمّد جيشاً مع عبدالملك بن محمد بن عطية السعدى فلقى الخوارج بوادى القرى فقتل بلج بن عقبة، وفرّ أبو حمزة فى بقيّتهم إلى مكة، فلحقهم عبدالملك فكانت بينهم وقعة قتل فيها أبو حمزة وأكثر من كان معه من الخوارج، وصار عبدالملك فى جيش مروان من أهل الشام يريد

۱. أبو الفرج الاصبهانى: الأغانى ۲۳/۲۲۴ ـ ۲۵۶، وقد بسط الكلام فى خبر عبدالله بن يحيى وخروجه ومقتله . (۳۳۷)

اليمن. وخرج عبدالله بن يحيى الكندى الخارجى من صنعاء فالتقوا بناحية الطائف وأرض جرس فكانت بينهم حرب عظيمة قتل فيها عبدالله بن يحيى وأكثر من كان معه من الاباضية، ولحق بقيّة الخوارج ببلاد حضرموت. يقول المسعودى: فأكثرها اباضية إلى هذا الوقت وهو سنة ۳۳۲ هـ ولا فرق بينهم وبين من بعمان من الخوارج فى هذا المذهب(۱) . أئمّة الاباضية فى القرون الأُولى: قد تعرّفت على الشخصيات البارزة للاباضية فى القرن الأوّل وبداية القرن الثانى، غير أنّ أئمّتهم وشخصياتهم لاتحصر فيما ذكرنا، ونحن نأتى بقائمة أسمائهم فمن أراد التوسّع فليرجع إلى تراجمهم فى الكتب المعدّة، فقد ذكروا أنّ لهم وراء من ذكرنا ترجمتهم، أئمّة بالأسماء التالية: القرن الأوّل: ۱ ـ جعفر بن السماك العبدى . ۲ ـ أبوسفيان قنبر. ۳ ـ الصحار العبدى. القرن الثانى: ۴ ـ صمّام بن السائب . ۵ ـ أبو نوح صالح الدهان.

۱. المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر ۳/۲۴۲ طبع دار الأندلس. الطبرى: التاريخ ۶/۴۱ و ۷/۳۹۴ ـ ۴۰۰. وابن الأثير: الكامل ۵/۳۵۱ دار صادر. (۳۳۸) ۶ ـ الجلندى بن مسعود العمانى . ۷ ـ أبو الخطاب عبد الأعلى المعافرى . ۸ ـ هلال بن عطية الخراسانى . ۹ ـ أبو سنيان محبوب بن الرحيل . ۱۰ ـ أبو صفره عبدالملك بن صفره. ۱۱ ـ عبدالرحمن بن رستم . ۱۲ ـ محمّد بن يائس. ۱۳ ـ أبو الحسن الأيدلاتى . القرن الثالث: ۱۴ ـ أفلح بن عبدالوهاب . ۱۵ ـ عبدالخالق القزانى. ۱۶ ـ محكم الهوارى. ۱۷ ـ المهتا بن جيفر. ۱۸ ـ موسى بن على. ۱۹ ـ أبو عيسى الخراسانى. ۲۰ ـ محمّد بن محبوب . ۲۱ ـ محمّد بن عباد. ۲۲ ـ الصلت بن مالك . ۲۳ ـ أبو اليقظان بن أفلح . ۲۴ ـ أبو منصور الياس . ۲۵ ـ عمروص بن فهد . (۳۳۹) ۲۶ ـ هود بن محكم. القرن الرابع: ۲۷ ـ أبو الخضر يعلى بن أيّوب. ۲۸ ـ أبو القاسم يزيد بن مخلد. ۲۹ ـ أبو هارون موسى بن هارون(۱). إنّ الكاتب المعاصر على يحيى معمّر، ترجم جابر بن زيد و أبا عبيدة مسلم فى الجزء الأوّل من كتابه «الاباضية فى موكب التاريخ» تحت عنوان الاباضية فى قيادة الأُمّة ۱۴۵ ـ ۱۵۵، ثمّ خصّ الجزء الثانى بترجمة أئمّتهم وذكر كثيراً منهم القاطنين فى «ليبيا» بعد البحث عن «دخول المذهب الاباضى الى ليبيا» ومن اراد الوقوف فليرجع الى هذا الجزء ۲۱ ـ ۱۹۷ . دول الاباضية: قد قام باسم الاباضية عدد من الدول فى أربعة مواضع من البلاد الإسلامية: ۱ ـ دولة فى عمان استقلّت عن الدولة العباسية فى عهد أبى العباس السفّاح سنة ۱۳۲، ولاتزال إلى اليوم. ۲ ـ دولة فى ليبيا سنة ۱۴۰ ولم تعمّر طويلا فقد انتهت بعد نحو ثلاث سنوات. ۳ ـ دولة قامت فى الجزائر سنة ۱۶۰، وقد بقيت إلى حوالى ۱۹۰، ثمّ قضت عليها الدولة العبيدية.

---

۱. على يحيى معمّر: الاباضية بين الفرق الإسلامية: ۱ / ۲۷ ـ ۲۸ . (۳۴۰) ۴ ـ دولة قامت فى الأندلس ولا سيّما فى جزيرتى «ميورقة» و «مينورقة»، و«ليس لدينا من أخبارهم الكثير وقد انتهت يوم انتهت الأندلس وأطفأ التعصّب الغربى شعلة الإسلام فى تلك الديار»(۱) . هذه الاباضية، وهذا ماضيهم وحاضرهم، وقد قدمّنا إليك صورة موجزة من تاريخهم، ونشوئهم وحروبهم وشخصياتهم وعقائدهم، وقد جرّدنا أنفسنا عن كل نزعة نفسانية تعرقلنا عن الوصول إلى الحق، والله وراء القصد. وقد حان لنا انجاز الوعد الذى سبق منّا، وهو نشر ما كتبه «عبدالله بن اباض» إلى عبدالملك بن مروان، وإليك نصُّه: رسالة عبدالله بن أباض إلى عبدالملك بن مروان بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله بن أباض إلى عبدالملك بن مروان: سلام عليك. فإنّى أحمد إليك الله الذى الا إله إلاّ هو و أُصويك

بتقوى الله فإنّ العاقبة للتقوى والمرد إلى الله، واعلم أنّه إنّما يتقبّل الله من المتّقين . أمّا بعد، جاءنى كتابك مع سنان بن عاصم، وإنّك كتبت إلىَّ أن أكتب إليك بكتاب، فكبت به إليك، فمنه ما تعرف ومنه ماتنكره، زعمت أنّما عرفت منه ما ذكرت به من كتاب الله وحضضت عليه من طاعة الله، واتّباع أمره، وسنّة نبيّه، وأمّا الذى أنكرت منه فهو عندالله غير منكر. وأمّا ما ذكرت من عثمان والذى عرضت به من شأن الأئمّة وأنّ الله ليس ينكر عليه أحد شهادته فى كتابه بما أنزله على رسوله أنّه من لم يحكم بما أنزل الله فأُولئك هم الظالمون _____

۱. على يحيى معمّر: الاباضية بين الفرق الاسلامية ۱/۹۲ ـ ۹۳ . (۳۴۱)

والكافرون والفاسقون (۱). وانّى لم أكن أذكر لك شيئاً من شأن عثمان و الأئمّة إلاّ والله يعلمه أنّه الحق، وسأنزع لك من ذلك البيّنة من كتاب الله الذى أنزله على رسوله، وسأكتب إليك فى الذى كتبت به، وأخبرك من خبر عثمان والذى طعنّا عليه فيه، وأبيّن شأنه والذى أتى عثمان. لقد كان كما ذكرت من قدم فى الإسلام وعمل به ولكنّ الله لم يجر العباد من الفتنة والردّة عن الإسلام، وإنّ الله بعث محمّداً بالحق ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ وأنزل الكتاب فيه بيّنات كل شىء يحكم بين الناس فيما اختلفوا (هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْم يُؤْمِنُونَ)(۲). فأحلّ الله فى كتابه حلالا ـ وحرّم حراماً وفرض فيه حكماً وفصّل فيه قضاءه وبيّن حدوده فقال: (تِلْكَ حُدودُ اللهِ فَلا تَقْرَبُوها)(۳). وقال:(وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدودَ اللهِ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ)(۴). وقسم ربّنا قسماً وليس لعباده فيه الخيرة، ثمّ أمر نبيّه باتّباع كتابه، فقال للنبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : (وَ اتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)(۵). وقال: (فَإِذَا قَرَأناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)(۶). فعمل محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ بأمر ربّه ومعه عثمان ومن شاء الله من أصحابه لايرون رسول الله يتعدّى من قبله شيئاً، ولايبدّل فريضة، ولايستحلّ شيئاً حرّمه الله، ولايحرّم شيئاً أحلّه الله، ولايحكم بين الناس إلاّ بما _____

۱. قال الله تعالى فى سورة المائدة ۴۴ ـ ۴۵ و ۴۷. (وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ فَأولئِكَ هُمُ الكافِرُونَ).(وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بما أَنْزَلَ الله فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُون). (وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ الله فَأُولئكَ هم الفاسِقُونَ). ۲. الأعراف: ۵۲، ويوسف ۱۱۱ .

۳. البقرة: ۱۸۷ .

۴. البقرة: ۲۲۹ .

۵. الأحزاب: ۲ .

۶. القيامة: ۱۸ ـ ۱۹ . (۳۴۲)

أنزل الله، فكان يقول: (إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبّى عَذَابَ يَوْم عَظِيم)(۱). فسّر ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ما شاء الله تابعاً لما أمر الله، يتبع ما جاء من الله، والمؤمنون معه يعلّمهم وينظرون إلى عمله حتى توفّاه الله عليه الصلاة والسلام وهم عنه راضون، فنسأل الله سبيله وعملا بسنّته. ثم أورث الله عباده الكتاب الذى جاء به محمّد وهداه ولايهتدى من اهتدى من الناس إلاّ باتّباعه ولايضّل من ضلّ من الناس إلاّ بتركه. ثمّ قام من بعده أبو بكر على الناس فأخذ بكتاب الله وسنّة نبيه ولم يفارقه أحد من المسلمين فى حكم حكمه، ولاقسم قسّمه حتى فارق الدنيا وأهل الإسلام عنه راضون وله مجامعون. ثمّ قام من بعده عمر بن الخطاب قويّاً فى الأمر، شديداً على أهل النفاق، يهتدى بمن كان قبله من المؤمنين، يحكم بكتاب الله، وابتلاه الله بفتوح من الدنيا ما لم يبتل به صاحباه، وفارق الدنيا و الدين ظاهر وكلمة الإسلام جامعة وشهادتهم قائمة، والمؤمنون شهداء الله فى الأرض. وكذلك قال الله: (جَعَلْنَا كُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً)(۲). ثمّ أشار المؤمنون فولّوا عثمان، فعمل ماشاء الله بما يعرف أهل الإسلام حتى بسطت له الدنيا وفتح له من خزائن الأرض ما شاء الله. ثمّ أحدث اُموراً لم يعمل به صاحباه قبله، وعهد الناس يومئذ قريب بنبيّهم حديث. فلمّا رأى المؤمنون ما أحدث عثمان أتوه فكلّموه وذكّروه بكتاب الله وسنّة من كان قبله من المؤمنين. وقال الله: (وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْها إِنّا مِنَ الْمُجرِمِيْنَ _____

۱. الأنعام: ۱۵، ويونس: ۱۵ .

۲. البقرة: ۱۴۳ . (۳۴۳) مُنْتَقِمُونَ)(۱). فسفَّه أن ذكّروه بآيات الله وأخذهم بالجبروت، وضرب منهم من شاء الله وسجن ونفاهم فی أطراف الأرض من شاء الله منهم نفياً أن ذكّروه بكتاب الله وسنّة نبيّه ومن كان قبله من المؤمنين، وقال الله: (وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَ نَسِيَ ما قَدَّمَتْ يَداهُ)(۲). وإنّی اُبيّن لك يا عبدالملك بن مروان الذی أنكر المؤمنون علی عثمان وفارقناه عليه فيما استحلّ من المعاصی عسی أن تكون جاهلاً عنه غافلاً وأنت علی دينه وهواه !! لايحملنّك يا عبدالملك هوی عثمان أن تجحد بآيات الله وتكذّب بها!!! فإنّ عثمان لايغنی عنك من الله شيئاً، فالله، الله يا عبدالملك بن مروان قبل التناوش من مكان بعيد، وقبل أن يكون لزاماً، وأجل مسمّی!! وإنّه كان ممّا طعن المؤمنون عليه وفارقوه وفارقناه فيه، فإنّ الله قال: (وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَساجِدَ اللهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسمُهُ وَسَعَی فِی خَرَابِها اُولئِكَ مَا كانَ لَهُمْ أنْ يَدْخُلُوها إلاّ خائِفينَ لَهُمْ فِی الدُّنيا خِزیٌ وَ لَهُمْ فِی الآخِرَةِ عَذابٌ عَظيمٌ)(۳). فكان عثمان أوّل من منع مساجد الله أن يقضی فيها بكتاب الله. وممّا نقمناه عليه وفارقناه عليه أنّ الله قال لمحمّد ـ صلّی الله عليه وآله وسلم ـ (لاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَداةِ وَ العَشِیِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِم مِنْ شَیْء وَ ما مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِنْ شَیْء فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمينَ)(۴). فكان أوّل (۵) هذه الاُمّة طردهم ونفاهم، فكان ممّن نفاهم من أهل المدينة

---

۱. السجدة: ۲۲.

۲. الكهف: ۵۷ .

۳. البقرة: ۱۱۴ .

۴. الأنعام: ۵۲ .

۵. فی نسخة «خيار» . (۳۴۴)

أبوذَرّ الغفاری، ومسلم الجهنی، ونافع بن الحطام (۱)، ونفی من أهل الكوفة كعب بن أبی الحلمة، وأبی الرحل الوجاج، و جندب بن زهير(۲)، وجندب هو الذی قتل الساحر الذی كان يلعب به الوليد بن عقبة(۳)، ونفی عمرو بن زرارة، وزيد بن صوحان (۴)، وأسود بن ذريح، ويزيد بن قيس الهمدانی، وكردوس بن الحضرمی، فی ناس كثير من أهل الكوفة. ونفی من أهل البصرة عامر بن عبدالله القشری، ومذعور العبدی ولا أستطيع لك عددهم من المؤمنين. وممّا نقمنا عليه أنّه أمّر أخاه الوليد بن عقبة علی المؤمنين، وكان يلعب بالسحرة ويصلّی بالناس سكران، فاسق فی دين الله، أمّره من أجل قرابته، علی المؤمنين المهاجرين و الأنصار، وإنّما عهدهم حديث بعهدالله ورسوله والمؤمنين. وممّا نقمنا عليه إمارته قرابته علی عبادالله وجعل المال دولة بين الأغنياء، وقال الله: (كَیْ لاَ يَكُونَ دُوْلَةً بَيْنَ الأغْنِياءِ) (۵). وبدّل كلام الله وبدَّل القول واتّبع الهوی. ــــــــــــــــ

۱. ورد الاسم أيضاً: «نافع بن الحطامی».

۲. جندب بن زهير الأزدی: ذكر الطبری أنّه قتل فی صفّين وهو يحارب مع علیّ بن أبی طالب.

۳. الوليد بن عقبة، أخ عثمان بن عفان لاُمّه، وروی أنّه وهو أمير علی الكوفة، صلّی بالناس الصبح وهو سكران، ثمّ قال لهم: إن شئتم أن أزيدكم ركعة زدتكم، فلمّا بلغ عثمان ذلك لم يسرع إلی إقامة الحدّ عليه، بل أخّر ذلك. (انظر: ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ج ۱ ص ۳۶).

۴. زيد بن صوحان: قتل شهيداً يوم الجمل .

۵. الحشر: ۷ . (۳۴۵) وممّا نقمنا عليه أنّه انطلق إلی الأرض ليحميها لنفسه ولأهله(۱) حمی حتی منع قطر السماء والرزق الذی أنزله الله لعباده، لأنفسهم وأنعامهم. وقد قال الله: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْق فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَراماً وَ حَلالا قُلْ ءَاللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَی اللهِ تَفْتَرُونَ* وَ ما ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَی اللهِ الكَذِبَ يَوْمَ القِيامَةِ)(۲). وممّا نقمنا عليه أنّه أوّل من تعدّی فی الصدقات وقد قال الله: (إنَّمَا الصَدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ المَساكِينَ وَ العامِلِينَ عَلَيْهَا وَ المُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِی الرِّقَابِ وَ الغَارِمينَ وَ فِی سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ

وَ اللّٰه عَلِیمٌ حَکِیمٌ)(۳). وقال الله: (وَ مَا کَانَ لِمُؤْمِن وَ لامُؤْمِنَة إِذَا قَضَی اللّٰه وَ رَسُولُهُ أمْراً أنْ یَکُونَ لَهُمُ الخِیَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ یَعصِ اللّٰه وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبیناً)(۴). وأحدث عثمان منه فرائض کان فرضها أمیر المؤمنین عمر بن الخطاب ـ رحمة الله علیه ـ، وانتقص أصحاب بدر ألْفاً من عطائهم، وکنز الذهب والفضة ولم ینفقها فی سبیل الله، وقال الله: (وَ الَّذِینَ یَکْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الفِضَّةَ ولا یُنْفِقُونَها فِی سَبِیلِ اللّٰه فَبَشِّرْهُمْ بِعَذاب أَلِیم * یَوْمَ یُحْمَی عَلَیْها فِی نَارِ جَهَنَّمَ فَتُکْوی بِهَا جِباهُهُمْ _____

۱. یقال حمی فلان الأرض یحمیها حمی حتی لایقرب. والحمی موضع فیه کلأ یحمی من الناس أن یرعی. وقال الإمام الشافعی فی تفسیر قوله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ «لاحمی إلاّ لله ولرسوله»: کان الشریف من العرب فی الجاهلیة إذا نزل بلداً فی عشیرته استعوی کلباً فحمی لخاصّته مدی عواء الکلب لا یشرکه فیه غیره، فلم یرعه معه أحد، وکان شریک القوم فی سائر المراتع حوله، فنهی النبی ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ أن یحمی علی الناس حمی کما کانوا فی الجاهلیة یفعلون. (انظر: دکتور حسن إبراهیم حسن: تاریخ الإسلام السیاسی ج ۱ هامش صفحة ۲۷۳) .

۲. یونس: ۵۹ ـ ۶۰ .

۳. التوبة: ۶۰ .

۴. الأحزاب: ۳۶ . (۳۴۶) وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظهُورُهُمْ هذا مَا کَنَزْتُمْ لأنْفُسِکُمْ فَذُوقُوا مَا کُنْتُمْ تَکْنِزُونَ)(۱) . وممّا نقمنا علیه أنّه کان یضمّ کلّ ضالّة إلی إبله ولایردها ولایعرّفها، وکان یأخذ من الإبل والغنم ممّن وجد ما عنده من الناس وإن کانوا قد أسلموا علیها(۲)، وکان لهم فی حکم الله أنّ لهم ما أسلموا علیه. وقال الله: (وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْیاءَهُمْ وَلاتَعْثَوْا فِی الأرضِ مُفسِدِینَ)(۳). وقال: (لاَ تَأْکُلُوا أَمْوالَکُمْ بَیْنَکُمْ بِالْباطِلِ إلاّ أنْ تَکُونَ تِجارَةً عَنْ تَراض مِنْکُمْ ولاتَقْتُلُوا أَنْفُسَکُمْ إنَّ اللّٰه کانَ بِکُمْ رَحِیماً * وَ مَنْ یَفْعَلْ ذَلِکَ عُدْواناً وَ ظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِیهِ ناراً وَ کانَ ذَلِکَ عَلَی اللّٰه یَسِیراً)(۴) . وممّا نقمنا علیه أنّه أخذ خمس الله لنفسه ویعطیها أقاربه ویجعل منهم عمّالا علی أصحابه وکان ذلک تبدیلا لفرائض الله، وفرض الله الخمس لله ولرسوله: (وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَیْء فَأَنَّ لِلّٰه خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِی القُرْبَی وَ الیَتَامَی وَ المَساکِینِ وَ ابْنِ السَّبِیلِ إنْ کُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّٰه وَ مَا أنْزَلْنا عَلَی عَبْدِنَا یَوْمَ الفُرْقَانِ یَوْمَ التَقَی الجَمْعَانِ واللّٰه عَلَی کُلِّ شَیْء قَدِیرٌ)(۵). وممّا نقمنا علیه أنّه منع أهل البحرین وأهل عُمان أن یبیعوا شیئاً من طعامهم حتی یباع طعام الإمارة، وکان ذلک تحریماً لما أحلّ الله: (وَ اَحَلَّ اللّٰه البَیْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبا)(۶). فلو أردنا أن نخبر بکثیر من مظالم عثمان لم نحصها إلاّ ما شاء الله، وکل ما عددت علیکم من عمل عثمان یُکفّر الرجل أن یعمل ببعض هذا. _____

۱. التوبة: ۳۴ ـ ۳۵ .

۲. أسلموا علیها: تصالحوا علیها.

۳. هود: ۸۵ .

۴. النساء: ۲۹ ـ ۳۰.

۵. الأنفال: ۴۱.

۶. البقرة: ۲۷۵ . (۳۴۷) وکان من عمل عثمان أنّه یحکم بغیر ما أنزل الله وخالف سنّة نبی الله والخلیفتین الصالحین أبی بکر و عمر وقد قال الله: (وَ مَنْ یُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَاتَبَیَّنَ لَهُ الهُدَی وَ یَتَّبِعْ غَیْرَ سَبِیلِ المُؤْمِنِینَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلّی وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِیراً)(۱). وقال: (وَ مَنْ لَمْ یَحْکُمْ بما أَنْزَلَ الله فَأُولئِکَ هُمُ الظَّالِمُون).(۲)، (أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَی الظَّالِمِینَ)(۳)، (وَ مَنْ یَلْعَنِ اللّٰه فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِیراً)(۴)، وقال: (لاَ یَنَالُ عَهْدِی الظَّالِمِینَ)(۵)، وقال: (وَ لاَ تَرْکَنُوا إلَی الَّذِینَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّکُمُ النَّارُ وَ مَا لَکُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِیاءَ ثُمَّ لاَ تُنْصَرُون)(۶) . وقال: (وَ مَنْ لَمْ یَحْکُمْ بما أَنْزَلَ الله فَأُولئِکَ هُمُ الظَّالِمُون)، والفاسقون (۷) والکافرون(۸)وقال: (ألا لَعَنَةُ اللهِ عَلَی الظَّالِمِین). وقال: (ومَنْ یَلعَنِ اللّٰه فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصیراً). وقال: (وَلاَ تَرْکَنُوا إلَی الَّذِینَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّکُمُ النَّارُ). وقال: (کَذلِکَ حَقَّتْ کَلمةُ رَبِّکَ عَلَی الَّذِینَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لاَیُؤْمِنُونَ)(۹). فکل هذه الآیات تشهد علی عثمان، وإنّما شهدنا بما شهدت هذه الآیات: (اللّٰه یَشْهَدُ بِمَا

أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَ المَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَ كَفَى بِاللهِ ـــــــــــــــــ

۱. النساء: ۱۱۵ .

۲. المائدة ۴۵.

۳. هود: ۱۸ .

۴. النساء: ۵۲ .

۵. البقرة: ۱۲۴.

۶. هود: ۱۱۳.

۷. وفی سورة المائدة: (وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بما أَنْزَلَ الله فَأُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ) آیة ۴۷ .

۸. وفی سورة المائدة: (وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بما أَنْزَلَ الله فَأُولئِكَ هُمُ الكافِرُونَ) آیة ۴۴ .

۹. یونس ۳۳ . (۳۴۸) شَهِيداً).(۱) وقال: (فَوَرَبِّ السَّماءِ وَ الأَرضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ)(۲) . فلمّا رأی المؤمنون الذی نزل به عثمان من معصیة الله، والمؤمنون شهداء الله ناظرون أعمال الناس، وکذلک قال الله:(اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ المُؤْمِنُونَ وَ سَتُرَدُّونَ إِلَى عالِمِ الغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُون)(۳) . و ترک خصومة الخصمین فی الحق والباطل ودفع ما وعد الله من الفتن، وقال الله: (الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لَايُفْتَنُونَ * وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الكاذِبِينَ)(۴). فعلم المؤمنون أنّ طاعة عثمان علی ذلک طاعة إبلیس، فساروا إلی عثمان من أطراف الأرض، واجتمعوا فی ملأ من المهاجرین والأنصار وعامّة أزواج النبیـ علیه الصلاة والسلام ـ فأتوه فذکّروه الله وأخبروه الذی أتی من معاصی الله، فزعم أنّه یعرف الذی یقولون، وأنّه یتوب إلی الله منه و یراجع الحق فیقبلوا منه الذی اتّقاهم به من اعتراف الذنب والتوبة والرجوع إلی أمر الله، فجامعوه وقبلوا منه، وکان حقّاً علی أهل الإسلام إذا اتّقوا بالحق أن یقبلوه ویجامعوه ما استقام علی الحق. فلمّا تفرّق الناس علی ما اتّقاهم به من الحق نکث عن الذی عاهدهم علیه وعاد فیما تاب منه، فکتب فی أدبارهم أن تقطع أیدهم و أرجلهم من خلاف. فلمّا ظهر المؤمنون علی کتابه ونکثه علی العهد الذی عاهدهم علیه رجعوا فقتلوه بحکم الله، وقال الله: (وَ إِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ

---

۱. النساء: ۱۶۶ .

۲. الذاریات: ۲۳.

۳. التوبة: ۱۰۵ .

۴. العنکبوت: ۱ ـ ۳ . (۳۴۹) مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ طَعَنُوا فِی دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ)(۱). فجامع أهل الاسلام ما شاءالله، وعمل بالحق، وقد یعمل الإنسان بالاسلام زماناً ثم یرتد عنه. وقال الله: (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَ أَمْلَى لَهُمْ)(۲). فلمّا استحلّ معصیة الله وترک سنّة من کان قبله من المؤمنین، علم المؤمنون أنّ الجهاد فی سبیل الله أولی، وأنّ الطاعة فی مجاهدة عثمان علی أحکامه. فهذا من خبر عثمان والذی فارقناه فیه، ونطعن علیه الیوم، وطعن علیه المؤمنون قبلنا، وذکرت أنّه کان مع رسول الله وختنه(۳)، فقد کان علیّ بن أبی طالب أقرب إلی رسول الله وأحبّ إلیه منه، وکان ختنه ومن أهل الإسلام. وأنت تشهد علیه بذلک وأنا بعد علی ذلک، فکیف تکون قرابته من محمّد ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ نجاةً إذا ترک الحق وضلّ کفراً(۴) . واعلم، إنّما علامة کفر هذه الأُمّة کفرها الحکم بغیر ما أنزل الله، ذلک بأنّ الله قال: (وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الكافِرُون)(۵) .فلا أصدق من الله قیلا وقال: (فَبِأَيِّ حَدِيث بَعْدَ اللهِ وَ آياتِهِ يُؤْمِنُونَ)(۶).

---

۱. التوبة: ۱۲ .

۲. محمّد: ۲۵ .

۳. الختن: زوج الابنة. الجمع أختان .

۴. قال سبحانه لنبيّه: (لَئِنْ اَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) الزمر / ۶۵، ولكن الكلام فی وقوع الشرط. إنّ الإمام لم يشرك، ولم يضل أبداً. إنّما ترك الحق اُولئِكَ الذين ألجأوه إلى إجابة دعوة الشاميين، وحذّروه من مواصلة الحرب وقد كان الامام على أعتاب النصر، وقد بلغوا فی اللجاج والعناد إلى حدّ لم يمهلوا القائد لقواته ـ الأشتر ـ عدوة فرس أو فواق ناقة، فلاحظ .

۵. المائدة: ۴۴ .

۶. الجاثية: ۶. (۳۵۰) فلا يغرّنّك يا عبدالملك بن مروان، عثمان عن نفسك، ولاتسند دينك إلى الرجال يتمنّون ويريدون ويستدرجون من حيث لايعلمون ،فإنّ أملك الأعمال بخواتمها، وكتاب الله جديد ينطق بالحق أجارنا الله باتباعه أن نضل او نبغی(۱) فاعتصم بحبل الله يا عبدالملك واعتصم بالله، وإنّه من يعتصم بالله يهده صراطاً مستقيماً. وهو حبل الله الذی أمر المؤمنين أن يعتصموا به ولايتفرّقوا. وليس حبل الله الرجال من أيّهم حَسُنَ ينهبون ويطعنون، فاُذكّرك الله لما أن تدبّرت القرآن فإنّه حق. وقال الله:(أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوب أَقْفالُها)(۲).فكّن تابعاً لما جاء من الله تهتدی، وبه تخاصم من خاصمك من الناس، وإليه تدعو وبه تحتجّ، فإنّه من يكن القرآن حجّته يوم القيامة به يخاصم من خاصمه ويفلح فی الدنيا والآخرة. فإنّ الناس فقد اختصموا(إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ)(۳) فتعمل لما بعد الموت ولايغرّنّك بالله الغرور. وأمّا قولك فی شأن معاوية بن أبی سفيان أنّ الله قام معه وعجّل نصره وأفلح حجّه وأظهره على عدوّه بطلب دم عثمان، فإن يكن يعتبر الدين من قبل الدولة أن يظهر الناس بعضهم على بعض فی الدنيا فإنّا لانعتبر الدين بالدولة، فقد ظهر المسلمون على الكافرين لينظر كيف يعملون، وقد ظهر الكفّار على المسلمين ليبتلی المسلمين بذلك ويعلی الكافرين(۴). وقال:(وَ تِلْكَ الأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ وَ اللهُ لايُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَ لِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَمْحَقَ الكافِرِين)(۵). _____

۱. وفی نسخة: «أن نبغی أو نضل».

۲. محمّد: ۲۴.

۳. الزمر: ۳۱.

۴. وفی نسخة «ويملأ الكافرين».

۵. آل عمران ۱۴۰ ـ ۱۴۱ . (۳۵۱) فإن كان الدين إذا ظهر الناس بعضهم على بعض فقد سمعت الذی أصاب المشركون من يوم اُحُد، وقد ظهر الذين قتلوا ابن عفان عليه وعلى شيعته يوم الدار(۱) وظهر أيضاً علیّ، على أهل البصرة وهم شيعة عثمان (۲)، وظهر المختار على ابن زياد(۳)، وأصحابه وهم شيعتهم، وظهر معصب الخبيث على المختار(۴) وظهر ابن السجف على أخنس بن دلجة وأصحابه، وظهر أهل الشام على أهل المدينة(۵)، وظهر ابن الزبير على أهل الشام بمكة يوم استفتحوا منها ما حرّم الله عليكم وهم شيعتكم. فإن كان هؤلاء على الدين فلايعتبر الدين من قبل الدولة، فقد يظهر الناس بعضهم على بعض ويعطی الله رجالا ملكاً فی الدنيا، فقد أعطی فرعون ملكاً وظهر فی الأرض، وقد أعطی الذی حاجّ إبراهيم فی ربّه، وقد أعطی فرعون ما سمعت. ثمّ إنّما اشترى معاوية (۶)الإمارة من الحسن بن علی، ثمّ لم يف له بالذی _____

۱. اقتحم الثوار على عثمان بن عفان داره، بعد أن نشب القتال بينهم وبين من تصّدى للدفاع عنه وذلك فی الثامن عشر من ذی الحجّة سنة ۳۵ هـ وقتلوه وعرف ذلك اليوم بـ«يوم الدار» .

۲. يشير إلى انتصار الإمام علی بن أبی طالب فی وقعة الجمل، التی دارت بينه و بين عائشة وطلحة والزبير وذلك فی جمادی الآخرة سنة ۳۶ هـ .

۳. أرسل المختار بن أبی عبيدة الثقفی، جيشاً بقيادة إبراهيم بن الأشتر لقتال عبيدالله بن زياد عامل الأمويين. وسار إبراهيم بن الأشتر

حين لقى ابن زياد ومن معه من أهل الشام على نهر الخازر(نهر بين اربيل و الموصل ويصب فى دجلة) فدارت الدائرة على ابن زياد وقتل هووكثير من أهل الشام وحمل رأسه إلى المختار.

۴. هزم المختار وقتل فى الكوفة سنة۶۷ هـ فى الحرب التى دارت بينه و بين مصعب بن الزبير .

۵. حاضر مسلم بن عقبة المرى، المدينة المنورة، من ناحية الحرة وفتحها وأباحها، وذلك فى أثناء حكم يزيد بن معاوية.

۶. تعبير خاطئ والصحيح: تصالح الإمام مع معاوية بعد ما أتمّ الحجّة على الأُمّة. (۳۵۲)

عاهده عليه، وقال: (وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَ لا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلا اِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَ لا تَكُونُوا كَالَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّة أَنْكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَى مِنْ أُمَّة إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللّهُ بِهِ وَ لَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ ما كُنْتُم فِيهَ تَخْتَلِفُونَ)(۱). فلا تسأل عن معاوية ولا عن عمله ولا صنيعه، غير أنّا قد أدركنا ورأينا عمله وسيرته فى الناس ولا نعلم من الناس أحداً(۲) أترك للقسمة التى قسمها اللّه، ولا لحكم حكمه الله، ولاأسفك لدم حرام منه، فلو لم يصب من الدماء إلّا دم ابن سمية(۳) لكان فى ذلك ما يكفّره. ثمّ استخلف ابنه يزيد فاسقاً من الناس لعيناً يشرب الخمر المكفر فيكفيه من السوء، وكان يتبع هواه بغير هدى من الله وقال الله:(وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ الله لا يَهدِى القَوْمَ الظَّالِمِينَ)(۴). فلم يخف عمل معاوية ويزيد على كل ذى عقل من الناس، فاتّق الله يا عبدالملك ولاتخادع من نفسك فى معاوية!! فقد بلغنا أنّ أهل البيت يطعنون على معاوية ويزيد وعملهما وما رأى من خبر معاوية من بعدهما، فالذى طعنّا عليهما وعليه وفارقناه عليه، فإنّ منهم فتنة كمن يكون يتولّى عثمان ومن بعده. فإنّا نشهد الله والملائكة أنّا منهم

---

۱. النحل: ۹۱ ـ ۹۲ .

۲. كتب فى المخطوطة: «شيئاً لأحد» .

۳. يشير إلى ما عمله معاوية بن أبى سفيان فى سنة ۴۵ هـ حين ردّ اعتبار زياد بن سمية فى نسبه فأحبّ أن يجعله أخاه وأتى بشهود شهدوا بأنّه ابن أبى سفيان، وهذا ما يعبّر عنه بالاستلحاق. وأصبح زياد يعرف باسم زياد بن أبى سفيان بعد أن كان يعرف باسم زياد بن سمية أو زياد بن أبيه. وقد دفع معاوية إلى ذلك الاعتبارات السياسية، ومنذ أن اعترف معاوية بن أبى سفيان بزياد أخاً له وابناً غير شرعى لأبيه، تفانى زياد فى خدمة البيت الأموى.

۴. القصص: ۵۰ . (۳۵۳)

براء ولهم أعداء، بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا، نعيش على ذلك ما عشنا ونموت عليه إذا متنا، ونبعث عليه إذا بعثنا، نحاسب بذلك عندالله. وكتبت إلىّ تحذّرنى الغلو فى الدين، وإنّى أعوذ بالله من الغلو فى الدين، وسأُبيّن لك ماالغلو فى الدين إذا جهلته، فإنّه ما كان يقال على الله غير الحق ويعمل بغير كتابه الذى بيّن لنا وسنّة نبيه الذى بيّن لنا، اتباعك قوماً قد ضلّوا وأضلّوا عن سواء السبيل. فذلك عثمان والأئمّة من بعدهم وأنت على طاعتهم وتجامعهم على معصية الله، والله يقول: (يا أَهْلَ الكِتابِ لَا تَغْلُوا فِى دِينِكُمْ وَ لا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إلَّا الحَقَّ)(۱). فهذا سبيل أهل الغلو فى الدين فليس من دعا إلى الله وإلى كتابه ورضى بحكمه، وغضب لله حين عصى أمره، وأخذ بحكمه حين ضيع وتركت سنّة نبيّه. وكتبت إلىّ تعرض على الخوارج، تزعم أنّهم يغلون فى دينهم ويفارقون أهل الإسلام، وتزعم أنّهم يتّبعون غير سبيل المؤمنين، وإنّنى أُبيّن لك سبليهم، إنّهم أصحاب عثمان، والذى أنكروا عليه ما أحدث من تغيير السنّة، فارقوه حين أحدث وترك حكم الله، وفارقوه حين عصى ربّه، وهم أصحاب علىّ بن أبى طالب حين حكّم عمرو بن العاص (۲) وترك حكم الله، فأنكروه عليه وفارقوه فيه وأبوا أن يقرّوا لحكم البشر دون حكم كتاب الله، فهم لمن بعدهم أشدّ عداوة وأشدّ مفارقة. كانوا يتولّون فى دينهم وسنّتهم رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ وأبا بكر وعمر بن الخطاب، ويدعون إلى سبيلهم ويرضون بسنّتهم على ذلك، كانوا يخرجون وإليه يدعون وعليه يفارقون. وقد علم من عرفهم من الناس ورأى عملهم أنّهم كانوا أحسن الناس

۱. النساء: ۱۷۱ .

۲. لم يحكّم عمروبن العاص، وإنّما حكّم القرآن كما تشهد على ذلك وثيقة التحيكم.فلاحظ. (۳۵۴)

عملاـ وأشدّ قتالا فى سبيل الله. وقال الله: (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَ لْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)(۱). فهذا خبر الخوارج، نشهد الله والملائكة انّا لمن عاداهم أعداء وانّا لمن والاهم أولياء، بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا، على ذلك نعيش ماعشنا، ونموت على ذلك إذا متنا، غير أنّا نبرأ إلى الله من ابن الأزرق وأتباعه من الناس، لقد كانوا خرجوا حين خرجوا على الإسلام فيما ظهر لنا، ولكنّهم ارتدّوا عنه وكفروا بعد إيمانهم(۲) فنبرأ إلى الله منهم. أمّا بعد فإنّك كتبت إلىّ أن أكتب إليك بجواب كتابك، وأجتهد فى النصيحة، وإنّى أُبيّن لك إن كنت تعلم و أفضل ما كتبت إليك به، وذكّرتنى بالله أن أُبيّن لك فإنّى قد بيّنت لك بجهد نفسى، وأخبرتك خبر الأُمّة، وكان حقّاً علىّ أن أنصح لك وأُبيّن لك ما قد علمت. إنّ الله يقول:(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّناتِ وَ الْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِى الكِتابِ أُوْلئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ بَيَّنُوا فَأُولئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ أنا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (۳). فإنّ الله لم يتّخذنى عبداً وأن أكفر بربّى، ولاأُخادع الناس بشىء ليس فى نفسى، وأُخالف إلى ما أنهى عنه، فأمرى علانية غير سرّ، أدعو إلى كتاب الله وليحلّوا حلاله ويحرّموا حرامه ويرضوا بحكمه ويتوبوا إلى ربّهم ويراجعوا كتاب الله، ولئن أدعوكم إلى كتاب الله ليحكم بينى وبينكم فى الذى اختلفوا فيه، ونحرّم ما حرّم الله، ونحكم بما حكم الله، ونبرأ ممّن برىء اللهُ منه ورسوله، ونتولّى من يتولّاه الله، ونطيع من أحلّ لنا طاعة فى كتابه، ونعصى _____

۱. التوبة: ۱۲۳ .

۲. يشيرهنا إلى تبرّئ الاباضية من نافع بن الأزرق والأزارقة وذلك لغلوّهم وتطرّفهم فى الدين.

۳. البقرة: ۱۵۹ ـ ۱۶۰ . (۳۵۵)

من أمر الله بمعصيته. أن نطيعه فهذا الذى أدركنا عليه نبيّنا ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ . وإنّ هذه الأُمّة لم تحرّم حراماً ولم تسفك دماءً إلاّـ حين تركوا كتاب ربّهم الذى أمرهم أن يعتصموا به، ويأمنوا عليه، وانّهم لايزالون مفترقين مختلفين حتى يراجعوا كتاب الله وسنّة نبيّه، وينتصحوا كتاب الله على أنفسهم، ويحكّموه إلى ما اختلفوا فيه. فإنّ الله يقول: (وَ مَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَىء فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ ذلِكُمُ اللهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنيبُ)(۱). وإنّ هذا هو السبيل الواضح لايشبّه به شىء من السبل، وهو الذى هدى الله به من كان قبلنا، محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ والخليفتين الصالحين من بعده، فلايضلّ من اتّبعه ولايهتدى من تركه، وقال:(وَ أَنَّ هذا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاـ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(۲). فاحذر أن تفرّق بك السبل عن سبيله، ويزّين لك الضلالة باتّباعك هواك فيما جمعت إليه الرجال، فإنّهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، إنّما هى الأهواء والدين. إنّما يتبع الناس فى الدنيا والآخرة إمامين، إمام هدى، وإمام ضلالة. أمّا إمام الهدى فهو يحكم بما أنزل الله ويقسم بقسمه ويتبع كتاب الله، وهم الذين قال الله: (وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ)(۳) وهؤلاء أولياء المؤمنين الذين أمرالله بطاعتهم، ونهى عن معصيتهم. وأمّا إمام الضلالة فهو الذى يحكم بغير ما أنزل الله ويقسم بغير ما قسم الله، ويتبع هواه بغير سنّة من الله فذلك كفر كما سمّى الله، ونهى عن طاعتهم وأمر بجهادهم، وقال: (فَلاـ تُطِعِ الكافِرِينَ وَ جاهِدْهُمْ بِهِ جِهاداً كَبيرا)(۴).

---

۱. الشورى: ۱۰ .

۲. الأنعام: ۱۵۳ .

۳. السجدة: ۲۴.

۴. الفرقان: ۵۲. (۳۵۶)

فإنّه حقّ أنزله بالحق وينطق به، وليس بعد الحق إلاّ الضلال فأنّى تصرفون. ولا يضربن الذكر عنك صفحاً،ولاتشكّنّ فى كتاب الله، ولا

حول ولاقوّة إلاّ باللّه، فإنّه من لم ینفعه کتاب اللّه، لم ینفعه غیره. کتبت إلیّ أن أکتب إلیک بمرجوع کتابک، فإنّی قد کتبت إلیک، وأنا اُذکّرک باللّه العظیم إنّ استطعت باللّه لمّا قرأت کتابی ثمّ تدبّر فیه وأنت فارغ ثم تدبّره، فقد کتبت إلیک بجواب کتابک وبیّنت لک ما علمت ونصحت لک. فإنّی اُذکّرک باللّه العظیم لمّا قرأت کتابی وتدبّرته، واکتب إلیّ إن استطعت بجواب کتابی إذا کتبت إلیک، إنّما أتنازع فیه أنا وأنت، انزع علیه بیّنة من کتاب اللّه اُصدّق فیه قولک، فلاتعرض لی بالدنیا فإنّه لارغبة لی فی الدنیا، ولیست من حاجتی، ولکن لتکن نصحتک لی فی الدین، ولما بعد الموت، فإنّ ذلک أفضل النصیحة، فإنّ اللّه قادر أن یجمع بیننا وبینک علی الطاعة، فإنّه لاخیر لمن لم یکن علی طاعة اللّه. وباللّه التوفیق وفیه الرضی، والسلام علیه، والحمد للّه، وصلّی اللّه علی نبیّه محمّد وآله وسلّم تسلیماً(۱) . *** _____

۱. السیر والجوابات لعلماء وأئمّة عمان ۲/۳۲۵ ـ ۳۴۵ تحقیق الاُستاذة الدکتورة سیدة إسماعیل کاشف، ط وزارة التراث القومی والثقافة سلطنة عمان، والجواهر المنتقاة ۱۵۶ ـ ۱۶۲، وازالة الوعثاء عن اتباع أبی الشعثاء ۸۶ ـ ۱۰۱ .

الفصل الثانی عشر فی عقائد فرق الخوارج

الفصل الثانی عشر فی عقائد فرق الخوارج ومخطّطاتهم فی الحیاة (۳۵۸) (۳۵۹) ظهرت الخوارج فی الساحة الإسلامیة بصورة تیار سیاسی لایتبنّون إلاّ تطبیق الحکم الشرعی الوارد فی الکتاب والسنّة فی أمر البغاة(الشامیین) وکان الجمیع یحملون شعار«لاحکم إلاّ للّه» یریدون بذلک انّ حکم اللّه فی حق البغاة هو القتال، لاتحکیم الرجال، ولم یکن لهم یومذاک منهج کلامی، ولمّا قضی علیّ ـ علیه السَّلام ـ نحبه، رکّز الخوارج جهدهم علی مکافحة الحکّام الظالمین کمعاویة وآله، ومروان بن الحکم وأولاده، وقد حفظ التاریخ انتفاضاتهم فی وجه خلفاء بنی اُمیّة وعمّالهم کما تعرّفت علی لفیف منها. فلا عجب عندئذ إذا رأینا أنّ خارجیاً یقتفی أصحاب الحدیث فی العقائد، أو یتبنّی عقیدة المعتزلة فی غیر مورد من الاُصول وما هذا إلاّ لأنّ القوم فی القرنین الأوّلین کانوا مقاتلین، قبل أن یکونوا أصحاب فکر، وکانوا ثوّاراً فی وجه الحکومات، قبل أن یکونوا فرقة دینیة تتبنّی اُصولا عقائدیة، والامعان فی المبدأ الذی اتّخذوه کحجر زاویة (تخطئة التحکیم) أو الاُسس التی تبنّوها فی العهد الاموی، أی بعد استیلاء معاویة علی الحکم، إلی عهد عبدالملک بن مروان (ت ۷۵) إلی آخر الدولة المروانیة (۱۳۲ هـ) یعرب عن أنّ (۳۶۰)

القوم لم یکن لهم یوم ذاک فکر کلامی ولا فقهی، وأنّ الغایة من تبنّی الاُسس المذکورة فی هذا الفصل (تکفیر مرتکبی الکبیرة وحرمة مناکحتهم ولزوم الخروج علی الطغاة و...) إنّما هو تمهید لأسالیب توصلهم إلی القضاء علی الخلفاء وحکّام الجور، والاستیلاء علی منصَّة الحکم. ولذلک لم یورثوا سوی الشغب والثورة والأخذ بزمام الحکم. نعم الفرقة الباقیة منهم ـ کالاباضیة ـ لمّا استشعروا أنّه لایصحّ بفریق سیاسی أن یعیش بلا مبدأ کلامی أو فقهی، تداولوا بعض الموضوعات الکلامیة والفقهیة بالبحث والتمحیص. ویبدو من خلال الرجوع إلی آثار تلک الفرقة أنّ أکثر ما یتبنّونه فی مجال العقائد إنّما هو نتاج متأخّر لم یفکّر به مؤسّس الفرقة کعبداللّه بن اباض ولاالتابعی الآخر کجابر بن زید، وأکثر ماورثوا من الأوّل شجاعته الروحیة، وصراحته فی بیان الحقائق، ومن الثانی أحادیث موقوفة، نقلها جابر عن عدّة من الصحابة، وأین هذا من منهج کلامی منسجم، وفقه واسع یتکفّل بیان تکالیف العباد فی الحیاة فی عامّة المجالات. وهذا یؤیّد أنّ الخوارج ـ ظهرت یوم ظهرت ـ کفرقة سیاسیة ثم آلت إلی فرقة دینیة. ونحن نمّر فی هذا الفصل علی عقائدهم واُسسهم التی تعرّفت علی سماتها والغایات المتوخّاة منها. *** (۳۶۱) ۱ ـ حکم التحکیم فی حرب صفّین إنّ تخطئة التحکیم هو الحجر الأساس لقاطبة الخوارج، وقد اتّخذوه شعاراً أیّام حیاة الامام علی ـ علیه السَّلام ـ وبعده، والخوارج کلّهم، المتطرّف منهم و غیره، أصفقوا علی أنّ قبول التحکیم فی حرب صفّین کان أمراً مخالفاً للکتاب، وما کان لعلی ـ علیه السَّلام ـ أن یُحکِّم الرجال فی موضوع ورد فیه حکم إلهی فی مصدرین رئیسیین ـ أعنی الکتاب والسنّة ـ، وبما أنّا ألمحنا إلی الموضوع وأوضحنا حاله فی الفصل الثالث تحت عنوان «تحلیل لکارثة التحکیم» فنحیل القارئ الکریم إلی ذاک الفصل وقد ذکرنا هناک وجوهاً مختلفة یحتملها

ذلک الشعار، إلّا أنّ الإمعان فی کتب القوم یعرب عن أنّهم لایهدفون منه إلّا احد الوجهین: (۳۶۲) الف ـ تحکیم الرجال فیما نزل فیه حکم الله، کفر(۱) . ب ـ لا ـ إمرة إلّا لله تبارک وتعالی. أمّا الأوّل فیشترک فیه جمیع فرقهم، وأمّا الثانی فإنّما یعود إلی بعض فرقهم کما سنذکر، وبما أنّه اعتمد علی الوجه الأوّل جمیع مفکّریهم ومشایخهم، وبالغ القوم فی توضیحه وتنقیحه وتثبیته، فنأتی فی المقام ببعض نصوصهم ثمّ نقوم بتحلیله حتی یتبیّن الحق بأجلی مظاهره. التحکیم والتدخّل فی موضوع له حکم سماوی: إنّ للکاتب المعاصر: علی یحیی معمّر، مؤلف کتاب «الاباضیة فی موکب التاریخ» بیاناً مفصّلا حول الموضوع وقد بذل جهده فی اثبات أنّ التحکیم کان تدخّلا فی موضوع فیه حکم الله، وهو مواصلة الحرب والقتال ومکافحة أهل البغی، وأنّ ایقاف القتال وإدلاء الأمر إلی الحکمین کان مخالفاً للتشریع السماوی، یقول: «بایع المسلمون علی بن أبی طالب أمیراً للمؤمنین، وکان أوّل من بایع طلحة بن عبیدالله، والزبیر بن العوام، ولکن ماکادت تتّم البیعة، حتی کان طلحة والزبیر یحملان لواء الثورة مع جماعة من کبار الصحابة ،وقد استظهروا بأُمّ المؤمنین عائشة، ووقف الخلیفة فی وجه الثائرین موقفاً حازماً صلباً، وقتل فی هذه الثورة الطاحنة عدد غیر قلیل من المسلمین ذهب فیمن ذهب فیها ــــــــــــــــــ

۱. هذا هو الوجه الأوّل من بین الوجوه المذکورة فی الفصل الثالث وَوَعدنا هناک القارىء أن نرجع إلی تفصیله وتحلیله وما نذکره هنا إنجاز له. (۳۶۳)

طلحة والزبیر، ورجع بقیّة الثائرین إلی حظیرة الإمامة والأُمّة. لم تکد تنتهی هذه الحرب الطاحنة، ویعود إلی البلاد الهدوء والاستقرار، ویَعْرِفَ معاویة أنّ الثورة فشلت، وأنّه معزول عن ولایة الشام لامحالة، حتّی أعلن الثورة فی الشام و هو حینئذ عامل من عمّال الخلیفة، وأظهر أنّه یطالب بدم عثمان وقد استعدّ أمیر المؤمنین لإطفاء هذه الثورة کما أطفأ الثورة التی سبقتها و جهّز جیشه القوی وسار به نحو الشام حیث التقی بالجند الثائر فی الموضع المعروف بـ«صفّین»، وبدأت المعرکة ثم استمرّ القتال حتی ظهرت طلائع النصر وأشرف جیش الخلیفة علی امتلاک زمام المعرکة، ولم یبق للقضاء علی هذه الثورة الجامحة إلّا لحظات عبّر عنها الأشتر «بفواق الناقة»، إلتجأ الثائرون إلی الحیلة والخدعة، ولجأوا إلی المکر والمکیدة ورفعوا المصاحف وهم یصیحون یا أهل العراق بیننا وبینکم کتاب الله. طلب الثائرون هدنة، ودعوا الخلیفة الشرعی وجیشه إلی تحکیم حکمین، وقد فطن أمیر المؤمنین وبعض من جیشه إلی هذه الخدعة، وعرفوا القصد من هذه الهدنة، ولکّنه بدلا من أن یقف موقفه الحازم، ویوالی حربه ضد الثائرین، حتّی یتحقّق النصر، وقد تحقّقت بشائره، ویُلقی البغاةُ أسلحتَهم، ویعودوا إلی صفّ الأُمّة الذی انشقّوا عنه، وبغوا علیه ـ بدلا من أن یقف موقفه الحازم ذلک ـ استجاب لدعاة الهزیمة وأخذ بنصیحة طلّاب الخدعة وأکثرهم موعود من معاویة أو من عمروبن العاص، ورضی بالتحکیم وَ قَبِلَ الهدنة وأمر بایقاف القتال فی الحال. وهکذا انتهت هذه الثورة إلی هذا الموقف المائع الذی جعل حقّ علیّ فی الخلافة، یتساوی مع حقّ معاویة، وجعل نصیب البغاة الثائرین من الثواب، یساوی نصیب جیش الأُمّة الذی یدافع عن خلافة شرعیة تمّت بالشوری (۳۶۴)

وانعقدت بالبیعة. وتداعی الذین فطنوا إلی خدعة الهدنة من أصحاب علیّ وحذّروه من قبولها، وأخبروه أنّ قبولها یعنی الشکّ فی خلافته، والتنازل عنها، وکانوا مصرّین انّ الخلافة الشرعیة حقّ لایتطرّق إلیه الشکّ، ولایجوز فیها الرجوع ولا تقبل فیها المساومة. وإذ خطر لعلی أن یستجیب لدعاة الهزیمة من جیشه، والماکرین من عدوّه، وأن یشکّ فی نفسه والحقّ الذی بیده، ویتنازل عن الشرف الذی أولاه المسلمون، ویساوی بینه و بین أحد عمّاله، فی قضیة أخذ فیها عهداً من الأُمّة وأخذت منه فیها موثقاً وعهداً، ورضخ إلی تحکیم رجال فیما نزل فیه حکم الله. حین فعل علیّ ذلک، تداعی أُولئک الذین لم یرتضوا التحکیم وحذّروا علیّاً من قبوله، وهم یرون أنّ معاویة باغ لاحقّ له، وأنّ بیعة علی قد انفسخت بموافقته علی الهدنة، ورضاؤه بالتحکیم جبراً، فلم تبق لأحد فی أعناقهم بیعة، ولیس لأحد علیهم میثاق، تداعوا إلی أن یعتزلوا جیش علیّ، ورکنوا إلی موقع یسمّی حروراء، فانعزلوا فیه ینتظرون تجدّد الحوادث، واتّجاه الأُمّة فی قضیة الخلافة، وقد جرت الأُمور بأسرع ممّا یتوقّع لها، فما بلغ الموعد الذی حدّده الطرفان لانتهاء الهدنة، حتی اجتمع الناس وأعلن أبو موسی الأشعری مندوب علی، عزلَ علیّ عن الخلافة وترک الأمر شوری بین المسلمین یختارون من یشاؤون. کان

هؤلاء المحايدون ينظرون إلى معاوية نظرتهم إلى باغ، يحاول أن يفرض نفسه بالمكر والحيلة، ولذلك فهم لايقيمون أىّ وزن لدعوى عزله، فهو لم يتولّ أمر الخلافة إلى ذلك الحين، لاباالإكراه، ولابالشورى، فلامعنى لعزله من منصب ليس هو فيه، كما لايقيمون أىّ وزن لتولية عمروبن العاص له، لأنّ (۳۶۵)

عمراً لم يفوّضه المسلمون فى تولية أميرالمؤمنين، أمّا نظرتهم إلى على فقد كانوا يتوقّعون أن يتّفق الحكمان على إقراره فى الحكم، وحينئذ ترجع إلى على الصبغة الشرعية التى تنازل عنها لإثباتها، ويجب على المسلمين حينئذ أن يوحّدوا صفوفهم، تحت طاعته، ما قام فيهم بكتاب الله، ولكنّ المندوب الذى اختاره على ليمثّله فى هذه القضية الظالمة، أعلن أنّه عزل عليّاً عن أمر المسلمين، وأنّ الأمر أصبح للشورى والاختيار، وتأيّد موقف هؤلاء المحايدين وانضمّ إليهم عدد آخر ممّن كانوا يقفون إلى جانب علىّ حتى ذلك الحين، وبحثوا الأمر فيما بينهم على أساس أنّ المسلمين أصبحوا دون خليفة. فهذا معاوية باغ ظالم لايمكن أن يتولّى أمر المسلمين، وهذا علىّ عزله المندوب الذى اختاره للتحكيم، واذن فليختاروا، واختاروا عبدالله بن وهب الراسبى، فبايعوه أميراً للمؤمنين وخليفة للمسلمين بعد على بن أبى طالب، فهو الخليفة الشرعى الخامس فى نظرهم» (۱). غيرى جنى وأنا المعاقبُ فيكم!: لم أجد عنواناً يعرب عن مظلوميّة الإمام أمير المؤمنين فى مسألة التحكيم الذى فرضه عليه الخوارج، ثم جاءوا يطالبونه بالجريمة، أحسن من هذا المصراع، وبما أنّا فرضنا على أنفسنا فى بدء الكتاب ألاّ نقضى على قوم بماكتبه غيرهم فى حقّهم، فقد نقلنا هذا الكلام بتفصيله والإمعان فى أوّله وثناياه وآخره يدل على أنّ الكاتب أخذ موقفاً مسبقاً فى مسألة التحكيم، فأخذ من التاريخ فقرات متناثرة تلائم موقفه، وترك كل ما يخالفه.وإليك تحليل ماذكره. ۱ ـ كان من واجبه ـ قبل كلّ شىء ـ التعريف بالذين فرضوا التحكيم على _____

۱. على يحيى معمّر: الاباضية فى موكب التاريخ، الحلقة الأُولى ۲۱ ـ ۳۴. (۳۶۶)

علىّ ـ عليه السَّلام ـ وأجبروه على قبوله، فمن هم الذين أجبروه على التحكيم وعلى التنازل عن الشرف الذى أولاه المسلمون، وبالتالى ساووا بينه وبين أحد عمّاله؟ فإنّ التعرّف عليهم أساس القضاء الحق فيما رسمه الكاتب وحرّره. الذين فرضوا التحكيم على على ـ عليه السَّلام ـ لم يكونوا إلاّ رؤوس المحكّمة الأُولى الذين اتّخذهم الكاتب أئمّة وأولياء، فإنّ الإمام على ـ عليه السَّلام ـ، فوجىء بمجئ زهاء عشرين ألفاً، مقنّعين فى الحديد، شاكين سيوفَهم، وقد اسودّت جباههم من السجود يتقدّمهم مِسْعَر بن فدكى، وزيد بن حصين، وعصابة من القرّاء الذين صاروا خوارج من بعدُ، فنادون باسمه، لابإمرة المؤمنين، وقالوا: يا علىّ أجب القوم إلى كتاب الله إذا دُعيتَ، وإلاّ قتلناك كما قتلنا ابن عفان، فوالله لنفعلنّها إن لم تجبهم، فقال الإمام لهم: ويحكم أنا أوّل من دعا إلى كتاب الله، وأوّل من أجاب إليه، وليس يحلّ لى ولايَسَعُنى فى دينى أن أُدْعى إلى كتاب الله فلا أقبله، فإنّى إنّما قاتلتهم ليدينوا بحكم القرآن، فإنّهم قد عصوا إليه فيما أمرهم، ونقضوا عهده ونبذوا كتابه، ولكّنى قد أعلمتكم أنّهم قد كادوكم، وأنّهم ليس العمل بالقرآن يريدون (۱). إنّ حرقوص بن زهير السعدى الذى يُعدّ من الطبقة العليا للمحكّمة الأُولى وكان مرشَّحاً للبيعة فى بيت عبدالله بن وهب الراسبى قبله، كان من المصرّين على قبول التحكيم، لكنّه رجع عن رأيه وتاب عن كفره بزعمه، ولمّا دخل على علىّ ـ عليه السَّلام ـ ومعه زرعة بن برج الطائى، فقال له: أُخرج بنا إلى عدوّنا نقاتلهم، فعاتبه الإمام وقال: قد أردتكم على ذلك فعصيتمونى وقد كُتِبَ بيننا وبينهم كتاب...(۲).

---

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۶۰ ـ ۵۶۴ وغيرها.

۲. الطبرى: التاريخ ۴/۵۳ . (۳۶۷) وقد وصل اصرار القوم إلى حدّ هدّدوا حياة الإمام بأنّهم يقضون عليها كما قضوا على حياة عثمان، فلم يجد الإمام بُدّاً من قبول التحكيم، وقد بلغ القوم فى قلّة الحياء وشكاسة الخلق إلى حدّ فرضوا التحكيم على الإمام أوّلا، ثمّ فرضوا عليه صيغة الحكم، ولم يرضوا بمن كان هوى على ـ عليه السَّلام ـ معه، وقد كان الإمام يصرّ على بعث عبدالله بن عباس أو الأشتر، ولكنّهم ما رضوا إلاّ بأبى موسى الأشعرى الذى كان يَكنّ عداء علىّ فى خُلْده لمّا عزله من ولايته. أبعد هذا يصحّ للكاتب أن يقول«ولكنّه ـ الإمام ـ بدلَ أن يقف موقفه الحازم ويوالى حربه ضد الثائرين حتى يتحقّق النصر، وقد تحقّقت بشائره، ويُلْقى البغاةُ

أسلحتهم، ویعودوا إلی صفّ الأُمّة... بدلا من أن یقف موقفه الحازم ذلک، استجاب لدعاة الهزیمة وأخذ بنصیحة طلاّب الخدعة...».

إنّ رؤوس الخوارج هم الذین کانوا یشکّلون دعاة الهزیمة، وطلاّب الخدعة، فلوکان التحکیم جنایة فهم أولی بأن یجتنوا ثماره، ویحملوا أوزاره، لا الإمام الذی أعطی لهم نصحة الخالص، ونبّههم علی أنّها خدیعة، ظاهره الصلاح وباطنه الفساد و... أو لیس عاراً علی جماعة، فرضوا علی إمامهم التحکیم، وإدلاءالأمر إلی الحکمین وکتابة میثاق بین الطرفین، أن یجیئوا شاهرین سیوفهم، یطلبون منه نقض المیثاق ورفض العهد الذی کان عنه مسؤولا، وکأنَّ الخلافة آلة طّیعة بأیدیهم یلعبون بها کیف شاءوا. هؤلاء لم یقدّروا علیّاً، ولاعرفوا مکانته وصموده فی طریق العهد والمیثاق، فما دام الحکمان لم یخرجا عن الطریق المستقیم، لاینقضُ قوله وعهده، وإن بلغ ما بلغ، وإن شهرت الخوارج سیوفهم علیه وعلی الخُلَّص من جیشه. ۲ ـ إنّ علیّاً لم یستجب لدعاة الهزیمة ولم یأخذ بنصیحة طلاّب الخدعة، (۳۶۸)

إلا بعد ما تحقّق عجزه عن القیام بمواصلة الحرب، وتطبیق حکم الله علی البغاة ـ أعنی معاویة وأتباعه ـ.. لاشکّ انّ حکم الله فی حق البغاة هو قتالهم إلی أن یرجعوا إلی صفّ الأُمّة الذی انشقّوا عنه، وبغوا علیه، إلاّ أنّ التکلیف فرع القدرة وهی فرع طاعة الجیش لرأی قائده الحازم الباسل، الذی عرفه التاریخ بالبطولة والبسالة والصمود والوقوف فی وجه الظالمین، ولکن یا للأسف انّ أغلبیة الجیش انخَدَعُوا بخدعة معاویة، وأخذوا بمخالفته علی حسب ما عرفت، وعندئذ لاتثریب علی الإمام أن یُسلِّم الأمر إلی الحکمین ویقف عن القتال قائلا: (لاَیُکَلِّفُ اللهُ نفساً إلاّ وسْعَهَا)، (ولایُکَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاّ ما آتاها) ویقول: «لقد کنت أمس أمیراً ،فأصبحت الیوم مأموراً، وکنت أمس ناهیاً، فأصبحت الیوم منهیّاً»(۱) . إنّ بعض الکُتّاب الجدد من الاباضیة یصرّح بأنّ علیّاً قَبِلَ التحکیم مضطرّاً ویقول: «إنّ هذه الخدعة لم تکن لتجوز علی علی بن أبی طالب، وقد أدرکها وأدرک حقیقة ماوراءها من الوهلة الأُولی، وأعلن علی الفور رفضه لها وعدم قبوله للتحکیم. إنّ علی بن أبی طالب إنّما قبل التحکیم مضطرّاً ورضی به مکرهاً ازاء ضغط من ضعف أفراد جماعته، ومن نهضوا بینهم یدعون إلی قبول التحکیم، وانّ الدعوة التی دعا بها معاویة أحدثت أثرها فی خداع الجند، کما أنّها کانت نکأة لبعض من ضعفت أنفسهم للجهر بها والدعوة إلی الکفّ عن القتال، وازاء ذلک کلّه لم یکن فی وسع علیّ إلاّ أن یرضی بالتحکیم وإن لم یقتنع به ولم تخف نتائجه»(۲).

۱. الرضی: نهج البلاغة قسم الخطب، الخطبة ۲۰۸ .

۲. صالح بن أحمد الصوافی: الإمام جابر بن زید العمانی: ۱۰۰ . (۳۶۹) وقال علی یحیی معمّر: «کان التحکیم خدعة سیاسیة یراد بها تفریغ جیش أمیر المؤمنین علی ـ علیه السَّلام ـ وانّه أولّ من أوائل من تفطّنوا للمکیدة، ولم یقبل التحکیم إلاّ مکرهاً، وأنّه أنکره بشدّة وأبان لجیشه – الذی عمل فیه الطابور الخامس عمله ـ عواقب تلک المکیدة وأنّه لم یقبل التحکیم إلاّ مضطرّاً عندما وجد جیشه معرّضاً للتفرّق والتمزّق وربّما للتناحر، وکان علی رأی الامام علی ـ علیه السَّلام ـ وعلی رأی أصحابه فی اعتبار التحکیم مکیدة لاینبغی قبولها، أکثر أئمة المسلمین منهم الإمامان العظیمان الحسن البصری ومالک بن أنس حسب ما أورده المبّرد فی کامله وابن أبی الحدید فی شرح نهج البلاغة بل أستطیع أن أزعم أنّنا الیوم وفی هذا العصر ـ وقد مضی علی تلک الأحداث ثلاثة عشر قرناً ونصف ـ عندما نقرأ أخبارها نشعر بالأسف والحسرة، لأنّ تلک الخدعة الجریئة قد انطلت علی أکثرّیة جیش علیّ حتی اضطرّ للاستجابة لها، رغم معرفته القصد منها وتقدیره لنتائجها وعلمه علم الیقین أنّ القصد من تلک العملیة لم یکن مراعاة للمصلحة العامّة ولانظراً لخیر الأُمّة، ولاتحکّماً للکتاب فی شیء جهل فیه حکم الکتاب» (۱) . وقال أیضاً: «واختلف أصحاب علی اختلافاً شدیداً بین موافق علی الطلب، ومعارض له، واضطرّ الإمام إلی الموافقة نزولا عند رأی الأغلبیة وإن کان رأیه هو خلاف ذلک» (۲) . نحن نسأل الکاتبین عن مسألة التحکیم المفروض علی علیّ من جانب جیشه، فقد اعترفا بأنّ الإمام قبله بعدما عرفه، دفعاً للتفرقة والتخرّق، بل

۱. علی یحیی معمّر: الاباضیة بین الفرق الإسلامیة ۱/۱۹۰ ـ ۱۹۱ .

۲. على يحيى معمّر: الاباضية بين الفرق الإسلامية ۲/۱۶۶ . (۳۷۰)

للتناحر وانّه لولا قبوله لثاروا على الإمام وقضوا على حياته، وعندئذ يصبح ابن أبى سفيان مالكاً لأزمّة الأُمور ومتسنّماً على عرش الخلافة من دون منازع، ويصير الطريق لبسط سلطته وسيطرته مُعَبَّداً ومذلّلا بأيدى خصمائه وأعدائه ـ أعنى الّذين قبلوا التحكيم وفرضوه على إمامه. وأين ذلك الفرض من فرض قبول التحكيم حتى يرجع الطرفان إلى كتاب الله فيما اختلفا فيه.... وإن كان حكم الكتاب فى ذلك واضحاً ـ والخصم وأنصاره الأغبياء كانوا يتخيّلون أنّهم جاهلون بحكمه فيجب أن يرجع إليه بحكمين من الطرفين. فإذا كان هذا موقف علىّ والمسلمين فلم يكن بُدّ من قبول التحكيم دفعاً للأفسد بالفاسد وهو ليس شيئاً خفيّاً على الكاتبين، وعند ذلك فلماذا يؤاخذان علياً بقبول التحكيم وعدّه ذنباً يحتاج إلى التوبة والاستغفار. إذا كان قبول التحكيم عن اكراه واضطرار، وقد قال سبحانه: (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغ وَلا عاد فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)(۱) أفيصحّ للمغفّلين الّذين انتبهوا عن غفلتهم، وضيّعوا الفرص الذهبيّة للقضاء على الطغمة الأموية، أن يصرّوا على علىّ بالتوبة والاستغفار وإلاّ فبالانعزال والخروج عن تحت رايته بعد ما أخبر سبحانه أنّه غفور رحيم لكلّ مضطّر ارتكب عملا لاعادياً ولاباغياً؟ أفيصحّ لهؤلاء وفى رأسهم المحكِّمة الأُولى الذين كانوا أداة طيّعة ـ بلاوعى ـ بيد رأس الطابور الخامس الأشعث بن قيس، أن يحتفلوا فى الكوفة ويختاروا لأنفسهم أميراً وخليفة، ويتّهموا علياً بأنّه عزل نفسه عن الخلافة، ثمّ يخرجوا عن الكوفة وينزلوا ضفة النهر مُرْهبين ومرعبين ونار الفتنة بعد لم تطفأ والعدّو الغاشم ـ معاوية بن أبى سفيان ـ على أُهْبَة الهجوم وبسط السيطرة ـــــــــــــــــ

۱. الأنعام: ۱۴۵ . (۳۷۱)

والقضاء على الخلافة الشرعية. إنّ النصوص التاريخية تضافرت على أنّ علياً أتمّ عليهم الحجّة قبل نشوب نار الحرب، وقد كان رؤساء المحكّمة أعنى عبدالله بن وهب الراسبى وحرقوص بن زهير السعدى ومن فى رتبتهما من المحكّمة، يسمعون كلام علىّ وهو يخاطبهم بأنّهم هم الذين فرضوا على علىّ التحكيم، فلمّا ندموا طلبوا منه نقض العهد والميثاق المحرّم بنص الذكر الحكيم، وقد ذكرنا نص على عند عرض التاريخ. يقول صالح بن أحمد الصوافى: إنّ على بن أبى طالب قد مضى بنفسه إلى أُولئك الخارجين عنه وقال لهم: من زعيمكم؟! قالوا: ابن الكواء. قال على: فما أخرجكم عنّا؟ قال: حكومتكم يوم صفّين. قال: أنشدكم بالله أتعلمون أنّهم حين رفعوا المصاحف، فقلتم: نجيبهم إلى كتاب الله، قلت لكم: إنّى أعلم بالقوم منكم، إنّهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن إنّى صحبتهم وعرفتهم أطفالا ورجالا، فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال. أُمْضُوا على حقّكم وصدقكم، فإنّما رفع القوم هذه المصاحف خديعة ودهناً ومكيدة، فردّدتم عَلَىّ، وقلتم: لا بل نقبل منهم، فقلت لكم: اذكروا قولى لكم ومعصيتكم إيّاى، فلمّا أبيتم إلاّ الكتاب اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن، وأن يميتا ما أمات القرآن، فإن حكما بحكم القرآن، فليس لنا أن نخالف حكماً يحكم به بما فى القرآن. وإن أبيا فنحن من حكمهما براء، قالوا له: فخبرنا، أتراه عدلا تحكيم الرجل فى الدماء؟.... فقال: إنّا لم نُحكِّم الرجال، إنّما حكَّمنا القرآن، وهذا القرآن هو خط مسطور بين دفّتين لاينطق، إنّما يتكلّم به الرجل...قالوا: فخبرنا عن الأجل لِمَ جعلته فيما بينك وبينهم؟ قال: ليعلم الجاهل، ويثبت العالم، ولعلّ الله ـ عزّوجلّ ـ يصلح فى هذه الهدنة هذه الأُمّة...ادخلوا مصركم، رحمكم الله... (۳۷۲) قالوا: صدقت، قد كنّا كما ذكرت... وفعلنا ما وصفت، ولكن ذلك كان منّا خلاف القرآن، فقد تبنا إلى الله عزّوجلّ منه، فتب كما تبنا، نبايعك، وإلاّ فنحن مخالفين. فقال على: ادخلوا فلنمكث ستة أشهر حتى يجىء المال، ويسمن الكراع، ثمّ نخرج إلى عدوّنا ولسنا نأخذ بقولهم وقد كذبوا...(۱). فهذا الكلام سواء أُلقى فى الحروراء أو فى ضفة النهر يعرب عن أنّ الأكثرية السّاحقة من الخارجين عن طاعة على ـ لولا كلّهم ـ كانوا هم الذين فرضوا التحكيم على علىّ ـ عليه السَّلام ـ وألجأوه إلى الرضوخ لمكيدتهم، فماذا يطلبون من علىّ بعد ذلك؟ ۳ ـ إنّ ابن أبى سفيان قام لأجل أخذ الثأر من قتلة عثمان ولم يبايع علياً بحجّة أنّه كان يحمى الخارجين على عثمان، والثائرين عليه، وكان الإمام يصّر عليه أن يدخل أوّلا فيما دخل فيه المسلمون، ثم يعرض المسألة عليه(۲) وبما أنّ معاوية اتّخذ جانباً سلبيّاً فى هذا الموضع، قام الإمام بتأديب الباغى، وارجاعه إلى صفوف المسلمين وانتهى الأمر إلى نشوب الحرب بين الطرفين، ولجوء

معاویـة إلی الخدعـة والمکر، وتحکیم الرجلین فی الموضوع الـذی اختلف فیه الفریقان، فلم تکن الغایـة من اتفاقیة الصـلح إلّا تحکیم الکتاب فی الموضوع الذی تنازع فیه الطرفان، وأمّا عزل الإمام عن الخلافة ونصب معاویة مکانه فلم یکن فی صـلاحیة الحکمین وإنّما دخلا فی موضوع لم یُفَوَّض إلیهما أمره. فرأیهما فیها بالعزل والنصب رأی ساقط. ۴ ـ إنّ الإمام لمّا رأی لجاج العدو وعناده فی صیاغة اتفاقیة الصلح حیث لم یرض به إلّا بمحو لقب إمرة المؤمنین عن جنب اسمه، رضی بذلک اقتداءً _____

۱. صالح بن أحمد الصوافی: الإمام جابر بن زید العمانی: ۱۱۰ ـ ۱۱۱ .

۲. الرضی: نهج البلاغة، قسم الرسائل برقم ۶۴ . (۳۷۳)

بالنبیّ الأکرم فی صـلح الحدیبیة حیث رضی أن یکتب اسمه ویمحی لفظ رسول الله، ولم یسمع لقول الأحنف حیث قال: «لا تمح اسم إمرة المؤمنین عنـک فـإنّی أتخوّف إن محوتهـا ألاّ ترجع إلیـک أبـداً لاتمحهـا وإن قتـل الناس بعضـهم بعضاً، فأبی ملیّاً من النهار أن یمحوها» (۱) ولکنّه ـ علیه السَّلام ـ لم یَرَ بـدّاً من القبول ورضـی بالمحو تحت ضـغط الأشـعث والمنخـدعین من جیشه، والمقنّعین فی الحدید. وبذلک تقف علی قیمة قوله: «وإذ خطر لعلی أن یستجیب لدعاة الهزیمة فی جیشه، والماکرین من عدوّه أن یشکّ فی نفسه، والحق الذی بیده، ویتنازل عن الشرف الذی أولاه المسلمون، لیساوی بینه وبین أحد عمّاله فی قضیّة أخذ فیها عهداً من الاُمّة، وأخذت منه فیهـا موثقاً وعهـداً ورضـخ إلی تحکیم رجال فیما نزل فیه حکم الله» . إن فرض التحکیم علی علی وقبوله ومحو لقبه، تحت ضـغط قسم کبیر من جیشه، لایعنی شـکّه فی نفسه والحق الـذی بیـده، والتنازل الاختیاری عن الشـرف الذی أولاه المسـلمون، بل یعنی فسـح المجال للتفکّر والتـدبر فیما کان یدّعیه معاویة علی الإمام من تقدّم أخذ الثأر علی البیعة، حتی یقضـیا الحکمان فیه برأی بات، ولو دلّ محو اللقب علی الشک فی الإمرة، فهل یظنّ الکاتب أنّ رسول الله شکّ فی رسالته عندما رضی بمحو لقبه عن جنب اسمه؟ نعم توّهم ذلـک بعض أصـحابه وتصوّر أنّ ذلک یساوی اعطاء الدنیـة فی أمر الـدین(۲) ولکن رسول الله اسـتقبل الحـادث بصـدر رحب، وقبل الصلح علی النحو الذی کان المشرکون یطلوبونه، وقد أثبت مرور الزمان صواب رأیه فی الصلح، وأنّه کان _____

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّین: ۵۸۲ .

۲. لاحظ السیرة النبویة لابن هشام ۳/۳۳۱ . (۳۷۴)

لصالح المسـلمین کما هو المحقّق فی السیرة النبویة. والحاصل: لم یکن قبول التحکیم والموافقة علی الهدنة لغایة عزل الإمام نفسه عن الخلافـة وإدلاء الأمر إلی الحکمین حتی یُخْتار للاُمّة الإسـلامیة خلیفة بل کانت الغایة من قبوله هو فسح المجال للحکمین حتّی یقضوا فی ضوء الکتاب والسـنّة فی حقّ الباغی الوارد فی الکتاب العزیز(۱)وفیما یدّعیه ابن أبی سـفیان فی حقّ علی، حیث کان یقول لایبایع الاّ بعـد أخذ الثأر من قتلة عثمان کما صـرّح به فی بعض رسائله إلی الإمام، یقول الإمام: «وقد أکثرت فی قتلة عثمان فادخل فیما دخل فیه النـاس، ثمّ حـاکم القوم إلیّ أحملـک وإیّاهم علی کتاب الله، وأمّا تلک التی تریـد فإنّها خدعـة الصبی عن اللبن فی أوّل الفصال». وقـد جاء فی رسالـة معاویـة إلی الإمام قوله: «وادفع إلیّ قتلـة عثمان، فإنّهم خاصّـتک وخلصاؤک والمحدقون بک» (۲). فإنّ ابن أبی سفیـان کـان یطلب فی الظـاهر قتلـة عثمـان، ولکنّه فی البـاطن کـان یمهـدّ الطریق إلی الخلافـة، وربّمـا کـان قانعاً لأن یقرّه الإمام علی الشام(۳). وبـذلک ظهر بطلان قوله: «إنّ بیعـة الإمام قد انفسـخت بموافقته علی الهدنة، ورضاؤه بالتحکیم جبراً، فلم یبق لأحد فی عنقه بیعته» فـإنّه تفسـیر لموقف الإمـام بمـا یتجـاوب هوی الکـاتب، فـإنّ الإمـام لم یخلع نفسه عن الخلافـة أبـداً ولا ـ تردّد فی کونه الخلیفة الشـرعی والقـانونی للاُمّـة، ولو صـحّ مـا ذکره الکاتب وأنّ الإمام خلع نفسه عن الخلافـة بمرأی ومسـمع من جیشه وجیش عـدوّه، لما

---

۱. الحجرات: ۹.

۲. ابن أبی الحدید، شرح النهج ۱۷ / ۲۵۳.

۳. المصدر نفسه، ومرّ تفصیله. (۳۷۵)

قام أبو موسى بخلعه عن الخلافة، إذ لامعنى لخلع المخلوع لاسيّما من خلع نفسه واعترف به. ولو كان قبول التحكيم ملازماً للخلع عن الإمامة فلماذا كتب الإمام ـ عندما وصل إليه نبأ الحكمين وخيانتهما فى مورد الوكالة ـ إلى زعماء الخوارج: زيد بن حصين وعبد الله بن وهب الراسبى ومن معهما من الناس وقال: أمّا بعد فإنّ هذين الرجلين الذين ارتضينا حكمهما، قد خالفا كتاب الله واتّبعا هواهما بغير هدى من الله، فلم يعملا ـ بالسنّة ولم يُنفّذا للقرآن حكماً، فبرأ الله ورسوله منهما والمؤمنون، فإذا بلغكم كتابى هذا فاقبلوا فإنّا صائرون إلى عدوّنا و عدوّكم، ونحن على الأمر الّذى كنّا عليه(۱). الحقّ إنّ من قرأ تاريخ مأساة التحكيم يقف على مدى الضغط الوارد عليه من جانب أصدقائه الحمقاء، ثم يرجع ويترحّم على الإمام ويبكى عليه ببكاء عال ويقول: «رحم الله الإمام عاش بين عدوّ غادر، وصديق انوك». ۵ ـ والعجب العجاب أن يصبح عبدالله بن وهب الراسبى الخليفة الشرعى والقانونى للمسلمين فيجب على الأُمّة فى جميع الأقطار و الأصقاع، إطاعة أمره، بحجة أن نفراً من الخوارج اجتمعوا فى منزله فبايعوه، ولعلّ عدد المبايعين لا يتجاوز عن عدد الأصابع أو يزيد بقليل(۲). إنّ البيعة الشرعيّة وانعقاد الإمامة لواحد من المسلمين رهن شروط وصلاحيات، ذكرها المعنّيون من علماء علم الكلام فى كتبهم، ولم يذكر أحد أنّه إذا بايع عدّة من المسلمين شخصاً فى صقع من الأصقاع يجب على عامّتهم الاعتراف بإمامته وخلافته. _____

۱. الطبرى: التاريخ ۴ / ۵۷.

۲. نفس المصدر. (۳۷۶) إنّ معنى ذلك انّه يجوز لآحاد من المسلمين فى البدو والقرى، أن يختاروا رجلاً فيبايعوه على الخلافة وإن كان المبايعون بُعَداء عن العاصمة الإسلامية الّتى فيها أهل الحل و العقد. لو صحّ أنّ الإمام خلع نفسه ـ ولن يصحّ حتى ولو صحّت الأحلام ـ فالواجب على المسلمين طرح الخلافة فى شورى إسلامية عالميّة تضمّ إليها أكابر العلماء والفقهاء، وأهل الحل و العقد من المهاجرين والأنصار، و من اتّبعهما بإحسان، حتى يختاروا لأنفسهم إماماً، لاطرحها فى بيت مسدود ليس فيه إلّا أُناس خرجوا على إمامهم الّذى تمّت البيعة له فى مثل تلك الشورى، لأنّ تصحيح ذلك بمعنى تصحيح الفوضى فى صفوف المسلمين، وشقّ عصاهم، وفصم عراهم، وغير ذلك ممّا لايخفى على القارئ الكريم بطلانه. ۶ ـ والعجب انّ الكاتب نقض ما كتبه هنا بما ذكره فى الحلقة الثالثة من ذلك الكتاب، فإذا وصف الإمام فى المقام، بأنّه استجاب لدعاة الهزيمة وأخذ بنصيحة طلّاب الخدعة، فقد صرّح فى المقام الآخر بأنّ الإمام «عرف أنّها احدى المكائد الّتى تفطّن إليها ذهن عمرو بن العاص، وأصرَّ هو و أصحابه على الجهاد، وكان الإمام والمخلصون من أصحابه يكافحون لإقناع بقيّة الجيش بصواب موقفهم (مواصلة الحرب) ونبذ الاستماع إلى هذه الخدعة الحربية» وإن كنت فى شكٍّ ممّا نقلناه عنه فاقرأ نصّه: خالف معاوية بن أبى سفيان اجماع الأُمّة و أشعل نار الفتنة وجهّز جيشاً لمحاربة الخليفة الشرعى الّذى اختاره المسلمون، و قابله أمير المؤمنين على بن أبى طالب بما يقابل به خليفة شرعى فئة باغية، فجهّز جيشاً من أبطال الإسلام وقاده بنفسه، و التقى الجيشان فى صفّين، وابتدأ القتال وعرف معاوية أنّه إذا لم يكن يلجأ إلى الحيلة فإنّه سوف يخسر القضية فى (۳۷۷)

أقرب ممّا يتوقّع، ومهّد لذلك بتكوين طابور خامس فى جيش على ثم دعا إلى التحكيم. وعرف على وعرف أصحابه مقصد معاوية من التحكيم، وأنّها احدى المكائد الّتى تفتق عنها ذهن عمرو بن العاص، ولذلك قال على: إنّما قاتلناهم بكتاب الله، وأصرّ هو و أصحابه على الجهاد، ولكن الطابور الخامس الّذى كان يقوده أكبر صنايع معاوية: الأشعث بن قيس، كان قد عمل فى الجيش، ومالت الأغلبية إلى قبول التحكيم، وحينما كان على والمخلصون من أصحابه يكافحون لإقناع بقيّة الجيش بصواب موقفهم (مواصلة الحرب) ونبذ الاستماع إلى هذه الخدعة الحربية الّتى لجأ إليها الفريق الباغى، لخّص أحد أصحابه موقفهم هذا فى هذه الكلمة المشهورة «لاحكم إلاّ لله» وكانوا يصيحون بها فى جوانب الجيش و يرددها أنصار على فى كل موقف وكان على يستمع إليها راضياً بها وهو يناقش الناس ويدعوهم إلى التمسّك بمضمون هذه الكلمة وعدم الانخداع بحيل معاوية لأنّ قضيتهم واضحة وقد حكم فيها الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سماوات... وشاءت إرادة المولى سبحانه وتعالى ـ لحكمة يعلمها ـ أن لاتستجيب الإغلبية لعلى وأن تميل

أكثريّة الجيش إلى دعاة الهزيمة، وأن يتغلّب الأشعث ابن قيس صنيعة معاوية على المناضلين من أجل الحق، فيجد الإمام نفسه مضطرّاً إلى التخلّى، وترك الصفوة من أصحابه ليحافظ على الأغلبية ويسير معها، فرضى بالتحكيم مرغماً، وإذا هذه اللحظة الّتى رضى على فيها بالتحكيم، وموافقة الأغلبية، كانت كلمة «لاحكم إلّالله» تعبيراً عن موقفه و شعاراً لمبدئه بل انها تعبير وشعار لكّل مؤمن يحكّم كتاب الله فيما شجر بينه خلاف وبين (۳۷۸)

الناس(۱) . ۷ ـ إنّ التعبير عن الخروج على الإمام المفترض طاعته بـ«الخلافة»، كما أنّ التعبير عن التمرّد والشغب بـ«تشكيل الدولة» مصادرة على المطلوب والمشى على الدعوى المسبقة بلا برهان، فيطيب لى أن أذكر نصّ الكاتب الّذى يصوَّر أنَّه كان للخوارج دولة بعد رفض التحكيم. قال: «أصبحت الاُمّة الإسلامية منقسمة إلى ثلاث دول: دولة أسّسها معاوية وإن لم يبايعه عليها أحد إلى ذلك الحين، ودولة يرأسها على بن أبى طالب بعد أن فشلت فى نظره حكومة الحكمين، عاد فاستمسك بالبيعة الاُولى (۲) دون أن يعترف بعزل أبى موسى الأشعرى له مندوبه فى قضيّة التحكيم، و دولة يرأسها عبد الله بن وهب الراسبى بعد أن بايعه جمع كبير من الذين انفصلوا عن على، عند قبول التحكيم، ثم عند اعلان الحكم بعزل على عن الخلافة، ومع كلّ فرقة من هذه الفرق جمع غير قليل من كبار الصحابة وفيهم بعض المشهود لهم بالجنّة . على أنّ هناك فريقاً رابعاً اعتزلوا هذا النقاش الّذى وقع بين المسلمين وبعدوا عن قضية الخلافة فلم يطلبوها لأنفسهم، ولم يؤيّدوا واحداً من طالبيها، و من هذا الفريق السادة سعد بن أبى وقاص و عبد الله بن عمر، و محمّد بن مسلمة الأنصارى واُسامة بن زيد»(۳). إنّ الكاتب ادّعى لابن وهب مقاماً ليس له أثر فى التاريخ ولا فى كلمات الخوارج حتى فى نفس المجلس الّذى بايعوه، فإنّ البيعة لم تكن إلّا لأن يكون _____

۱. على يحيى معمّر: الاباضية فى موكب التاريخ، الحلقة الثالثة: ۲۸۳ ـ ۲۸۳.

۲. فأى معنى للاستمساك بالبيعة الاُولى إذا خلع نفسه بمرأى ومنظر من الناس ياترى، أو ليس هذا دليلاً على أنّ الإمام لم يخلع نفسه فى وجدان الكاتب؟

۳. على يحيى معمّر: الاباضية فى موكب التاريخ، الحلقة الأولى: ۲۴. (۳۷۹)

الرجل أميراً للجهاد وقائداً عسكرياً فى القتال لاخليفة شرعية يملأ الفراغ الحاصل من العزل المزعوم، والشاهد على ذلك انّ حمزة بن سنان الأسدى أوّل من اقترح هذه الفكرة وقال: «فولّوا أمركم رجلاً منكم فإنّه لابدّ لكم من عماد وسناد ورايةٍ تحفّون بها وترجعون إليها...». ولمّا قبلها عبد الله بن وهب، قال: أما والله لا آخذها رغبة فى الدنيا ولا أدعها فرقاً من الموت(۱). ۸ ـ لم يكن محاربة الإمام للخوارج وعلى رأسهم عبد الله بن وهب الراسبى إلّا لأجل أعمالهم الإارهابيّة الّتى بلغت الإمام، فقال بعض المخلصين له: على ما ندع هؤلاء يخلّفوننا فى أموالنا و عيالنا؟ سر بنا إلى القوم، فإذا فرغنا ممّا بيننا وبينهم صرنا إلى عدوّنا من أهل الشام، فقبل على، فنادى بالرحيل. كان من المظنون جداً أن يقوم عبد الله بن وهب الراسبى بسبى النساء وقتل الذرارى، إذا رأوا أنّ العاصمة الإسلامية (الكوفة) خالية من زعيمها وجيشها خصوصاً انّ علياً و مواليه كانوا عندهم مشركين كافرين تحلّ أموالهم وتجوز إراقة دمائهم وسبى نسائهم، فلأجل ذلك قلع الإمام عين الفتنة قبل أن يبادر بمحاربة عدوّ الله فى الشام. كلّ ذلك يدلّ على بطلان قول الكاتب «بعد أن جمع الإمام على جيشه ومن بقى تحت طاعته من الجند، فكّر فى اعادة الكّرة على معاوية واخماد ثورته ومحاولة اخضاعه من جديد، ولكن بعض أصحابه أشاروا عليه بمحاربة عبدالله ابن وهب الراسبى هذا الخليفة الجديد الّذى وصل إلى منصب الخلافة عن طريق البيعة، وهو الطريق الشرعى للخلافة. واقتنع على بصواب هذا الرأى و عدل عن محاربة معاوية إلى محاربة عبد الله بن وهب، وكان أتباع عبدالله _____

۱. الطبرى: التاريخ ۴ / ۵۵. (۳۸۰)

يعتقدون أنّ إمامهم هو الإمام الحق وانّ كّلاً من على ـ بعد التحكيم والعزل ـ ومعاوية، ثائران يجب عليهما الرجوع إلى حظيرة الإمامة»(۱). ۹ ـ روايات شاذة فى أمر التحكيم: الف ـ اعتمد الدكتور صالح الصوافى فى تحليله مسألة التحكيم على رواية شاذّة ذكرها

ابن قتيبة فى تاريخ الخلفاء وقال: «لمّا لم يبق إلّا الكتاب، قال الأحنف بن قيس لعلى: يا أمير المؤمنين انّ أبا موسى رجل يمانى وقومه مع معاوية فابعثنى معه فو الله لا يُحِلّ لك عقدة إلّاعقدت لك أشدّ منها، فإن قلت انّى لست من أصحاب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فابعث ابن عباس وابعثنى معه، فقال على: إنّ الأنصار أتونى بأبى موسى فقالوا: ابعث هذا فقد رضيناه ولا نريد سواه والله بالغ أمره»(۲). إنّ هذه الرواية شاذّة غير معروفة وقد اتّفق المؤرّخون على أنّ علياً كان يصرّ على بعث ابن عباس أو الاشتر و لم يكن له أىّ هوى مع أبى موسى الأشعرى، لما كان يستشف منه أنّ هواه مع غيره وكيف لا وهو الّذى خذل الناس عن مساعدة الإمام القائم يوم كان واليا على الكوفة، وتقاعد عن نصرته، ولم ينفّر الناس إلى ساحة قتال الناكثين بل دعاهم إلى البقاء فى منازلهم بحجّة أنّها فتنة، القاعد فيها خير من القائم(۳). كيف يعتمد على تلك الرواية الشاذّة مع أنّ ابن قتيبة، نقل خلافها فى موضع آخر عند البحث عن ظهور المحكّمة، ونقلها الدكتور أيضاً فى كتابه، _____

۱. على يحيى معمّر: الاباضية فى موكب التاريخ، الحلقة الأُولى: ۲۴ ـ ۲۵.

۲. صالح بن أحمد الصوافى: الإمام جابر بن زيد العمانى: ۹۹ نقلاً عن الإمامة والسياسة: ۱۱۴.

۳. الطبرى: التاريخ ۳ / ۴۹۷. (۳۸۱)

قال: اتّضحت معالم المسألة واضحة، و بدا لكل ذى عينين أنّ التحكيم لم يكن سوى خديعة لم يبغ من طلبها سوى العدول عن الطريق السوى، وصحّ كل ما توقّعه على بن أبى طالب حتى حقّ له أن يقول وقد وقع ما وقع: «أما أنّى قد أخبرتكم أنّ هذا يكون بالأمس، و جهدت أن تبعثوا غير أبى موسى فأبيتم عَلَىّ»(۱). أفيصحّ بعد هذا، قوله إنّ الأنصار أتونى بأبى موسى فقالوا: ابعث هذا فقد رضيناه ولا نريد سواه؟! مع أنّه لم يرده أبداً وإنّما فرض عليه من فرض. ب ـ إنّ الكّتاب الجدد لمّا واجهوا أنّ التحكيم سيّئة من سيّئات المحكّمة وأنّهم هم المسؤولون عن عواقبه الوبيلة، عمدوا إلى الروايات الشاذّة ومخالقات أعداء الإمام. قالوا: إنّ علياً ظلّ يكاتب معاوية سرّاً من دون المسلمين، فكتب إلى معاوية: من علىّ أمير المؤمنين إلى معاوية، فكتب إليه معاوية: لو أعلم أنّك أمير المؤمنين لم أُقاتلك، فامح اسم أمير المؤمنين، ففعل على ذلك فبلغ ذلك المسلمين، فقالوا له: يا على ما حملك أن تخلع نفسك من اسم سمّاك به المسلمون؟ ألست أمير المؤمنين ومعاوية أمير المخالفين؟ فتب عمّا صنعت...، ثمّ إنّهم يذكرون أنّه بعد أن تاب عدل عن توبته و أمضى الحكومة أى التحكيم(۲). إنّ ما ذكره من المكاتبة السرّية ليس له مسحة من الحقّ ولا لمسة من الصدق ولا يوجد فى كتب القصاصين فضلاً عن التواريخ والسير، وما ذكره ليس إلّا قصة التحكيم الّذى شهد عليه الطرفان على وجه التفصيل، والإمام امتنع عن

---

۱. صالح بن أحمد الصوافى: الإمام جابر بن زيد: ۱۰۲ نقلاً عن الإمامة و السياسة لابن قتيبة ۱۱۹.

۲. صالح بن أحمد الصوافى: الإمام جابر بن زيد: ۱۱۲ نقلاً عن القلهاتى: الكشف والبيان: ۲ / ۲۳۷. (۳۸۲)

محو إمرة المؤمنين عن نفسه، وقد أمضى مليّاً من النهار، وهو يدفع ذلك الاقتراح غير أنّ المحكّمة والطابور الخامس الذين فرضوا على علىّ نفس التحكيم، فرضوا عليه صيغته أيضاً، ولم يكن شيئاً خفيّاً من الناس بل كان على مشهد منهم، وقد ذكر الإمام ما جرى على النبى الاكرم فى صلح الحديبية وأنّه سيبتلى بما أُبتلى به رسول الله، وأمّا قصة التوبة فقد مضى الكلام فيها. ج ـ رووا عن على ـ عليه السلام ـ أنّه بعد ما قتل الخوارج جعل يمرّ عليهم وهو يستغفر لهم و يقول: بئس ما صنعنا قتلنا خيارنا وفقهاءنا... فقال له بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين قتلنا المشركين. قال: من الشرك فرّوا. قال: أمن المنافقين؟ قال إنّ المنافقين لايذكرون الله إلّا قليلاً و هؤلاء يذكرون الله كثيراً(۱). إنّ ما ذكره انّما هو من مخاريق الخوارج، حاولوا أن يبرّروا أعمال أسلافهم فالقوم كانوا بغاة على الإمام المفترض طاعته، ومَنْ حبّه إيمان وبغضه كفر(۲) والقوم لم يكونوا مشركين ولا منافقين، ولكن كانوا بغاة، ولم يكونوا خيار القوم ولا فقهاءهم بل كانوا من أهل البادية الذين تسيطر عليهم السذاجة ويغترّون بالظواهر من دون التعمّق فى البواطن. وأسوأ من ذلك ما نقله فى ذيل كلامه ونحن نطهر قلمنا عن ذكره والردّ عليه، فلم يكن الإمام نادماً من عمله لأنّه حقّق ما تنبّأ به النبى الأكرم فى حقّه وأنّه

سیقاتل الناکثین والقاسطین و المارقین (۳) وآیة ذلک انّه کانت للخوارج انتفاضات بعد وقعة النهروان، فلم یزل علی ـ علیه السلام ـ یبعث السرایا لإطفاء فتنتهم، و اخماد ثائرتهم إلی أن اُغتیل _____

۱. الدکتور صالح بن أحمد الصوافی: الإمام جابر بن زید: ۱۲۵، نقلاً عن القلهاتی فی الکشف والبیان: ۲ / ۲۵۲ ـ ۲۵۴.

۲. مرّ مصدره.

۳. مرّ مصدره. (۳۸۳)

بید أشقاهم شقیق عاقر ناقة ثمود (۱). ۱۰ ـ لا إمرة إلّا لله: هذا هو الوجه الثانی لتفسیر شعارهم «لاحکم إلّا لله» ولکن الخوارج رفضوه عملاً واختاروا عبد الله بن وهب خلیفة لهم إلّا أنّه کانت توجد بین المتطرّفین منهم تلک النظریة. یقول الکاتب المعاصر علی یحیی معمر: «انعزل معارضوا التحکیم إلی جانب، واستمسکوا بموقفهم الّذی کانت تعبرّ عنه هذه الکلمة أصدق تعبیر، ونشأ عن هذا الموقف موقف آخر متطرّف کل التطرّف، فإنّ الکلمة حینما اطلقت وقصد منها أنّه لا یجوز للناس أن یحکِّموا فیما نزل فیه حکم الله، وذلک ما فهمه الإمام علی ورضی به، وفهمه المعارضون وعملوا به». ولکن اُناساً من المتطرّفین فیما بعد زعموا أنّه لا حاجة إلی الإمارة وأنّه لا داعی لأن یکون للمسلمین حکومة وحملوا کلمة «لاحکم إلّا لله» هذا المقصد الهدّام، وهذا التطرّف هو ما سخطته الاُمّة وردّته عنهم، وتولی الإمام علی شرحه باسهاب وایضاح لایبقی بعده اشکال. قال الإمام علی وهو یردّ علی اُولئک المتطرّفین الذین خرجوا بکلمة «لاحکم إلاّ لله» عن معناها الّذی وضعت له: «کلمة حق یراد بها الباطل، نعم لاحکم إلّا لله، ولکن هؤلاء یقولون لا إمرة إلّا لله، و انّه لابد للناس من أمیر برّ أو فاجر، یعمل فی امرته المؤمن، و یستمتع فیها الکافر، یبلّغ الله فیها الأجل، ویجمع بها الفیء، ویقاتل العدو، وتؤمن به السبل، و یؤخذ به للضعیف من _____

۱. مرّ مصدره. (۳۸۴)

القویّ حتی یستریح برّ و یستراح من فاجر»(۱). الخوارج أنصار علیّ وشیعته؟! إنّ الخوارج یعدّون أنفسهم شیعة الإمام علی ـ علیه السلام ـ وأنصاره وانّهم کانوا سواعده القویّة فی قتال الناکثین والقاسطین، و انّهم هم الذین أعاروا جَماجمَهم لعلیّ فی القتالین ثم یشکون علیّاً بأنّه ما أنصف فی حقّ أنصاره وأعوانه، حیث قتلهم وهم براء من الذنب. وممّن صبّ الشکوی فی قالب الشعر، هو أبو مسلم ناصر بن سالم بن عدیم الرواحی یقول فی قصیدة له: ارقتَ دماء المؤمنین بریئة * لهن بزیزاء(۲) الحراء(۳)خریر(۴) علیّاً أمیر المؤمنین بقیّة! * کأنّ دماء المؤمنین خمور سمعناک تنفی شرکهم و نفاقهم * فأنت علی أیّ الذنوب نکیر؟! وما الناس إلّا مؤمن أو منافق * ومنهم جحود بالإله کفور وقد قلت ما فیهم نفاق ولا ـ بهم * جحود و هذا الحکم منک شهیر فهل أوجب الإیمان سفک دمائهم ؟ * وأنت بأحکام الدماء بصیر! ترکتَهم جزر السباع، علیهم * لفایف من إیمانهم و ستور مصاحفهم مصبوغة بدمائهم * علیهن من کتب السهام سطور وکنتَ حفیاً یا بن عمّ محمّد * بحفظ دماء مالهن خطیر _____

۱. علی یحیی معمّر: الاباضیة فی موکب التاریخ، الحلقة الثالثة: ۲۸۴.

۲. الزیزاء: الاکمة الصغیرة.

۳. الحراء: الحرّة: أرض ذات حجارة سود کأنها اُحرقت بالنار.

۴. صوت الماء. (۳۸۵) وکنتَ حفیاً أن یکونوا بقیّة * لنصرک حیث الدائرات تدور أما و الّذی لاحکم من فوق حکمه * علی خلقه ورد به و صدور تنادی: أعیرونی الجماجم کرّة * فقد قدموها و الوطیس سعیر لَقِدْماً أعاروک الجماجم خشّعاً * علیهنّ من قرع الصفاح فتور فقصعتها إذ حَکَّمت حکم ربّها * فما بقَّیْتَ عاریة و معیر(۱) والحقّ إنّ هذه الأبیات تثیر العواطف العمیاء ضدّ الإمام، ویتخیّل صاحبها أنّ الإمام قد جحد حقّهم و تساهل، و لکنّه إذا رجع إلی غضون التاریخ، سرعان ما یرجع عن قضائه و یلوم نفسه علی التسرّع، وإن کنت فی شکّ من ذلک فارجع إلی ما ذکرناه من تاریخهم و أعمالهم الإجرامیة حین التحکّیم وبعده، وهنا نشیر إلی نکات: ۱ ـ إنّ قوله: سمعناک تنفی شرکهم ونفاقهم یشیر إلی ما رواه عن علی أنّه قال له بعض أصحابه: یا أمیر المؤمنین قتلنا

المشرکین. قال: من الشرک فرّوا. قال: أمن المنافقین؟ قال إنّ المنافقین لایذکرون الله إلّا قلیلاً وهؤلاء یذکرون الله کثیراً(۲). یلاحظ علیه أوّلاً: انّ المروی عن علی ـ علیه السلام ـ فی حقّ هؤلاء هو ما ذکره الطبری بقوله: بؤساً لکم لقد ضرّکم من غرّکم، فقالوا: یا أمیر المؤمنین من غرّهم؟ قال: الشیطان، وأنفس بالسوء أمّارة، غرّتهم بالأمانی، وزیّنت لهم المعاصی ونبّأتهم أنّهم ظاهرون(۳).

---

۱. صالح بن اُحمد الصوافی: الإمام جابر بن زید العمانی: ۱۲۷ ـ ۱۲۸.

۲. الدکتور صالح بن أحمد الصوافی: الإمام جابر بن زید العمانی: ۱۲۵، نقلاً عن القلهاتی فی الکشف والبیان: ۲ / ۲۵۱ ـ ۲۵۴.

۳. الطبری ۴ / ۶۶. (۳۸۶) ثانیاً: نفترض صحّة الحدیث ولکن القوم کانوا عصاة وبغاة، خارجین علی الإمام المفترض علیهم طاعته، والعصاة عندکم کفّار، وعندنا فسّاق ولا حرمة للکافر، والفاسق یقتل فی ظروف خاصّة، خصوصاً إذا بغی علی الإمام الّذی أصفقت الاُمّة علی إمامته وخلافته، قال سبحانه: (وَ إِن طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِینَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَیْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُما عَلَی الاُخْری فَقَاتِلُوا الَّتِی تَبْغِی حَتَّی تَفِیءَ إِلَی أَمْرِ الله فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَیْنَهُما بِالْعَدْلِ وَ أَقْسِطُوا إِنَّ الله یُحِبُّ المُقْسِطِینَ)(۱). فقد برّر سفک دمائهم بغیهم و خروجهم علی الإمام المفترض طاعته، و علی ضوء ذلک فلا معنی لقوله: «فهل أوجب الإیمان سفک دمائهم؟...». ۲ ـ إنّ الشاعر فی قوله: ترکتهم جزر السباع...» یشیر إلی أنّ الإمام قتلهم ثمّ ترکهم مثل من تفتکه السباع وتترکه، ولکن التاریخ یشهد علی خلافه. یقول الطبری: «طلب عدیّ بن حاتم ابنه طرفة فوجده فدفنه، ثمّ قال: الحمد لله الّذی ابتلانی بیومک علی حاجتی إلیک، و دفن رجال من الناس قتلاهم...» بل الإمام قام بعطف إنسانی قدیر. یقول الطبری: «و طلب من به رمق منهم فوجدوهم أربعمائة رجل، فأمر بهم علیّ فدفعوا إلی عشائرهم، وقالوا: احملوهم معکم، فداووهم، فإذا برأوا فوافوا بهم الکوفة، وخذوا ما فی عسکرهم من شیء، قال: وأمّا السلاح والدواب وما شهدوا علیه الحرب فقسّمه بین المسلمین، وأمّا المتاع و العبید و الإماء فإنّه حین قدم ردّه علی أهله»(۲).

---

۱. الحجرات: ۹.

۲. الطبری: التاریخ ۴ / ۶۶. (۳۸۷) ۳ ـ یشیر الشاعر بقوله: «تنادی اعیرونی الجماجم کرّة ـ فقد قدّموها والوطیس سعیر» إلی ما خدموا علیّاً ـ علیه السلام ـ فی الجمل وفی صفّین قبل رفع المصاحف وهو صادق فی هذا العزو و النسبة، ولکنّهم یا للأسف بخلوا بها فی الموقف الحاسم الّذی کان بینه وبین النصر خطوة، وذلک عندما رفع أهل الشام المصاحف. قال الإمام: «عباد الله، إنّی أحق من اجاب إلی کتاب الله، ولکن معاویة و عمرو بن العاص و ابن أبی معیط و حبیب بن مسلمة، وابن أبی سرح، لیسوا بأصحاب دین ولا قرآن، إنّی أعرف بهم منکم، صحبتهم أطفالاً و صحبتهم رجالاً، فکانوا شرّ أطفال و شرّ رجال. إنّها کلمة حق یرادبها باطل. انّهم و الله ما رفعوها انّهم یعرفونها و یعملون بها، و لکنّها الخدیعة والوهن و المکیدة. أعیرونی سواعدکم وجماجمکم ساعة واحدة، فقد بلغ الحق مقطعة، ولم یبق إلاّ أن یقطع دابر الذین ظلموا» فجاء زهاء عشرین ألفاً مقنّعین فی الحدید شاکی السلاح، سیوفهم علی عواتقهم، وقد اسودّت جباههم من السجود، یتقدمهم مسعر بن فدکی، وزید بن حصین، وعصابة من القرّاء الذین صاروا خوارج من بعد، فنادوه باسمه لابإمرة المؤمنین: یا علی، أجب القوم إلی کتاب الله إذا دعیت إلیه، و إلاّ قتلناک کما قتلنا ابن عفّان، فوالله لنفعلنها إن لم تجبهم فقال لهم: ویحکم، أنا أوّل من دعا إلی کتاب الله و أوّل من أجاب إلیه، ولیس یحلّ لی ولا یسعنی فی دینی أن اُدعی إلی کتاب الله فلا أقبله، إنّی انّما اُقاتلهم لیدینوا بحکم القرآن، فإنّهم قد عصوا الله فیما أمرهم، ونقضوا عهده، ونبذوا کتابه، ولکنّی قد أعلمتکم أنّهم قد کادوکم، وأنّهم لیسوا العمل بالقرآن یریدون. قالوا: فابعث إلی الأشتر لیأتیک وقد کان الأشتر صبیحة لیل الهریر قد أشرف علی عسکر معاویة لیدخله... وقد بلغ بخلهم وضنتهم باعارة جماجمهم إلی حد طلب منهم الأشتر أن (۳۸۸)

یمهلوه فواقَ ناقة أو عدوة الفرس فما أمهلوه. قال لهم: امهلونی فواقاً فإنّی قد أحسست بالفتح. قالوا: لا. قال: فامهلونی عدوة الفرس، فإنّی قد طمعت فی النصر، قالوا: اذن ندخل معک فی خطیئتک. قال: وحدثونی عنکم ـ وقد قتل أماثلکم وبقی أرذالکم(۱). فالحقّ إنّ

الخوارج كانوا أنصار علىّ فى البداية وإلى أثناء حرب صفّين ثمّ انقلبوا. وممّا يندى الجبين انّ زيد بن حصين الطائى قد قدم إلى علىّ و معه عصابة من القرّاء فنادوه كما عرفت(۲) لا بإمرة المؤمنين بل باسمه وفرضوا عليه قبول التحكيم، وهو بعد أيّام قلائل كان المرشّح الأوّل فى أخذ البيعة لواحد من المحكّمة فى الحروراء، يقول الطبرى: قال حمزة بن سنان الأسدى: إنّ الرأى ما رأيتم، فولّوا أمركم رجلاً منكم فإنّه لابدّ لكم من عماد وسنان، ورايةٍ تحفّون بها وترجعون إليها، فعرضوها على زيد بن حصين الطائى فأبى، و عرضوها على حرقوص بن الزهير فأبى، وعلى حمزة بن سنان وشريح بن أوفى العبسى فأبيا، وعرضوها على عبد الله بن وهب، فقال: هاتوها...(۳) فالرجل ذو طبيعة متسرّعة فى القضاء، فيوماً يفرض التحكيم على على ويوماً آخر يستنكر التحكيم و يُرشّح لقيادة الثورة على على لأجل قبول التحكيم!! ۴ ـ قد جادت قريحة العلاّمة الفقيه الشيخ محمود البغدادى ـ دامت معاليه ـ بقصيدة ضافية فنّد فيها ما جاء فى الأبيات السابقة نقتطف منها مايلى: _____

۱ . ابن مزاحم: وقعة صفّين ۴۹۹.

۲. ابن مزاحم: وقعة صفّين ۴۹۹.

۳. تاريخ الطبرى: ۴ / ۵۵ . (۳۸۹) تراءت (۱)فقلتُ الشمسُ حيثُ تنيرُ * ففى القلب منها لوعةٌ و سعيرُ ولستَ ترى فى الخلق مثلَ عقيدة * جمالاً يرد الطرفَ و هو حسيرُ ادافع عنها من أراد مساءةً * واقمع من قد صدَّ و هو جَسورُ وليس محبّاً من يُخلّى عداتَه * تشنُّ على أحبابه وتُغير أَمْثُلُ علىّ فى عدالةِ حكمه * يُردُّ... و عشّاقُ الجمالِ حضور علىٌّ علىٌّ بابُ علم محمّد * و ذاك حديث كالبدور شهير أ إنْ زار بالجيش العرمرم ثُلَّة * يُعَبْ زائر أوْ يُمدَحنَّ مَزورُ وقد فارقوه بعد نصر مؤَزَّر * ولَم يُلفَ منهم بعد ذاك ظهير وقِدماً أعاروه الجماجم خُشّعاً * و ماكلُّ من وافى الحروب يعير وهل ينفع النصر القديم إذا امّحى * بحقد، و فارت بالعداء قدور همُ قد أثاروا الحرب حين تنكّبوا * سلاحاً كثيفاً والسلاحُ يثير و هم مرقوا كالسهم من دين أحمد * و ذلك أمرٌ ما عليه ستورُ لَعَمرى لَنعمَ الصحْبُ كانوا لصاحب * ولكنّما الدنيا الفتون غرور إذا هُمُ بعد الحبّ لُدّاً تألّبوا * و دارت رحاهم و الزمانُ يدور أ إنْ رفع القرآنُ خدعةَ خادع * أُجيب صغيرٌ واسْتُضِلَّ كبيرُ فقال على لا تجيبوه للتى * أراد فدعوى من دعاكمُ زور أ إن قد حملتم حملةً حيدريّةً * و رفرف لى نصر و قام بشير؟! يُردْكُمُ للإذلال بعد تعزّز * وهل عزّةٌ كالنصر حين يمور أعيرونى لله الجماجم ساعة * فإنّ عدوّى حين ذاك فَرور ألا تمهلونى ـ يا رفاقَ مسيرة ـ * فُواقَ انتصار و الفواقُ يسير؟ إذا كنتُ بالأحكام أبصرَ باصر * دعونى و ما قد أرتاى و أُشير

---

۱. ضمير التأنيث يرجع إلى العقيدة المعلومة من سياق القصيدة. (۳۹۰) ولا خيرَ فى نسك بغير بصيرة * وأجدر من خاض الحروب بصير فقالوا أجبهم للّتى قد دعوا لها * فَثَمَّ كتابٌ حاكم و أمير وإلّا تجبهم يا علىُّ فإنّنا * عداةٌ اشداءٌ عليك نسور و ساروا إلى أرض الحروراء واَغْتَدوا * لحرب علىّ والزمان غَدور فقال لهم هيّا أنيبوا إلى الهدى * وهيّا معى نحو العداة فسيروا أطيعونى ما كنت التبيع لأحمد * فإن أنا لم اتبع خُطاه فثوروا فقالوا له أنت الكَفورُ فتُبْ وتُبْ * فما قادنا نحو الجهاد كفور وحجّونى بالقرآن إنْ كُنتُم على * مقاطع حقّ فالحقيقةُ نور ولمّا تنادوا للقتال تقدّموا * كآساد خفان لهنّ زئير فأَرداهُم صُنْو النبى محمّد * بلا ندم والعزمُ منه مريم فياعجبا كيف ابن وهب (۱) يثيرها * ولم تختصر و الرأى منه أسير وكان قؤولاً: خمّروا الرأى تُفلحوا * فأكرم آراء الرجال خمير(۲) فإن له فى عتبة بن ربيعة * مشابه حال تلتقى و تجور(۳) الاّ أنّها الأَقدارُ إنْ حانَ حينها * يُغلَّب فِكّيرٌ (۴)بها و خطيرُ ويا ربَّ علم مثل جهل مركب * قليلٌ به الإنسان و هو كثير ويا ربَّ علم يُحمَدُ الجهلُ عندَهُ * و تُعزى له تمجِيدَةٌ وشُكورُ *** _____

۱. المراد: عبد الله بن وهب الراسبى رأس المحكّمة.

۲. اشارة إلى ما اثر عنه: دعوا الرأى حتى يختمر فلا خير فى الرأى الفطير.

۳. تميل.

۴. فكّير: كثر التفكير. خطير: عظيم الشأن. (۳۹۱) ۲ ـ حكم مرتكب الكبيرة من الجهات الثلاث إنّ أوّل مسألة ـ بعد الإمامة ـ أثارت

ضجّة کبری بین المسلمین وفرّقتهم إلی فرقتین بل إلی فرق: مسألة حکم مرتکب الکبیرة، فقد وقع البحث فیها فی جهات ثلاث: الجهة الأُولی: هل مرتکب الکبیرة مؤمن أو مشرک؟ الجهة الثانیة: هل مرتکب الکبیرة مؤمن أو کافر؟ الجهة الثالثة: هل مرتکب الکبیرة محکوم بالخلود فی النار أو لا؟ و أساس المسألة هو أنّ العمل هل هو جزء من الإیمان أو لا؟: فعلی الأوّل فإذا أخلَّ بحکم من أحکام الإسلام کما إذا ارتکب الحرام أو ترک الواجب لا جاحداً لحرمته أو وجوبه، بل لغلبة هواه علی عقله، یخرج عن دائرة الإیمان، و علی الثانی یبقی مؤمناً و یوصف بالفسق و الخروج عن الطاعة، ولأجل ایضاح المقام نشیر إلی الآراء المختلفة فی هذا الباب: ذهبت الأزارقة إلی أنّ مرتکب المعاصی مشرک فضلاً عن کونه کافراً من (۳۹۲)

غیر فرق بین الکبیرة والصغیرة، وذهبت النجدیة إلی أنّ مرتکب الکبیرة مشرک، وأمّا الصغائر فلا فهاتان الطائفتان من متطرّفة الخوارج، تتّفقان فی کون ارتکاب الکبائر موجباً للشرک و الکفر، ویختلفان فی الصغائر، فتراها الأزارقة مثل الکبائر دون النجدیة. و ذهبت الاباضیة إلی کون الارتکاب کفراً لاشرکاً، و الکفر عندهم أعم، من کفر الجحود و کفر النعم، فمرتکبها من المؤمنین کافر کفر النعمة لاکفر الجحود. و ذهبت المعتزلة إلی أنّ مرتکب الکبیرة فی منزلة بین المنزلتین لا مؤمن ولا کافر فضلاً عن کونه مشرکاً. نعم اتّفقت المعتزلة و الخوارج علی کونه مخلَّداً فی النار إذا مات غیر تائب، وذهبت الإمامیة والأشاعرة و أهل الحدیث إلی کون مرتکب الکبیرة مؤمناً فاسقاً غیر مخلّد فی النار. هذه هی الأقوال و الآراء البارزة فی المقام، ولنرکّز البحث فی الجهات الثلاثة ونجعل الجمیع مسألة واحدة، فإنّ کلّ واحدة، وجه لعملة واحدة، وإن کان للعملة الرائجة وجهان: الجهة الأُولی ـ هل مرتکب المعاصی مشرک ؟ قد عرفت أنّ الأزارقة ذهبت إلی أنّ المعاصی کلّها شرک و مرتکبها مشرک(۱) ولأجل تحلیل هذا القول نذکر ما هو حدّ الشرک و محقّقه، فنقول: لو افترضنا أنّ مرتکب الکبیرة کافر، لا یصحّ لنا توصیفه بالشرک، فإنّ للشرک معنیً محدّداً لا ینطبق علی مرتکب الکبیرة إلّا فی ظروف خاصّة و هی خارجة عن موضوع البحث، وتوضیح ذلک بوجهین: ــــــــــــــــــ

۱. صالح أحمد الصوافی: الإمام جابر بن زید العمانی: ۲۵۲. (۳۹۳) ۱ ـ إنّه سبحانه قسّم الکافر إلی مشرک و غیره و قال: (لَمْ یَکُنِ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الکِتابِ وَ المُشْرِکِینَ مُنْفَکِّینَ حَتَّی تَأْتِیَهُمُ الَبَیِّنَةُ)(۱) وقال سبحانه: (لَتَجِدَنَّ اَشَدَّ النّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِینَ آمَنُوا الیَهُودَ وَالَّذِینَ اَشْرَکُوا)(۲) کلّ ذلک یدلّ علی أنّ للمشرک معنیً محدداً لاینطبق علی الکافرین من أهل الکتاب فضلاً علی المسلم المعتقد بکل ما جاء به الرسول، إذا ارتکب کبیرة لا لاستهانة بالدین بل لغلبة الهوی علی العقل، فکیف یمکن أن نعدّ کلّ کافر مشرکاً، فضلاً أن نعدّ المسلم المرتکب للکبیرة مشرکاً؟ ثمّ لو افترضنا صحّة کون أهل الکتاب مشرکین فی الحقیقة و فی الواقع، کما هو غیر بعید لقوله سبحانه: (لَقَدْ کَفَرَ الَّذِینَ قالُوا إِنَّ اللهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ وَ ما مِنْ إِله إِلّا إِلهٌ واحِدٌ)(۳) ولکنّه اصطلاح ثانوی لایکون منافیاً لما جری علیه القرآن من عدّ أهل الکتاب فی مقابل المشرکین. و یظهر ذلک من الروایات الواردة حول الریاء فإنّ المرائی، قد وصف بالشرک، ولکنّه شرک خفی لاصلة له بالشرک المصطلح فی القرآن الکریم. روی علی بن إبراهیم فی تفسیره عن أبی جعفر الباقر قال: سئل رسول الله عن تفسیر قوله الله عزّوجل: (فَمَنْ کَانَ یَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْیَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَلا یُشْرِکْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ اَحَداً)(۴) فقال من صلّی مراءاة الناس فهو مشرک ـ إلی أن قال ـ ومن عمل عملاً ـ ممّا أمر الله به مراءاة الناس، فهو مشرک، ولا ـ یقبل الله عمل مراء(۵).

---

۱. البینة: ۱.

۲. المائدة: ۸۲ .

۳. المائدة: ۷۳.

۴. الکهف: ۱۱۰.

۵. الحر العاملی: وسائل الشیعة ۱، الباب الحادی عشر من أبواب مقدمات العبادات ۱۳ ـ ۵۰. (۳۹۴) ولکن ذلک مصطلح آخر، أو استعارة له للمورد لتأکید الأمر لما عرفت من أنّ المشرک فی القرآن الکریم یطلق علی غیر المعتنقین لاحدی الشرائع السماویة، من

غير فرق بين اليهود والنصارى و غيرهم. ۲ ـ إنّ الشرك عبارة عن تصوّر ندٍّ وثان لله سبحانه فى ذاته أو صفاته أو أفعاله، قال سبحانه: (فَلا تَجْعَلُوا لله اَنْدَاداً وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)(۱) وقال سبحانه: (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ الله أَنْداداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الله)(۲) وقال تعالى: (وَ جَعَلُوا لله أَنْدَاداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ)(۳) إلى غير ذلك من الآيات الّتى تشرح لنا حقيقة الشرك و خصوصياته(۴). ولأجل تصوّر الندِّ و المثل لله سبحانه فى الذات أو الصفات أو الأفعال، كانوا يعبدون الأصنام بحكم انّها أنداد لله تبارك و تعالى، فكانوا يساوونها بالله تعالى فى العقيدة و العبادة، قال تعالى: (تَالله إِنْ كُنَّا لَفِى ضَلالٍ مُبِين * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ العَالَمِينَ)(۵). فعلى ضوء ذلك فلا يصحّ لنا توصيف إنسان بالشرك و عدّه من المشركين إلّا إذا اعتقد بندٍّ لله تبارك و تعالى و لو فى مرحلة من المراحل، ولأجل هذه العقيدة كان المشركون يفرّون من كلمة (لا إله إلّا الله) لكونها على جانب النقيض من عقيدتهم، قال سبحانه: (إِنَّهُمْ كَانوا اذا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله يَسْتَكْبِرُونَ * وَ يَقُولُونَ أَئِنَا لَتارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُون)(۶). _____

۱. البقرة: ۲۲.

۲. البقرة: ۱۶۵.

۳. إبراهيم: ۳۰.

۴. لاحظ: سورة سبأ / ۳۳، الزمر / ۸، فصلّت / ۹.

۵. الشعراء: ۹۷ ـ ۹۸.

۶. الصافّات ۳۵ ـ ۳۶. (۳۹۵) وقال تعالى: (وَ اذَا ذُكِرَ الله وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بالآخِرَةِ وَ اذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ اذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)(۱) وقال تعالى: (ذلِكُمْ بِأَنَّهُ اذَا دُعِىَ الله وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤمِنوا فَالحُكْمُ لله العَلِىِّ الكَبِير)(۲). فهذه الآيات تحدّد حقيقة الشرك و تُعرِّف المشرك بمضامينها، فهل يمكن توصيف المسلم المؤمن الموحّد، بالشرك مع أنّه لم يتّخذ أى ندٍّ و مثل فى مجال الذات و الصفات و الأفعال، ولم يعبد غيره، وإنّما وحّده فى الذات، والصفات، والأفعال، و فى مقام القيام بوظائف العبوديّة لم يعبد إلّا الله سبحانه. نعم غلبت عليه ـ أحياناً ـ شقوته، وسيطرت عليه نفسه الأمّارة فركب الحرام مع وجل و خوف. وبذلك ظهر أنّ الكفر أعم من الشرك، فمن لم يتّخذ ندّاً و مثلاً لله سبحانه، و لكنّه كفر برسله و كتبه و ما نزّل الله سبحانه، فهو كافر لامشرك، و أوضح منه من آمن بالله ولم يكفر بشىء ممّا أنزله و أرسله غير أنّه صار مقهوراً فارتكب شيئاً حرّمه الله أو ترك فريضة أوجبها الله سبحانه. فاتضح بذلك بطلان قول الأزارقة من أنّ المعاصى كلّها شرك كبطلان قول النجدية بأنّ الكبائر كلّها شرك وأمّا الصغائر فلا، إذ لاينطبق معيار الشرك على مجرّد ارتكاب المعصية، صغيرة كانت أو كبيرة. أدلّة الأزارقة على أنّ المعاصى شرك: استدلّت الأزارقة على أنّ المعاصى كلّها شرك بآيات و المهم فيها آيتان وإليك البيان: _____

۱. الزمر: ۴۵.

۲. غافر: ۱۲. (۳۹۶) ۱ ـ (وَ مَنْ يُشْرِكْ بِالله فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاًبَعِيداً)(۱). يلاحظ عليه: أنّ ظاهر الآية انّ المشرك ممّن «ضلّ ضلالاً بعيداً»، فلو فرضنا أنّ مرتكب الكبيرة من مصاديق تلك الضابطة فلا تدلّ الآية على أنّه مشرك لأنّ ظاهر الآية أنّ المشرك من مصاديق «فَقَدْ ضل ضَلالاً بعيداً» لا أنّ «كلّ من ضلّ ضلالاً بعيداً فهو مشرك» إذ من المحتمل أن تكون الضابطة أعم من الشرك، فمثل الآية مثل قولنا: «كل جوز مدوّر لا أنّ كل مدوّر جوز». أضف إلى ذلك: انّ مرتكب الكبيرة إذا كان موحّداً مؤمناً بما أنزل الله تعالى، ليس من جزئيات قوله: «ضلّ ضلالاً بعيداً» لأنّ القرآن إنّما يستعمله فى المشرك والكافر الجاحد، لا المؤمن المعتقد الّذى غلبه هواه، و يعلم ذلك بالتتبع فى موارد وروده فى الذكر الحكيم. قال سبحانه (وَ وَيْلٌ لِلْكافِرِينَ مِنْ عَذَاب شَدِيد * الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الحَيَاةَ الدُّنْيا عَلَى الآخِرَةِ وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ الله وَ يَبْغُونَهَا عِوَجَاً اُولئكَ فِى ضَلال بَعِيد)(۲). وقال سبحانه: (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُمْ كَرَمَاد اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِى يَوْم عَاصِف لايَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَىْء ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ)(۳). وقال تعالى: (يَدْعُوا مِنْ دُونِ الله مَالا يَضُرُّهُ وَ مَالا يَنْفَعُهُ ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ البَعِيدُ)(۴) وقال تعالى: (بَلِ الَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ بالآخِرةِ فِى العَذَابِ و الضَّلال البَعِيدِ)(۵).

۱. النساء: ۱۱۶.

۲. إبراهیم: ۲ ـ ۳.

۳. إبراهیم: ۱۸.

۴. الحج: ۱۲.

۵. سبأ: ۸ . (۳۹۷) و قال تعالی: (إِنَّ الَّذِینَ یُمارُونَ فِی السَّاعَةِ لَفِی ضَلال بَعِید)(۱). و قال (الَّذِی جَعَلَ مَعَ اللهِ إلهاً آخر... وَلکِن کَانَ فِی ضَلال بَعِید)(۲). فظهر من ذلک أنّ الضلال البعید مفهوم ینطبق علی الجاحد مشرکاً کان أم کافراً غیر مشرک، ولا ینطبق علی المؤمن بکل ما أنزل الله غیر أنّه غلب علیه هواه فرکب الکبیرة. ۲ ـ قال سبحانه: (وَلا تَأْکُلُوا مِمَّا لَمْ یُذْکَرِ اسْمُ اللهِ عَلَیْهِ وَ إِنَّهُ لَفِسْقٌ وَ إِنَّ الشَّیاطِینَ لَیُوحُونَ إِلَی أَوْلِیائِهِمْ لِیُجادِلُوکُمْ وَ إِنْ أَطَعْتُمُوهَمْ إِنَّکُمْ لَمُشْرِکُونَ)(۳). قالوا: إنّ معنی الآیة انّکم إن أطعتموهم بأکل المیتة فأنتم أیضاً مشرکون. یلاحظ علیه: أنّ المراد هو الإطاعة فی استحلال المیتة لا فی أکلها، ولا شک انّ المستحلّ لما حرّم الله مشرک و ذلک لما قرّرنا فی محلّه انّ التقنین والتشریع من فعله سبحانه و لیس فی عالم التشریع مشرّع سواه، فالمستحلُّ للمیتة یصوّر نِدّاً لله سبحانه، لا فی الذات و الصفات بل فی الأفعال و یشرک الغیر معه فی اعطاء فعله لغیره. ویوضحه قوله سبحانه: (اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِن دُونِ اللهِ وَ المَسِیحَ ابْنَ مَرْیَمَ)(۴) فقد ورد فی تفسیره انّهم ما صلّوا ولا صاموا للأحبار والرهبان، بل أطاعوهم فی تحلیلهم الحرام وتحریمهم الحلال(۵). * * * _____

۱. الشوری: ۱۸.

۲. ق: ۲۶ ـ ۲۷.

۳. الأنعام: ۱۲۱.

۴. التوبة: ۳۱.

۵. الطبرسی: مجمع البیان ۳ / ۲۳. (۳۹۸) الجهة الثانیة ـ هل مرتکب المعاصی مؤمن أو کافر؟: قد عرفت أنّ الأزارقة و النجدیة قالوا إنّ المعاصی شرک، و خالفهم الاباضیة، فوصفوها بالکفر، و مرتکبها بالکافر، و یقع الکلام فی الجهة الثانیة فی هذا الجانب، و قبل الخوض فی تحلیل دلائلهم نذکر ما هو حقیقة الإیمان و الکفر، فنقول: إنّ حقیقة الإیمان هو التصدیق القلبی، والقلب هو مرتکز لوائه، و أمّا العمل فهو من مظاهره لامن مقوّماته و یظهر ذلک من غیر واحد من الآیات. قال سبحانه: (أُولئِک کَتَبَ فِی قُلُوبِهِمُ الإیمانَ)(۱)، و قال سبحانه: (وَلمّا یَدْخُلِ الإیمانُ فِی قُلُوبِکُمْ)(۲)، و قال تعالی: (وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإیمانِ)(۳). وتؤکّد آیات الطبع و الختم علی أنّ محلّ الإیمان هو القلب، قال سبحانه: (أُولئِکَ الَّذِینَ طَبَعَ عَلَی قُلُوبِهِمْ وَ سَمْعِهِمْ وَ أَبْصَارِهِمْ وَ أُلئِکَ هُمُ الغَافِلُونَ)(۴)، وقال سبحانه (وَ خَتَمَ عَلَی سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلَی بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن یَهْدِیهِ مِن بَعْدِ اللهِ أَفَلَا تَذَکَّرُونَ)(۵) والختم علی السمع و البصر لکونهما من أدوات المعرفة الّتی یستخدمها القلب. نعم کون القلب مرکزاً للإیمان و خروج العمل عن کونه عنصراً مقوّماً للإیمان، لایعنی أنّ التصدیق القلبی یکفی فی نجاة الإنسان فی الحیاة الأُخرویة بل یعنی أنّه یکفی فی خروج الإنسان عن زمرة الکافرین ـ الذین لهم خصائص _____

۱. المجادلة: ۲۲.

۲. الحجرات: ۱۴.

۳. النحل: ۱۰۶.

۴. النحل: ۱۰۸.

۵. الجاثیة: ۲۳. (۳۹۹)

وأحكام ـ التصديق القلبى، فيحرم دمه وماله و تحلّ ذبيحته و تصحّ مناكحته إلى غير ذلك من الأحكام الّتى تترتّب على التصديق القلبى إذا أظهره بلسانه أو وقف عليه الغير بطريق من الطرق، و أمّا كون ذلك موجباً للنجاة يوم الحساب فلا، فإنّ للنجاة فى الحياة الاُخروية شرائط اُخرى تكفّل ببيانها الذكر الحكيم و السنّة الكريمة. وبذلك يفترق عن قول المرجئة الذين اكتفوا بالتصديق القلبى أو اللسانى واستغنوا عن العمل، وبعبارة اُخرى قدّموا الإيمان و أخّروا العمل، فهذه الطائفة من أكثر الطوائف خطراً على الإسلام و أهله، لأنّهم بإذاعة هذا التفكير بين الشباب، يدعونهم إلى الإباحية و التجرّد عن الأخلاق و المثل الاسلامية، ويعتقدون أنّ الوعيد خاص بالكفّار دون المؤمنين، فالجحيم و نارها و لهيبها لهم دون المسلمين، ومعنى هذا أنّه يكفى فى النجاة الإيمان المجرّد عن العمل، وأىّ خطر أعظم من ذلك؟ و على ضوء ذلك يظهر المراد ممّا رواه البخارى عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: بُنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله، و اقامة الصلاة و ايتاء الزكاة والحج و صوم رمضان(۱) فإنّ المراد من الإسلام، ليس هو الإسلام المقابل للإيمان فى قوله سبحانه: (قَالَتِ الأعرابُ آمَنَّا قُل لَمْ تَؤْمِنوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُل الإيمانّ فِى قُلُوبِكُمْ)(۲) ولا الإسلام و الإيمان بأقل درجاتهما الّذى له أحكام خاصّة، بل الإيمان المنجى لصاحبه من العذاب الأليم. وهذا لايضر بما قلنا من أنّ مقوّم الإيمان، هو العقيدة القلبية. وإليه ينظر ما روى عن الإمام الصادق من _____

۱. البخارى: الصحيح ۱ / ۱۴ كتاب الإيمان.

۲. الحجرات: ۱۴. (۴۰۰)

أنّ الإسلام يحقن به الدم و تؤدّى به الأمانة، و يستحلّ به الفرج، والثواب على الإيمان(۱). و بالجملة انّ كون التصديق القلبى مقياساً للإيمان غير القول بأنَ التصديق القولى أو القلبى المجرّدين عن العمل كاف للنجاة، ولأجل ذلك تركّز الآيات على العمل بعد الإيمان و تقول: (إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اُولئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ)(۲) وقال تعالى: (وَ مَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَ هُوَ مُؤمِنٌ)(۳) و قال تعالى: (يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)(۴) فلو كان العمل عنصراً مقوّماً لحقيقة الإيمان فما معنى الامر بالتقوى بعد فرض الإيمان لأنّه يكون أشبه بطلب الأمر الموجود و تحصيل الحاصل. أدلّة الخوارج على أنّ ارتكاب المعاصى كفر: هناك آيات تتمسّك بها الخوارج على أنّ العمل عنصر مقوّم لحقيقة الإيمان حتى المرتبة الضعيفة، نشير إلى بعضها: ۱ ـ (وَ لِلّهِ عَلَى النَّاسِ حجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إلَيْهِ سَبِيلاً ـ وَ مَنْ كَفَرَ فإنَّ الله غَنِىٌّ عَنِ العَالَمِينَ)(۵) فسمّى سبحانه تارك الحج كافراً. يلاحظ عليه: أنّ المراد كفر النعمة، حيث إنّ ترك فريضة الحج مع الاستطاعة كفران لنعمته سبحانه وقد استعمل الكفر فى مقابل شكر النعم إذ قال

---

۱. البرقى: المحاسن ۱ / ۲۸۵.

۲. البيّنة: ۷.

۳. طه: ۱۱۲.

۴. التوبة: ۱۱۹.

۵. آل عمران: ۹۷. (۴۰۱)

سبحانه: (وَ إذْ تَأَذَّنَ رَبُّكمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ)(۱). على أنّه يحتمل أن يكون المراد من توصيف تارك الحج بالكفر، هو كونه كافراً لجحد وجوبه، فيرجع الأمر إلى جحد الرسالة و يؤيّده صدر الآية (وَ لِلّهِ عَلَى النَّاسِ حجُّ البَيْتِ) فأنبأ عن اللزوم ثمّ قال: (وَ مَنْ كَفَرَ) بلزوم ذلك و من المعلوم أنّ من أنكر لزومه فهو كافر. ۲ ـ (فَلا وَ رَبِّكَ لايُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لايَجِدُوا فِى أنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)(۲) قيل: إنّه سبحانه أقسم بنفسه انّهم لايؤمنون إلاّ بتحكيم النبى و التسليم بحكمه، و عدم وجدان الحرج فى قضائه، والتحكيم غير التصديق بل هو عمل خارجى (۳). يلاحظ عليه: أنّ الآية وردت فى شأن المنافقين، فإنّهم كانوا يتركون النبى و يرجعون فى دعاويهم إلى الأحبار، و هم مع ذلك يدّعون الإيمان بالنبى و

الإذعان والتسليم له ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فنزلت الآية بأنّه لايقبل منهم ذلك الإدّعاء حتى يُرى أثر الإيمان فى حياتهم، و هو تحكيم النبى، فى المرافعات و المنازعات و التسليم المحض أمام قضائه، و عدم احساسهم بالحرج، و هذا هو الظاهر من الآية، لا أن التحكيم بما أنّه عمل، جزء من الإيمان و هذا نظير ما إذا ادّعى إنسان حبّاً لرجل فيقال له: إن كنت صادقاً فيجب أن يرى أثر الحبُ فى حياتك، فاعمل له كذا وكذا. ۳ ـ (إِنَّهُ لايَيْأسُ مِن رَوْحِ اللهِ إلاّ القَوْمُ الكافِرُونَ)(۴) بادّعاء أن الفاسق بفسقه _____

۱. إبراهيم: ۷.

۲. النساء: ۶۵.

۳. ابن حزم الظاهرى: الفصل ۳ / ۱۹۵.

۴. يوسف: ۸۷. (۴۰۲)

واصراره عليه، آيس من روح الله فكان كافراً. والجواب: انّ المدعى ممنوع: فإنّ فسّاق المؤمنين ليسوا بآيسين بل يرجون رحمة ربّهم بالتوبة أو الشفاعة، أضف إليه: المراد من «الروح» هذا، الفرج بعد الشدّة، ومثل هذا اليأس من الكبائر الموبقة، ولكنّه لا يوجب كفراً، وذلك لأنّ النهى فى الآية نهى تشريعى و معناه أنّ اليأس من روح الله شأن الكافر دون المؤمن، نظير قوله سبحانه: (وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِن أن يَقْتُلَ مَؤْمِناً إلاّ خَطَأً)(۱) أى ليس شأن المؤمن أن يقتل مؤمناً إلاّ ـ عن خطأ خارجاً عن اختياره لا أنّ المؤمن لايقتل المؤمن عمداً أبداً، و على ضوء ذلك فلو حصل اليأس من مؤمن فهو ركب الكبيرة الموبقة، و مع ذلك فليس بكافر. ۴ ـ (وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أنْزَلَ الله فَأُولئِكَ هُمُ الكافرون)(۲). يلاحظ عليه: أنّه سبحانه وصف من لم يحكم بما أنزل الله بأوصاف ثلاثة: أ ـ (وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الكافرون)(۳). ب ـ (وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمونَ)(۴). ج ـ (وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ(۵). والآيتان الأوّليتان نزلتا فى حق اليهود، كما هو لائح من صدريهما. والآية الثالثة فى مورد النصارى و مع ذلك لايكون المورد مخصّصاً للآيات بهما و المقصود هو أنّ من لم يحكم بما أنزل الله سواء أكان من أهل الكتاب أو غيرهم، فهو ظالم و فاسق و كافر، أمّا كونه ظالماً، فلأنّه تعدّى عن _____

۱. النساء: ۹۲.

۲. المائدة: ۴۴.

۳. المائدة: ۴۴.

۴. المائدة: ۴۵.

۵. المائدة: ۴۷. (۴۰۳)

الحقّ، فترك حكم الله، و حكم بحكم الجاهلية، فإنّ الحكم حكمان امّا إلهّى وامّا جاهلى، فإذا ترك الأوّل يكون من قبيل الثانى، قال سبحانه: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْم يُوقِنُونَ)(۱). و أما كونه فاسقاً، فإنّ الفسق هو الخروج عن طاعة الله، يقال: فسقت التمرة: إذا خرجت قشرتها، فالحاكم بغير ما أنزل الله خرج عن طاعة الله. وأمّا كونه كافراً، فلأنّ الآية حسب شأن نزولها وردت فى قوم ينكرون الرجم فى توراتهم، و لأجله يحكمون بغير ما أنزل الله، فيكون هذا قرينة على أنّ الكفر لأجل انكار ما أنزل الله فى الكتب السماوية، وإلى ذلك ينظر ما نقله الرازى عن بعضهم: انّ قوله (وَ مَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أنْزَلَ الله) إنّما يتناول من أنكر بقلبه وجحد بلسانه، أمّا مَن عرف بقلبه كونه حكم الله، وأقرّ به بلسانه، إلاّ أنّه أتى بما يضاده، فهو حاكم بما أنزل الله تعالى و لكنّه تارك له، فلا يلزم دخوله تحت هذه الآية(۲). وعلى ضوء ذلك فالآية تختصّ بالجاحد لحكم الله الوارد فى كتابه، المستلزم لانكار رسوله الّذى أتى به فى الكتاب. ۵ ـ (فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى * لاَ يَصْلَهَا إلاَّ الاَشْقَى * الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّى)(۳). وجه الاستدلال، انّ الآية تحصر الداخل فى النار فى الكافر، حيث يقول: (إلاّ الأشْقَى * الَّذِى كَذَّبَ تَوَلَّى) فبما أنّ المسلمين اتّفقوا على دخول الفاسق فى النار، يلزم أن يكون الفاسق كافراً. يلاحظ عليه: أنّ الآية تحصر الخلود فى النار و المقيم فيها فى المكذّب _____

۱. المائدة: ۵۰.

۲. الرازى: مفاتيح الغيب ۳ / ۴۲۱.

۳. اللّيل: ۱۴ ـ ۱۶. (۴۰۴)

المتولّى لامجرّد الداخل فيها و تقول: (لا يصلاها إلاّ الأشقى * الَذِى كذّب وتولّى)وذلك لأن قوله (لَايَصْلاها)، من قوله صلى الرجل النار، يصلاها أى لزمها(۱) وهى عبارة اُخرى عن الخلود فى النار فالآية لاتدل إلاّ على أنّ الخلود فى النار من خصائص الكافر المكذّب المتولّى وأمّا المؤمن الفاسق فخارج عن حدود و دلالة الآية. هذا و ربّما يستدلّ بالآية على قول المرجئة القائلة بالنار للكافرين دون المؤمنين، وذلك لأنّه سبحانه يقول: لا يدخل النار إلاّ الكافر، والمؤمن الفاسق ليس كافراً، وأجاب عنه القاضى المعتزلى على ما نقل عنه: بأنّ (ناراً) نكرة فى سياق الاثبات، و إنّما تعمّ النكرة فى سياق النفى نحو قولك: ما فى الدار رجل، و غير ممتنع أن تكون فى الآخرة نار مخصوصة لايصلاها إلاّ الذين كذبوا و تولّوا ويكون للفسّاق نار اُخرى غيرها(۲). وأوضحه الطبرسى فى مجمعه و قال: إنّه سبحانه نكّر النار المذكورة ولم يُعرّفْها، فالمراد بذلك انّ ناراً من جملة النيران لايصلاها إلاّ من هذه حاله، والنيران درجات على ما بيّنه سبحانه فى سورة النساء (۳)، فمن أين عرف أنّ غير هذه النار لايصلاها قوم آخرون(۴). و لكن الاستدلال و الجواب مبنيان على أنّ «الصلى» بمعنى الدخول و لكنه غير صحيح لما عرفت من أنّه الدخول الملازم للبقاء. أضف إلى ذلك: انّه لودلّ على أنّ النار مختصّة بالكافرين يلزم منه الاغراء بالمعاصى لأنّه بمنزلة أن يقول الله تعالى لمن صدّق بالله و رسوله ولم يكذّب

---

۱. يقال صلى فلاناً النار: أدخله إيّاها و أثواه فيها.

۲. ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۸ / ۱۱۵.

۳. النساء: ۱۴۵: (إِنَّ الْمُنَـفِقِينَ فِى الدَّرَكِ الاَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً).

۴. الطبرسى: مجمع البيان ۵ / ۵۰۲. (۴۰۵)

ولم يتولّ: أى معصية اقدمتَ عليها فلن يضرّك. و هذا هو الاغراء الّذى لايصدر من الحكيم. على أنّه سبحانه يقول بعدها(وَ سَيُجَنَّبُها الأَتْقَى * الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّى)(۱) و يحصر المجنّب عن النار فى الأتقى، و معلوم أنّ الفاسق ليس بأتقى لأنّ «أتقى» مبالغة فى التقوى و من يرتكب عظائم الكبائر لايوصف بأنّه أتقى . ۶ ـ (إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَـفِرِينَ)(۲). قالوا: و الفاسق تحيط به جهنّم فوجب أن يكون كافراً. يلاحظ عليه: أنّه من غرائب الاستدلالات، فإنّه لم يقل سبحانه: و انّ جهنّم لاتحيط إلاّ بالكافرين، حتّى يلزم أن يكون الفاسق من أقسام الكافر، باعتبار كونها محيطة به أيضاً ولا يلزم من كونها محيطة بقوم، ألاّ تحيط بقوم سواهم. ۷ ـ (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَـنِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ)(۳). وجه الاستدلال: انّ الفاسق لايجوز أن يكون ممّن ابيضّت وجوههم، فوجب أن يكون ممّن اسودّت و إذا دخل فيه يكون كافراً لقوله: (بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ). يلاحظ عليه: أنّ الآية تخبر عن وجود صنفين: صنف تبيضّ وجوههم، وصنف تسودّ وجوههم، فالاوّل من سمات المؤمن الّذى لم يخالط إيمانه بإثم، والثانى من سمات الكافر الّذى لم يؤمن بالله أو صفاته أو أفعاله، فى النبوّة ــــــــــــــــــ

۱. الليل: ۱۷ ـ ۱۸.

۲. التوبة: ۴۹.

۳. آل عمران: ۱۰۶. (۴۰۶)

والخاتميّة. و أمّا انّه ليس هنا صنف ثالث و يحشرون بغير هاتين السمتين، فلا تدلّ الآية عليه، والمؤمن الّذى ركب الكبيرة هو من هذا القسم الثالث الّذى لم تتكفّل الآية ببيان حكمه. والحاصل انّ الآية تبحث عن المؤمن الخاص، و الكافر المطلق، وتذكر سماتهما وحالاتهما، و أمّا القسم الثالث فهو خارج عن تقسيم الآية و لعلّ له سمة و علامة اُخرى غير بياض الوجه و سواده لم تذكرها الآية. قال

الطبرسی: استدلّت الخوارج بذلک علی أنّ من لیس بمؤمن فلابد أن یکون کافراً فإنّ الله سبحانه قسّم الوجوه إلی هذین القسمین. ولا تعلّق لهم به، لأنّه سبحانه ذکر هنا قسمین من الوجوه متقابلین، وجوه المؤمنین (غیر العاصین) و وجوه الکفّار، ولم یذکر وجوه الفسّاق من أهل الصلاة، فیجوز أن یکون لها صفة اُخری بأن یکون علیها غبرة لاتغشاها قترة أو یکون علیها صفرة أو لون آخر(۱). ۸ ـ (فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَـهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَـهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَـزِى إِلاَّ الْكَفُورَ)(۲). والفاسق لابد أن یجازی، فوجب أن یکون کفوراً. یلاحظ علیه: أنّ المراد من قوله (وَ هَلْ نُجزِی) لیس مطلق المجازاة، بل مجازاة الاستئصال، والآیة وردت فی قصة أهل سبأ و هم استؤصلوا بالعقوبة، فالمجازاة المقترنة بالاستئصال من خصائص الکفّار، لاکل مجازاة. _____

۱. الطبرسی: مجمع البیان ۵ / ۴۴۱.

۲. سبأ: ۱۶ ـ ۱۷. (۴۰۷) ۹ ـ (إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـنٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ)(۱). وفسّر الغاوون فی آیة اُخری بالمشرکین قال سبحانه (إِنَّمَا سُلْطَـنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ)(۲). وعلی ضوء هذا فمرتکب الکبائر من الغاوین لأجل سلطة الشیطان علیه و هو حسب تعبیر الآیة الثانیة من المشرکین فینتج أنّ مرتکب الکبیرة مشرک یلاحظ علیه: أنّ الآیة فسّرت الغاوین بصنفین: صنف یتولّونه، و صنف به مشرکون، ومرتکب الکبیرة داخل فی الصنف الأوّل لافی الصنف الثانی. ۱۰ ـ (وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَيهُمُ النَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُواْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ النَّارِ الَّذِى كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ)(۳). وجه الدّلالة انّه سبحانه جعل الفاسق مکذّباً. یلاحظ علیه: أنّ الاستدلال مبنی علی تفسیر الفاسق بالمعنی الرائج فی أعصارنا أی المؤمن بالله و صفاته و رسالاته المرتکب لکبیرة، و هو غیر صحیح إذ لیس کل فاسق بهذا المعنی مکذّباً، فتعیّن أن یکون المراد من الفاسق فی الآیة من خرج عن الطاعة بتکذیبه، ومن المعلوم أنّ مثله کافر، قال سبحانه (أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لاَّ يَسْتَوُونَ)(۴) وبالجملة: المقصود من الفاسق فی الآیة من عصی عن طریق التکذیب الّذی یساوق الکفر، لا ـ من فسق ـ و هو مؤمن بقلبه ولسانه ـ بالخروج عن الطاعة لارتکابه المعاصی. _____

۱. الحجر: ۴۲.

۲. النحل: ۱۰۰.

۳. السجدة: ۲۰.

۴. السجدة: ۱۸. (۴۰۸) ۱۱ ـ (هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ)(۱). وجه الدلالة انّ من لم یکن مؤمنا فهو کافر، والفاسق لیس بمؤمن فوجب أن یکون کافراً . یلاحظ علیه: أنّ الفاسق، أی المسلم المعتقد بالله سبحانه ورسله وکتبه، المرتکب لبعض المحّرمات، مؤمن لیس بکافر، فقوله: الفاسق لیس بمؤمن، ممنوع، فإنّ الفاسق علی قسمین، قسم یخرج عن طاعة الله سبحانه بالتکذیب والانکار، وقسم یؤمن به، ولکن لا یقوم فی مقام العمل ببعض الوظائف، فالأوّل کافر دون الثانی. وأمّا الشارح ابن أبی الحدید فبما أنّه من المعتزلة، و مرتکب الکبیرة عندهم لامؤمن ولا ـ کافر بل فی منزلة بین المنزلتین، أجاب بأنّ (من) هاهنا للتبعیض ولیس فی ذکر التبعیض نفی الثالث (ولعلّ هنا من لیس بمؤمن ولاکافر)(۲) وهو کماتری ،لأنّ الآیة فی مقام الحصر. ۱۲ ـ (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُون فَإِنَّهُمْ لاَيُكَذِّبُونَكَ وَلَـكِنَّ الظَّـلِمِينَ بَـايَـتِ اللهِ يَجْحَدُونَ)(۳). وجه الدلالة انّ مرتکب الکبائر ظالم، والظالم بحکم الآیة جاحد والجاحد کافر، وإلی ذلک یرجع استدلالهم حیث یقولون: _____

۱. التغابن: ۲.

۲. ابن أبی الحدید: شرح النهج ۸ / ۱۱۸.

۳. الأنعام: ۳۳. (۴۰۹) ۱۳ ـ الفاسق ظالم لغیره، أو لنفسه، وکلّ ظالم کافر، قال تعالی: (أَن لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّـلِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُم بِالاْخِرَةِ كَـفِرُونَ) (الأعراف / ۴۴ ـ ۴۵) (۱). یلاحظ علیه: أنّ الکبری ممنوعة و هی انّ کل ظالم جاحد

بآیات الله کما استظهره المستدل من الآیة الأولی أو أن کلّ ظالم کافر کما استظهره من الآیة الثانیة، وذلک لأنّ المراد من الظالمین فی کلتا الآیتین لیس هو مطلق الظالم ولو بمجرّد ارتکاب الکبیرة فقط، بل المراد هو المکذّب بلقاء الآخرة. أمّا الآیة الأولی: فیشهد علی ذلک سیاق الآیة: قبلها وبعدها حیث جاء فی الآیة المتقدّمة قوله (قَدْ خَسِرَ الَّذِینَ کَذَّبُواْ بِلِقَآءِ اللهِ...) وجاء فی الآیة المتأخّرة عنها: (وَ لَقَدْ کُذِّبت رُسُلٌ مِن قَبْلِکَ). وأمّا الآیة الثانیة: فذیلها شاهد علی أنّ المراد هو الجاحد بالآخرة. أضف إلی ذلک: انّه کیف یمکن أن یعدّ کل ظالم و لو ظلم نفسه کافراً؟ هذا هو نبیّنا آدم یقول: (قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أنفُسَنَا)(۲) وقال تعالی حکایة عن موسی: (إنّی ظَلَمْتُ نَفْسِی)(۳) وقال حکایة عن یونس:(إنِّی کُنتُ مِنَ الظَالِمِینَ)(۴). ۱۴ ـ (وَأَمَّا مَنْ أُوتِیَ کِتَبَهُ بِشِمَالِهِ فَیَقُولُ یَـلَیْتَنِی لَمْ أُوتَ کِتَبِیَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِیَهْ)(۵)... إلی قوله (إِنَّهُ کَانَ لاَ یُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِیمِ)(۶) والفاسق لایؤتی کتابه بیمینه بل یؤتی بشماله، إذ لا ثالث فیدخل تحت قوله (إِنَّهُ کَانَ _____

۱. صالح أحمد الصوافی: الإمام جابر بن زید العمانی: ۲۵۳.

۲. الأعراف: ۲۳.

۳. القصص: ۱۶.

۴. الأنبیاء: ۸۷ .

۵. الحاقة: ۲۵ ـ ۲۶.

۶. الحاقّة: ۳۳. (۴۱۰) لاَ یُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِیمِ) الّذی هو وصف عامّ لکل من اُوتی کتابه بشماله، ولو أردنا صوغ الاستدلال فی قالب علمی نقول: مرتکب الکبیرة یؤتی کتابه بشماله، و کلّ من کان کذلک فهو ممّن لا یؤمن بالله العظیم، فینتج: انّ مرتکب الکبیرة ممّن لا یؤمن بالله العظیم. یلاحظ علیه: أنّ الاستدلال مبنی علی أنّ المراد من الموصول فی قوله: (و أمّا من...) کل من یؤتی کتابه بشماله سواء کان جاحداً أو غیر جاحد لیشمل المسلم المؤمن المرتکب للکبیرة، ولکن المراد منه القسم الخاص من هذه الطائفة أعنی الجاحد بالله العظیم، أی من لم یوحّد الله سبحانه فی دار التکلیف، والدلیل علی ذلک هو التعلیل الوارد فی الآیة الأخری أعنی قوله: (إِنَّهُ کَانَ لاَ یُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِیمِ) فذیل الآیة قرینة علی اختصاص الموصول مع صلته، بالجاحد، لا المؤمن المذعن بکل الشرائع، لوضوح انّه لیس کل مرتکب الکبیرة غیر مؤمن بالله العظیم ولیس ارتکاب الکبیرة دلیلاً علی عدم الإیمان به لقضاء الضرورة علی بطلانه. ویؤیّد ذلک انّه علّل دفع الکتاب إلی الظهر فی بعض الآیات الّذی هو بمنزلة دفعه إلی شماله بأنّه کان غیر مؤمن بالآخرة قال سبحانه: (وَأَمَّا مَنْ أُوتِیَ کِتَبَهُ وَرَآءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ یَدْعُواْ ثُبُوراً...إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن یَحُورَ)(۱) ومعنی قوله «لن یحور» إنّه لا یرجع إلی الحیاة فی الآخرة. ۱۵ ـ (فَمَن ثَقُلَتْ مَوَزِینُهُ فَأُوْلَـئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَزِینُهُ فَأُوْلَـئِکَ الَّذِینَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فِی جَهَنَّمَ خَـلِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِیهَا کَـلِحُونَ * أَلَمْ تَکُنْ ءَایَتِی تُتْلَی عَلَیْکُمْ فَکُنتُم بِهَا تُکَذِّبُونَ)(۲). _____

۱. الانشقاق: ۱۰ ـ ۱۱ و ۱۴.

۲. المؤمنون: ۱۰۲ ـ ۱۰۵. (۴۱۱) وجه الاستدلال انّ الفاسق ممّن خفّت موازینه، و من خفّت موازینه فهو مکذّب حسب ظاهر الآیة، و المکذّب کافر بالاتّفاق. یلاحظ علیه: أنّ المراد من الموصول فی قوله «ومن خفّت موازینه» لیس کل من خفّت موازینه سواء کان مکذّباً بآیات الله أم مصدّقاً بها حتی یعمّ المؤمن الفاسق، بل المراد هو القسم الخاص أعنی الذین خفّت موازینهم لأجل التکذیب، لالأجل أمر آخر، أعنی ارتکاب الکبیرة مع التصدیق، و یوضّح هذا الجواب،ما ذکرناه فی الآیة المتقدّمة، فلاحظ(۱). ۱۶ ـ (وَمَن کَفَرَ بَعْدَ ذَلِکَ فَأُوْلَـئِکَ هُمُ الْفَـسِقُونَ)(۲). یلاحظ علیه: أنّ الآیة، دلیل علی أنّ کل کافر فاسق، ولا تدلّ علی العکس کما هو واضح. ثم إنّ الإمام علی ـ علیه السّلام ـ ردّ علی قول الخوارج بأنّ المسلم بارتکاب المعصیة یصیر کافراً بکلام منه موضع الحاجة: قال مخاطباً الخوارج: «فإن أبیتم إلاّ أن تزعموا أنّی أخطأتُ وضللتُ، فلم تُضَلِّلون عامّة امّة محمّد ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ، بِضَلالی، وتأخذونهم بخطئی، وتکفّرونهم بذنوبی! سیوفکم علی عواتقکم تضعونها مواضع البرء والسقم، وتخلطون من أذنب بمن لم یذنب،

وقد علمتم أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ رجم الزانى المحصن، ثمّ صلّى عليه، ثم ورّثه أهله، وقتل القاتل وورّث ميراثه أهله، وقطع السارق، وجلد الزانى غير المحصن، ثم قسم عليهما من الفىء، ونكحا المسلمات، فأخذهم رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ بذنوبهم، وأقام حقّ الله فيهم، ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام ولم يخرج أسماءهم من ــــــــــــــــــ

۱. راجع الآية ۹ ـ ۱۱ من سورة القارعة.

۲. النور: ۵۵. (۴۱۲)

بين أهله»(۱). و حاصل كلام الإمام: انّه لو كان صاحب الكبيرة كافراً لما صلّى عليه رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ولا ورّثه من المسلم، ولا ـ مكّنه من نكاح المسلمات، ولا ـ قسّم عليه من الفىء ولأ ـ خرجه عن لفظ الإسلام(۲). إلى هنا تمّ البحث عن كون مرتكب الكبيرة مؤمناً أو كافراً، فحان الآن البحث عن الجهة الثالثة و هى: انّ مرتكب الكبيرة هل هو مخلّد فى النار ـ إن لم يتب ـ أو أنّه يخرج منها بعد دخوله فيها وإنّما التأبيد للكافرين؟ * * * الجهة الثالثة ـ صاحب الكبيرة و خلوده فى النار: ذهب جمهور المسلمين إلى أن الخلود يختصّ بالكافر دون المسلم وإن أثم وركب الكبيرة، وذهبت الخوارج و المعتزلة د إلى خلوده فى النار إذامات بلا توبة. وبما أنّ المقام مختصّ بدراسة أدلّة الخوارج فى ا لمسألة، نكتفى ببيان أدلّتهم وأمّا ما استدلّ به جمهور المسلمين على عدم الخلود فيطلب من محلّه. فنقول: استدلّوا بآيات: ۱ ـ قوله سبحانه: (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)(۳) ولا ـ شكّ انّ الفاسق ممّن عصى الله و رسوله بترك الفرائض وإرتكاب المعاصى. يلاحظ عليه: أنّ الموضوع ليس مطلق العصيان، بل العصيان المنضم إليه ــــــــــــــــــ

۱. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۱۲۷.

۲. ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۸ / ۱۱۳ ـ ۱۱۴.

۳. النساء: ۱۴. (۴۱۳)

التعدّى عن حدود الله، و من المحتمل جدّاً أن يكون المراد من التعدّى، رفض أحكامه سبحانه و عدم قبولها. بل يمكن أن يقال: إنّ قوله (وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ)ظاهر فى تعدّى جميع حدود الله و هذه صفة الكفّار، فالآية خاصّة بهم لا بمرتكب الكبيرة. وأمّا المؤمن الفاسق فإنّما يتعدّى بعض الحدود. ۲ ـ (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً)(۱) فعدّ قاتل المؤمن من المخلّدين فى النار من غير فرق بين أن يكون القاتل مسلماً أو كافراً. يلاحظ عليه: أنّ الآية ناظرة إلى القاتل المستحل قتل المؤمن أو قتله لأجل ايمانه و مثله كافر و يدلّ عليه ما قبلها، قال سبحانه: (سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّواْ إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا فَإِنْ لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّواْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَـئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَناً مُّبِيناً)(۲). ثمّ يقول: (وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِن أَنْ يَقْتُلَ مُؤمِناً إلاّ ـ خَطَأً وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتحرِيرُ رَقَبَةُ مُؤْمِنَةُ...)(۳). ثمّ يقول: (وَ مَن يَقْتُلْ مُؤمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤهُ جَهَنَّمُ...) فالآية حسب السياق تختصّ بالمستحلّ الكافر، خصوصاً بالنظر إلى قوله (وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِن أَنْ يَقْتُلَ مُؤمِناً) والنفى وإن كان نفياً تشريعياً (ليس شأن المؤمن أن يقتل مؤمناً إلّا خطأ) لاتكوينّياً(لايصدر من المؤمن قتل المؤمن) ولكّنه يصحّ أن يقع قرينة ــــــــــــــــــ

۱. النساء: ۹۳.

۲. النساء: ۹۱.

۳. السناء: ۹۲. (۴۱۴)

على اختصاص الآية الثالثة بالكافر. ۳ ـ (بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فأُوْلَـئِكَ أَصْحَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ)(۱). يلاحظ عليه: أنّ الموضوع للحكم بالخلود ليس مطلق من كسب السيّئة، بل من اكتسب السيّئة و أحاطت به خطيئته، والمسلم المؤمن مهما كان عاصياً لاتحيط به خطيئته، فإنّ فى قلبه نقاطاً بيضاء يشع منها إيمانه و اعتقاده بالله سبحانه و أنبيائه وكتبه. ۴ ـ (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ

جَهَنَّمَ خَـلِـدُونَ * لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَمَا ظَلَمْنَـهُمْ وَلَـكِن كَانُواْ هُمُ الظَّـلِمِينَ)(۲). بحجّة أنّ المجرم أعم من الكافر و المؤمن الفاسق، وقد حكم عليه على وجه الاطلاق، بالخلود فى النار. يلاحظ عليه: أنّ الآية واردة فى حقّ الكفّار بشهادة سياقها، قال سبحانه قبل هذه الآية: (الَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَايَـتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ * ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَجُكُمْ تُحْبَرُونَ) ثم يقول (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـلِـدُون) فبحكم المقابلة مع قوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) فالمقصود من المجرمين هو الكفّار. هذه هى الآيات استدلّت بها الخوارج ثمّ المعتزلة على تأبيد صاحب الكبيرة فى النار . فلنكتف بهذا المقدار، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى محاضراتنا الكلاميّة(۳).

---

۱. البقرة: ۸۱.

۲. الزخرف: ۷۴ ـ ۷۶.

۳. محاضرات الاستاذ العلّامة جعفر السبحانى بقلم الشيخ حسن محمد مكى: الالهيات ۲ / ۹۱۰ ـ ۹۱۲. (۴۱۵) المخالفون عند الخوارج: إنّ الخوارج يعدّون جميع المسلمين كفاراً، لارتكابهم الكبائر و لا أقل لتصويبهم مبدأ التحكيم، و أكثرهم على أنّ الكفر كفر الملّة، أى الخروج عن الدين إلاّ القليل منهم، كالاباضية فإنّهم يعدّونه كفراً لنعمه مثلما مرّ فى قوله سبحانه فى مورد الحجّ: (وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِىٌّ عَنِ الْعَالمِين)(۱). فإذا كانت سائر الفرق محكومة بالكفر، فتكون دارهم دار الكفر، لا دار الإسلام وقد أوجبت بعض الفرق منهم (كالأزارقة) لزوم الهجرة عنها، للمعتنقين لمبادئ الخوارج. و على كلّ تقديره فهذه المسألة من شعب المسألة الثانية و هى أنّ مرتكب الكبيرة مؤمن فاسق، أو كافر، ولمّا ذهبت الخوارج إلى كونه كافراً فيكون جميع المسلمين المخالفين لهم فى المبادئ، كفّاراً. و بما أنّك عرفت أنّ مقوّم الإيمان عنصر قلبى، فلا يضرّ ارتكاب الكبيرة بالايمان، لا بمعنى أنّ الإيمان القلبى و إن لم يقترن بالعمل موجب للنجاة فى الآخرة، بل بمعنى أنّه يكفى فى خروج الانسان من عداد الكافرين والدخول فى عداد المسلمين: الإيمان القلبى بوحدانية الله سبحانه، وكتبه، ورسله، ولهذا الإيمان آثار فى الدنيا و الآخرة، وكان النبى الأكرم ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ يكتفى بالحكم فى ايمان الرجل باظهار الشهادتين و هناك روايات متواترة بل متضافرة تدل على ذلك. قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ لعلى ـ عليه السَّلام ـ : «قاتل أهل خيبر حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله فإذا فعلوا ذلك، فقد منعوا منك دماءهم و أموالهم، إلاّ بحقّها و حسابهم على الله»(۲). _____

۱. آل عمران: ۹۷.

۲. مسلم: الصحيح ۷ / ۱۲۱، ابن عساكر: ترجمة الإمام على ۱ / ۱۵۹ ح ۲۲۲، النسائى: خصائص أمير المؤمنين: ۵۷. (۴۱۶) روى الشافعى فى كتاب الأم عن ابى هريرة: أن رسول الله قال: «لا أزال أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلاّ الله، فإذا قالوا: لا إله إلاّ الله فقد عصموا منّى دماءهم و أموالهم إلاّ بحقّها و حسابهم على الله». ثم قال: فأعلم رسول الله انّ فرض الله أن يقاتلهم حتى يظهروا أن لا إله إلاّ الله، فاذا فعلوا منعوا دماءهم وأموالهم إلاّ بحقّها يعنى بما يحكم الله عليهم فيها، و حسابهم على الله بصدقهم و كذبهم و سرائرهم، الله العالم بسرائرهم، المتولّى الحكم عليهم، دون أنبيائه و حكّام خلقه، وبذلك مضت أحكام رسول الله فيما بين العباد من الحدود و جميع الحقوق، و أعلمهم أنّ جميع أحكامه على ما يظهرون، وأنّ الله يدين بالسرائر(۱). نعم ورد فى بعض الروايات، اقامة الصلاة و ايتاء الزكاة والحجّ و صوم رمضان: روى البخارى عن عبد الله بن عمر: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : «بنى الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلاّ الله، و أنّ محمّداً رسول الله واقام الصلاة، و ايتاء الزكاة، والحجّ، و صوم رمضان»(۲) ولكنّها من مظاهر العلم بالإيمان لا من مقوّماته لأنّ إيمان الانسان يتوقّف على مظهر له فى حياته، و الواجبات الواردة فيها مظاهر لهذا الإيمان. الإيمان يزيد و ينقص: ثم إنّه مع القول بأنّ العنصر المقوّم للايمان هو الاعتقاد القلبى ـ نقول: الإيمان يزيد و ينقص فى كلا الجانبين: العقيدة، و العمل، أمّا من جانب العقيدة: فأين إيمان الأولياء و الأنبياء بالله و رسله من إيمان سائر الناس، وأمّا _____

۱. الشافعى: الأم: ۶ / ۴ انظر موسوعة الإمام الشافعى : ۷ / ۲۴۱.

۲. البخاری: الصحیح ۱، کتاب الإیمان: ۹. (۴۱۷)

من جانب العمل، فأین إیمان من لایعصی الله سبحانه طرفة عین بل لایخطر بباله العصیان، من المؤمن التارک للفرائض والمرتکب للکبائر. نعم لاننکر انّه ربّما یؤدّی ترک الفرائض، و رکوب المعاصی، مدّة طویلة إلی الالحاد و الانکار و التکذیب و الجحد قال سبحانه: (ثُمَّ کَانَ عَـقِبَةَ الَّذِینَ أَسَـٰٓـُٔواْ السُّوأَی أَن کَذَّبُواْ بِئَایَـتِ اللهِ وَکَانُواْ بِهَا یَسْتَهْزِءُونَ)(۱). إنّ وزان «العقیدة و العمل الصالح» وزان الجذور و السیقان فی الشجرة فکما أنّ تقویة الجذور مؤثّرة فی قوّة السیقان، و کمال الشجرة وجود ثمرتها، فکذلک تهذیب السیقان و رعایتها بقطع الزوائد عنها و تشذیبها، و تعرّضها لنور الشمس، مؤثّرة فی قوّة الجذور، إنّها علاقة تبادلیّة بین العمل و العقیدة کالعلاقة التبادلیّة بین الجذور و السیقان. أجل ذلک هو الحال بالنسبة إلی تأثیر الإیمان فی العمل، و هکذا الحال بالنسبة إلی تأثیر العمل فی الاعتقاد، فإنّ الّذی ینطلق فی میدان الشهوة بلاقید، ویمضی فی اشباع غرائزه إلی أبعد الحدود، یستحیل علیه أن یبقی محافظاً علی أفکاره و اعتقاداته الدینیة و قیمه الروحیة. إنّه کلّما ازداد توغّلاً فی المفاسد ازداد بعداً عن قیم الدین لأنّها تمنعه عن المضی فی سبیله و التمادی فی عصیانه، و هکذا یتحرّر عن تلک المعتقدات شیئاً فشیئاً و ینسلخ منها و ینبذها وراءه ظهریاً. و قد أشارت الآیة الکریمة إلی هذه الحقیقة أیضاً. و بهذا یعتبر الفصل بین العمل، والکفر، بین العقیدة و السلوک، نظریة خاطئة ناشئة من الغفلة عن التأثیر المتقابل بین هذین البعدین. ــــــــــــــــ

۱. الروم: ۱۰. (۴۱۸) ولهذا یسعی المستعمرون دائماً إلی افساد الأجواء الاجتماعیة بهدف افساد الأخلاق والسلوک تمهیداً لتغییر الأفکار والقضاء علی المعتقدات(۱). * * * ــــــــــــــــ

۱. محاضرات الاستاذ جعفر السبحانی بقلم جعفر الهادی: الله خالق الکون ۶۳۶ ـ ۶۳۷.

(۴۱۹) ۳ ـ فی الخروج علی الحاکم الجائر اتّفقت الخروج علی لزوم الخوارج علی الحاکم الجائر، و جعلوه فرعاً من الأمر بالمعروف والنهیّ عن المنکر، بشرط القدرة و المنعة علیه، و یظهر ذلک من خطبهم و رسائلهم أوان قیامهم، و هذا عبد الله بن وهب الراسبی عندما غارد مع جماعته الحروریّة، متواجّهاً إلی النهروان، خطب قومه و قال «أمّا بعد فوالله ما ینبغی لقوم یؤمنون بالرحمن، و ینیبون إلی حکم القرآن، أن تکون هذه الدنیا ـ الّتی الرضا بها و الرکون إلیها و الإیثار إیّاها عناء وتبار ـ آثر عندهم من الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر، والقول بالحقّ، إلی أن قال: فاخرجوا بنا اخواننا من هذه القریة الظالم أهلها إلی بعض کور الجبال أو إلی بعض هذه المدائن منکِرین لهذه البدع». و قال حرقوص بن زهیر: «إنّ المتاع بهذه الدنیا قلیل، و إنّ الفراق لها وشیک، فلا تدعونّکم زینتها و بهجتها إلی المقام بها، و لا تُلفتنکم عن طلب (۴۲۰)

الحق وإنکار الظلم، فإنّ الله مع الَّذین اتّقَوْا و الّذین هم محسنون»(۱). و هذا نافع بن الأزرق یقول لأصحابه عند خروجه: «إنّ الله قد أکرمکم بمخرجکم، بصّرکم عمّا عمی عنه غیرکم، ألستم تعلمون أنّما خرجتم تطلبون شریعته و أمره، فأمره لکم قائد، والکتاب لکم إمام، و إنّما تتبعون سننه و أثره...»(۲). إلی غیر ذلک من کتب القوم و رسائلهم و خطبهم الّتی یرون فیها الخروج علی الإمام غیر العادل واجباً. أقول: الکلام فی الإمام الجائر یقع فی مقامین: الأوّل: فی لزوم إطاعته و عدمه. الثانی: فی وجوب الخروج علیه وعدمه. أمّا الأول: لاشکّ أنّ إطاعة الإمام العادل من صمیم الدین فلا یشکّ فی وجوب إطاعته اثنان، إنّما الکلام فی إطاعة الحاکم الجائر، فقد ذهب أهل السنّة إلی وجوب طاعته مطلقاً سواء أمر بالمعروف أو أمر بالمنکر، أو فی خصوص ما لم یأمر بالمعصیة، ولکلٍّ من القولین قائل ونذکر بعض کلماتهم فی المقام: ۱ ـ قال أحمد بن حنبل فی رسالة ألّفها لبیان عقائد أهل السنة: «السمع والطاعة للأئمّة وأمیر المؤمنین البرّ والفاجر، ومَنْ ولی الخلافة، فأجمع الناس و رضوا به، و من غلبهم بالسیف، ویُسمّی أمیر المؤمنین» (۳). ۲ ـ و قال الشیخ أبو جعفر الطحاوی الحنفی (م ـ ۳۲۱) فی رسالته المسمّاة بیان السنّة و الجماعة، المشهورة بالعقیدة الطحاویة: «و نری الصلاة

---

۱. الطبری: التاریخ ۴ / ۵۴ ـ ۵۵.

۲. الطبری: التاریخ ۴ / ۴۳۹.

۳. أبو زهرة: تاریخ المذاهب الإسلامیة ۲ / ۳۲۲ نقلاً عن إحدی رسائل إمام الحنابلة، و کلامه مطلق یعم ما إذا أمر بالطاعة أو بالمعصیة. (۴۲۱)

خلف کل برّ و فاجر من أهل القبلة.. إلی أن قال: ولا ننزع یداً من طاعتهم، و نری طاعتهم من طاعات الله عزّوجلّ فریضة علینا مالم یأمروا بمعصیة»(۱). ۳ ـ و قال أبو الیُسر محمّد بن عبد الکریم البزدوی: «الإمام إذا جار أو فسق لاینعزل عند أصحاب أبی حنیفة و أجمعهم، و هو المذهب المروی»(۲). إلی غیر ذلک من الکلمات الّتی وقفت علی بعضها فی الجزء الأوّل ـ من هذه الموسوعة ـ عند البحث عن طاعة السلطان الجائر و هی بین مطلق و مقیّد فیما إذا لم یأمر بمعصیة. وهذه النظریة حیکت علی طبق الروایات الواردة فی الصحاح والمسانید، و إلیک بعضها: أ ـ روی مسلم فی صحیحه: بسنده عن حذیفة بن الیمان قال: قلت: «یا رسول الله، إنّا کنّا بشرٍّ فجاء الله بخیر فنحن فیه، فهل من وراء هذا الخیر شرّ؟ قال: نعم قلت: هل وارء ذلک الشرّ خیر؟ قال: نعم قلت: فهل وراء ذلک الخیر شرّ؟ قال: نعم قلت: کیف؟ قال: یکون بعدی أئمّة لایهتدون بهدای ولا یستنّون بسنّتی و سیقوم فیهم رجال قلوبهم قلوب الشیاطین فی جثمان إنس. قال: قلت: کیف أصنع یا رسول الله إن أدرکت ذلک؟ قال: تسمع و تطیع للأمیر، وإن ضرب ظهرک و أخذ مالک فاسمع و أطع»(۳). ب ـ روی أیضاً عن سلمة بن یزید الجعفی، أنّه سأل رسول الله، فقال: «یا نبیّ الله، أرأیت إن قامت علینا اُمراء یسألونا حقّهم و یمنعونا حقّنا فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثمّ سأله فأعرض عنه، ثمّ سأله فی الثانیة أو فی الثالثة فجذبه _____

۱. أبو جعفر الطحاوی: شرح العقیدة الطحاویة ۱۱۰ طبع دمشق.

۲. الإمام البزدوی (إمام الفرقة الماتریدیة): اُصول الدین ۱۹۰ طبع القاهرة.

۳. مسلم: الصحیح ۳ / ۱۴۷۶، کتاب الإمارة، الباب ۱۳، الحدیث ۱۸۴۷. (۴۲۲)

الأشعث بن قیس و قال: «اسمعوا و أطیعوا، فإنّما علیهم ما حمّلوا و علیکم ما حمّلتم»(۱). و فی روایة اُخری فیه: «فجذبه الأشعث بن قیس فقال رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ : «اسمعوا و أطیعوا، فإنّما علیهم ما حمّلوا و علیکم ما حمّلتم»(۲). ج ـ و روی عن عبادة بن الصامت «قال: دعانا رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ فبایعناه، فکان فیما أخذ علینا أن بایعنا علی السمع و الطاعة فی منشطنا و مکرهنا و عسرنا و یسرنا و اثره علینا و أن لاننازع الأمر أهله. قال: «إلّا أن تروا کفراً بواحاً عندکم من الله فیه برهان»(۳). تحلیل هذه النظریة: إنّ هذه النظریة لایصدّقها الکتاب العزیز و لا السنّة النبویّة ولا سیرة أئمّة المسلمین، کیف یجوز إطاعة أمر الجائر مطلقاً، أو فیما إذا لم یأمر بمعصیته، و قال سبحانه: (وَلاَ تُطِیعُواْ أَمْرَ الْمُسْرِفِینَ * الَّذِینَ یُفْسِدُونَ فِی الاَرْضِ وَلاَ یُصْلِحُونَ)(۴) وقد نقل سبحانه اعتذار بعض أهل النار بقوله: (وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَکُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِیلاَّ)(۵) وقد تضافر عن رسول الله أنّه قال: «لا طاعة _____

۱. مسلم الصحیح ۳ / ۱۴۷۴، کتاب الامارة، الباب ۱۲، الحدیث ۱۸۴۶.

۲. مسلم: الصحیح ۳ / ۱۴۷۵، کتاب الامارة، الباب ۱۲، ذیل حدیث ۱۸۴۶.

۳. مسلم الصحیح ۳ / ۱۴۷۰، کتاب الامارة، الباب ۸ ذیل حدیث ۱۸۴۰ (الرقم ۴۲). ولاحظ فی الوقوف علی سائر الروایات فی هذا المجال کتاب دراسات فی فقه الدورة الإسلامیة ۱ / ۵۸۰ ـ ۵۸۷ فإنّه بلغ النهایة فی جمع الروایات و الکلمات الصادرة عن الفقهاء فی المقام.

۴. الشعراء: ۱۵۱ ـ ۱۵۲.

۵. الأحزاب: ۶۷. (۴۲۳)

لمخلوق فی معصیة الخالق»(۱). و روی الإمام الرضا عن آبائه قال: قال رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ : «من أرضی سلطاناً بما أسخط الله خرج عن دین الله»(۲). و روی مسلم فی صحیحه عن ابن عمر أنّه قال: «علی المرء المسلم السمع و الطاعة فیما أحبّ و کره

إلّا أن یؤمر بمعصیة فلا سمع و لا طاعة»(۳). إلی غیر ذلک من الروایات الناهیة عن إطاعة الإمام الجائر مطلقاً أو فیما یأمر بمعصیة. و الإمعان فیها و فی غیرها یعرب عن حرمة الاطاعة مطلقاً، کیف و روی المتّقی الهندی فی کنز العمّال عن أَنس قال: «لا طاعة لمن لم یطع الله»(۴) نعم کل ما ذکرنا من حرمة الطاعة، مشروط بالقدرة و المنعة، وإلّا ففیه کلام آخر لیس المقام محل تفصیله. و أمّا السیرة فتظهر حالها عند الکلام فی المقام الثانی: الثانی: فی لزوم الخروج علی الحاکم الجائر: ۱ ـ ذهب أکثر أهل السنّة إلی حرمة الخروج، وهذا هو إمام الحنابلة یقول فی رسالته السابقة: «و الغزو ماض مع الأُمراء إلی یوم القیامة، البرّ و الفاجر، وإقامة الحدود إلی الأئمة، ولیس لأحد أن یطعن علیهم و ینازعهم»(۵) . ۲ ـ و قال الشیخ أبو جعفر الطحاوی: «ولا نری الخروج علی أئمّتنا ولا

---

۱. الحر العاملی: الوسائل ۱۱، الباب الحادی عشر من أبواب الأمر بالمعروف ۷، و نقله الرضی فی نهج البلاغة قسم الحکمة برقم ۱۶۵.

۲. المصدر نفسه برقم ۹.

۳. مسلم: الصحیح ۳، کتاب الامارة، الباب الثامن، الحدیث ۱۸۳۹.

۴. المتقی الهندی: کنز العمال ۶ / ۶۷، الباب ۱ من کتاب الامارة، الحدیث ۱۴۸۷۲.

۵. تقدم مصدره. (۴۲۴)

ولاة أمرنا و إن جاروا»(۱). ۳ ـ و قال الإمام الأشعری عند بیان عقیدة أهل السنّة: «و یرون الدعاء لأئمّة المسلمین بالصلاح و أن لایخرجوا علیهم بالسیف»(۲). ۴ ـ وقال الإمام البزدوی: «إذا فسق الإمام یجب الدعاء له بالتوبة، ولا یجوز الخروج علیه لأنّ فی الخروج إثارة الفتن و الفساد فی العالم »(۳). ۵ ـ و قال الباقلانی بعدما ذکر فسق الإمام و ظلمه بغصب الأموال، و ضرب الأبشار، و تناول النفوس المحرّمة، و تضییع الحقوق، و تعطیل الحدود: «لاینخلع بهذه الامور ولا یجب الخروج علیه، بل یجب و عظه و تخویفه، و ترک طاعته فی شیء ممّا یدعو إلیه من معاصی الله»(۴). إلی غیر ذلک من الکلمات الّتی فیما ذکرنا غنیً عنها. نعم هناک شخصیات لامعة أصحروا بالحقیقة و جاءوا بکلام حاسم، وإلیک بعض من ذهب إلی وجوب الخروج علی الحاکم الجائر: ۱ ـ قال أبو بکر الجصّاص فی أحکام القرآن: «کان مذهب أبی حنیفة مشهوراً فی قتال الظلمة وأئمّة الجور، ولذلک قال الأوزاعی: احتملنا أبا حنیفة علی کل شیء حتی جاءنا بالسیف ـ یعنی قتال الظلمة ـ فلم نحتمله، وکان من قوله: وجوب الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر فرض بالقول، فإن لم یؤتمر له فبالسیف علی ما روی عن النبی ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ. وسأله إبراهیم الصائغ و کان من فقهاء أهل خراسان ورواة الأخبار _____

۱. أشرنا إلی مصدره.

۲. أبو الحسن الأشعری: مقالات الإسلامیین ۳۲۳.

۳. الامام البزدوی: اُصول الدین ۱۹۰.

۴. الباقلانی: التمهید ۱۸۶ طبع القاهرة. (۴۲۵)

ونسّاکهم عن الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر فقال: هو فرض، وحدّثه بحدیث عن عکرمة عن ابن عباس أنّ النبی ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ قال: «أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب و رجل قام إلی إمام جائر فأمره بالمعروف و نهاه عن المنکر فقتل»(۱). ۲ ـ و قال ابن حزم: «والواجب إن وقع شیء من الجور و إن قلّ، أن یکلّم الإمام فی ذلک ویمنع منه، فإن امتنع و راجع الحقّ وأذعن للقود من البشرة أو من الاعضاء، و لإقامة حدّ الزنا و القذف والخمر علیه فلا سبیل إلی خلعه، و هو إمام کما کان، لا یحلّ خلعه. فإن امتنع من انفاذ شیء من هذه الواجبات علیه ولم یراجع، وجب خلعه و اقامة غیره ممّن یقوم بالحقّ، لقوله تعالی: (تَعَاوَنُواْ عَلَی الْبِرِّ وَالتَّقْوَی وَلاَ تَعَاوَنُوْاْ عَلَی الإِثْمِ وَالْعُدوَ نِ) ولا یجوز تضییع شیء من واجبات الشرائع» (۲). ۳ ـ و قال ابن أبی الحدید المعتزلی فی شرح قول أمیر المؤمنین ـ علیه السَّلام ـ : «لا تقاتلوا الخوارج بعدی» قال: «و عند أصحابنا انّ الخروج علی أئمّة الجور واجب، و عند أصحابنا

أيضاً انّ الفاسق المتغلّب بغير شبهة يعتمد عليها، لايجوز أن يُنْصَر على من يخرج عليه ممّن ينتمى إلى الدين، و يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، بل يجب أن ينصر الخارجون عليه، وإن كانوا ضالّين فى عقيدة اعتقدوها بشبهة دينية دخلت عليهم، لأنّهم أعدل منه و أقرب إلى الحقّ، و لاريب فى تلزم الخوارج بالدين، كما لاريب فى أنّ معاوية لم يظهر عنه مثل ذلك»(۳). _____

۱. الجصّاص: أحكام القرآن ۱ / ۸۱.

۲. ابن حزم الأندلسى: الفصل فى الملل و الاهواء و النحل ۴ / ۱۷۵.

۳. ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۵ / ۷۸. (۴۲۶) ۴ ـ و قال إمام الحرمين: «إنّ الامام إذا جار، وظهر ظلمه و غيّه ولم يرعو لزاجر عن سوء صنيعة فلأهل الحل و العقد، التواطؤ على ردعه و لو بشهر السلاح ونصب الحروب»(۱). إذا و قفت على هذه النقول، فالحقّ هو وجوب الخروج على الحاكم الجائر إذا كان فى ركوبه منصّةَ الحكم خطراً على الإسلام و المسلمين. و يكفى فى ذلك ما ورد حول الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، فإنّ الخروج على السلطان الجائر من مراتب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يقوم به إلّا أصحاب القدرة و المنعة، الذين لديهم امكانية الكفاح المسلّح . وأمّا الروايات فيكفى فى ذلك ما نذكر: ۱ ـ روى الطبرى فى تاريخه عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، قال، إنّى سمعت علياً ـ عليه السَّلام ـ يقول ـ يوم لقينا أهل الشام ـ: «أيّها المؤمنون، إنّه من رأى عدواناً يُعمل به و منكراً يُدعى إليه، فأنكره بقلبه فقد سلم و برئ، و من أنكره بلسانه فقد أُجر، و هو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الّذى أصاب سبيل الهدى و قام على الطريق و نوّر فى قلبه اليقين» (۲). ۲ ـ و فى مسند أحمد عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: «إنّ الله عزّوجلّ لا يعذّب العامّة بعمل الخاصّة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم، وهم قادرون على أن ينكرونه، فإذا فعلوا ذلك عذّب الله الخاصّة و العامّة»(۳). _____

۱. التفتازانى: شرح المقاصد ۲ / ۲۷۲ نقلاً عن امام الحرمين.

۲. الحر العاملى: الوسائل ۱۱ / ۴۰۵، الباب ۳ من أبواب الأمر و النهى و...، الحديث ۸ ، و رواه أيضاً فى نهج البلاغة: فيض ۱۲۶۲، عبدة ۳ / ۲۴۳، صالح ۵۴۱، الحكمة ۳۷۳.

۳. أحمد المسند ۴ / ۱۹۲. (۴۲۷) والقدرة، فمنطق القوة يستعان به إذا لم تثمر المراتب السابقة، وفى بعض الروايات إلماعات إليه، و هى بين كونها نقيّة السند و ضعيفته، و لكن المجموع يفيد اليقين بالمقصود. ۳ ـ قال أبو جعفر الباقر ـ عليه السَّلام ـ : «فانكروا بقلوبكم و الفظوا بألسنتكم و صكّوا بها جباههم، ولا تخافوا فى الله لومة لائم»(۱). ۴ ـ إنّ الحسين خطب أصحابه و أصحاب الحرّ، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: «أيّها الناس إنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلّاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ يعمل فى عباد الله بالاثم و العدوان، فلم يُغَيّر عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله. ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان و تركوا طاعة الرحمن، و أظهرو الفساد و عطّلوا الحدود، و استأثروا بالفىء، وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غيّر»(۲). ۵ ـ روى الصدوق باسناده عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمّد ـ عليه السَّلام ـ قال: قال أمير المؤمنين ـ عليه السَّلام ـ : «إنّ الله لا يعذّب العامّة بذنب الخاصّة إذا عملت الخاصّة بالمنكر سرّاً من غير أن تعلم العامّة، فإذا عملت الخاصّة بالمنكر جهاراً فلم تغيّر ذلك العامة، استوجب الفريقان العقوبة من الله ـ عزّ وجلّ ـ» قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : «إنّ المعصية إذا عمل بها العبد سرّاً لم يُضُرَّ إلّا عاملها، فإذا عمل بها علانية ولم يغيّر عليه أضرّت بالعامة». و قال جعفر بن محمّد ـ عليه السَّلام ـ : «و ذلك انّه يذلّ _____

۱. الحرّ العاملى: الوسائل ۱۱ / ۴۰۳، الباب الثالث من أبواب الأمر بالمعروف ۱.

۲. الطبرى: التاريخ ۴ / ۳۰۴. (۴۲۸)

بعمله دين الله و يقتدى به اهل عداوة الله»(۱). و فيما ذكرنا من الروايات كفاية. أمّا السيرة فحدّث عنها ولا حرج، ففى ثورة الإمام الطاهر الحسين سيّد الشهداء، و ثورة أهل المدينة على زيد الطاغية، و ثورة أهل البيت فى فترات خاصة، كفاية لطالب الحق و كلّها

تؤیّد نظریة لزوم الخروج علی الحاکم الجائر بشروط خاصة مبیّنة فی الفقه. و نکتفی فی المقام بما ذکره صاحب المنار قال: «و من المسائل المجمع علیها قولاً و اعتقاداً: «إنّه لا طاعة لمخلوق فی معصیة الخالق، وإنّما الطاعة فی المعروف»، و إنّ الخروج علی الحاکم المسلم إذا ارتدّ عن الإسلام واجب، وإنّ اباحة المجمع علی تحریمه کالزنا و السکر واستباحة ابطال الحدود و شرع مالم یأذن به الله، کفر وردّة، وانّه إذا وجد فی الدنیا حکومة عادلة تقیم الشرع، وحکومة جائرة تعطله، وجب علی کلّ مسلم نصر الأُولی ما استطاع، و انّه إذا بغت طائفة من المسلمین علی اُخری، وجرّدت علیها السیف، و تعذّر الصلح بینهما، فالواجب علی المسلمین قتال الباغیة المعتدیة حتی تفیء إلی أمر الله. و ما ورد فی الصبر علی أئمّة الجور إلاّ إذا کفروا، معارض بنصوص اُخری، والمراد به اتّقاء الفتنة و تفریق الکلمة المجتمعة، وأقواها حدیث: «و أن لاتنازع الأمر أهله إلاّ أن تروا کفراً بواحا». قال النووی: المراد بالکفر هنا المعصیة. و مثله کثیر. و ظاهر الحدیث انّ منازعة الامام الحق فی إمامته ننزعها منه لا یجب إلاّ إذا کفر کفراً ظاهرا و کذا عمّاله و ولاته. و أمّا الظلم و المعاصی فیجب إرجاعه عنها مع بقاء امامته و طاعته فی _____

۱. الحرّ العاملی: الوسائل ۱۱ / ۴۰۷، الباب ۴ من أبواب الأمر و النهی و...، الحدیث ۱. (۴۲۹)

المعروف دون المنکر، وإلاّ خلع و نصب غیره. و من هذا الباب خروج الحسین سبط رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ علی امام الجور و البغی، الّذی ولیَ أمر المسلمین بالقوّة والمکر: یزید بن معاویة خذله الله، وخذل من انتصر له من الکرامیة و النواصب الذین لایزالون یستحبون عبادة الملوک و الظالمین، علی مجاهدتهم لإقامة العدل و الدین. وقد صار رأی الأُمم الغالب فی هذا العصر وجوب الخروج علی الملوک المستبدّین المفسدین. وقد خرجت الأُمة العثمانیة علی سلطانها عبد الحمید خان فسلبت السلطة منه و خلعته بفتوی من شیخ الإسلام» (۱). * * * _____

۱. السید محمّد رشید رضا: تفسیر المنار ۶ / ۳۶۷، ویالیت صاحب المنار (ت ۱۳۵۴) یمشی علی هذا الخطّ إلی آخر عمره والقصة ذو شجون، و من أراد التفصیل فلیرجع إلی المناظرات الّتی دارت بینه و بین السید محسن الأمین (ت ۱۳۷۱) فقد أماط الستر عن حیاته و تلوّنه فیها، ولاحظ أیضاً کشف الارتیاب ۶۴ ـ ۷۷. (۴۳۰) (۴۳۱) ۴ ـ التقیة قولاً و عملاً ذهبت الأزارقة إلی حرمة التقیّة فی القول و العمل، بینما ذهبت النجدیة إلی جوازها(۱) وربّما تنسب حرمة التقیّة إلی جمیع الخوارج وإن اُکره المؤمن و خاف القتل(۲). یلاحظ علیه: أنّ التقیّة تنقسم حسب انقسام الأحکام إلی خمسة، فمنها واجب، و منها حرام، فإنّها تجب لحفظ النفوس، و الأعراض، و الأموال الطائلة، کما إنّها تحرم إذا ترتّبت علیها مفسدة أعظم کهدم الدین و خفاء الحقیقة علی الأجیال الآتیة. قال الشیخ المفید: التقیّة جائزة فی الدین عند الخوف علی النفس، وقد یجوز فی حال دون حال للخوف علی المال، و لضروب من الاستصلاح. _____

۱. لاحظ فصل عقائد الخوارج و آرائهم.

۲. الامام عبده: المنار ۳ / ۲۸۰، بقلم تلمیذه السید محمّد رشید رضا، و ما ذکره إنّما هو مذهب الأزارقة لا النجدیة و ستعرف أنّ التقیّة من تعالیم الاباضیة وکانت هی السبب فی بقائهم. (۴۳۲) و أقول: إنّها قد تجب أحیاناً و یکون فرضاً، و تجوز أحیاناً من غیر وجوب، و تکون فی وقت أفضل من ترکها، و یکون ترکها أفضل وإن کان فاعلها معذوراً و معفوّاً عنه، متفضّلاً علیه بترک اللوم علیها. و أقول: إنّها جائزة فی الأقوال کلّها عند الضرورة، و ربّما وجبت فیها لضرب من اللطف والاستصلاح و لیس یجوز من الأفعال فی قتل المؤمنین ولا فیما یُعْلَم أو یُغْلَب انّه استفساد فی الدین، و هذا مذهب یخرج عن اُصول أهل العدل و أهل الامامة خاصّة دون المعتزلة و الزیدیة و الخوارج و العامة المتسمّیة بأصحاب الحدیث(۱). و یکفی فی جواز ذلک: ۱ ـ قوله سبحانه: (لَّا یَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْکَـفِرِینَ أَوْلِیَآءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِینَ وَمَنْ یَفْعَلْ ذَ لِکَ فَلَیْسَ مِنَ اللَّهِ فِی شَیءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَـةً وَیُحَذِّرُکُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَی اللَّهِ الْمَصِیرُ)(۲). فقوله: (إِلاَّ أَنْ تَتَّقُواْ) استثناء من أهم الأحوال، أی أنّ ترک موالاة الکافرین حتم علی المؤمنین فی کلّ حال، إلاّ فی حال الخوف من شیء یتّقونه منهم، فللمؤمنین حینئذ أن یوالوهم بقدر ما یتّقی به ذلک الشیء لأنّ درء المفاسد مقدّم علی جلب المصالح. والاستثناء منقطع، فإنّ التقرّب من الغیر خوفاً، بإظهار آثار التولّی، ظاهراً من غیر عقد القلب علی الحبّ والولایة، لیس من التولّی فی شیء، لأنّ الخوف

۱. الشیخ المفید: أوئل المقالات ۹۶ ـ ۹۷. قوله «و العامة المتسمّیة بأصحاب الحدیث» یعرب عن أنّ غیر المعتزلة من أهل السنّة کانوا معروفین فی عصر الشیخ (۳۲۶ ـ ۴۱۳) بأصحاب الحدیث، وأمّا تسمیة طائفة منهم بالأشاعرة فإنّما حدث بعد ذلک العصر.

۲. آل عمران: ۲۸. (۴۳۳)

والحب أمران قلبیّان و متنافیان أثراً فی القلب، فکیف یمکن اجتماعهما، فاستثناء الاتقاء استثناء منقطع. ۲ ـ قوله سبحانه: (مَن کَفَرَ بِاللهِ مِن بَعْدِ إِیمَـنِهِ إِلاَّ مَنْ أُکْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنُّ بِالاِْیمَـنِ * وَلَـکِن مَّن شَرَحَ بِالْکُفْرِ صَدْراً فَعَلَیْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِیمٌ)(۱) فتری انّه سبحانه یجوّز إظهار الکفر کرهاً و مجاراة الکافرین خوفاً منهم، بشرط أن یکون القلب مطمئنّاً بالایمان. فلو کانت مداراة الکافرین فی بعض الظروف حراماً، فلماذا رخّصه الإسلام و أباحه، وقد اتّفق المفسّرون علی أنّ الآیة نزلت فی جماعة اُکرهوا علی الکفر، و هم عمّار و أبوه «یاسر» واُمّه «سمیّة»، و قتل أبو عمّار و اُمّه، و أعطاهم عمّار بلسانه، ما أرادوا منه. ثم أخبر سبحانه بذلک رسول الله، فقال قوم: کفر عمّار، فقال ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ : «کلا، إنّ عمّاراً مُلِئ ایماناً من قرنه إلی قدمه، واختلط الإیمان بلحمه ودمه». وجاء عمّار إلی رسول الله و هو یبکی، فقال: «ماوراءک»؟ فقال: «شرّ یا رسول الله، ما ترکت حتی نلت منک، و ذکرت آلهتم بخیر». فجعل رسول الله یمسح عینیه و یقول: «إن عادوا فعدلهم بما قلت» فنزلت الآیة(۲). وبذلک یظهر، أنّ تحریم التقیّة علی وجه الاطلاق اجتهاد فی مقابل النصّ، فإنّ الآیة تصرّح بأنّ من نطق بکلمة الکفر مُکْرَهاً و قایة لنفسه من الهلاک، لاشارحاً بالکفر صدراً، ولا مستحسناً للحیاة الدنیا علی الآخرة، لا یکون کافراً، بل یعذر. ۳ ـ (وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ یَکْتُمُ إِیمَـنَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أن یَقُولَ رَبِّیَ اللهُ وَقَدْ جَآءَکُمْ بِالْبَیِّنَـتِ مِن رَّبِّکُمْ وَإِن یَکُ کَـذِباً فَعَلَیْهِ کَذِبُهُ وَإِن یَکُ صَادِقاً _____

۱. النحل: ۱۰۶.

۲. الطبرسی: مجمع البیان ۳ / ۳۸۸ و نقله غیر واحد من المفسرین. (۴۳۴) یُصِبْکُم بَعْضُ الَّذِی یَعِدُکُمْ إِنَّ اللهَ لاَ یَهْدِی مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ کَذَّابٌ)(۱) ویقول أیضاً: (وَجَآءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِینَةِ یَسْعَی قَالَ یَـمُوسَی إِنَّ الْمَلاَ یَأْتَمِرُونَ بِکَ لِیَقْتُلُوکَ فَاخْرُجْ إِنِّی لَکَ مِنَ النَّـصِحِینَ)(۲). نعم لوجوب التقیّة أو جوازها شروط و أحکام ذکرها العلماء فی کتبهم الفقهیة و لأجل ذلک حرّموا التقیّة فی موارد، کقتل المؤمن تقیّة، أو ارتکاب محرّم یوجب الفساد الکثیر، ولأجل ذلک نری أنّ کثیراً من عظماء الشیعة و أکابرهم رفضوا التقیّة فی بعض الأحایین و تهیّأ وللشنق علی حبال الجور، والصلب علی أخشاب الظلم. وکلّ من استعمل التقیّة أو رفضها، له الحسنی، وکلّ عمل بوظیفته الّتی عیّنتها ظروفه. إنّ التاریخ یحکی لنا عن الکثیر من رجالات الشیعة الذین ترکوا التقیّة و قدّموا نفوسهم المقدّسة قرابین للحقّ، و منهم شهداء «مرج العذراء» و قائدهم الصحابّی العظیم الّذی أنهکته العبادة و الورع، حجر بن عدی الکندی، الّذی کان من قادة الجیوش الاسلامیة الفاتحة للشام. و منهم میثم التمّار، و رشید الهجری، و عبد الله بن یقطر الذین شَنَقهم ابن زیاد فی کناسة الکوفة، هؤلاء والمئات من أمثالهم هانت علیهم نفوسهم العزیزة فی سبیل الحقّ، ونطحوا صخرة الباطل، بل وجدوا العمل بالتقیّة حراماً، ولو سکتوا وعملوا بها وأصبح دین الإسلام دینَ معاویة و یزید و زیاد و ابن زیاد، دینَ المکر، ودینَ الغدر، ودینَ النفاق، ودینَ الخداع، دین کل رذیلة، و أین هو من دین الإسلام الحقّ، الّذی هو دین کل فضیلة، اُولئک هم أضاحی الإسلام و قرابین الحق.

۱. غافر: ۲۸.

۲. القصص: ۲۰. (۴۳۵) و فوق اُولئک، امام الشیعة، أبو الشهداء الحسین و أصحابه الذین هم سادة الشهداء و قادة أهل الإباء. وبذلک ظهر أنّ ایجاب التقیّة علی الاطلاق و تحریمها کذلک، بین الافراط والتفریط. والقول الفصل هو تقسیم التقیّة إلی الواجب والحرام، أو إلی الجائز ـ بالمعنی الأعم ـ والحرام. و بما أنّ الشیعة اشتهرت بالتقیّة بین سائر الفرق، و ربّما تُزری بها و تُتّهم بالنفاق فقد أشبعنا الکلام فیها، و بیّنا، الفرق بین التقیّة و النفاق فی أبحاثنا الکلامیة(۱). و هناک کلمة للعلاّمة المحقّق السید الشهرستانی نأتی بها

هنا: قال: المراد من التقيّة إخفاء امر دينى لخوف الضرر من إظهاره، و التقيّة بهذا المعنى، شعار كلّ ضعيف مسلوب الحرية، إلّا أنّ الشيعة قد اشتهرت بالتقيّة أكثر من غيرها، لأنّها منيت باستمرار الضغط عليها أكثر من أىّ اُمّة اُخرى، فكانت مسلوبة الحرية فى عهد الدولة الأمويّة كلّه، و فى عهد العباسيين على طوله و فى أكثر أيام الدولة العثمانية ولأجله استشعروا شعار التقيّة أكثر من أىّ قوم، ولمّا كانت الشيعة تختلف عن الطوائف المخالفة لها فى قسم مهم من الاعتقادات فى اُصول الدين، و فى كثير من المسائل الفقهية، و تستجلب المخالفة (بالطبع) رقابة و حزازة فى النفوس، و قد يجرّ إلى اضطهاد أقوى الحزبين لأضعفه، أو اخراج الأعزّ منهما الأذلّ كما يتلوه علينا التاريخ و تصدّقه التجارب، لذلك أضحت شيعة الأئمّة من آل البيت تضطرّ فى أكثر الأحيان إلى الكتمان لصيانة النفس و النفيس، والمحافظة على الوداد و الاُخوّة مع سائر اخوانهم المسلمين، ــــــــــــــــ

۱. لاحظ الإلهيّات ۲ / ۹۲۵ ـ ۹۳۳ بقلم حسن محمد مكى العاملى . (۴۳۶)

لئلّا تنشق عصا الطاعة، و لكيلا يحسّ الكفّار بوجود اختلاف ما فى الجامعة الاسلامية فيوسّعوا الخلاف بين الاُمّة المحمّدية(۱). * * *

---

۱. محمّد على الشهرستانى (ت ۱۳۸۶): تعاليق أوائل المقالات ۹۶ نقلاً عن مجلّة المرشد ۲۵۲ ـ ۲۵۶. (۴۳۷) ۵ ـ ما تجب معرفته بالتفصيل إنّ هذه المسألة تفترق عن المسألة الثانية أعنى تحديد حقيقة الإيمان و انّ العمل هل هو مقوّم لأقلّ مراتب الإيمان أو لا (وجه الفرق)؟ انّ روح البحث فى المقام عن تحديد ما تجب معرفته فى مجالى العقيدة و الشريعة، بخلاف المسألة السابقة فإنّ موضوعه تحديد مفهوم الإيمان و انّه هل هو متقوّم بالعقيدة فقط، أو مركّب منها و من العمل؟ فالمسألتان مختلفتان جوهراً فنقول: الإسلام عقيدة و شريعة، و المطلوب من الاُولى، المعرفة ثم الالتزام القلبى، كما انّ المطلوب من الثانية المعرفة ثم الالتزام العملى، و هذا ممّا لم يختلف فيه اثنان، إلّا أنّه وقع الاختلاف فى تحديد المقدار الّذى تجب معرفته تفصيلاً مقدمة للالتزام القلبى ،كما وقع الخلاف فى المقدار الأدنى الّذى تجب معرفته تفصيلاً مقدمة للالتزام العملى، و نحن نبحث عن كلا الأمرين. (۴۳۸) الأمر الأول: ما تجب معرفته فى مجال العقيدة: الّذى يظهر من الطائفة البيهسيّة من الخوارج، لزوم معرفة جميع العقائد الاسلامية تفصيلاً و انّه لولا هذه المعرفة لما دخل الانسان فى عداد المسلمين، قالوا: لايُسلِم أحد حتى يُقر بمعرفة الله، و بمعرفة رسوله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ و بمعرفة ما جاء به محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ جملة، و الولاية لأولياء الله سبحانه، والبراءة من أعداء الله ـ جلّ وعلا ـ و ما حرّم الله سبحانه ممّا جاء فيه الوعيد فلا يسع الانسان إلّا علمه و معرفته بعينه وتفصيله(۱). ويظهر هذا القول من بعض علمائنا الامامية. قال العلّامة الحلّى: أجمع العلماء على وجوب معرفة الله و صفاته الثبوتية و ما يصحّ عليه و ما يمتنع عنه و النبوّة و الامامة و المعاد بالدليل لا بالتقليد(۲). وفى الوقت نفسه هناك من قال منهم بكفاية الاقرار (الا المعرفة) بما جاء من عند الله جملة(۳). و يظهر هذا القول من الاباضية، قال محمّد بن سعد الكدمى ـ وهو من علماء الاباضية فى القرن الرابع ـ: «اعلموا أنّ الجملة الّتى دعا إليها محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ وكذلك من دعا إلى دين الله بعد موت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ، ممّا لايسع الناس جهله، و هو الاقرار بالله، انّه واحد، و انّه ليس كمثله شىء، وانّ محمّداً عبده و رسوله، وانّ جميع ماجاء ــــــــــــــــ

۱. يراجع الفصل التاسع: الفرقة الثالثة: البيهسية.

۲. العلّامة الحلى: الباب الحادى عشر ۲.

۳. لاحظ عقائد الفرقة البيهسية المنسوبة لأبى بيهس فى هذا الفصل و يحتمل أن يكون المراد من «جملة» هو الاعتقاد الاجمالى بما جاء به الرسول فلا يدل على لزوم المعرفة التفصيلية و لكن يخالفه ذيله الصريح فى لزومها. (۴۳۹)

به محمّد عن الله فهو الحق، فهذا الّذى لايسع جهله فى حال من الاحوال(۱). و أضاف البعض الآخر من الاباضية تبعاً لأهل الحديث ثم الأشاعرة، الإيمان بالقدر خيره وشرّه (فيجب معرفتهما) قال ابن سلام: الإيمان أن تؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله و البعث و اليوم الآخر و الموت و القدر خيره و شرّه من الله عزّوجلّ(۲). ولأجل وجود التطرّف فى القول الأوّل قال شيخنا المرتضى الأنصارى عند

البحث عن حجّية الظن فى اُصول الدين: «لقد ذكر العلامة (قدس سره) فى الباب الحادى عشر فى ما يجب معرفته على كلّ مكلّف من تفاصيل التوحيد و النبوّة و الامامة و المعاد اُموراً لا دليل على وجوبها مطلقاً، مدعياً انّ الجاهل بها عن نظر و استدلال خارج عن ربقة الإسلام مستحقّ للعقاب الدائم و هو فى غاية الاشكال»(۳). و لأجل تحقيق الحال نبحث عن الموضوع على وجه الايجاز فنقول: إنّ المسائل الاُصولية الّتى لا يطلب فيها أوّلاً و بالذات إلّا الاعتقاد، على قسمين: الأوّل: ما وجب على المكلّف الاعتقاد و التدّين به غير مشروط بحصول العلم، فيكون تحصيل العلم من مقدّمات ذلك الواجب المطلق فيجب تحصيل مقدّمته (المعرفة). الثانى: ما يجب الاعتقاد و الالتزام إذا اتّفق حصول العلم به، و هذا كبعض تفاصيل المعارف الاسلامية الراجعة إلى المبدأ والمعاد. أمّا القسم الأوّل: أعنى ما يجب الاعتقاد به مطلقاً ولأجل كون وجوبه غير _____

۱. أبو سعيد الكدمى: المعتبر ۱ / ۱۴۵ من منشورات وزارة التراث القومى و الثقافة لسلطنة عمان.

۲. ابن سلام (ت ۲۷۳): بدء الإسلام و شرائع الدين ۶۰.

۳. مرتضى الأنصارى: الرسائل ۱۷۰. (۴۴۰)

مشروط بشىء يجب تحصيل مقدّمته. فهذا لا يتجاوز عن الاعتقاد بالشهادتين: بشهادة أن لا إله إلّا الله و شهادة أنّ محمّداً رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ و هذه الشهادة تتضمّن الاعتقاد الاجمالى بصحّة كلّ ما جاء به النبى فى مجال العقيدة. والدليل على كفاية ذلك مايلى: إنّ النبى الأكرم ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ كان يقبل إسلام من أقرّ بالشهادتين لفظاً حاكياً عن الاعتقاد به، و هذا يدلّ على أنّه يكفى فى دخول الانسان فى عداد المسلمين، الاقرار بهما و لا تجب معرفة تفاصيل المعارف و العقائد. قال أبو جعفر الباقر ـ عليه السَّلام ـ: إنّ الله عزّوجل بعث محمّداً ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ و هو بمكة عشر سنين(۱) ولم يمت بمكة فى تلك العشر سنين أحد يشهد أن لا اله إلّا الله و أنّ محمّداً رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ إلّا أدخله الله الجنة باقراره و هو إيمان التصديق(۲). فهذا الاستدلال يعطى أنّ حقيقة الإيمان الّتى يخرج الانسان بها عن حدّ الكفر، الموجب للخلود فى النار، لم تتغّير بعد إنتشار الشريعة، و بعد هجرة النبىّ إلى المدينة المنوّرة. نعم ظهرت فى الشريعة اُمور صارت ضرورية الثبوت من النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ فيعتبر فى تحقّق الإسلام عدم انكارها (لا لزوم التصديق بها تفصيلاً) و لكن هذا لا يوجب التغيّر فى ما يقوم الإيمان به، فإنّ المقصود انّه لا يعتبر فى الإيمان أزيد من التوحيد و التصديق _____

۱. يريد الدعوة العلنية فإنّها كانت عشر سنين و كانت فى السنين الثلاثة الاُولى سرّية.

۲. الكلينى: الكافى ۲ / ۲۹ برقم ۱۵۱۰. (۴۴۱)

بالنبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ و انّه كان رسولاً صادقاً فيها يبلّغ، ولا تلزم معرفة تفاصيل ذلك و إلّا لزم أحد الأمرين: ۱ ـ أن لا يكون من آمن بمكة من أهل الجنّة لعدم إيمانهم. ۲ ـ أن تكون حقيقة الإيمان بعد انتشار الشريعة تختلف عن صدر الإسلام و كلا الأمرين كما ترى. نعم لمّا كان الاعتقاد بالمعاد و الحياة الآخرة بمثل البُنْية التحتية للدعوة الاسلامية بل لجميع الشرائع السماوية على وجه لا تتّصف الدعوة بالالهية بدون الاعتقاد بها. لابدّ من الاعتقاد بها فى إطار الشهادتين فإنّه ينطوى فى طيّاتهما يوم بعث النبىّ الأكرم بالهداية. و يؤيّد ما ذكرنا ما رواه البخارى فى ذلك المجال وإليك نصّه: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ يوم خيبر: لاُعطينّ غداً هذه الراية رجلاً يحبّ الله و رسوله يفتح الله على يديه. قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الامارة إلّا يومئذ، قال: فتساورت لها رجاء أن اُدعى لها، قال: فدعا رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ على بن أبى طالب فأعطاه إيّاها و قال: امش و لا تلتفت حتى يفتح الله عليك. فسار على شيئاً ثم وقف و لم يلتفت و صرخ: يا رسول الله على ماذا اُقاتل الناس؟ قال ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلّا الله و أنّ محمّداً رسول الله فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم و أموالهم إلّا بحقّها، و حسابهم على الله(۱). فإذا كان الاقرار بالشهادتين كافياً فى توصيف المقر مسلماً و مؤمناً، فيدل _____

۱. مسلم: الصحيح ۷ / ۱۲۱، ابن عساكر: ترجمة الإمام على ۱ / ۱۵۹ ح ۲۲۲، النسائى: خصائص أمير المؤمنين ۵۷. (۴۴۲)

بالملازمة علی عدم لزوم معرفة ما سواهما. و یوضّح ذلک أیضاً ما رواه الامام الرضا ـ علیه السَّلام ـ عن آبائه عن علی ـ علیه السَّلام ـ : قال النبی ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ : اُمرت أن أقاتل الناس حتی یقولوا لا ـ إله إلاّ ـ الله ن فإذا قالوها فقد حرم علیّ دماءهم و أموالهم(۱). و روی أبو هریرة: قال رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ : اُمرت أن اُقاتل الناس حتی یقولوا لا إله إلاّ الله فإذا قالوا لا الاّ ـ الله عصموامنّی دماءهم و أموالهم إلاّ ـ بحقّها و حسابهم علی الله (۲). و الاستدلال بالروایتین حسب مامرّ فی غیرهما من الدلالة الالتزامیة علی عدم لزوم معرفة غیرهما. وأمّا معرفة ما عدا ذلک من المعارف فلم یدلّ دلیل علی وجوب معرفتها بل الأصل المحکم عدم الوجوب إلاّ مادلّ الدلیل الثانوی علی وجوبه(۳). هذا کلّه فی المعارف الّتی تجب معرفتها بلا قید، ولأجل ذلک یجب تحصیل معرفتها. أمّا القسم الثانی: أعنی ما یجب الاعتقاد به لو وصل العلم به، فهذا کمعرفة صفات الربّ و أوصافه و المعرفة التفصیلیة للمعاد و الحیاة الاُخرویة، کلّ ذلک یجب الاعتقاد به إذا حصل العلم و المعرفة و لکن لا ـ یکون ذلک دلیلاً علی اعتباره فی الإسلام أو الإیمان بأدنی مراتبه. _____

۱. المجلسی: البحار ۶۸ / ۲۴۲.

۲. المجلسی: البحار ۶۸ / ۲۴۲ نقله عن مشکاة المصابیح فی التعلیقة.

۳. کمعرفة الامام الّتی دلّت الأدلّة علی وجوب معرفته. نعم إنّ ما رواه البخاری: الصحیح: ۱ / ۱۴ کتاب الإیمان عن النبی الأکرم من بناء الإسلام علی خمس و أضاف بعد الشهادتین: اقامة الصلاة وایتاء الزکاة والحج، و صوم شهر رمضان، فهو خارج عن موضوع البحث و داخل فی البحث الآتی: «ما یجب تعلّمه فی مجال الشریعة». (۴۴۳) ما یجب تعلّمه فی مجال الشریعة: هذا کلّه فی مجال العقیدة و أمّا مجال الشریعة فتجب معرفة ما یبتلی به المکلّف فی حیاته من الأحکام الفرعیة. فالحق، التفصیل بین ما تعم البلوی بها و غیره، أمّا الأوّل فتجب معرفة أحکامه فلا یجوز للمکلّف الدخول فی العمل مع الظن بالابتلاء بما لایعلم حکمه کأحکام الخلل، الشائع وقوعه فی الصلاة. و أمّا الثانی أعنی ما لا یتّفق الابتلاء به إلاّ نادراً فلا یجب تعلّم حکمه قبل الابتلاء للوثوق بعدم الابتلاء به غالباً و علی ذلک جرت السیرة بین المسلمین مضافاً إلی أنّ إیجاب معرفة جمیع الأحکام تفصیلاً ممّا یوجب العسر و الحرج و یوجد الفوضی فی الحیاة. و هذا هو الظاهر أیضاً من بعض علماء الاباضیة: قال: إذا لزمه شیء من ذلک ممّا یفوت مثل الصلاة، و الصوم، أو ممّا یفوت وقته من جمیع الفرائض اللازمة له، ممّا یفوت وقته ویبطل و حضر وقته و وجب العمل به، فمعنی انّه قیل إنّ علیه طلب العلم، من جمیع ما جهل من ذلک(۱). فما ورد فی الشریعة الاسلامیة من الحق الأکید علی تحصیل العلم کآیة أهل الذکر (النحل: ۴۶). و الأخبار الدالّة علی وجوب طلب العلم و التفقّه کلّها منصرفه إلی الموارد المبتلی بها، فمن أراد التفصیل فلیرجع إلی محلّه(۲). * * *

---

۱. أبو سعید الکدمی: المعتبر ۱ / ۷۰.

۲. لاحظ الرسائل للشیخ مرتضی الأنصاری ۴۰۰ آخر مبحث الاشتغال. (۴۴۴) (۴۴۵) ۶ ـ حکم الدار وصف الدار بکونها دار اسلام أو إیمان، أو دارکفر، هو من جهة لحوق بعض الأحکام الشرعیة بالمقیمین فیها، مثل جواز المناکحة و التوارث إذ لم یعرف حاله، و الصلاة خلفه أو علیه إذا مات، و الدفن فی مقابر المسلمین، و موالاته و معاداته، إلی غیر ذلک من الأحکام، و قد اختلفت الآراء فی الأمر الّذی یصیر سبباً لوصف الدار بکونها دار إسلام أو کفر. منهم من اعتبر الکثرة، فإذا کان الأکثر من أهل الدار علی دین الإسلام فهی دار إسلام و إلاّ فدار کفر. و منهم من اعتبر مع الکثرة، الغلبة أیضاً، بأن یکون غالبین قاهرین علی الاُمور. و منهم من اعتبر زوال التقیة، فمتی لم یکن أهل الدار فی تقیّة من السلطان فی اظهار شعائر الدین فهی دار إسلام. و منهم (کثیر من الزیدیة و المعتزلة) ذهب إلی أنّ المناط فی ذلک، بما (۴۴۶)

یظهر فی الدار و یوجد المقیم بها من الحال، فإذا کانت الدار بحیث یظهر فیها الشهادتان ظهوراً، لایمکن المقام فیها إلاّ بإظهارهما أو الکون فی ذمّة و جوار من مظهرهما، ولا یتمکّن المقیم من اظهار خصلة من خصال الکفر فهی دار إسلام، و إن لم تکن الدار بهذا

الوصف الّذی ذکرناه فهی دار کفر. ولا اعتبار عندهم مع ذلک بما یکون علیه أهلها من المذاهب المختلفة بعد تحقّق ما ذکرناه(۱). و قال شیخنا المفید: إنّ الحکم فی الدار علی الأغلب فیها، و کلّ موضع غلب فیه الکفر فهو دار کفر، وکلّ موضع غلب فیه الإیمان فهو دار إیمان، وکلّ موضع غلب فیه الإسلام فهو دار إسلام، قال الله تعالی فی وصف الجنّة: (وَ لَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِین)(۲) وإن کان فیها أطفال و مجانین(۳). وقال فی وصف النار: (سَأُرِیکُمْ دَارَ الْفَاسِقِین)(۴) و إن کان فیها ملائکة الله مطیعون. فحکم علی کلتا الدارین حکم الأغلب فیها(۵). هذه هی الأقوال الدارجة فی حکم الدار، و المعروف عن الخوارج رأیان: ۱ ـ کلّ بلد ظهر فیه الحکم بغیر ما أنزل الله فهو دار کفر. ۲ ـ إذا کفر الإمام فقد کفرت الرعیّة، الغائب منهم و الشاهد(۶). و فی الرأی الثانی تطرّف واضح، إذ کیف یکون کفر الإمام سبباً لکفر الرعیّة، أما سمعوا قول الله سبحانه: (ألاّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَی)(۷). وکان یقول _____

۱. العلاّمة الزنجانی: التعلیقة علی أوائل المقالات ۷۰.

۲. النحل: ۳۰.

۳. فیه و ما بعده تأمّل واضح.

۴. الأعراف: ۱۴۵.

۵. المفید: أوائل المقالات ۷۰ ـ ۷۱.

۶. لاحظ ماذکرناه فی حقّ البیهسیّة.

۷. النجم: ۳۸. (۴۴۷)

علی ـ علیه السَّلام ـ فی هذا الشأن مخاطباً الخوارج: فإن أبیتم إلاّ أن تزعموا أنّی أخطأت، وضللت، فلم تُضلِّلون عامّة أُمّة محمّد ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ بضلالی و تأخذونهم بخطئی، و تکفّرونهم بذنوبی (۱). * * * _____

۱. الرضی: نهج البلاغة، الخطبة ۱۲۷. (۴۴۹) ۷ ـ فی حکم الزانی المحصن قد عرفت أنّ الأزارقة لاتقول برجم الزانی إذا کان محصناً بحجّة أنّه لیس فی ظاهر القرآن، و لا ـ فی السنّة المتواترة، و لکن المسألة من المسائل الفقهیة، و اتّفق الفقهاء، علی رجم الزانی المحصن بلا فرق بین الرجل و المرأة، و إنّما اختلفوا من جهة أُخری. ۱ ـ قال داود و أهل الظاهر علیهما الجلد والرجم من غیر فرق بین الشابِّ والشیخ، والشابّة و الشیخة، و هو احدی الروایتین عن أحمد بن حنبل، کما فی «المغنی» لابن قدامة. ۲ ـ قالت الإمامیة ـ بالتفصیل و هو أنّه ـ إذا کان المحصن شیخاً أو شیخة فعلیهما الجلد و الرجم، وإن کانا شابّین فعلیهما الرجم بلا جلد. ۳ ـ قال فقهاء أهل السنّة: لیس علیهما إلاّ الرجم دون الجلد، و به قال بعض الامامیة(۱). _____

۱. الشیخ الطوسی: الخلاف ج ۳، کتاب الحدود، المسألة ۱ و ۲، ابن قدامة: المغنی ۹ / ۵ کتاب الحدود. (۴۵۰) ولسنا بصدد تحقیق المسألة من حیث السعة و الضیق و إنّما نبحث عن ثبوت الرجم فی الإسلام علی وجه الاجمال، و ذلک لثبوته بفعل النبی و الخلفاء و الصحابة، أمّا النبی ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ فقد زنی ماعز فرجمه رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ، و رجم العامریة، کما رجم یهودیین زنیا (۱)، و روی عن عمر، أنّه قال: «إنّ الله بعث محمّداً ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ بالحق وأنزل علیه الکتاب، فکان فیما أنزل علیه آیة الرجم، فقرأتها و عقلتها و وعیتها، و رجم رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ و رجمنا بعده، فأخشی إن طال بالناس زمان أن یقول قائل: ما نجد الرجم فی کتاب الله، فیضلّوا بترک فریضة أنزلها الله تعالی، فالرجم حقّ علی من زنی إذا أحصن من الرجال و النساء إذا قامت البیّنة، أو کان الحبل أو الاعتراف و قد قرأ بها «الشیخ و الشیخة إذا زنیا فأرجموهما البتة نکالاً من الله و الله عزیز حکیم»(۲). نحن لا نوافق الخلیفة علی کون آیة الرجم من کتاب الله العزیز، فکیف یمکن لنا أن نعدّ کلاماً تعلو علیه الصناعة البشریة ـ و قد سرق جزءاً من الذکر الحکیم الوارد فی حد السرقة و رکّبه مع کلامه فعاد کلاماً مغسولاً عن الفصاحة ـ من کلام الله العزیز، لکنّا نوافق الخلیفة علی ثبوت الرجم فی الإسلام، هذا هو الامام علی بن أبی طالب جلد سراجة یوم الخمیس و رجمها یوم الجمعة و قال: جلدتها بکتاب الله، و رجمتها بسنّة رسول الله. وأمّا قوله سبحانه: (الزَّانِیَةُ وَالزَّانِی فَاجْلِدُواْ کُلَّ وَحِد مِّنْهُمَا مِأْئَةَ جَلْدَة)(۳).

۱. لاحظ تفسیر قوله سبحانه: (وَکَیْفَ یُحَکِّمُونَکَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَیةُ فِیهَا حُکْمُ اللهِ) ـ المائدة: ۴۳ ـ .

۲. ابن قدامة: المغنی ۹ / ۴.

۳. النور: ۲. (۴۵۱)

فلا ینافی ثبوت الرجم مع الجلد فی بعض الموارد، فإنّه لاینفی غیر الجلد من سائر العقوبات، هذا إذا قلنا بثبوت الجلد و الرجم مطلقاً علی المحصن، و أمّا إذا خصصنا الجمع بالشیخ و الشیخة، و أخرجنا الشاب والشابة، فتکون السنّة مخصصّاً لآیة الجلد، فإنّ عموم القرآن یخصّص بالدلیل القطعی، و لیس هذا نسخاً بل تخصیصاً، وکم من فرق بین التخصیص و النسخ یقف علیه المعنّیون بعلم الاُصول. وأمّا الخوارج فقالوا بالجلد دون الرجم و احتجّوا بالوجهین التالیین: ۱ ـ قوله سبحانه: (الزَّانِیَةُ وَالزَّانِی فَاجْلِدُواْ کُلَّ وَحِد مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَة) قالوا: لایجوز ترک کتاب الله الثابت بطریق القطع و الیقین لأخبار آحاد یجوز الکذب فیها. ۲ ـ إنّ هذا یفضی إلی نسخ الکتاب و السنّة و هو غیر جائز(۱). یلاحظ علی کلا الوجهین: أمّا الأوّل: فلأنّ القول بالرجم مضافاً إلی الجلد لایستلزم ترک کتاب الله، لأنّ اثبات الشیء أی الجلد لایکون دلیلاً علی نفی غیره، فأیّ مانع من أن تکون العقوبة فی مطلق الزنا هی الجلد، و فی خصوص المحصن، الجلد مع الرجم؟ هذا إذا قلنا بجلد المحصن مطلقاً، و أمّا إذا خصصنا الجمع بالشیخ والشیخة، و قلنا بکفایة الرجم فی غیر الشاب و الشابّة، فأقصی ما یلزم تخصیص الکتاب بالسنّة القطعیة و هو لیس بأمر شاذ، کیف لایکون کذلک و قد اشتهر «و ما من عام إلّا و قد خصّ». أمّا الثانی: فلأنّه خلط بین نسخ حکم الکتاب و تخصیصه، و الفرق بینهما واضح لایخفی. ــــــــــــــــ

۱. ابن قدامة: المغنی ۹ / ۴. (۴۵۲) هذا وقد نقل ابن قدامة: انّ رسل الخوارج جاءوا عمر بن عبد العزیز فکان من جملة ما عابوا علیه الرجم و قالوا: لیس فی کتاب الله إلّا الجلد، و قالوا: الحائض أوجبتم علیها قضاء الصوم دون الصلاة، و الصلاة أوکد. فقال لهم عمر: وأنتم لا تأخذون إلّا بما فی کتاب الله؟ قالوا: نعم، قال: فأخبرونی عن عدد الصلوات المفروضات و عدد أرکانها، و رکعاتها، و مواقیتها، أین تجدونه فی کتاب الله تعالی؟ و أخبرونی عمّا تجب الزکاة فیه و مقادیرها و نُصُبها؟ فقالوا: انظرنا، فرجعوا یومهم ذلک فلم یجدوا شیئاً ممّا سألهم عنه فی القرآن، فقالوا: لم نجده فی القرآن. قال: فکیف ذهبتم إلیه؟ قالوا: لأنّ النبی ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ فعله، و فعله المسلمون بعده، فقال لهم: فکذلک الرجم و قضاء الصوم فإنّ النبی ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ رجم و رجم خلفاؤه بعده والمسلمون، وأمر النبی ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ بقضاء الصوم دون الصلاة، و فعل ذلک نساؤه ونساء أصحابه(۱). * * * ــــــــــــــــ

۱. ابن قدامة: المغنی ۹ / ۵. (۴۵۳) خاتمة المطاف إلی هنا قد تعرّفت علی عقائد الخوارج معتدلیهم و متطرّفیهم، غیر أنّ هناک مسائل فقهیّة ثلاث نطرحها فی المقام: ۱ ـ حکم أولاد المشرکین. ۲ ـ حکم تزویج المشرکات. ۳ ـ حکم تزویج الکافرة غیر المشرکة. و لعل القارئ الکریم یتعجّب من طرح هذه المسائل فی الموسوعة التاریخیة للعقائد قائلاً بأنّ البحث عن مثل هذه الموضوعات من واجبات الفقیه لا مؤرّخ العقائد، ولکنّه یزول تعجّبه إذا وقف علی أنّ الخوارج المتطرّفین، یزعمون أنّ مخالفیهم من المسلمین مشرکون أو کافرون، لا رتکاب الکبیرة من المعاصی، وبما أنّ للمشرک و الکافر الواقعیین أحکاماً خاصّة فی الفقه الإسلامی من حیث صیانة الدماء وإراقتها و جواز تزویجهم و حرمته، فهؤلاء کانوا یرتّبون علی المسلمین و أولادهم، أحکام المشرکین و الکافرین و أولادهم، فیبیحون (۴۵۴)

قتل أولاد المخالفین، و یحرّمون مناکحتهم بحجّة أنّهم مشرکون، فناسب البحث عن هذه الأحکام الکلیّة مع غضّ النظر عن عدم الموضوع فی المقام لأنّ أهل القبلة والقرآن کلّهم موحدون لامشرکون، مؤمنون لاکافرون، إلّا من قام الدلیل علی شرکه و کفره کالغلاة والنواصب. و بما أنّ الأزارقة و أمثالهم أخطأوا فی حکم المسألة حتی فی مواردها الواقعیّة فجوزوا قتل أولاد المشرکین و حرّموا انکاح الکافر غیر المشرک، فلأجل ایقاف القارئ علی مظان خطأهم فی هذه المسائل نوالی البحث فیها واحدة بعد اُخری و

نقول: ۱ ـ أولاد المشرکین: إنّ الأصل الرصین فی الدماء هو الحرمة، و لزوم صیانتها من الاراقة، فالانسان ـ علی وجه الاطلاق ـ هو خلیفة الله فی أرضه یحرم دمه و عرضه و ماله للغیر، فلا یجوز التعدّی علی شیء منها إلّا بدلیل، ولأجل ذلک یقول سبحانه حاکیاً عن نبیّه موسی: (أَقَتَلْتَ نَفْساً زَکِیَّةً بِغَیْرِ نَفْس لَّقَدْ جِئْتَ شَیْئاً نُّکْراً)(۱) وقال سبحانه: (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِیهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَسِرِینَ)(۲) وقال تعالی: (قَدْ خَسِرَ الَّذِینَ قَتَلُواْ أَوْلَدَهُمْ سَفَهاً بِغَیْرِ عِلْم)(۳) و قال سبحانه: (وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلَدَکُم مِنْ إِمْلَق نَحْنُ نَرْزُقُکُمْ وَإِیَّاهُمْ)(۴) و قال تعالی: (وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِی حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ)(۵) و: (مَن قَتَلَ نَفْسَا بِغَیْرِ نَفْس أَوْ فَسَاد فِی الاَرْضِ فَکَأَنَّمَا قَتَلَ _____

۱. الکهف: ۷۴.

۲. المائدة: ۳۰.

۳. الأنعام: ۱۴۰.

۴. الأنعام ۱۵۱.

۵. الأنعام: ۱۵۱. (۴۵۵) النَّاسَ جَمِیعاً)(۱)، إلی غیر ذلک من الآیات الناصّة علی أنّ الأصل القویم والمرجع، فی الدماء هو الحرمة، فلا یجوز قتل الانسان علی الاطلاق إلاّ بمسوّغ شرعی ورد النص بجواز قتله فی الذکر الحکیم والسنّة النبویة. و علی ضوء ذلک فالاسلام حرّم دم المسلم، و دم الذمّی، و الکافر المهادن، و من یمتُّ إلیهم بصلة، فإنّ أولادهم و إن کانوا غیر محکومین بشیء من التکالیف إلاّ أنّ الولد یتبع الوالدین فی الأحکام، و هذا ممّا لایختلف فیه اثنان من الفقهاء. وأمّا الکافر الحربی فهو مهدور الدم لا دم أطفاله و ذراریه، إلاّ فی مواضع خاصّة. قال ابن قدامة: إنّ من اُسر من أهل الحرب علی ثلاثة أضرب: النساء و الصبیان، فلا یجوز قتلهم و یصیرون رقیقاً للمسلمین بنفس السبی، لأنّ النبی ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ نهی عن قتل النساء، والولدان، (متّفق علیه) و کان ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ یسترقّهم إذا سباهم(۲). هذا فقیه أهل السنّة، و أمّا الشیعة، فقال الشیخ الطوسی: الآدمیون علی ثلاثة أضرب: نساء و ذریّة و مشکل و بالغ غیر مشکل، فأمّا النساء و الذریة فإنّهم یصیرون مماليک بنفس السبی(۳). و قال المحقّق الحلی: الطرف الرابع فی الاُساری و هم ذکور و اناث، فالاناث یملکن بالسبی و لو کانت الحرب قائمة، وکذا الذراری(۴). _____

۱. المائدة: ۳۲.

۲. ابن قدامة الحنبلی: المغنی ۱۰ / ۴۰۰.

۳. الطوسی: المبسوط ۲ / ۱۹.

۴. المحقق: شرائع الإسلام ۱ / ۳۱۷. (۴۵۶) إلی غیر ذلک من الفتاوی المستفیضة من فقهاء الإسلام، وهم یتبعون فی ذلک، النصوص الواردة عن النبی و خلفائه. روی الکلینی عن معاویة بن عمار عن أبی عبد الله قال: کان رسول الله إذا أراد أن یبعث سریّة، دعاهم فأجلسهم بین یدیه ثم یقول: سیروا بسم الله و بالله وفی سبیل الله و علی ملّة رسول الله، لاتغلوا، و لا تُمثّلوا و لا تغدروا، ولا تقتلوا شیخاً فانیاً، ولا صبیّاً، ولا امرأة، و لا تقطعوا شجراً إلاّ أن تضطرّوا إلیها(۱). وقد تضافرت الروایات عن أئمة الشیعة فی ذلک. روی البیهقی بسنده عن ابن عمر: أجلی رسول الله بنی النضیر، وأقرّ قریظة ومنَّ علیهم حتّی حاربت قریظة بعد ذلک فقتل رجالهم، و قسم نساءهم، و أولادهم، و أموالهم بین المسلمین، إلاّ بعضهم لحقوا برسول الله فآمنهم وأسلموا(۲). و روی أیضاً النافع أنّ عبد الله بن عمر أخبره أنّ أمرأة وجدت فی بعض مغازی رسول الله مقتولة، فانکر رسول الله قتل النساء والصبیان(۳). هذا هو حکم الإسلام فی صبیان الکفّار و المشرکین و نسائهم، فهلم معی ندرس فتوی الأزارقة فی نساء الکفّار و أولادهم فقد استحلّ زعیمهم قتل الأطفال... قائلاً: إنّ نوحاً نبیّ الله کان أعلم بأحکام الله قال: (رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَی الاَرْضِ مِنَ الْکَفِرِینَ دَیَّاراً * إِنَّکَ إِن تَذَرْهُمْ یُضِلُّواْ عِبَادَکَ وَلاَ یَلِدُواْ إِلاَّ فَاجِراً کَفَّاراً)(۴) فسمّاهم بالکفّار و هم أطفال، و قبل أن یولدوا، فکیف ذلک فی قوم _____

۱. الحر العاملی: الوسائل ۱۱، الباب ۱۵ من أبواب جهاد العدو، الحدیث ۲.

۲. البیهقی: السنن ۶ / ۳۲۳، کتاب قسم الفی والغنیمة.

۳. المصدر نفسه: ۹ / ۷۷ کتاب السیر.

۴. نوح: ۲۶ ـ ۲۷ . (۴۵۷)

ولا فی قومنا؟ والله تعالی یقول: (أَکُفَّارُکُمْ خَیْرٌ مِّنْ أُوْلَـئِکُمْ أَمْ لَکُم بَرَآءَةٌ فِی الزُّبُرِ)(۱)وهؤلاء کمشرکی العرب، لا یقبل منهم جزیة و لیس بیننا و بینهم إلّا السیف أو الإسلام(۲). عزب عن المسکین، أوّلاً: إنّ تسمیتهم بالکفّار لیس باعتبار أنّهم فی حال کونهم معدومین کفّاراً فإنّ ذلک باطل بالاتّفاق، إذ کیف یوصف الشیء المعدوم بوصف من الأوصاف الوجودیة، بل المراد انّ الأبناء بعد خروجهم إلی عالم الوجود سیصیرون کفّاراً لنشوئهم فی أحضان آبائهم الکافرین و أمّهاتهم الکافرات، فللوراثة و البیئة تأثیرهما فی الأولاد، فلا یلدون فی المستقبل إلّا اُناساً یصیرون کفّاراً نظیر توصیف الأشجار بالمثمرة فی فصل الشتاء، والمراد: المثمرة فی فصل الثمر. و ثانیاً: إنّ الذراری و النساء و إن کانت محکومات بالکفر و لکن علمت أنّ النبیّ الأکرم ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ حرّم دماءهم وانّما سوّغ سبیهم و استرقاقهم، فلیس کلّ کافر یجوز قتله. فما ذکره من الاستدلال أوهن من بیت العنکبوت. و ثالثاً: إنّ کلّ ذلک فی حق المشرکین و الکّفار الحقیقیین، فما معنی تسریة هذه الأحکام إلی أهل القبلة و المسلمین الذین یشهدون بتوحیده و رسالة نبیّه و یقیمون الصّلاة و یعطون الزکاة و یصومون شهر رمضان و یحجّون البیت. أفیصحّ لنا تسمیة هؤلاء کفّاراً، بحجّة ارتکابهم معصیة کبیرة؟!

---

۱. القمر: ۴۳.

۲. لاحظ رسالة ابن الأزرق فی جواب رسالة نجدة بن عامر، وقد مرّت فی الفصل التاسع. (۴۵۸) ۲ ـ فی نکاح المشرکات: قد تعرّفت علی أنّ الخوارج یعدّون مخالفیهم مشرکین و کافرین، فعلی قول الأزارقة جماهیر المسلمین رجالاً و نساءً مشرکون و مشرکات، و علی قول غیرهم فهم کافرون و کافرات، فحکم تزویج حرائرهم حکم تزویج الوثنیات و الکتابیات، ولأجل ذلک نذکر بعض کلماتهم ثم نعرض المسألة علی الکتاب والسنّة. کتب ابن الأزرق إلی عبد الله بن صفار و عبد الله بن اباض کتاباً جاء فیه: و قال تعالی (لاَ تَنْکِحُواْ الْمُشْرِکَـتِ حَتَّی یُؤْمِنَّ) فقد حرّم الله ولایتهم و المقام بین أظهرهم واجازة شهادتهم و أکل ذبائحهم و قبول علم الدین عنهم و مناکحتهم و مواریثهم(۱). و قد تقدّم فی بیان عقائد الصفریه أنّه نقل عن الضحاک الّذی هو منهم أنّه جوّز تزویج المسلمات من کفّار قومهم فی دار التقیّة دون دار العلانیة. و یرید من المسلمات: الحرائر من الخوارج. ومن «کفّار قومهم»: رجال سائر الفرق الاسلامیة. و یظهر من الخلاف الّذی حدث بین الابراهیمیة و المیمونیة أنّه یجوز بیع الجاریة المؤمنة (الخارجیة) من الکفرة أی المسلمون من سائر الفرق. هذا ما وقفنا علیه من کلماتهم و نبحث عن المسألة بکلتی صورتیها: الأُولی ـ نکاح المشرکة: اتّفق علماء الإسلام علی تحریم تزویج المشرکات. قال ابن رشد: «و اتّفقوا علی أنّه لایجوز للمسلم أن ینکح الوثنیة لقوله تعالی: (وَلاَ تُمْسِکُواْ

---

۱. الطبری: التاریخ ۴ / ۴۳۸ ـ ۴۴۰. (۴۵۹) بِعِصَمِ الْکَوَافِرِ)(۱) واختلفوا فی نکاحها بالملک»(۲). و قال الشیخ الطوسی فی المبسوط: «الضرب الثانی، الذین لاکتاب لهم ولا شبهة کتاب، و هم عبدة أوثان فلا یحلّ نکاحهم و لا أکل ذبائحهم و لا یقرّون علی أدیانهم ببذل الجزیة و لا یعاملون بغیر السیف أو الإسلام بلا خلاف»(۳). هذا کلّه حول المشرکات، فلو صحّ کون جماهیر المسلمات من الفرق الاسلامیة مشرکات عند الأزارقة، لصحّ ما قال و لکنّه لم یصح ـ وإن صحّت الأحلام ـ لما عرفت أنّ للشرک حدّاً منطقیاً فی القرآن الکریم، و ابن الأزرق و أتباعه و إن کانوا قرّاء و لکنّه لم یتجاوز القرآن ـ حسب تنصیص النبی الأکرم ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ عن تراقیهم ولم یصل إلی دماغهم و مراکز أفکارهم، فکیف یصحّ تسمیة من ارتکب الکبیرة مشرکاً و لو صحّ لما و جد فی أدیم الأرض مسلماً إلّا إذا کان معصوماً. ۳ ـ نکاح الکافرة غیر المشرکة: اختلف کلمة فقهاء الإسلام فی نکاح الکافرة غیر المشرکة و یراد منها الکتابیة لأنّها کافرة غیر مشرکة، قال ابن رشد: اتّفقوا علی أنّه یجوز أن ینکح الکتابیة الحرّة(۴). هذا مالدی السنّة و أمّا ما

لدی الشیعة فالمشهور عدم الجواز دواماً. قال الشیخ الطوسی: عند المحصّلین من أصحابنا لایحلّ أکل ذبائح أهل الکتاب

---

۱. الممتحنة: ۱۰، و الأولی أن یستدل بآیة صریحة أعنی قوله سبحانه:(وَلاَ تَنْکِحُواْ الْمُشْرِکَـتِ حَتَّی یُؤْمِنَّ...)ـ البقرة: ۲۲۱ ـ .

۲. ابن رشد: بدایة المجتهد ۲ / ۴۳.

۳. الطوسی: المبسوط ۴ / ۲۱۰.

۴. ابن رشد: بدایة المجتهد ۲ / ۴۳. (۴۶۰)

کالیهود و النصاری، و لا تزوّج حرائرهم، بل یقرّون علی أدیانهم إذا بذلوا الجزیة، وفیه خلاف بین أصحابنا، و قال جمیع الفقهاء (أهل السنّة): یجوز أکل ذبائحهم و نکاح حرائرهم(۱). و قال فی الخلاف: المحصّلون من أصحابنا یقولون لا یحلّ نکاح من خالف الإسلام، لا الیهود، و لا النصاری، و قال قوم من أصحاب الحدیث من أصحابنا: یجوز ذلک، و أجاز جمیع الفقهاء التزویج بالکتابیات و هو المروی عن عمر و عثمان و طلحة و حذیفة، و جابر، و روی أنّ عمّاراً نکح نصرانیة، و نکح حذیفة یهودیة، و روی عن ابن عمر کراهة ذلک و إلیه ذهب الشافعی(۲). قال ابن قدامة: لیس بین أهل العلم ـ بحمد الله ـ اختلاف فی حلّ حرائر نساء أهل الکتاب، و ممّن روی عنه ذلک، عمر و عثمان و طلحة و حذیفة و سلمان و جابر و غیرهم(۳). و علی ضوء ذلک انّ فقهاء أهل السنّة ذهبوا إلی الجواز، وأمّا الشیعة فهم بین مانع و مجوّز، و نحن نعرض المسألة علی الکتاب. استدلّ المانع بآیات: ۱ ـ قال تعالی : (وَلاَ تَنْکِحُواْ الْمُشْرِکَـتِ حَتَّی یُؤْمِنَّ وَلاَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَیْرٌ مِنْ مُّشْرِکَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْکُمْ وَلاَ تُنْکِحُواْ الْمُشْرِکِینَ حَتَّی یُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَیْرٌ مِنْ مُشْرِکٍ وَلَوْ أَعْجَبَکُمْ أُوْلَـئِکَ یَدْعُونَ إِلی النَّارِ وَاللهُ یَدْعُوا إِلی الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَیُبَیِّنُ ءَایَـتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ یَتَذَکَّرُونَ)(۴). ــــــــــــــــ

۱. الطوسی: المبسوط ۴ / ۲۱۰.

۲. الطوسی: الخلاف ۲ / ۲۸۲، المسألة ۸۴ من کتاب النکاح، و قد نسب إلی فقهاء الشیعة أقوال اُخری ذکرناها فی محاضراتنا الفقهیة فی النکاح، لاحظ: الحلّی، مختلف الشیعة: ۸۲.

۳. ابن قدامة: المغنی ۵ / ۵۲.

۴. البقرة: ۲۲۱. (۴۶۱) ۲ ـ قال تعالی : (وَمَنْ لَّمْ یَسْتَطِعْ مِنْکُمْ طَوْلاً ـ أنْ یَنْکِحَ الْمُحْصَنَـتِ الْمُؤْمِنَـتِ فَمِن مَّا مَلَکَتْ أَیمَـنُکُم مِّنْ فَتَیَـتِکُمُ الْمُؤْمِنَـتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِیمَـنِکُمْ بَعْضُکُمْ مِّنْ بَعْض فَانْکِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)(۱). استدّل بالآیة علی المنع بوجهین: أ ـ إنّ الآیة تأمر من لم یجد ما یتزوّج به الحرائر المؤمنات من المهر و النفقة، أن ینکح الإماء المؤمنات فإنّ مهور الإماء أقلّ و معونتهنّ أخف عادة، فلو جاز نکاح الکافرة فی هذه الحالة لزم جواز نکاح الأمة المؤمنة مع الحرّة الکافرة، و لم یقل به أحد، لأنّه من قبیل الجمع بین الحرّة و الأمة. ب ـ إنّ التوصیف بالمؤمنات فی قوله: (مِّنْ فَتَیَـتِکُمُ الْمُؤْمِنَـتِ) یقتضی أن لا یجوز نکاح الفتیات الکافرات مع انتفاء الطول، و لیس إلاّ لامتناع نکاحهنّ مطلقاً، للاجماع علی انتفاء الخصوصیة بهذا الوجه(۲). یلاحظ علی الوجه الأوّل: أنّ أقصی ما یستفاد من الآیة علی القول بمفهوم الوصف أنّه لا یجوز عند عدم الطول، نکاح الأمة الکافرة مع وجود الأمة المسلمة، و أمّا عدم جواز تزویج الحرّة الکافرة مع الطول أو عدمه، فلا تدلّ علیه الآیة، لأنّ المفهوم ینفی الحکم عن الموضوع الفاقد للوصف لا عن موضوع آخر، والموضوع للجواز هو ما ملکت أیمانکم من فتیاتکم المؤمنات، فمقتضی المفهوم عدم جواز نکاح الأمة الکافرة فی هذه الحال، و أمّا الحرّة الکافرة، فهو خارج عن موضوع البحث نفیاً و اثباتاً. و یلاحظ علی الوجه الثانی: أنّ التوصیف بالمؤمنات یقتضی أن لایجوز نکاح الکافرة من الاماء مع انتفاء الطول و لکن لم یعلم انّ وجه حرمتها هو امتناع ــــــــــــــــ

۱. النساء: ۲۵.

۲. الشیخ محمّد حسن النجفی: جواهر الکلام ۳ / ۲۸. (۴۶۲)

نکاحها مطلقاً، سواء کانت أمة أم حرّة، و من أین یدعی الاجماع علی انتفاء خصوصیة فی الأمة؟ إذ من الممکن أن لا یجوز نکاح

الأمة الكافرة مع وجود الأمة المسلمة دون الكافرة الحرّة فيجوز نكاحها حتى مع التمكّن من الأمة المسلمة. ۳ ـ قال تعالى: (لاَّ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الاٰخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُواْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَ نَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَـئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الْإِيمَـنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوح مِّنْهُ)(۱). يلاحظ عليه: أنّ الآية واردة فى حقّ الضعفاء من المسلمين، و لا صلة لها بالكفرة، فهؤلاء كانوا يوالون اليهود و يفشون إليهم أسرار المؤمنين، و يجتمعون معهم على ذكر مساءة النبى وأصحابه، ففى هذه الظروف نزل قوله سبحانه: (لاَّ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الاٰخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ اللهَ وَرَسُولَهُ)أى لا تجتمع موالاة الكفّار مع الإيمان، اى موالاتهم بما هم كفّار، وأمّا حبّهم لأجل اُمور اُخرى فلاصلة له بالآية، و لا يتزوّج المسلم من الكافرة لأجل موالاة الكافرة، بل لأجل دفع الشهوة أو تعبئة وسائل الحياة. و أضعف منه الاستدلال بقوله سبحانه: ۴ ـ قال تعالى : (لاَ يَسْتَوِى أَصْحَـبُ النَّارِ وَأَصْحَـبُ الْجَنَّةِ أَصْحَـبُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَآئِزُونَ)(۲)إذ لاصلة بين الآية و موضوع البحث فإنّها تنفى كون المؤمن و الكافر عند الله سيّان، وأمّا عدم جواز المعاملة و المناكحة فلا تدلّ عليه . ۵ ـ استدلّ أيضاً: انّ أهل الكتاب مشركون لقوله سبحانه: (وَقَالَتِ _____

۱. المجادلة: ۲۲.

۲. الحشر: ۲۰. (۴۶۳) الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ)(۱) حيث جعلوا الإبن المزعوم شريكاً للأب فى الالوهية، و قال سبحانه: (لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَـثَةٍ)(۲). و قال: (اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـنَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَ حِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)(۳) فهذه الآيات تثبت الصغرى، أى كونهم مشركين، وأمّا ما يدلّ على الكبرى أى عدم جواز نكاح المشركات، فقد مرّ فى كلام المانع. يلاحظ عليه أنّ هنا أمرين: أ ـ كون النصارى و اليهود مشركين فى عقيدتهم، و هذا لاكلام فيه. ب ـ كون المشرك الوارد فى قوله (وَلا تَنْكِحُوا المُشْرِكات) عامّاً يعمّ الوثنيين و غيرهم، و لكنّ هذا غير ثابت فإنّ عنوان المشرك فى القرآن يختصّ بغير أهل الكتاب بشهادة المقابلة فى كثير من الآيات بينهم وبين أهل الكتاب، وإليك بعضها: (مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَـبِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ)(۴)، وقد عرفت تحقيق ذلك عند البحث عن حدّ الشرك و الإيمان، فلانعيد(۵). فهذه الآية و غيرها تثبت أنّ الشرك المتّخذ موضوعاً لكثير من الأحكام

---

۱. التوبة: ۳۰.

۲. المائدة: ۷۳.

۳. التوبة: ۳۱.

۴. البقرة: ۱۰۵.

۵. لاحظ الآيات: آل عمران ۱۸۶. المائدة ۸۲ و غيرهما أيضاً. (۴۶۴)

لايشمل أهل الكتاب فى مصطلح القرآن و إن كانوا مشركين حسب الواقع، فالكلام فى سعة موضوع الحكم (تحريم نكاح المشركات) وضيقه حسب اصطلاح القرآن. ۶ ـ قال تعالى : (يَـأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا جَآءَكُمُ الْمُؤْمِنَـتُ مُهَـجِرَ ت فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـت فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لاَ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلاَ تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْئَلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَ لِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)(۱). وجه الاستدلال انّ الكوافر جمع كافرة، و العصمة المنع، وسمّى النكاح عصمة لأنّ المنكوحة تكون فى حبال الزوج و عصمته، و يكون اطلاقها دليلاً على حرمة عقد الكافرة مشركة أو ذمية. يلاحظ عليه: أنّ الآية ظاهرة فى الوثنية بشهادة سياق الآيات، و سبب نزولها فإنّها نزلت بعد التصالح فى الحديبية حيث تصالح رسول الله أن يردّ كل من أتى من قريش إلى جانب المسلمين من دون عكس، و بعد ما ختم الكتاب جاءت سبيعة بنت الحرث الأسلمية و قد أسلمت، فأقبل زوجها فى طلبها و كان كافراً، فنزلت الآية، فكان رسول الله يردّ من جاءه من قريش من الرجال، ولا يردّ من جاءته من النساء قائلاً بأنّ التصالح لايشمل إلاّ الرجال. على أنّ ظاهر

الآيـة هو المنع من الاقامـة مع الزوجة الكافرة و هذا لايتمّ فى الذمّيـة لصـحّة نكاحهنّ استدامة إذا أسـلم أحد الزوجين، اجماعاً و إن لم نقل بالصـحّة ابتداء، و هذا قرينة على انصـراف الآية عن الذمّيـة إلى الوثنية، و بذلك يظهر ضـعف ما أفاده الطبرسـى حيث ادّعى دلالة الآية على عدم جواز العقد _____

۱. الممتحنة: ۱۰. (۴۶۵)

على الكافرة مطلقاً، بحجّة أنّ الآية عامّ و ليس لأحد أن يخصّ الآية بعابدة الوثن لنزولها بسببهن، لأنّ المعتبر عموم اللفظ، لاالسبب(۱). إلى هنا تمّ ما يمكن الاسـتدلال به من الآيات على تحريم نكاح الكافرات، وإليك ما استدلّ به القائل بالجواز من الذكر الحكيم أعنى قوله سبحانه: (الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَـتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَـبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَـتُ مِنَ الْمُؤْمِنَـتِ وَالْمُحْصَنَـتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَـبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـفِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِى أَخْدَان)(۲). الآية صـريحة فى جواز نكـاح المحصـنات من أهل الكتاب، والمتيقّن منها هو الذمّيـة أو من هو فى حكمها كالمهادنـة، لا الحربيـة. و حمل الآيـة على النكاح الموقّت بقرينـة ورود لفـظ «الاُجور» فى الآيـة مكـان «المهور» ليس بتـام لأنّهـا وردت فى غير موضع من القرآن، و اُريـد منه المهر فى النكاح الدائم. قال سبحانه فى تزويج الاماء عند عدم الطول: (فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)(۳) و قال تعالى و هو يخاطب النبى: (إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَ جَكَ الَّـتِى ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ)(۴) ومن المعلوم أنّ المراد هو التزويج الدائم إذ لم يكن بين أزواج النبى من تزوّج بها متعة. نعم المراد من قوله سـبحانه: (فَمَا اسْـتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَـاَتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً)(۵) هو النكاح الموقّت، بقرينة قوله: (فَمَـا اسْـتَمْتَعْتُمْ) مضافاً إلى الروايـات المتضافرة فى المقام. و ربّما يحتمل كون الآيـة منسوخـة لما ورد من النهى فى آيتى البقرة

---

۱. الطبرسى: مجمع البيان ۵ / ۲۷۴.

۲. المائدة: ۵.

۳. النساء: ۲۵.

۴. الأحزاب: ۵۰.

۵. النساء: ۲۴. (۴۶۶)

و الممتحنة، و لكن قد عرفت عدم دلالة الآيتين على مورد البحث فضـلاً عن كونهما ناسـختين. على أنّ سورة المائدة آخر ما نزل على رسول الله، فهى تنسـخ ما قبلها، و لا تُنسـخ، روى العياشـى عن على قال: كان القرآن ينسـخ بعضه بعضاً و إنّما يؤخذ من أمر رسول الله بآخره، و كان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة نسـخت ما قبلها و لم ينسـخها شـىء(۱). إلى هنا تمّ ما يرجع إلى المسألـة من القرآن الكريم، و أمّا البحث عنها من جانب السـنّة فهو موكول إلى محلّه، و قد أوضحنا الكلام فيها فى مسفوراتنا الفقهية. هذا آخر الكلام فى عقائد الخوارج و اُصولهم. بقى الكلام فى التعرّف على شخصيّاتهم فى العصور الأولى و هذا ما يوافيك فى البحث الآتى الّذى عقدناه بعنوان «خاتمة المطاف». * * * _____

۱. الحـويزى: نور الثقلين ۱ / ۴۸۳. (۴۶۷) خاتمـة المطاف: رجال الخوارج فى العصور الاُولى قد تعرّفت فيما سبق على الشخصيات البارزة للاباضـيّة، ولا بـد من التطرّق إلى رجال الخوارج من غيرهم، و نذكر فى المقام المعروفين منهم، و إن كان الحكم بكونهم من الخوارج يحتاج الى تتبّع وافر، فإنّ الشـهرة فى المقام لاتفيـد إلاّ الظن. و ربّما يكون رميهم بأنّهم منهم صدر من غير أهله تعنّتاً و حقداً، و على كـل تقـدير فقـد ذكر ابن ابى الحديـد لفيفاً ممّن كان يرى رأى الخوارج، و نـذكر بعض ما ذكر(۱): ۱ ـ عكرمـة البربرى (ت / ۱۰۵): و صفه الذهبى بقوله «أحد أوعية العلم، تُكلّم فيه لرأيه لالحفظه، فاتّهم _____

۱. ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۵ / ۷۶. (۴۶۸)

برأى الخوارج، وقد وثّقه جماعة و اعتمده البخارى، و أمّا مسلم فتجنّبه و روى له قليلاً مقروناً بغيره، و أعرض عنه مالك، و تحايده إلاّ

فی حدیث أو حدیثین. و عن عمرو بن دینار، قال: رُفع إلی جابر بن زید مسائل أسأل عنها عکرمة، فجعل جابر بن زید یقول: هذا مولی ابن عباس، هذا البحر فَسَلوه. و قد وصفه شهر بن حوشب و جابر بن زید بأنّه حبر هذه الاُمة و أعلم الناس، و مع ذلک فقد ضعّفه یحیی بن سعید الأنصاری و أیّوب و ذکرا عکرمة، فقال یحیی: کذّاب، و قال أیّوب، لم یکن بکذّاب. و عن زید بن أبی زیاد، عن عبد الله بن الحارث قال: دخلت علی علی بن عبد الله فإذا عکرمة فی وثاق عند باب الحش، فقلت له: ألا تتّق الله، فقال: إنّ هذا الخبیث یَکذِب علی أبی. و قال محمّد بن سیرین عن عکرمة، فقال: ما یسوءنی أن یکون من أهل الجنّة و لکنّه کذّاب. و قال ابن أبی ذئب: رأیت عکرمة، و کان غیر ثقة. و قال محمّد بن سعد: کان عکرمة کثیر العلم و الحدیث، بحراً من البحور، و لیس یُحتَجّ بحدیثه، و یتکلّم الناس فیه. هذه أقوال الناس فی حقّه، وإلیک قول نفسه فی حقّه: قال: کان ابن عباس یضع فی رجلی الکَبْلَ علی تعلیم القرآن و الفقه، و قال: طلبت العلم أربعین سنة، وکنت اُفتی بالباب و ابن عباس فی الدار. و هذا قوله فی حقّ نفسه، و لا یحتجّ بقول الإنسان فی حقّه إذا کان مدحاً، و یؤیّد کون الرجل خارجیّاً ما رواه خالد ابن أبی عمران قال: کنّا بالمغرب و عندنا عکرمة فی وقت الموسم فقال: وددت أنّ بیدی حربة فأعترض بها من شهد الموسم یمیناً وشمالاً، و عن یقعوب الحضرمی عن جدّه قال: وقف عکرمة علی باب المسجد فقال: ما فیه إلّا کافر، قال: وکان یری رأی الاباضیّة. و عن یحیی بن بکیر قال: قدم عکرمة مصر و هو یرید المغرب، قال: فالخوارج (۴۶۹)

الذین هم بالمغرب عنه أخذوا. قال ابن المدینی: کان یری رأی نجدة الحروری. و قال مصعب الزبیری: کان عکرمة یری رأی الخوارج. قال: وادّعی علی بن عباس أنّه کان یری رأی الخوارج. و عن خالد بن نزار: حدثنا عمر بن قیس، عن عطاء بن أبی رباح: انّ عکرمة کان اباضیاً، و عن أبی طالب: سمعت أحمد بن حنبل یقول: کان عکرمة من أعلم الناس، ولکنّه کان یری رأی الصفریّة، ولم یدع موضعاً إلاـ خرج إلیه: خراسان و الشام و الیمن و مصر و إفریقیا، کان یأتی الاُمراء فیطلب جوائزهم، وأتی الجَنَدَ إلی طاوس، فأعطاه ناقةً. و قال مصعب الزبیری: کان عکرمة یری رأی الخوارج فطلبه متولّی المدینة فتغیّب عند داود بن الحصین حتی مات عنده. و روی سلیمان بن معبد السّنجی قال: مات عکرمة وکُثیر عَزَّة فی یوم، فشهد الناس جنازة کُثیر، و ترکوا جنازة عکرمة. و قال عبد العزیز الدراوردی: مات عکرمة و کثیر عَزَّة فی یوم، فما شهدهما إلّا سُودان المدینة. و عن إسماعیل بن أبی اُویس، عن مالک، عن أبیه، قال: اُتی بجنازة عکرمة مولی ابن عباس و کثیر عزّة بعد العصر، فما علمت أنّ أحداً من أهل المسجد حلّ حبوته إلیهما. و قال جماعة: مات سنة خمس و مائة، و قال الهیثم و غیره: سنة ست، و قال جماعة: سنة سبع و مائة. و عن ابن المسیب أنّه قال لمولاه بُرْد: لا تکذب علیَّ کما کذب عکرمة علی ابن عباس. و یروی ذلک عن ابن عمر قاله لنافع(۱). وقد روی شیء کثیر منه فی التفاسیر و هی ملیئة بأقواله، و یظهر ممّا نقل عنه أنّه یری الحلف بالطلاق باطلاً، روی الذهبی عن عاصم الأحول، عن عکرمة ــــــــــــــــــــ

۱. الذهبی: میزان الاعتدال ۳ / ۹۳ ـ ۹۷ برقم ۵۷۱۴. (۴۷۰)

فی رجل قال لغلامه: إن لم اجلدک مائة سوط فامرأتی طالق. قال: لایجلد غلامه و لاتطّلق امرأته، هذه من خطوات الشیطان(۱). و ترجمه أبو حاتم الرازی فی الجرح و التعدیل بذکر نقول مختلفة عنه(۲). و قد ترجمه ابن حجر العسقلانی فی تهذیب التهذیب مفصّلاً، و ذکر أیضاً الأقوال المتضاربة فی حقّه (۳). و ممّا قال فیه، قال علی بن المدینی: کان عکرمة یری رأی نجدة، و قال یحیی بن معین: إنّما لم یذکر مالک بن أنس عکرمة لأنّ عکرمة کان ینتحل رأی الصفریّة، و قال عطاء: کان اباضیاً، و قال الجوزجانی: قلت لأحمد: عکرمة کان اباضیاً؟ فقال: یقال إنّه کان صفریّاً. و قال خلاد بن سلیمان، عن خالد بن أبی عمران: دخل علینا عکرمة أفریقیا وقت الموسم فقال: وددت أنّی الیوم بالموسم بیدی حربة أضرب بها یمیناً و شمالاً. قال: فمن یومئذ رفضه أهل أفریقیا، و قال مصعب الزبیری: کان عکرمة یری رأی الخوارج وزعم أنّ مولاه کان کذلک، و قال أبو خلف الخزاز عن یحیی البکّاء: سمعت ابن عمر یقول لنافع: اتّق الله ویحک یا نافع، و لا تکذب علیّ کما کذب عکرمة علی ابن عباس(۴). ۲ ـ قطری بن الفجاءة (ت / ۷۸): أبو نعامة: قطری بن الفجاءة، واسمه جعونة، المازنی الخارجی، خرج ــــــــــــــــــــ

۱. الذهبی: میزان الاعتدال ۳ / ۹۷ برقم ۵۷۱۴، اشارة إلی قوله تعالی (وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الْشَّیْطَانِ) ـ البقرة: ۲۰۸ ـ .

۲. أبو حاتم الرازی: الجرح و التعدیل ۷ / ۶ ـ ۱۱ .

۳. ابن حجر العسقلانی: تهذیب التهذیب ۷ / ۲۳۴ ـ ۲۴۲ برقم ۴۷۶، و لکنّه لم یترجمه فی لسان المیزان مع وروده فی المیزان للذهبی کما عرفت.

۴. المصدر نفسه: ۷ / ۲۳۷. (۴۷۱)

فی زمن مصعب بن الزبیر لمّا ولی العراق نیابة عن أخیه: عبد الله بن الزبیر، و کانت ولایة مصعب فی سنة ست و ستین للهجرة، قیل: بقی قطری عشرین سنة یقاتِل و یسلم علیه بالخلافة و هو یستظهر علیهم. و لم یزل إلی أن توجّه إلیه سفیان بن الأبرد الکلبی فظهر علیه و قتله فی سنة ثمان و سبعین للهجرة. و هو معدود فی جملة الخطباء العرب المشهورین بالبلاغة و الفصاحة(۱). نقل الجاحظ خطبة واحدة منه، و التأمّل فیها یعرب أنّه کان منطیقاً ذلق اللسان، قال فیها: أمّا بعد فإنّی اُحذّرکم الدنیا، فإنّها حلوة خضرة، حُفَّت بالشهوات، و راقت بالقلیل، و تحبّبت بالعاجلة، و حُلِیتْ بالآمال، و تزیّنت بالغرور، لاتدوم حبرتها، ولا تؤمن فجعتها، غرّارة ضرّارة، خوَّانة غدّارة(۲). روی أنّ الحجاج قال لأخیه: لأقتلنّک، فقال: لم ذلک؟ قال: لخروج أخیک، قال فإنّ معی کتاب أمیر المؤمنین (یرید عبد الملک) أن لا تأخذنی بذنب أخی، قال: هاته، قال: فمعی ما هو أوکد منه، قال: ما هو؟ قال: کتاب الله عزّوجل یقول: (وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَی)(۳) فعجب منه و خلّی سبیله(۴). و ترجمه خیر الدین الزرکلی فی الأعلام(۵) و یظهر فیما نقله من تاریخ الطبری أنّه توفّی سنة ۷۷ هـ و الله العالم. ۳ ـ عمران بن حطّان السدوسی البصری (ت / ۸۴): عمران بن حطّان السدوسی البصری الخارجی، روی عن عائشة، و عنه _____

۱. ابن خلکان: و فیات الأعیان ۴ / ۹۴ ـ ۹۵.

۲. الجاحظ: البیان والتبیین ۲ / ۱۱۲.

۳. الأنعام: ۱۶۴.

۴. ابن خلکان: وفیات الأعیان ۴ / ۹۴ ـ ۹۵.

۵. الاعلام: ۵ / ۲۰۰. (۴۷۲)

صالح بن سَرِج، لایتابع علی حدیثه، قاله العقیلی، قال: و کان خارجیاً. روی موسی بن إسماعیل عن عمرو بن العلاء ولقیه جرز، حدثنا صالح بن سرج، عن عمران بن حطّان، عن عائشة فی حساب القاضی العادل. قلت کان الأولی أن یلحق الضعف فی هذا الحدیث بصالح أو بمن بعده، فإنّ عمران صدوق فی نفسه، قد روی عنه یحیی بن ابی کثیر، و قتادة، و محارب بن دثار. و قال العجلی: تابعی ثقة. و قال أبو داود: لیس فی أهل الأهواء، أصحّ حدیثاً من الخوارج، فذکر عمران بن حطان و أبا حسان الأعرج. و قال قتادة کان لاّیتهم فی الحدیث. و روی یعقوب بن شیبة أنّه بلغه أنّ عمران بن حطّان کانت له بنت عم کانت تری رأی الخوارج فتزوّجها لیردّها عن ذلک فصرفته الی مذهبها. وکان عمران من نظراء جریر و الفرزدق فی الشعر، و هو القائل: حتی متی تُسقی النفوس بکأسها * ریب المنون وأنت لاه ترتع الأبیات. مات سنة أربع و ثمانین (۱). و ترجمه ابن حجر فی تهذیب التهذیب و قال: ذکر أبو زکریا الموصلی فی تاریخ الموصل عن محمّد بن بشر العبدی الموصلی قال: لم یمت عمران بن حطّان حتی رجع عن رأی الخوارج انتهی، هذا أحسن ما یعتذر به عن تخریج البخاری له، و أمّا قول من قال: إنّه خرج ما حمل عنه قبل أن یری ما رأی ففیه نظر، لأنّه اخرج له من روایة یحیی بن أبی کثیر عنه، و یحیی إنّما سمع منه فی حال هربه من الحجاج و کان الحجاج یطلبه لیقتله من أجل المذهب، و قصته فی هربه مشهورة. و قال العقیلی: عمران بن حطّان لایتابع و کان یری رأی الخوارج یحدّث عن عائشة و لم یتبین سماعه منها.

---

۱. الذهبی: میزان الاعتدال ۳ / ۲۳۵ ـ ۲۳۶ برقم ۶۲۷۷. (۴۷۳) و قال ابن حبّان فی الثقات: کان یمیل إلی مذهب الشراة. و قال ابن

البرقی: کان حروریاً. و قال الدارقطنی: متروک لسوء اعتقاده و خبث مذهبه. و قال المبرد فی الکامل: کان رأس القعد من الصفریة و فقیههم و خطیبهم و شاعرهم، و القعدة: الخوارج، کانوا لایرون بالحرب بل ینکرون امراء الجور حسب الطاقة و یدعون إلی رأیهم و یزیّنون مع ذلک الخروج و یحسّنونه. لکن ذکر أبو الفرج الاصبهانی انّه إنّما صار قعدیاً لما عجز عن الحرب والله أعلم، قلت: وکان من المعروفین فی مذهب الخوارج، و کان قبل ذلک مشهوراً بطلب العلم و الحدیث ثم ابتلی، و أنشد له من شعره: لا یعجز الموت شیء دون خالقه * و الموت یفنی إذا ما ناله الأجل و کل کرب أمام الموت منقشع * و الکرب و الموت ممّا بعده جلل(۱) و فی الأغانی إنّما صار ابن حطّان من القعدیة لأنّ عمره طال وکبر و عجز عن الحرب و حضورها، فاقتصر علی الدعوة و التحریض بلسانه، و کان أوّلاً مشمّراً بطلب العلم والحدیث ثمّ بلی بذلک المذهب، وقد أدرک صدراً من الصحابة و روی عنهم و روی عنه أصحاب الحدیث. وله شعر فی مدح عبد الرحمن بن ملجم المرادی ـ لعنه الله ـ قاتل أمیر المؤمنین و قائد الغر المحجّلین زوج البتول و صهر الرسول ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ: لله در المرادی الّذی سفکت * کفّاه مهجة شر الخلق إنسانا أمسی عشیة غشاه بضربته * معطی مناه من الآثام عریانا یا ضربة من تقی ما أراد بها * إلّا لیبلغ من ذی العرش رضوانا إنّی لأذکره حیناً فأحسبه * أوفی البریّة عند الله میزانا

۱. ابن حجر العسقلانی: تهذیب التهذیب ۸ / ۱۱۳ ـ ۱۱۴ برقم ۲۲۳. راجع الاصابة ۳ / ۱۷۸. (۴۷۴) و قد أجابه عنها السید الحمیری الشیعی و هی: قل لابن ملجم والأقدار غالبة * هدّمت و یلک للإسلام أرکانا قتلت أفضل من یمشی علی قدم * و أوّل الناس إسلاماً وإیمانا و أعلم الناس بالإیمان ثمّ بما * سنّ الرسول لنا شرعاً و تبیانا صهر الرسول و مولاه و ناصره * أضحت مناقبه نوراً و برهانا الابیات(۱). و قد ناضله أصحاب الولاء لآل الرسول باشعار کثیرة مضت بعضها فلاحظ . و فی الختام: من أراد التبسّط فی ترجمة الرجال فلیرجع إلی «الخوارج فی العصر الأموی» للدکتور نایف معروف فقد ذکر قسماً کثیراً من أشعاره و حیاته قبل أن یلحق بالخوارج فلاحظ. ۴ ـ الطرماح بن حکیم (ت ۱۲۵): الطرماح بن حکیم الطائیّ الخارجی. و صفه الجاحظ فی البیان و التبیین أنّه کان خارجیّاً من الصفریة، ولد ونشأ فی الشام، و انتقل إلی الکوفة، فکان معلّماً فیها. و اتصل بخالد بن عبد الله القصری فکان یکرمه و یستجید شعره، و کان هجّاءً، معاصراً للکمیت صدیقاً له لایکادان یفترقان، و ذکر شیخنا فی الذریعة أنّ المرزبانی عمل کتاباً باسم «أخبار الطرمّاح» کما عمل کتاباً آخر باسم «أخبار ابی تمام»(۲).

۱. البغدادی: خزانة الأدب ۲ / ۴۳۶ ـ ۴۳۷.

۲. الزرکلی: الأعلام ۳ / ۲۲۵، و آغا بزرک الطهرانی: الذریعة ۱ / ۲۳۸ برقم ۱۷۶۴. (۴۷۵) ۵ ـ الضحّاک بن قیس: الضحاک بن قیس مذکور فی التاریخ بما أنّه قائد عسکری قد دوّخ الدولة الأمویة فی عصره، ولم یوصف بشیء من العلم والشعر والأدب سوی القیادة، و قد نقل ابن الأثیر حروبه مع الأمویین و إلیک خلاصة ما ذکره فی تاریخه علی نحو یوقفه علی ترجمة الرجل علی نحو الاجمال: أرسل مروان بن محمد ـ آخر الخلفاء الأمویین ـ جیشاً لحرب الضحاک سنة سبع و عشرین و مائة، فالتقوا بالنخیلة فاقتتلوا قتالاً شدیداً و انتصر الضحاک علیهم، و دخل ضحاک الکوفة مستولیاً علیها(۱). ثم سار الضحاک من الکوفة إلی واسط یرید حرب فلول المنهزمین، و کانوا قد استعدّوا لحربه، فتحاربوا شعبان و شهر رمضان و شوال و القتال بینهم متواصل. ثمّ اصطلحوا و ذهب الضحاک إلی الکوفة(۲)، و کاتب أهل الموصل لیقدم علیهم لیمکّنوه منها فسار بجماعة من جنوده بعد عشرین شهراً حتی انتهی إلیها ففتح أهل البلد، فدخلها الضحاک و قتل الوالی علیها من قبل مروان و عدّة یسیرة کانوا معه و ذلک بعد أن حاربوه. و بلغ مروان خبره و هو محاصر حمص، مشتغل بقتال أهلها، فکتب إلی ابنه عبد الله و هو خلیفته فی الجزیرة، یأمره أن یسیر إلی نصیبین فی من معه یمنع الضحاک من توسّط الجزیرة، فسار إلیها فی سبعة آلاف أو ثمانیة آلاف، و سار الضحّاک و معه ما یزید علی مائة ألف. و وجّه قائدین من قواده إلی السرقة فی أربعة آلاف أو خمسة آلاف، فقاتله بها، فوجّه إلیهم مروان من أبعدهم عن

۱. ابن الاثیر: الکامل ۵ / ۳۳۲ ـ ۳۳۶.

۲. ابن الاثیر: الکامل ۵ / ۳۴۹. (۴۷۶)

السرقة. و سار مروان إلی الضحاک فالتقوا بنواحی کفر قوتا من اعمال ماردین فقاتله یومه أجمع، فلمّا کان عند المساء ترجّل الضحاک و معه من ذوی الثبات والبصائر نحو من ستّة آلاف، ولم یعلم أکثر أهل عسکره بما کان، فأحدقت بهم خیول مروان و ألحوا علیهم فی القتال حتی قتلوهم عند العتمة. و انصرف من بقی من أصحاب الضحاک عند العتمة إلی معسکرهم و لم یعلموا بقتل الضحاک و لم یعلم به مروان یضاً، و جاء بعض من عاینه من أصحابه فبکوا وناحوا علیه، و جاء قائد من قواده إلی مروان فأخبره بقتله فأرسل معه النیران و الشمع، فطافوا علیه فوجدوه قتیلاً و فی وجهه و رأسه أکثر من عشرین ضربة فکّبروا فعرف عسکر الضحاک انّهم قد علموا بقتله. و بعث مروان رأسه إلی مدائن الجزیرة فطیف به فیها(۱). ۶ ـ معمر بن المثنی (۱۱۰ ـ ۲۱۳): أبو عبیدة، التیمی(۲) البصری، یصفه الخطیب فی تاریخه بالنحویّ العلاّمة، یقال: إنّه ولد سنة ۱۱۰ فی اللیلة الّتی ولد فیها الحسن البصری، و نقل عن الجاحظ أنّه قال: لم یکن فی الأرض خارجی و لاجماعیّ أعلم بجمیع العلوم منه(۳). قال ابن قتیبة: کان الغریب(۴) أغلب علیه و اخبار العرب و أیّامها، وکان _____

۱. ابن الاثیر: الکامل ۵ / ۳۴۹.

۲. کان تیمیّاً بالولاء.

۳. الخطیب البغدادی: تاریخ بغداد ۱۳ / ۲۵۲ برقم ۷۲۱۰.

۴. المراد غریب اللغة أو غریب القرآن و الحدیث. (۴۷۷)

مع معرفته ربّما لایقم البیت إذا أنشده، حتی یکسره، و کان یخطأ إذا قرأ القرآن الکریم نظراً، و کان یبغض العرب، و ألّف فی مثالبها کتباً، و کان یری رأی الخوارج(۱). و نقل ابن خلکان عن بعضهم: أنّ هارون الرشید أقدمه من البصرة إلی بغداد سنة ۱۸۸، و قرأ علیه بها أشیاءً من کتبه، و أسند الحدیث إلی هشام بن عروة و غیره و روی عنه علی بن المغیرة الأثرم، و أبو عبید القاسم بن سلام، و أبو عثمان المازنی، و أبو حاتم السجستانی و عمر بن شبة و غیرهم. و لأجل إلمام القارئ علی نموذج من تفسیره نأتی بما یلی: سأله رجل عن قوله سبحانه: (أَذَلِکَ خَیْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةَ الزَّقُّوم * إِنَّا جَعَلْنَهَا فِتْنَةً لِّلظَّلِمِینَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِی أَصْلِ الْجَحِیم * طَلْعُهَا کَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّیَطِینِ * فَإِنَّهُمْ لَاَکِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ)(۲). سأله عن قوله: (طَلْعُهَا کَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّیَطِینِ) و قال: إنّما یقع الوعد و الایعاد بما عرف مثله، وهذا لم یعرف فأجاب: إنّما کلّم الله العرب علی قدر کلامهم. أما سمعت قول أمرئ القیس: أیقتلنی و المشرفّی مُضاجعی * و مسنونة زرقٌ کأنیاب أغوال و هم لم یروا الغول قطّ، و لکنّه لمّا کان أمر الغول یهولهم، أو عدوا به. ثم یقول: و أزمعت منذ ذلک الیوم أن أضع کتاباً فی القرآن لمثل هذا و أشباهه و لما یحتاج إلیه من علمه، ولمّا رجعت إلی البصرة عملت کتابی الّذی سمّیته المجاز(۳). _____

۱. ابن قتیبة: المعارف ۲۴۳.

۲. الصافات: ۶۲ ـ ۶۶.

۳. ابن خلکان: و فیات الاعیان ۵ / ۲۳۶ تحقیق الدکتور احسان عباس. ولا حظ: مجاز القرآن لأبی عبیدة ج۲. (۴۷۸) و قد ذکر ابن خلّکان أنّه لم یزل یصنّف حتّی مات، و تصانیفه تقارب مائتی تصنیف،، فمنها کتاب «مجاز القرآن الکریم» و کتاب «غریب القرآن» و کتاب «معانی القرآن» و کتاب «غریب الحدیث»...(۱) و یبدو من فهرس تصانیفه أن أکثرها یدور بین اللغة و الشعر و التاریخ و ما یشابهها، و الّذی أثار عواطف الاُمّة العربیة ضدّه أنّه ألّف کتاب «لصوص العرب» و کتاب «فضائل الفرس»، و من المعلوم أنّ العصبیة العمیاء لاتحبّ کلا التألیفین. یقول ابن خلکان: لمّا جمع کتاب المثالب، و لعلّ مراده هو «لصوص العرب»، قال له رجلٌ مطعون النسب: بلغنی أنّک عبت العرب جمیعها، فقال: «و ما یضّرک، أنت من ذلک بریء»! یعنی أنّه لیس منهم، و یذکر ابن خلکان أیضاً: أنّه لایقبل أحد من الحکّام شهادته لأنه کان یتّهم بالمیل إلی الغلمان. قال الأصمعی: دخلت أنا و أبو عبیدة یوماً المسجد فإذا علی

الاسطوانة الّتى يجلس إليها أبو عبيدة مكتوب على نحو من سبعة أذرع. صلّى الإله على لوط و شيعته * أبا عبيدة قل بالله آمينا فقال لى: يا أصمعى! امحُ هذا، فركبت على ظهره ومحوته بعد أن أثقلته إلى أن قال: أثقلتنى و قطعت ظهرى، فقلت له: قد بقى الطاء. فقال: هى شرّ حروف هذا البيت!(۲). أقول: إنّ الأصمعى كان ممّن ينصب العداء على علىّ، و أبا عبيدة كان من الخوارج، و الجنس إلى الجنس يميل «والمرء على دين خليله و قرينه» و قال سبحانه حاكياً عن المجرمين (يَـوَيْلَتَى لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانـاً خَلِيلاً)(۳) و قال

---

۱. ابن خلكان: و فيات الاعيان ۵ / ۲۳۸ تحقيق الدكتور احسان عباس.

۲. المصدر نفسه: ۲۴۲.

۳. الفرقان: ۲۸. (۴۷۹)

سبحانه: (الاَخِلاَّ ءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُ هُمْ لِبَعْض عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ)(۱)، و مع ذلك كلّه فيحتمل أن تكون القصّة مختلقة من جانب الأعداء لأنّهم كانوا يرون أمثال أبى عبيدة من المبتدعة الذين تجوز مباهتتهم إبعاداً للناس عن ضلالهم. مجاز القرآن لأبى عبيدة: لم يصل إلينا من كتب أبى عبيدة مع كثرتها غير كتاب مجاز القرآن، و قد عرفت أنّ ابن خلّكان ذكر له أسماء كتب ثلاثة حول القرآن و زاد ابن النديم كتاب «اعراب القرآن» و هل ألّف أبو عبيدة كتباً بهذه الأسماء أو هى أسماء متعدّدة و المسمّى واحدٌ؟ فقد رجّح محقّق كتاب مجاز القرآن الثانى و قال: «و الّذى نظنّه أن ليس هناك لأبى عبيدة غير كتاب المجاز»، و أنّ هذه الأسماء اُخذت من الموضوعات الّتى تناولها «المجاز» فهو يتكلّم فى معانى القرآن، و يفسّر غريبه، و فى أثناء هذا يعرض لاعرابه، و يشرح أوجه تعبيره، و ذلك ما عبّر عنه أبو عبيدة بمجاز القرآن، فكلّ سمّى الكتاب بحسب أوضح الجوانب الّتى تولّى الكتاب تناولها، و لفتت نظره أكثر من غيرها، ولعلّ ابن النديم لم ير الكتاب، و سمع هذه الأسماء من أشخاص متعدّدين فذكر لأبى عبيدة فى موضوع القرآن هذه الكتب المختلفة الأسماء. ثمّ إنّ التأليف فى غريب القرآن كثير، و ربّما يعبّر عن بعضه بمعانى القرآن، كما هو الحال فى كتاب الفرّاء، و ربما يعبّر عنه بمجازات القرآن كما هو الحال فى تأليف الشريف الرضى، و أمّا الفرق بين كتاب أبى عبيدة و كتاب الرضىّ و قد اشتهر الأوّل بمجاز القرآن، و الثانى بمجازات القرآن، هو أنّ الأوّل يستعمل لفظ المجاز بمعنى مفهوم الكلمة و الآية، بخلاف الثانى فإنّه يستعمله فى الجامع بين

---

۱. الزخرف: ۶۷. (۴۸۰)

المجاز اللغوىّ و الكناية و الاستعارة، و لكل مزية، و على كلّ تقدير فأثر أبى عبيدة أثر متقن مفيد جدّاً، و قد قام بتحقيقه الدكتور محمّد فؤاد سزگين فى جزئين، و قد طبع للمرّة الثانية فى سنة ۱۴۰۱ هـ. و قد اختلفت الأقوال فى تاريخ وفاته، فنقل الخطيب عن بعضهم أنّه مات سنة ۲۰۹ هـ، و عن آخر سنة ۲۱۱ هـ، و عن ثالث ۲۱۰ هـ و قيل سنة ۲۱۳، و الله العالم. و لنكتف بما ذكر من رجال الخوارج فى العصور الأولى و قد تعرّفت على عدّة من رجالهم فى ثنايا الكتاب لاسيّما القادة العسكريين. بقيت هنا كلمة و هى أن نعطف نظر القارئ إلى ما روى عن النبى الأكرم فى حقّ المحكّمة الاُولى و أثر فى حقّهم عن الصحابة و التابعين لهم باحسان، و قد جميعها إمام الحنابلة أحمد بن حنبل و رواه عنه ابنه عبد الله فى كتاب «السنّة»(۱) واليك متونها مع أسانيدها: بما أنّ الاباضية لايرون أنفسهم خوارج و نحن أيضاً نربئ بهم عن كونهم منهم على الشروط الّتى قدّمناها فى الكتاب، فلا أراهم متضايقين من هذه الآثار الّتى لو تدبّر فيها القارئ يراها من قسم المتواتر المعنوى و لا يحقّ لأحد أن يشكّ فى ما يهدف إليه جمعها: المأثور حول الخوارج: ۱ ـ حدثنى أبى، حدثنا وكيع جرير بن حازم و أبو عمرو بن العلاء، عن ابن سيرين سمعاه عن عبيدة، عن على قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ: «يخرج قوم فيهم رجل مودن اليد أو مثدون اليد أو مخدج اليد، و لولا أن تبطروا لأنبأتكم بما وعد الله الذين يقاتلونهم على لسان نبيّه» قال عبيدة: قلت لعلى:

---

۱. عبد الله بن أحمد بن حنبل: السنّة ۲۶۷ ـ ۲۸۶. (۴۸۱)

أنت سمعته من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ؟ قال: أى وربّ الكعبة، أى وربّ الكعبة، أى وربّ الكعبة. ۲ ـ حدثنى أبو محمّد بن عبد الرحيم البزار، قال: و أنا شبابة أخبرنى أبو عمرو بن العلاء، حدثنا ابن سيرين، عن عبيدة، عن على، قال: و الله لولا أن تبطروا لحدّثتكم على لسان نبيّكم، الذين يقتلونهم علامتهم رجل مخدج اليد أو مودن اليد أو مثدون اليد، قال: فقلت: أنت سمعته من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ؟ قال: نعم سمعته من النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ غير مرّة و لا مرّتين و لا ثلاث و لا أربع. ۳ ـ حدثنى عبيدالله بن عمر القواريرى، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا أيوب، عن محمّد بن سيرين، عن عبيدة، قال ذكر على أهل النهروان فقال: فيهم رجل مودن اليد أو مثدون اليد، أو مخدج اليد، لولا أن تبطروا لتبّأتكم بما وعد الله الذين يقاتلونهم على لسان محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ قال قلت: أنت سمعته منه؟ قال: أى وربّ الكعبة. ۴ ـ حدثنى إسحاق بن إسماعيل الطالقانى، حدثنا وكيع، حدثنا جرير بن حازم، عن أبن سيرين، عن عبيدة، عن على قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ: (إنّه سيخرج قوم فيهم رجل مودن اليد أو مثدون اليد أو مخدج اليد، و لولا أن تبطروا لأنبأتكم بما وعد الذين يقتلونهم على لسان نبيّه، قال عبيدة: قمت إلى على فقلت: أنت سمعته من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ؟ قال: أى وربّ الكعبة، أى وربّ الكعبة. قال وكيع: مودن اليد: ناقص اليد، و المخدج: ضامره، و مثدون اليد: فيها شعرات زائدة. ۵ ـ حدثنى أبى و أبو خيثمة قالا: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، (۴۸۲)

حدثنا أيّوب، عن محمّد، عن عبيدة، عن على قال: ذكر الخوارج فقال: فيهم رجل مخدج اليد أو مودن اليد أو مثدون اليد، لولا أن تبطروا لحدّثتكم بما وعد الله الذين يقاتلونهم على لسان محمّد، قلت: أنت سمعته من محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ؟ قال: أى وربّ الكعبة، أى وربّ الكعبة. ۶ ـ حدثنى أبى، حدثنى وكيع، حدثنا جرير بن حازم وأبو عمرو بن العلاء سمعاه من ابن سيرين، فذكر الحديث إلّا أنّه قال: مثدون. ۷ ـ حدثنى سويد بن سعيد، حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى، عن أيوب، عن محمّد، عن عبيدة، عن على قال: لولا أن تبطروا لأخبرتكم بما أعدّالله لمن قتلهم، فيهم رجل مودن اليد أو مثدون اليد أو مخدج اليد، قال عبيدة: أنت سمعتها من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ؟ قال: أى وربّ الكعبة، أى وربّ الكعبة ثلاثاً. ۸ ـ حدثنى محمّد بن أبى بكر بن على المقدمى، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب و هشام، عن محمّد، عن عبيدة: انّ عليّاً ذكر أهل النهروان فقال: فيهم رجل مودن اليد أو مثدون اليد أو مخدج اليد، لولا أن تبطروا لتبّأتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمّد، فقلت لعلى: أنت سمعته؟ قال: أى وربّ الكعبة. ۹ ـ حدثنى أبى، حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن سويد بن غفلة، عن على قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ: «يكون فى آخر الزمان قوم يقرأون القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة، قتالهم حقّ على كل مسلم». ۱۰ ـ حدثنى أبى، حدثنا محمّد بن أبى عدى أبو عمرو دكين من الرجال ما أشبهه بالشيوخ، عن ابن عون، عن محمّد قال: قال عبيدة: لا أُحدّثك إلّاما (۴۸۳)

سمعته منه، قال محمّد: فحلف لى عبيدة ثلاث مرار و حلف له على قال: لولا أن تبطروا لتبّأتكم بما وعد الله الذين يقاتلونهم على لسان محمّد. قلت أنت سمعته منه؟ قال: أى وربّ الكعبة، أى وربّ الكعبة، أى وربّ الكعبة، فيهم رجل مخدج اليد أو مثدون اليد، قال: قال محمّد: فطلب ذاك الرجل فوجدوه فى القتلى رجل عند أحد منكبيه كهيئة الثدى عليه شعرات. ۱۱ ـ حدثنى محمّد بن أبى بكر المقدمى: قال حماد بن يحيى ـ يعنى الأبح ـ قال: حدثنا ابن عون، عن محمّد، عن عبيدة، قال: لمّا قتل على أهل النهروان، قال: التمسوا فى القتلى رجلاً مخدج اليد، فالتمسوه فوجدوه فى حفرة تحت القتلى فاستخرجوه، فأقبل على على أصحابه، فقال: لولا أن تبطروا لأخبرتكم بما وعد الله من يقتل هؤلاء على لسان محمّد، قلت: أنت سمعته من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ؟ قال: أى وربّ الكعبة، أى وربّ الكعبة ثلاث مرات. ۱۲ ـ حدثنى أبى، حدثنا محمّد بن أبى عدى، عن سليمان، عن التيمى، عن أبى نضرة، عن أبى سعيد: انّ النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ذكر قوماً يكونون فى اُمّته يخرجون فى فرقة من الناس سيماهم التحالق و هم شرّ الخلق أو من شرّ الخلق يقتلهم أذى الطائفتين من الحق، قال: فضرب لهم النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ مثلاً أو قال قولاً: الرجل يرمى الرميّة

أو الغرض فينظر فی الفصل فلا یری بصیرة، و ینظر فی النضی فلا یری بصیرة، و ینظر فی الفوق فلا یری بصیرة قال: قال أبو سعید: و أنتم قتلتموهم یا أهل العراق. ۱۳ ـ حدثنی أبو معمّر الهذلی إسماعیل بن إبراهیم بن معمّر الهروی، حدثنا عبد الله بن إدریس، انا عاصم بن کلیب، عن أبیه، قال کنت جالساً عن علی إذ جاء رجل علیه ثیاب السفر فاستأذن علی علی و هو یکلّم الناس فشغل (۴۸۴) عنه، فأقبلنا فسألناه من أین قدمت؟ ما خبرک؟ قال: خرجت معتمراً فلقیت عائشة، فقالت ما هؤلاء الذین خرجوا من بلادکم یسمّون حروراً؟ قال: قلت: خرجوا من أرضنا إلی مکان یسمّی حروراء به یدعون، قالت طوبی لمن قتلهم، أما و الله لوشاء ابن أبی طالب لخبرهم خبرهم، قال: فأهلّ علی و کبّر ثمّ أهلّ وکبّر ثم أهل وکبّر، فقال لی: إنی دخلت علی رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ وعنده عائشة فقال لی «کیف أنت و قوم کذا وکذا» قال عبد الله بن ادریس: وصف صفتهم، قلت: الله و رسوله أعلم، قال: «قوم یخرجون من قبل المشرق یقرأون القرآن لایجاوز تراقیهم، یمرقون من الدین کما یمرق السهم من الرمیّة، فیهم رجل مخدج الید کأنّ یده ثدی حبشیّة، أنشدکم الله هل أخبرتکم أنّه فیهم فاتیتمونی فأخبرتمونی أنّه لیس فیهم، فحلفت بالله لکم إنّه فیهم، فأتیتمونی تسحبونه کما نعت لکم؟ قالوا: اللّهمّ نعم، قال: فأهلّ علی و کبّر. ۱۴ ـ حدثنی أبو بکر بن أبی شیبة، حدثنا محمّد بن فضیل، عن عاصم بن کلیب، عن أبیه، قال: کنت جالساً عن علی و هو فی بعض أمر الناس إذ جاء رجل علیه ثیاب السفر، ثمّ قال علی: کنت عند رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ ولیس عنده إلا عائشة فقال: «یاعلی» کیف، مرتین أو ثلاثة، فذکر الحدیث بطوله. ۱۵ ـ حدثنی زهیر بن حرب أبو خیثمة، حدثنا القاسم بن مالک المزنی، عن عاصم بن کلیب، عن أبیه، قال:کنت جالساً عند علی فقال: إنّی دخلت علی رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ ولیس عنده أحد إلّا عائشة، فقال: «یا ابن أبی طالب کیف أنت و قوم کذا وکذا» قال: قلت: الله و رسوله أعلم، قال: «قوم یخرجون من المشرق یقرأون القرآن لایجاوز تراقیهم یمرقون من الدین کما یمرق السهم من الرمیّة، فیهم رجل مخدج الید کأنّ یده ثدی حبشیة». (۴۸۵) ۱۶ ـ حدثنی علی بن حکیم الأودی، حدثنا شریک، عن الأعمش، عن خیثمة، عن سوید بن غفلة، قال: خطبنا علی، فقال: قال رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ : «یخرج فی آخر الزمان شباب أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، یقولون من قول خیر البرّیة، یمرقون من الدین کما یمرق السهم من الرمیّة، فمن لقیهم فلیقتلهم فإنّ قتلهم أجر لمن قتلهم عند الله یوم القیامة». ۱۷ ـ حدثنی أبی و أبو خیثمة قالا: حدثنا أبو معاویة، حدثنا الأعمش، عن خیثمة، عن سوید بن غفلة قال: قال علی: ما حدّثتکم عن رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ حدیثاً فلأن أخرّ من السماء أحب إلیّ من أن أکذب علیه و إذا حدّثتک عن غیره فإنّما أنا محارب و الحرب خدعة سمعت رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ یقول: «یخرج فی آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، یقولون من خیر قول البریّة، لا یجاوز إیمانهم حناجرهم، فأینما لقیتموهم فاقتلوهم، فإنّ قتلهم أجر لمن قتلهم یوم القیامة». ۱۸ ـ حدّثنی محمّد بن عبد الله بن نمیر الهمدانی، حدثنا یعلی و وکیع، عن الأعمش، عن خیثمة، عن سوید بن غفلة، عن علی، قال: إذا حدّثتکم عن رسول الله حدیثاً، سمعت رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ یقول: «سیخرج قوم فی آخر الزمان قوم أحداث الاسنان»، فذکر الحدیث. ۱۹ ـ حدّثنی أبو کامل الجحدری فضیل بن الحسین بن کامل، حدثنا إبراهیم بن حمید الکوفی الرواسی بالبصرة جاء إلی عبادان، عن الأعمش، عن خیثمة، عن سوید بن غفلة قال: علی: إذا حدّثتکم فیما بینی و بینکم فإنّ الحرب خدعة، و إذا حدّثتکم عن رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ فإنّی و الله لأن أخرّ من السماء فتخطفنی الطیر أو تهوی بی الریح فی مکان سحیق أحبّ إلیّ من أن أکذب علیه، وإنّی سمعته یقول: «سیخرج فی آخر الزمان قوم أحداث (۴۸۶) الأسنان سفهاء الأحلام یقولون من خیر قول البریّة ثم یمرقون من الدین کما یمرق السهم من الرمیّة، فمن لقیهم فلیقتلهم فإنّ قتلهم أجر لمن قتلهم یوم القیامة. ۲۰ ـ حدثنی أبو کریب محمّد بن العلاء الهمدانی، حدثنا إبراهیم بن یوسف بن أبی إسحاق، عن أبیه، عن أبی إسحاق عن أبی قیس الأودی، عن سوید بن غفلة، عن علی عن النبی ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ أنّه قال: «یخرج فی آخر الزمان قوم یقرأون القرآن لا یجاوز تراقیهم، یمرقون من الدین مروق السهم من الرمیّة قتالهم حقّ علی کلّ مسلم». ۲۱ ـ حدثنی أبی، حدثنا یحیی بن آدم، حدثنا إسرائیل، عن أبی إسحاق، عن سوید بن غفلة، عن علی قال: قال رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ : «یکون

فی آخر الزمان قوم یقرأون القرآن لایجاوز تراقیهم، یمرقون من الإسلام کما یمرق السهم من الرمیّة، قتالهم حقّ علی کلّ مسلم». ۲۲ ـ حدّثنی أبی، حدثنا وکیع، حدثنا الأعمش: قال أبی و عبد الرحمن، عن سفیان، عن الأعمش، عن خیثمة، عن سوید بن غفلة قال: قال علی: إذا حدّثتکم عن رسول الله حدیثاً فلأن أخرّ من السماء أحبّ إلیّ من أن أکذب علیه و إذا حدّثتکم فیما بینی و بینکم فإنّ الحرب خدعة، سمعت رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ یقول: «یخرج قوم فی آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء»، و قال عبد الرحمن فی آخر حدیثه: أسفاه الأحلام، فذکر الحدیث بطوله إلی آخره. ۲۳ ـ حدثنا أحمد بن جمیل أبو یوسف، حدثنا یحیی بن عبد الملک بن حمید بن أبی غنیة، عن عبد الملک بن أبی سلیمان، عن سلمة بن کهیل، عن زید بن وهب قال: لمّا خرجت الخوارج بالنهروان قام علی فی أصحابه فقال: إنّ هؤلاء القوم قد سفکوا الدم الحرام، و أغاروا فی سرح الناس، و هم أقرب العدو (۴۸۷) إلیکم و إن تسیروا إلی عدوّکم فأنا أخاف أن یخلفکم هؤلاء فی أعقابکم أنّی سمعت رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ یقول: یخرج خارجة من اُمّتی لیس صلاتکم إلی صلاتهم بشیء، ولا صیامکم إلی صیامهم بشیء، و لا قرآنکم إلی قرآنهم بشیء، یقرأون القرآن یحسبون أنّه لهم و هو علیهم، لا یجاوز حناجرهم، یمرقون من الإسلام کما یمرق السهم من الرمّیة، و آیة ذلک إنّ فیهم رجلاً له عضد و لیس له ذراع علیها مثل حلمة الثدی علیها شعرات بیض، لو یعلم الجیش الذین یصیبونهم مالهم علی لسان نبیّهم، لاتّکلوا عن العمل فسیروا علی اسم الله و الله إنّی لأرجو أن یکونوا هؤلاء القوم، قال: فما زال أبو سلیمان یسیّرنا منازل علی منزلاً منزلاً حتی قال: أخذنا علی قنطرة الدیزجان، قال فلمّا التقینا قام فیهم أمیرهم عبد الله بن وهب الراسبی قال: إنّی اُذکّرکم بالله الّا القیتم رماحکم و أشرعتم السیوف و حملتم حملة رجل واحد لا تناشدوا کما تناشدتم یوم حروراء فترجعوا، قال: فحملوا علینا حلمة رجل واحد فشجرهم الناس برماحهم فقتلوا بعضهم قریباً من بعض و لم یقتل من الناس یومئذ إلّا رجلان، فقال علی: التمسوا هذا الرجل، قال فالتمسوه فلم یجدوه، قال: فقام علی وأنّا لنری علی وجهه کآبة حتی أتی کبکبة منهم قد رکب بعضهم بعضاً، فأمر بهم ففرجوا یمیناً و شمالاً فوجدوه ممّا یلی الأرض فقال: الله أکبر، صدق الله و بلّغ رسوله، فقام إلیه عبیدة السلمان فاستحلفه ثلاثة ایمان: أنت سمعت هذا الحدیث من رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ؟ و کل ذلک یحلف له علی. ۲۴ ـ حدثنی محمّد بن عبید بن محمّد المحاربی بالکوفة، حدثنا أبو مالک الختلی عمرو بن هاشم، عن إسماعیل بن أبی خالد، حدثنی عمرو بن قیس، عن المنهال بن عمرو، عن زر بن حبیش أنّه سمع علیاً یقول: أنا فقأت عین الفتنة، و لولا أنا ما قوتل أهل النهر و لا أهل الجمل، و لولا أنّی أخشی أن (۴۸۸) تترکوا العمل لأخبرتکم بالذی قضی الله علی لسان نبیّکم لمن قاتلهم مبصراً لضلالتهم عارفاً للهدی الّذی نحن فیه. ۲۵ ـ حدّثنی أبی، حدّثنا أسود بن عامر، حدّثنا حماد بن سلمة، عن معاویة بن قرة، قال: هلکت الخوارج و الأهواء. ۲۶ ـ حدّثنی أبی، حدثنا أبو معاویة، حدثنا الأعمش، عن زید بن وهب قال: لمّا کان یوم النهر لعن علی الخوارج، فلم یبرحوا حتی شجروا بالرماح، فقتلوا جمیعاً، فقال علی: ما کذّبت و لا کذّبت اُطلبوا ذا الثدیة، قال: فطلبوه فلم یجدوه، فقال علی: ما کذبت و لا کذّبت اطلبوه، فوجدوه فی وهدة من الأرض علیه ناس من القتلی، فإذا رجل علی ثدیه مثل سبلة السنور، قال: فکبّر علی و أعجبه ذلک و الناس. و قال أبو معاویة مرة: وکّبر علی و کّبر الناس. ۲۷ ـ حدّثنی عباد بن زیاد بن موسی الأسدی، حدثنا شریک، عن محمّد بن قیس، عن أبی موسی شیخ لهم شهد مع علی قال: قال علی یوم النهر: اطلبوا ذا الثدیة، فطلبوه فلم یجدوه، فجعل یعرق جبینه و یقول: و الله ما کذبت و لا کّذبت، قال: فوجد فاستخرج من ساقیة من تحت قتلی فسجد سجدة الشکر. ۲۸ ـ حدّثنی أبی، حدّثنا القاسم بن الولید الهمدانی، حدّثنا إسرائیل، حدّثنا إبراهیم ـ یعنی ابن عبد الأعلی ـ عن طارق بن زیاد قال: خرجنا مع علی إلی الخوارج فقتلهم، ثم قال: انظروا فإنّ نبی الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ قال: سیخرج قوم یتکلّمون بالحق ولا یجوز حلقهم، یخرجون من الحق کما یخرج السهم من الرمیّة، سیماهم انّ منهم رجلاً أسود مخدج الید، فی یده شعرات سود، إن کان هو فقد قتلتم شرّ الناس، و إن لم یکن هو فقد قتلتم خیر الناس، فبکینا، ثمّ قال: اطلبوا، فوجدنا المخدج فخررنا سجوداً و خرّ علی معنا (۴۸۹) ساجداً غیر أنّه قال: یتکلّمون بکلمة الحقّ. ۲۹ ـ حدّثنی عبد الله بن عمر القواریری، حدثنا عبد الرحمن بن العریان الحارثی، حدثنا

الأزرق بن قيس، عن رجل من عبد القيس قال: شهدت علياً يوم قتل أهل النهروان قال: قال على حين قتلوا: علىّ بذى الثديه أو المخدوج، ذكر شيئاً من ذلك لا أحفظه قال: فطلبوه فإذا هم بحبشى مثل البعير فى منكبه مثل ثدى المرأة عليه. قال عبد الرحمن: أراه شعراً و لو تخرج روح انسان من الفرح لخرج روح على يومئذ، قال: صدق الله و رسوله من حدّثنى من الناس أنّه رآه قبل مصرعه هذا فإنّه كذّاب. ۳۰ ـ حدّثنى على بن حكيم الأودى، حدّثنا شريك، عن عثمان بن أبى زرعة، عن زيد بن وهب، قال قدم على على قوم من أهل البصرة من الخوارج فيهم رجل يقاله له الجعد بن بعجة، فقال له: أتّق الله يا على فإنّك ميّت، فقال على: بل مقتول قتلاً ضربة على هذا يخضّب هذه ـ يعنى لحيته من رأسه ـ عهد معهود و قضاء مقضى و قد خاب من افترى، و عاتبه فى لباسه، فقال: مالكم و للباسى هو أبعد من الكبر و أجدر أن يقتدى بى المسلم. ۳۱ ـ حدّثنى أبى حدثنا يزيد بن هارون، أنا هشام عن محمّد، عن عبيدة، قال: قال على لأهل النهر: فيهم رجل مشدون اليد، أو مخدج اليد، و لولا أن تبطروا لأنبأتكم بما قضى الله على لسان نبيّه لمن قتلهم، قال عبيدة: فقلت لعلى: أنت سمعته؟ قال: نعم وربّ الكعبة، يحلف عليها ثلاثاً. ۳۲ ـ حدّثنى أبى، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبى زائدة، عن عاصم الأحول، عن عون بن عبد الله، قال: بعثنى عمر بن عبد العزيز إلى الخوارج أكلّمهم فقلت لهم: هل تدرون ما علامتكم فى وليّكم الّتى إذا لقيكم بها أمن بها عندكم و كان بها وليّكم، و ما علامتكم فى عدوّكم الّتى إذا لقيكم بها خاف عندكم و كان بها (۴۹۰)

عدوّكم؟ قالوا: ما ندرى ما تقول؟ قلت: فإنّ علامتكم عند وليّكم الّتى إذا لقيكم بها أمن بها عندكم و كان بها وليكم أن يقول: أنا نصرانى أو يهودى أو مجوسى، و علامتكم عند عدوّكم الّتى إذا لقيكم بها خاف بها عندكم و كان بها عدوّكم أن يقول: أنا مسلم. ۳۳ ـ حدثنى وهب بن بقية الواسطى، حدثنا خالد بن عبد الله، عن عطاء بن السائب، عن ميسرة، قال: قال أبو جحيفة: إنّ علياً حين فرغ من الحرورية قال: إنّ فيهم رجلاً ـ مخدج اليد ليس على عضده عظم، فى عضده حلمة كحلمة الثدى عليها شعرات طوال عقف، فالتمس فلم يوجد، ثمّ التمس فلم يوجد، قال: و أنا فيمن يلتمس فما رأيت علياً جزع قط أشدّ من جزعه يومئذ، قالوا: ما نجده يا أمير المؤمنين. قال: ما اسم هذا المكان؟ قالوا: النهروان. قال كذبتم انّه فيهم فالتمسوه، قال: فثورنا القتلى فلم نجده، فعدنا إليه فقلنا: يا أمير المؤمنين ما نجده، فسأل عن المكان، فأُخبر، فقال: صدق الله و رسوله و كذبتم انّه لفيهم فالتمسوه، فالتمسناه فوجدناه فى ساقية فجئنا به فنظرت إلى عضده ليس فيها عظم عليها حلمة كحلمة ثدى المرأة عليها شعرات طوال عقف. ۳۴ ـ حدّثنى أبى، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبى، عن ابن إسحاق، حدثنى أبو عبيدة بن محمّد بن عمار بن ياسر، عن مقسم أبى القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال خرجت أنا و تليد بن كلاب الليثى حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص و هو يطوف بالبيت معلّقاً نعله بيده فسألته: هل حضرت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ حين كلّمه التميمى يوم حنين؟ قال: نعم، أقبل رجل من بنى تميم يقال له ذى الخويصرة فوقف على رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ و هو يعظ الناس، فقال: يا محمّد قد رأيت ما (۴۹۱)

صنعت فى هذا اليوم. فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ: «و كيف رأيت؟» قال: لم أرك عدلت. قال: فغضب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ثمّ قال: «ويحك إذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون؟» فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ألا نقتله؟ قال: «لا، دعوه فإنّه سيكون له شيعة يتعمّقون فى الدين حتّى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرميّة، فينظر فى النصل فلا يوجد شىء، ثمّ فى القدح فلا يوجد شىء، ثمّ فى الفوق فلا يوجد شىء سبق الفرث الدم». ۳۵ ـ حدّثنى أبى، حدثنى يعقوب، حدثنا ابى، عن ابن إسحاق، قال: و حدثنى محمّد بن على بن الحسين ابو جعفر مثل حديث أبى عبيدة و سمّاه ذا الخويصرة. ۳۶ ـ حدّثنى أبى، حدثنا وكيع، حدثنا إسرائيل، عن ابن أبى إسحاق، عن رجل: انّ عائشة لمّا بلغها قتل المخدج، قالت: لقد قتل شيطان جان الردهة. قال و قال سعد ابن أبى وقاص: لقد قتل جان الردهة. ۳۷ ـ حدثنى أبو الربيع الزهرانى سليمان بن داود، حدثنا داود العطار المكّى، حدثنا موسى بن عقبة، عن نافع، قال: خرج ابن عمر من المدينة يريد الحج، فقيل له: إنّ الحرورية قد خرجت، فقال: أشهدكم أنّى قد جعلتها عمرة، فلمّا انتهى إلى البيداء، قال: أشهدكم أنّى قد كنت جعلتها عمرة و أنّى قد أضفت إليها حجّة. ۳۸ ـ حدّثنى ابى، حدثنا هاشم بن

القاسم، حدثنا حرام بن إسماعيل العامری، عن أبی إسحاق الشيبانی، عن يسير بن عمرو، قال: دخلت علی سهل بن حنيف بالمدينة فقلت: حدثنی بما سمعت من رسول الله ـ صلّی الله عليه وآله وسلم ـ فی الحرورية، فقال: اُحدّثك ما سمعت من رسول الله فی الحرورية لا أزيدك عليه: سمعت رسول الله ـ صلّی الله عليه وآله وسلم ـ (۴۹۲)

يذكر قوماً يخرجون من هاهنا: و أشار بيده نحو العراق ـ يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، قال: قلت: هل ذكر لهم علامة؟ قال: هذا ما سمعته لا أزيدك . ۳۹ ـ حدّثنی أبی، حدثنا أبو كامل، حدثنا حماد ـ يعنی ابن سلمة ـ حدّثنی سعيد ابن جمهان، قال: كانت الخوارج تدعونی حتی كدت أن أدخل معهم، فرأت اُخت بلال فی النوم أنّ أبا بلال كلب أسود عيناه تذرفان، فقالت: بابی أنت يا أبا بلال ما شأنك أراك هكذا؟ قال: جعلنا بعدكم كلاب النار، و كان أبو بلال من رؤوس الخوارج. ۴۰ ـ حدّثنی أبی، حدّثنا يحيی بن أبی زائدة، عن عكرمة بن عمار، حدّثنی عاصم بن شميخ الغيلانی، قال: رأيت أبا سعيد الخدری يصلّی عند الزوال و هو معتمد علی جريدة إذا قام اعتمد عليها و إذا ركع أسندها إلی الحائط و إذا سجد اعتمد عليها. ۴۱ ـ حدّثنا هدبة بن خالد الأزدی، حدّثنا ديلم أبو غالب، عن ميمون الكردی، عن أبی عثمان النهدی، عن أبی سعيد الخدری أنّ رسول الله ـ صلّی الله عليه وآله وسلم ـ قال: تمرق مارقة من فرقة من المسلمين يقتلها أولی الطائفتين بالحق. ۴۲ ـ حدّثنی أبی حدّثنا وكيع، حدّثنا عكرمة بن عمّار، عن عاصم بن شميخ، عن أبی سعيد الخدری، قال: كان رسول الله ـ صلّی الله عليه وآله وسلم ـ إذا حلف باليمين قال: «و الّذی نفس أبی القاسم بيده ليخرجنّ قوم تحقّرون أعمالكم عند أعمالهم، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة» قالوا: فهل من علامة يعرفون بها؟ قال: «فيهم رجل ذو ثدية محلقی رؤوسهم» قال أبو سعيد: فحدّثنی عشرون أو بضع و عشرون من (۴۹۳)

أصحاب النبی ـ صلّی الله عليه وآله وسلم ـ : أنّ علياً ولی قتلهم، قال فرأيت أبا سعيد بعد ما كّبر و يداه ترتعشان يقول: إنّ قتالهم أجلّ عندی من قتال عدّتهم من الترك. ۴۳ ـ حدّثنی أبی، حدّثنا إسحاق بن يوسف ـ يعنی الأزرق ـ عن الأعمش، عن ابن أبی أوفی، قال: سمعت رسول الله ـ صلّی الله عليه وآله وسلم ـ يقول: «الخوارج هم كلاب النار». ۴۴ ـ حدّثنی أبی، حدثنا عبد الرزاق، انا معمر، عن علی بن زيد بن جدعان، عن أبی نضرة، عن أبی سعيد ـ أو قال: سمعت انا سعيد الخدری يحدّث ـ أنّه سمع رسول الله ـ صلّی الله عليه وآله وسلم ـ يقول: «لا تقوم الساعة حتی يقتتل فئتان عظيمتان دعواهما فی الدين واحدة، تمرق بينهما مارقة، يقتلهما أولاهما بالحق». ۴۵ ـ حدّثنی أبی، حدّثنا وكيع، حدّثنی سويد بن عبيد العجلی، عن أبی مؤمن الواثلی، قال: شهدت عليّاً حين فرغ من قتالهم، قال: انظروا فإنّ فيهم رجلاً مخدج اليد، فطلبوه فلم يجدوه، فقال علی: ما كذبت ولا كذّبت، قال: فقام علی فأخرجه من تحت ساقية، فخّر علی ساجداً. ۴۶ ـ حدّثنی أبی حدّثنا وكيع، حدّثنا بسام، عن أبی الطفيل، قال: سأل ابن الكواء عليّاً(رضی الله عنه) عن الأخسرين أعمالاً قال: منهم أهل حروراء. ۴۷ ـ حدّثنی أبی، حدّثنا وكيع حدّثنا حسن ـ يعنی ابن صالح ـ عن أبی نعامة الأسدی، عن خال له، قال: سمعت ابن عمر يقول: إنّ نجدة و أصحابه عرضوا لعيرلنا و لوكنت فيهم لجاهدتهم. ۴۸ ـ حدّثنی أبی، حدّثنا عبد الرزاق، انا معمر، عن أيوب، عن نافع: أخبرنی ابن عمر أنّ نجدة لاقاه فحلّ شرج سيفه فأشرجته، ثمّ مرّ به فحلّه أيضاً (۴۹۴)

فأشرجته، ثم مرّ به الثالثة، فقال: من أشرج هذا كأنّه ليس فی أنفسكم ما فی أنفسنا؟ ۴۹ ـ حدّثنی أبی، حدّثنا وكيع، حدّثنا عثمان الشحام أبو سلمة، حدّثنی مسلم ابن أبی بكرة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ـ صلّی الله عليه وآله وسلم ـ : «سيخرج قوم أحدّاء أشدّاء، ذلقة ألسنتهم بالقرآن، يقرأونه لايجاوز تراقيهم، إذ ليقتموهم فاقتلوهم، فإنّه يؤجر قاتلهم». ۵۰ ـ حدّثنی أبی، حدّثنا بهز و عفّان قالا: حدّثنا حماد ـ يعنی ابن سلمة ـ حدّثنی سعيد بن جمهان، قال: كنّا مع عبد الله بن أبی أوفی نقاتل الخوارج و قد لحق غلام لابن أبی أوفی بالخوارج فناديناه يا فيروز هذا ابن أبی أوفی فقال: نعم الرجل لو هاجر، قال: ما يقول عدوّ الله؟ قال: يقول: نعم الرجل لو هاجر، فقال: أهجرة بعد هجرتی مع رسول الله ـ صلّی الله عليه وآله وسلم ـ ؟ قال بهز فی حديثه، يردّدها ثلاثاً: سمعت رسول الله ـ صلّی الله عليه وآله وسلم ـ (يقول): «طوبی لمن قتلهم»، و قال عفان و يونس: «لمن قتلهم و قتلوه» ثلاثاً. ۵۱ ـ حدّثنی أبی، حدّثنا روح بن عبادة،

حدّثنى عثمان الشحّام، حدّثنا مسلم بن أبى بكرة: و سألته هل سمعت فى الخوارج شيئاً، فقال: سمعت والدى أبا بكرة يقول عن نبى الله: «ألا انّه سيخرج من اُمّتى أقوام أشدّاء أحدّاء، ذليقة ألسنتهم بالقرآن لا يجاوز تراقيهم، ألا فإذا رأيتموهم ثمّ إذا رأيتموهم فأنيموهم فالمأجور قاتلهم. ۵۲ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا وكيع، حدّثنا إسرائيل، عن إبراهيم بن عبد الأعلى، عن زياد بن طارق، قال: رأيت عليّاً حين أخرج المخدج ـ على يده ثلاث شعرات ـ خرّساجداً، قال عبد الله بن طارق بن زياد: و لكن كذا قال وكيع. (۴۹۵) ۵۳ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا وكيع، حدّثنا سفيان، عن محمّد بن قيس الهمدانى، عن شيخ لهم يكّنى أبا موسى قال: رايت علياً سجد حين اُتى بالمخدج. ۵۴ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا يزيد بن هارون، انا حماد بن سلمة، عن أبى عمران الجونى، عن عبد الله بن رباح، عن كعب، قال: الّذى يقتله الخوارج له عشرة أنور، فضّل ثمانية أنور على غيره من الشهداء. ۵۵ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا وكيع، حدثنا ابن أبى خالد، عن مصعب بن سعد، عن أبيه قال: ذكر عنده الخوارج قال: هم قد زاغوا فأزاغ الله قلوبهم. ۵۶ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا حماد بن مسعدة، عن يزيد ـ يعنى ابن أبى عبيد ـ قال: لمّا ظهر نجدة الحرورى أخذ صدقات، قيل لسلمة: ألا تباعد منهم؟ قال: فقال: و الله لا اُبايعه و لا أتبعه أبداً، قال: و دفع صدقته إليهم. ۵۷ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا عفان، حدّثنا جويرية بن أسماء، قال: زعم نافع أنّ ابن عمر كان يرى قتال الحرورية حقّاً واجباً على المسلمين. ۵۸ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا محمّد بن بشر، حدّثنا عبيدالله، عن نافع: انّ ابن عمر أراد أن نقاتل نجدة حين أتى المدينة يغير على ذراريهم، فقيل له: إنّ الناس لا يبايعونك على هذا، قال: فتركه. ۵۹ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا محبوب بن الحسن، حدّثنا خالد ـ يعنى الحذّاء ـ عن أبى اياس معاوية بن قرّة، قال: خرج حرورى محكّم، فخرج إليه ناس من أصحاب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ من مزينة بأسيافهم منهم عائذ بن عمرو. ۶۰ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا عفان، حدّثنا يزيد بن زريع، حدّثنا خالد الحذاء، عن معاوية بن قرّة: خرج محكّم فى زمان أصحاب (۴۹۶)

رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ فخرجوا عليه بالسيف رهط من أصحاب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ منهم عائذ بن عمرو. ۶۱ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا عفان، حدّثنا سلام أبو المنذر، عن عاصم بن بهدلة قال: خرج خارجى بالكوفة، فقيل: يا أبا وائل هذا خارجى خرج فقتل، فقال: و الله ما أعزّ هذا الله من دين و لا دفع عن مظلوم، هذا و أبيك الخير. ۶۲ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا أبو كامل مظفر بن مدرك، حدّثنا حماد بن سلمة، عن الأزرق بن قيس، قال: كنّا بالأهواز نقاتل الخوارج و فينا أبو برزة الأسلمى فجاء إلى نهر فتوضّأ ثمّ قام يصلّى. ۶۳ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا يزيد بن هارون، انا ابن إسحاق، عن أبى الزبير، عن أبى العباس مولى بنى الديل، عن عبد الله بن عمرو، قال: ذكر عند رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ قوم يجتهدون فى العبادة اجتهاداً شديداً، فقال: «تلك ضراوة فى الإسلام و شرّه و لكلّ شرّه فترة، فمن كانت فترته إلى الاقتصاد فلاوم(۱) ما هو و من كانت فترته إلى غير ذلك فاُولئك هم الهالكون». ۶۴ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا هشيم، انا حصين، عن مصعب بن سعد، عن سعد فى قوله:(يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً)(۲) قال: قلت له: أهم الخوارج؟ قال: لا، و لكنّهم أصحاب الصوامع، و الخوارج الذين زاغوا فأزاغ الله قلوبهم. ۶۵ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا هشيم، انا العوام، حدّثنا أبو غالب، عن أبى أمامة: زاغوا فأزاغ الله قلوبهم. قال: هم الخوارج. ۶۶ ـ حدّثنى أبى، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبى إسحاق، عن حصين ـ و كان صاحب شرطة على ـ قال: قال على: قاتلهم الله أى حديث

---

۱. كذا فى الأصل، و فى أصل آخر: فلا ذم، و لعلّه: لازم.

۲. الكهف: ۱۰۴. (۴۹۷)

شانوا، يعنى الخوارج. ۶۷ ـ حدّثنى أبى، حدثنا ابن نمير، انا عبيدالله، عن نافع، قال: لمّا سمع ابن عمر بنجدة قد أقبل و أنّه يريد المدينة و أنّه يسبى السباء و يقتل الولدان، قال: إذاً لا ندعه و ذاك، وهمّ بقتاله و حرّض الناس، فقيل له: إنّ الناس لا يقاتلون معك و تخاف أن تترك فتقتل، فتركه. ۶۸ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا أبو بكر بن عياش، قال: سمعت أبا إسحاق، عن أبى الأحوص، قال: خرج خوارج فخرج إليهم، فقتلوه. ۶۹ ـ حدّثنى أبى، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبى زائدة، أخبرنى عبد الملك، عن عطاء، عن ابن عباس: انّ علياً أخرجه إلى الخوارج فكلّمهم، ففرّق بينهم، فقالت الخوارج: بل هم قوم خصمون. ۷۰ ـ حدّثنى أبى، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبى

زائدة، أخبرنی عاصم الأحول، عن عون بن عبدالله: انّ عمر بن عبد العزیز أخرجه إلی الخوارج فکلّمهم. ۷۱ ـ حدّثنی أبی، حدّثنا یزید ـ یعنی ابن هارون ـ انا هشام بن حسان، حدّثنی أبو الوضی القیسی، قال کنت فی أصحاب علی لمّا فرغ من أهل النهر، قال: اطلبوا فیهم ذا الثدیة، فطلبوه فلم یجدوه، فأتوه فقالوا: لم نجده. قال: اطلبوه فإنّه فیهم. قال فطلبوه فوجدوه فأُتی به فإنّی لأنظر إلیه وله فی أحد منکبیه مثل ثدی المرأة لیس له ید غیرها علیها شعرات. ۷۲ ـ حدّثنی أبی، حدّثنا وکیع، عن حماد بن سلمة، عن أبی غالب، عن أبی اُمامة: أنّه رأی رؤوساً منصوبة علی درج مسجد دمشق، فقال أبو اُمامة: کلاب النار ـ ثلاثاً ـ شر قتیل تحت أدیم السماء، خیر قتل من قتلوه، ثمّ (۴۹۸)

قرأ: (یَوْمَ تَبْیَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ)(۱) قلت لأبی اُمامة: أنت سمعته من رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ؟ قال: لو لم أسمعه إلاّ مرّتین أو ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً أو ستّاً أو سبعاً ما حدّثتکم به. ۷۳ ـ حدّثنی أبی، حدّثنا عبد الرزاق، حدّثنا معمر، قال: سمعت أبا غالب یقول: لمّا اُتی برؤوس الأزارقة فنصبت علی درج دمشق، جاء أبو اُمامة فلمّا رآهم دمعت عینه، قال: کلاب النار، کلاب النار، کلاب النار ـ ثلاث مرّات ـ هؤلاء شرّ قتلی قتلوا تحت أدیم السماء، و خیر قتلی تحت أدیم السماء الذین قتلهم هؤلاء، قلت: فما شأنک دمعت عینک؟ قال: رحمة لهم لأنّهم کانوا من أهل الإسلام قلت: أبرأیک قلت هم کلاب النار أو شیئاً سمعته من رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ؟ قال: إنّی إذاً لجری بل سمعته من رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ غیر مرّة ولا مرّتین ولا ثلاثة، قال: فعدّ مراراً قال ثمّ تلا هذه الآیة (یَوْمَ تَبْیَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ) حتی بلغ (هُمْ فِیها خَالِدُونَ) ثم ذکر الحدیث إلی آخره. ۷۴ ـ حدّثنی أبو خیثمة، حدّثنا سفیان بن عیینة، عن أبی غالب سمع أبا اُمامة قال: خرجت معه فرأی رؤوساً من هؤلاء الخوارج علی درج دمشق، فقال کلاب النار، کلاب النار، شرّ قتلی، و خیر قتلی من قتلوه، فقلت: یا أبا اُمامة سمعت هذا من رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ؟ قال: نعم غیر مرّة. ۷۵ ـ حدّثنی أبو خیثمة زهیر بن حرب، حدّثنا عمّار بن یونس الحنفی، حدّثنا عکرمة بن عمّار، حدثنا شداد بن عبد الله، قال: وقف أبو اُمامة و أنا معه علی رؤوس الحروریة بالشام عند باب مسجد حمص أو دمشق، فقال لهم: کلاب النار ـ مرّتین أو ثلاثاً ـ شرّ قتلی تظل السماء، و خیر قتلی من قتلوهم _____

۱. آل عمران: ۱۰۶. (۴۹۹)

ـ و دمعت عینا أبی اُمامة ـ قال رجل: أرأیت قولک لهؤلاء القوم شرّ قتلی تظلّ السماء، و خیر قتلی قتلوهم، أشیء من قبل رأیک أو شیء سمعته من رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ؟ قال: من قبل رأیی إنّی إذاً لجری لولم أسمعه من رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ إلاّ ـ مرّة أو مرّتین ـ حتی عدّ سبع مرار ـ ما حدّثتکم، فقال له رجل: رأیتک دمعت عیناک؟ فقال: رحمة رحمتهم کانوا مؤمنین فکفروا بعد إیمانهم، ثمّ قرأ هذه الآیة: (وَلاَ تَکُونُواْ کَالَّذِینَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْبَیِّنَـتُ وَأُوْلَـئِکَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِیمٌ * یَوْمَ تَبْیَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ)(۱)الآیة. ۷۶ ـ حدّثنا أبی، حدّثنا أنس بن عیاض و هو أبو ضمرة المدینی، قال: سمعت صفوان بن سلیم یقول: دخل أبو اُمامة الباهلی دمشق فرأی رؤوس حروراء قد نصبت فقال: کلاب النار ـ ثلاثاً ـ شرّ قتلی تحت ظلّ السماء من خیر قتلی من قتلوه، ثمّ بکی، فقام إلیه رجل فقال: یا أبا اُمامة هذا الّذی تقول من رأیک أو سمعته؟ فقال: إنّی إذا لجری کیف أقول هذا عن رأیی و لکن قد سمعته غیر مرّة و لا مرّتین. قال: فما یبکیک؟ قال أبکی لخروجهم من الإسلام هؤلاء الذین تفرّقوا و اتّخذوا دینهم شیعاً. ۷۷ ـ حدّثنی أبی، حدّثنا إسماعیل ـ یعنی ابن علیة ـ انا سلیمان التیمی، حدّثنا أنس بن مالک، قال: ذکر لی أنّ نبی الله قال: إنّ فیکم قوماً یعبدون و یدینون حتّی یعجبوا الناس وتعجبهم أنفسهم، یمرقون من الدین کما یمرق السهم من الرمیّة. ۷۸ ـ حدّثنی أبی، حدّثنا إبراهیم بن خالد، حدّثنا رباح، عن معمّر، عن قتادة عن أنس بن مالک: أنّ رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ قال: «یکون _____

۱. آل عمران: ۱۰۵ ـ ۱۰۶. (۵۰۰)

فی اُمتی اختلاف و فرقة یخرجون فیهم قوم یقرأون القرآن لا ـ یجاوز تراقیهم، سیماهم الحلق و التسبیت، فإذا رأیتموهم فأنیموهم» ـ

قوله التسبيت يعنى استئصال الشعر ـ. ۷۹ ـ حدّثنى أبو بشر بكر بن خلف ختن أبى عبد الرحمن المقرئ و سأله محمّد بن غيلان، عن هذا الحديث بمكّة قال: حدّثنا عبد الرزاق، أنا معمّر، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ: «يكون فى آخر اُمّتى قوم يقرأون القرآن لايجاز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرميّة، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم ». ۸۰ ـ حدّثنى أبى حدّثنا عبد الرزاق، حدّثنا معمر، عن الزهرى، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، عن أبى سعيد الخدرى، قال: بينا رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ يقسم قسماً إذ جاءه ابن ذى الخويصرة التميمى فقال: اعدل يا رسول الله. فقال: «و يلك و من يعدل إذا لم أعدل؟» فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله أتأذن لى أن أضرب عنقه، فقال النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ: «دعه فإنّ له أصحاباً يحتقر أحدكم صلاته مع صلاته، و صيامه مع صيامه، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، فينظر فى قذذه فلا يوجد فيه شىء ثمّ ينظر فى نصيبه فلا يوجد فيه شىء، ثمّ ينظر فى نصله فلا يوجد فيه شىء، و قد سبق الفرث و الدم، آيتهم رجل أسود فى إحدى يديه أو قال احدى ثديه كثدى المرأة، و مثل البضعة تدردر، يخرجون على حين فترة من الناس، فنزلت فيهم: (وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى الصَّدَقَـتِ)الآية (۱) قال أبو سعيد: فأشهد أنّى سمعت هذامن رسول الله، و أشهد أنّ عليّاً حين قتلهم و أنا معه جيئ بالرجل على النعت الّذى نعت رسول الله. _____

۱. التوبة: ۵۸. (۵۰۱) ۸۱ ـ حدّثنى أفطر بن حماد بن واقد، حدّثنا مهدى بن ميمون، عن محمّد بن سيرين، عن معبد بن سيرين عن أبى سعيد الخدرى: أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ قال: «ليخرج قوم بالمشرق يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، ثمّ لا يعودون فيه حتى يعود السهم على فوقه» قال: قيل: ما سيماهم؟ قال: «سيماهم الحلق أو التسبيت». ۸۲ ـ حدّثنى نصر بن على، حدّثنا غسار بن مضر حدّثنا أبو مسلمة سعيد بن يزيد، عن أبى نضرة، عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ: «تمرق مارقة من هذه الاُمّة مروق السهم من الرميّة، انّ الرجل ليرمى رميّته فينفذها سهمه فتنطلق الرميّة حائطة، قال: فيتحرك هنيهة ثم يقع فيه فيتبع سهمه فينظر فى النصل فلا يجد بيّنة قال: فيحدّث نفسه لئن كنت أصبت لأجدنّ بيّنة فى القذذ و الفوقتين، قال: فينظر فى القذذ و الفوقتين فلا يجد بيّنة، قال: فلا يعلقون من الإسلام إلّا كما يعلق ذلك السهم من رميّته، قال: و لا يعودون فيه، ثم يقرأون كتاب الله لا يعدو تراقيهم، قال: يحتقر أو يزدرى عمله عند عملهم، سيماهم التحليق، هم شرّ الخلق و الخليقة ـ مرّتين ـ يتولّى قتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق ـ يعنى أصحاب النهروان ـ فقال أبو سعيد: الحمد لله الّذى ولّى قتلهم أهل العراق. ۸۳ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا هشام بن القاسم، حدّثنا حشرج بن نباتة العبسى، حدّثنى سعيد ين جمهان، قال: لقيت عبد الله بن أبى أوفى و هو محجوب البصر فسلّمت عليه، فقال لى: من أنت؟ قال: قلت: أنا سعيد بن جمهان. قال: فما فعل والدك؟ قال: قلت: قتلته الأزارقة. قال لعن الله الأزارقة، لعن الله الأزارقة. (۵۰۲) ۸۴ ـ حدّثنا رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ: أنّهم كلاب النار، قال: قلت: الأزارقة وحدهم أم الخوارج كلّها؟ قال: لا، بل الخوارج كلّها. و آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين * * *

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة "الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰

الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة "للتحرّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عنايةِ سماحةِ آيةِ الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹